شرح التنزلات الإلهية

الجزء الخامس

(١٢٦ – ١٦٧)

من فيوضات

سماحة الإمام الشريف الحسني

صلاح الدين التجاني

شرح وتعليق مهندس / محمود طايل التجاني

صلاة الفاتح

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق

والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق

والهادي إلى صراطك المستقيم

وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

قال سماحة الإمام رضي الله عنه :

﴿تتبع دين الحب من بلد لبلد

فإن عثرت عليه فأقم قد بلغت الرشد

ونلت المنى ووصلت الأمد فعش في رغد﴾

(التنزل الثاني والثلاثون ومائة : [الدال] : ص ٩٠ ، ٩١)

الجزء الخامس

من شرح

التنزلات الإلهية

أولاً

التنزلات الأحدية

التنزل السادس والعشرون ومائة

الحب هو أبجديات الوجود

كُلَّمَا اسْتَغْنَيْتَ بِالحُبِّ ؛ اغْتَنَيْتَ ، وَأَغْنَيْتَ .

وَكُلَّمَا اسْتَكْفَيْتَ بِهِ ؛ اكْتَفَيْتَ ، وَكَفَّيْتَ (١) .

وَكُلَّمَا اسْتَكَنْتَ لَهُ ؛ سَكَنْت ، وَأَسْكَنْتَ (٢) .

وَكُلَّمَا اسْتَشْفَعْتَ بِهِ ؛ شُفِّعْتَ ، وَأَشْفَعْتَ .

١- وكيف لا يكون في الحب غنى وكفاية ؛ وسماحة الإمام ﷺ يقول : الحُبُّ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الحُبُّ : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ {المائدة : ٥٤} وَأَعْظَمُ ثَوَابِهِ الفَوْزُ بِالمَحْبُوبِ .

وقال سماحة الإمام ﷺ : المحب هو خليفة حبيبه ، وهَبَه محبوبه ذاتاً من ذاته ، وصفاتٍ من صفاته ، وأسماءً من اسمائه ، وكفي بذلك شرفاً لنعمة الخلافة .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : كل محبوب هو قرة عين حبيبه ، يعني إذا رآه استقرت عينه عليه ، فلم تلتفت لسواه .

فَالحُبُّ غِنًى ، وَكِفَايَةٌ ، وَسَكَنٌ ، وَشَفَاعَةٌ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : (الحُبُّ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وصَادِقٌ مُصَدَّقٌ . مَا تَشَفَّعَ بِهِ أَحَدٌ إِلَى اللهِ إِلَّا فُتِّحَتْ لَهُ الأَبْوَابُ ، وَرَأَى بِغَيْرِ حِجَاب) . فالحب موجب للشفاعة كما ورد عن الإمام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَنَا شَفِيعٌ لِكُلِّ أَخَوَيْنِ تَحَابَّا فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مُنْذُ بَعَثَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» رواه تمام وأبو نعيم .

قال سلطان العاشقين :

أحبَّةَ قلبي والمحبَّةُ شافعي ... لدَيكُمْ إذا شِئتُمْ بها اتّصَل الحبلُ
عسَى عَطفَةٌ منكُمْ عَليّ بنَظرَةٍ ... فقدْ تعبتْ بيني وبينكمُ الرُّسلُ
أحبَّايَ أنتمْ أحسنَ الدّهرُ أمْ أسا ... فكونوا كما شئتمْ أنا ذلكَ الخِلُّ
إذا كانَ حَظّي الهَجرُ منكم ولم يكن ... بِعادٌ فذاكَ الهجرُ عندي هوَ الوَصْل
وما الصّدّ إلا الوُدّ ما لم يكنْ قِلًى ... وأصعبُ شيءٍ غيرَ إعراضكمْ سهلُ
وتعذيبكمْ عذبٌ لديَّ وجوركمْ ... عليَّ بما يقضي الهوى لكمُ عدلُ
وصبري صبرٌ عنكمْ وعليكمْ ... أرى أبداً عندي مرارتهُ تحلو
أخذتمْ فؤادي وهوَ بعضي فما الّذي ... يَضَرُّكُمُ لو كانَ عِندَكمُ الكُلّ
نأيتمْ فغيرَ الدَّمعِ لمْ أرَ وافياً ... سوى زفرةٍ منْ حرِّ نارِ الجوى تغلو
فسهديَ حيٌّ في جفوني مخلَّدٌ ... ونومي بها ميتٌ ودمعي لهُ غسلُ
هوىً طلَّ ما بينَ الطُّلولِ دمي فمِنْ ... جُفوني جرى بالسّفحِ من سَفحِه وَبلُ
تبالَهَ قومي إذ رأوني مُتَيَّماً ... وقالوا بمنْ هذا الفتى مسَّهُ الخبلُ

الحُبُّ طَعَامُ طَاعِمٍ ، وَشَرَابُ شَارِبٍ (١) .

فِيهِ غِذَاءُ القَلْبِ وَالرُّوحِ وَالعَقْلِ وَالنَّفْسِ .

مَنْ لَمْ يَكْتَفْ بِالحُبِّ رِزْقاً (٢) ،

وَلَمْ يَكْتَفْ بِهِ شَفِيعاً وَسَكَناً ، فَلَا كَفَاهُ اللهُ أَبَداً (٣) .

١- انظر إلى جمال التعبير بكلمة (حِبِّي) في قوله ﷺ : «إِنَّ اللهَ حِبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ» رواه أحمد .

٢- هذا المعنى الجميل لرزق الحب الذي أورده سماحة الإمام ورد على لسان رسول الله ﷺ الشريف في الحديث عَنْ أم المؤمنين السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها ، قَالَتْ : مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا ، قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ ، فَيَقُولُ : «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» قَالَتْ : فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا ، فَقُلْتُ : خَدِيجَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا» رواه مسلم في صحيحه .

٣- قال سلطان العاشقين :

وكفاني عِزّاً بِحُبّكَ ذُلّي ... وخُضوعي ولستُ مِن أكْفاكا
وإذا ما إليكَ بالوَصلِ عزّتْ ... نِسْبتي عِزّةً وَصحّ وَلاكا
فاتهامي بالحبِّ حسبي وأنّي ... بينَ قومي أُعَدُّ منْ قتلاكا
لكَ في الحيِّ هالكٌ بكَ حيٌّ ... في سَبيلِ الهَوى اسْتَلَذّ الهَلاكا
عَبْدُ رِقٍّ مَا رَقّ يَوْماً لِعَتْقٍ ... لوْ تخَلّيْتَ عَنْهُ ما خَلّاكا

الحُبُّ أَوْسَعُ الرِّزْقِ ، مَقْبُولُ الشَّفَاعَةِ ، عَظِيمُ الجَاهِ .

الحُبُّ هُوَ أَبْجَدِيَّاتُ الوُجُودِ .

وَفِيهِ سِرُّ كُلِّ مَوْجُودٍ .

رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ هِيَ الأَصْلُ (١) .

نَبْدَأُ بِالهَمْزَةِ :

١- المقصود بالأبجديات هي الحروف (ا ، ب ، ج ، د ، هـ ، ....) .

فبالحب ظهرت حروف الوجود ، أي مخلوقاته ، من كنزيته تعالى : (**كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني**) .

أي عن الله ظهر الوجود .

أي تنزل الحق في رتبة سماها خلقا

(النقطة) هي الذات . و (الألف) هو أول تجل للنقطة .

فما ظهر عن الله تعالى إلا رسول الله ﷺ ، الذي هو (ألف) الوجود .

وبقيت الذات في عمائها .

وعن رسول الله ﷺ ظهر كل شيء .

وسريانه ﷺ في كل مخلوق كسريان (الألف) في كل الحروف .

الهمزة

أَوَّلُ رُوحٍ قَدْ بَرَأَ (١) .

وَأَوَّلُ نُورٍ قَدْ ذَرَأَ (٢) .

ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِأَرْوَاحِ المُحِبِّينَ (٣) .

١- بَرَأَ : أي خلق على غير مثال سابق .

روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله ، ﷺ ، بلفظ : قلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء ؟ . قال : يا جابر ، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ،.....

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ شَقِيقٍ ، عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَخْرِ ، قَالَ : قُلْتُ لِرَسُولِ الله ﷺ : مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا ؟ قَالَ : «**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ**» رواه أحمد والطبراني والفريابي والحاكم وصححه وأقره الذهبي .

٢- **ذَرَأَ اللهُ الخلقَ يَذْرَؤُهُمْ ذَرْءاً إِذَا خَلَقَهُمْ** ، وكأَنَّ الذَّرْءَ مُخْتَصٌّ بخلْق الذُّرِّيَّة .

٣- فرسولنا ﷺ رسول الحب ، وهو حبيب الله .

قال رسول الله ﷺ : «**أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلَا فَخْرَ**» رواه الترمذي .

فلا أعلى من الحب الذي هو وصف حبيب الله .

أَمَّا أَرْوَاحُ المُفْسِدِينَ ؛ فَقَدْ أَرْجَأَ ، وَرَجَأَ (١) .

وَأَرْوَاحُ العُصَاةِ قَدْ نَسَأَ (٢) .

وَلِلْبَرِيَّةِ بِهِمْ قَدْ رَزَأَ (٣) .

فَذُوْ المَحَبَّةِ عَلَى شَاطِئِ رَسُولِ الله ﷺ قَدْ رَفَأَ (٤) .

وَلِدَمْعَتِهِ قَدْ رَقَأَ (٥) .

بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ مِنْهُم فِي حُبِّهِ الرَّهَأُ (٦) .

فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ سَبِيلِهِم ؛ فَقَدْ صَبَأَ (٧) .

١- **الإرجاء** : هو التأخير .

٢- **النسأ** : هو التأخير .

٣- **الرزأ** : هو المصيبة وهو النقص أيضا .

٤- **رفأ** : أي رست مراكبه .

٥- **رقأ** : أي جفف دموعه .

٦- **الرهأ** : أي شدة الضعف .

٧- **صبأ** : أي خرج من دين المحبة .

وَغَلَّفَ قَلْبَهُ الصَّدَأُ (١) .

أَمَّا الْمُحِبُّونَ ؛ فَقَدْ شَرِبُوا بِحَارَ الحُبِّ ، وَمَازَالُوا فِي ظَمَأٍ (٢) .

فَمَا دَرُوا إِلَّا وَنُورُ الذَّاتِ لَهُمْ قَدْ فَجَأَ (٣) .

١- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ**» رواه البيهقي وأبو نعيم والشهاب والخرائطي . **صدؤها** : هُوَ أَنْ يَرْكَبَهَا الرَّيْن بمباشَرة المَعَاصِي وَالْآثَامِ ، فيذهبَ بِجلائِها .

٢- كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد ﷺ : سَكِرْتُ مِنْ كَثْرَةِ مَا شَرِبْتُ مِنْ كَأْسِ مَحَبَّتِهِ .

فكتب أبو يزيد في جوابه : سَكِرْتَ وَمَا شَرِبْتَ مِنَ الدُّرَرِ . وَغَيْرُكَ قَدْ شَرِبَ بُحُورَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا رُوِيَ بَعْدُ ، وَلِسَانُهُ مَطْرُوحٌ عَلَى صَدْرِهِ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ ، وَيَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيد ؟

٣- قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ : المحب ملتذ في دهش الدهش ، سببه فجأة المحبوب ، وهو المعبر عنه بالهجوم ، فلما كان الحق دعا قلوب العباد إليه ، وشرع لهم الطريق الموصلة المشروعة ، وتعرف إليهم بالدلالات ، فعرفوه ، وتحبب إليهم بالنعم فأحبوه ، فلما تجلى لهم على غير موعد عندما دخلوا عليه ، وهم غير عارفين بأنهم في حال دخول عليه ، فجأهم تجليه ، فعرفوه بالعلامة ، فدهشوا لفجأة التجلي ، والتذوا لعلمهم بالعلامة في نفوسهم ، أنه حبيبهم ومطلوبهم ، فهذا التذاذهم .

أول ذلك : الذوق ، ثم الشرب ، ثم الريُّ . فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني . ووفاء منازلاتهم يوجب لهم الشرب . ودوام مواصلاتهم يقتضي لهم الرِّيَّ . =

فَنَالُوا مِنْ كُلِّ شَيءٍ الثَّمرَ ، وَغَيْرَهُم حَصَدَ الكَلأَ (١) .

= فصاحب الذوق متساكر ، وصاحب الشرب سكران ، وصاحب الريِّ صاح .

ومن قوي حبه تسرمد شربه ، فإذا دامت به تلك الصفة لم يورثه الشرب سكراً ، فكان صاحياً بالحق ، فانياً عن كل حظ : لم يتأثر بما يرد عليه ، ولا يتغير عما هو به . ومن صفا سره، لم يتكدر عليه الشرب . ومن صار الشراب له غذاء لم يصبر عنه ، ولم يبق بدونه . وأنشدوا:

وإنما الكأس رضاع بيننا فإذا لم نذقهـــا لم نعـش

واعلم أن كاسات القرب تبدو من الغيب ، ولا تدار إلا على أسرار معتقة ، وأرواح عن رق الأشياء محررة . وأنشدوا :

عجبت لمن يقول ذكرت إلفي وهل أنسى فأذكر ما نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظني ما حييت
فأحيا بالمني وأموت شوقاً فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحبّ كأساً بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت

١- **الثمر** : هو اللب وهو المراد من النبات . **والكلأ** : هو العشب وهو أكل الحيوان .

فأصْغرُ أتباعي ، على عينِ قلبهِ عرائسُ أبكارِ المعارفِ ، زُفَّتِ
جَنى ثمرَ العرفانِ من فرعِ فِطنةٍ زكا باتِّباعي ، وهوَ من أصلِ فِطرتي
فإن سِيلَ عن معنىً أتى بغرائبٍ عن الفهمِ جلَّت ، بلْ عنْ الوَهمِ دقَّتِ
ولا تدعُني فيها بنعتٍ مقرَّبٍ أراهُ بحكمِ الجمعِ فرقَ جريرةِ
فوصليَ قطعي ، واقترابي تباعدي ووُدِّي صَدِّى ، وانتهائي بَداءتي

الباء

الحُبُّ أَغْلَى مِنَ الذَّهَبِ (١) .

وَأَعْظَمُ وَهْبٍ مِمَّنْ وَهَبَ .

وَهُوَ يَأْتِي بِلَا سَبَبٍ (٢) .

وَلَكِنْ يَلْزَمُهُ حُسْنُ الأَدَبِ .

١- أغلى من الذهب لأنه كما قال سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الحُبُّ : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ {المائدة : ٥٤} . وَأَعْظَمُ ثَوَابِهِ الفَوْزُ بِالمَحْبُوبِ .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ :

الحب الكسبي : ويكون من عالم الخلق ، وسببه جمال في الصفات والخلق ، أو عن رؤية الإحسان ، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ ، ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي**» . وهؤلاء لا تكون قلوبهم مستقرة ، حيث قال فيهم رسول الله ﷺ : «**إِنَّ القَلْبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، مَا شَاءَ أَزَاغَ ، وَمَا شَاءَ أَقَامَ**» . وفي رواية : «**يَقُولُ بِهِمَا هَكَذَا**» وحَرَكَ أَبُو أَحْمَدَ (راوي الحديث) إِصْبَعَهُ . أي يقلبه : قبضًا وبسطًا ، خوفًا ورجاءً ، هيبةً وأُنسًا ، وَجْدًا وفَقْدًا ، وَصْلًا وفَصْلًا ، فناءً وبقاءً . حتى يتم لهذا =

= القلب التجريد والاستخلاص والتمكُّن ، فحينئذٍ يكون قد تهيأ للحب الأكبر ، وهو الحب الوهبي .

الحب الوهبي : ويكون من عالم الأمر ، وهو لا يذهب أبدًا ، ولو حاول صاحبه أن يغفل عن الله لحظة لما استطاع . قال سلطان العاشقين :

وَعَنْ مَذْهَبِي فِي الْحُبِّ مَالِيَ مَذْهَبٌ ... وَإِنْ مِلْتُ يَوْمًا عَنْهُ فَارَقْتُ مِلَّتِي
وَلَوْ خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ ... عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتَ بِرِدَّتِي

ويتغلغل هذا الحب في كل خلايا المحب ، حتى يؤدي به إلى سجود القلب .

سجود القلب : إذا سجد القلب ، لا يرفع أبداً ، بخلاف سجود الوجه . اتفق لسهل بن عبد الله التستري ﷺ – وهو في السادسة من عمره – في أوّل دخوله إلى هذا الطريق – أنه رأى قلبه قد سجد ، وانتظر أن يرفع ، فلم يرفع ، فبقي حائراً ، فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته . فما وجد أحداً يعرف واقعته – فإنهم أهل صدق ، لا ينطقون إلا عن ذوق محقق – فدلوه على شيخ ، فرحل إليه من أجل واقعته ، فلما دخل عليه ، سلَّمَ وقال : أيها الشيخ ! أيسجد القلب ؟ فقال له الشيخ إلى الأبد ، فوجد سهل شفاءه على يده ، فلزم خدمته . ومدار هذه الطريقة على هذه السجدة القلبية ، إذا حصلت للإنسان – حالة مشاهدة عين – فقد كمل ، وكملت معرفته ، وعصمته ، فلم يكن للشيطان عليه من سبيل .

وَخُضُوعُ كُلِّ حَبِيبٍ لِحَبِيبِهِ قَدْ وَجَبْ (١) .

وَالحُبُّ تَعْرِفُهُ القُلُوبُ بِلَا عَنَاءٍ وَلَا تَعَبٍ .

وَلَكِنْ يَلْزَمُهُ حُسْنُ الطَّلَبِ .

فَالْمُتَحَابُّونَ بَيْنَهُم أَعْظَمُ نَسَبٍ ، وَأَشْرَفُ حَسَبٍ .

وَهُوَ فِي الغَايَاتِ أَغْلَى وَأَحْلَى أَرَبٍ (٢) .

وَالقُلُوبُ الخَالِيَةُ مِنْهُ أَرْضٌ جَدَبٌ (٣) .

١- قال سلطان العاشقين :

أُشاهدُ مَعنى حُسنِكُم فَيَلَذّ لي ... خضوعي لديكمْ في الهوى وتذللي

وأشتاقُ للمغنى الّذي أنتمْ بهِ ... ولولاكُمُ ما شاقَني ذِكْرُ مَنْزِلِ

فلِلّهِ، كَم من لَيلَةٍ قد قَطَعتُها ... بِلَذّةِ عيشٍ، والرّقيبُ بِمَعزلِ

ونقلي مدامي والحبيبُ منادمي ... وأقداحُ أفْراحِ المَحَبّةِ تَنجَلي

٢- **الأرَب** : هو المقصد والحاجة .

٣- **الجدب** : هو الأرض التي لا نبات فيها من القحط . قال سلطان العاشقين :

على نفسهِ فليبكِ منْ ضاعَ عمرهُ ... وليسَ لهُ فيها نصيبٌ ولا سهمُ

فَأَيْنَ قَلْبِي ؟ وَأَيْنَ رُوحِي ؟

وَالعِشْقُ لَهُـمَا قَدْ جذَب .

وَأَيْنَ نَوْمِي ؟ بَلْ أَيْنَ صَحْوِي ؟

وَالحُبُّ لَهُـمَا قَدْ سَلَب .

وَلِلْمَخَاطِرِ قَدْ جَلَب .

وَعَنْ جَمِيعِ لَذَّاتِي قَدْ حَجَب .

وَجَمِيعُ عَوَالِـمِي قَدْ أَصْبَحَتْ فِي نَصَبٍ وَلَهَب (١) .

١- قال سلطان العاشقين :

ونفسٌ ترى في الحبِّ أنْ لا ترى عَناً ولا بالولا نفسٌ صفا العيش ودَّتِ

وأينَ الصّفا هيْهاتِ من عَيشِ عاشِقٍ وجنّـةُ عدنٍ بالمكارهِ حُفَّتِ

ولِي نفسُ حرٍّ لو بذلتِ لها على تَسَلّيكِ، ما فوْقَ المُنى ما تسلّتِ

ولو أُبْعِدَتْ بالصّدّ والهجْرِ والقِلى وقَطْعِ الرّجا، عن خُلّتي، ما تخَلّتِ

وعن مذهَبي، في الحُبّ، ما ليَ مذهَبٌ وإنْ مِلْتُ يوماً عنهُ فارَقتُ ملّتي

ولوْ خطرتْ لي في سواكِ إرادةٌ على خاطري سهواً قضيتُ بردَّتي

لكِ الحكمُ في أمري فما شئتِ فاصنعي فلمْ تكُ إلَّا فيكِ لا عنكِ رغبتي

وَمَعَ ذَلِكَ ؛ فَالرُوحُ فِي طَرَب (١) .

وَأَصْبَحَ كُلُّ عِلْمٍ عِنْدِي ، وَمَعْرِفَةٍ ، لِنَارِهِ خَشَباً وَحَطَب (٢) .

١- قال سلطان العاشقين :

إذا لاحَ معنى الحُسنِ في أيّ صورَةٍ ... وناحَ مُعنّى الحُزنِ في أيّ سُورَةِ
يُشاهِدُها فِكري بِطَرفِ تَخيُّلي ... ويسمعُها ذكرى بمسمَعِ فِطنتي
ويُحضرها للنَّفسِ وهمي تصوُّراً ... فيحسَبُها في الحِسّ فَهمي نديمتي
فأعجبُ من سُكري بغيرِ مُدامةِ ... وأطربُ في سرّي ومني طربتي
فيرقصُ قلبي وارتعاشُ مفاصلي ... يصفّقُ كالشّادي وروحيَ قينتي

٢- فالحب هو الوقفة التي يحترق في نارها خشب وحطب العلم والمعرفة .

قال النفري : ﴿ **قال لي : احترق العلم في المعرفة ، واحترقت المعرفة في الوقفة** ﴾ .

﴿ **وقال لي : الواقف يرث العلم والعمل والمعرفة ، ولا يرثه إلا الله** ﴾ .

قال سماحة الإمام ﷺ في تفسيره : المعرفة ، نور يلقيه الله في قلوب أحبابه ، يخبر عن حق الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، فهي وجد في القلب نتيجة تجليات أسمائية وصفاتية ، والعارف يتردد تارة بين العلم وبين المعرفة ، بين الظاهر والباطن ، فإن سألت العارف عن مسألة ، أعطاك جوابين : جواباً في الظاهر ، وآخر في الباطن . أنوار المعرفة هي قوله ﷺ : ﴿ **اللهم اجعل لي نورا** ﴾ ، فإذا أفاض الله على روح عبده قطرة من أنوار ذاته ، أحرقت علميته ، ومعرفته =

فَسَبَقْتُ العَالَمِينَ ، مَعَ كَثْرَةِ هِمَمِهِم وَالدَّأَب .

وَلَكِنَّهُ تَعَالَى رَفَعَنِي في الرَّأْسِ ، وَجَعَلَهُم في الذَّنَب .

وَتِلْكَ حِكْمَةُ الوَهَّابِ لِمَنْ وَهَب .

فَأَكَلُوهَا تَمْراً ، وَأَكَلْتَهَا رُطَب (١) .

= وأخذ بالكلية عن نفسه ، وهو قوله ﷺ : ﴿ **واجعلني نورا** ﴾ . وهذا العبد إما أن يوظفه الله تعالى وظيفة ، ويعيده إلى الخلق ، إما قطباً ، وإما عالماً ، وإما غير ذلك ، ويكسوه من الأسماء ، والصفات الإلهية ، ما يعينه على تأدية وظيفته التي وظفه فيها ، ثم يزينه بزينة معاني هذه الأسماء والصفات ، فيعود إلى الخلق بالله ، وتلك ما نسميه **البقاء بعد الفناء** . وإما أن يمسكه عنده ، ويستخلصه لنفسه ، فيسمى **واقفاً** ، فالواقف حيث يفنى الطالب في المطلوب ، والذاكر في المذكور ، إذ لا يدخل حضرة الله سواه .

العالم : عالمه البعد لا يرى إلا الغيرية ، عنده أن الله غيب ، والكون شهادة .

العارف : عنده أن الله شهادة ، والعالم غيب .

الواقف : لا يرى عالماً أصلاً ، حتى ولا يرى نفسه ، ومع ذلك لو استضاف الكون كله عنده لوسعهم .

١- أول التَمْر طَلْعٌ ، ثم خَلالٌ ، ثم بَلَحٌ ، ثم بُسْرٌ ، ثم رُطَبٌ ، ثم تَمْرٌ . فالرطب هو البلح الكامل السوى . والتَّمْرُ مِنْ ثَمَرِ النَّخْلِ كَالزَّبِيبِ مِنْ الْعِنَبِ وَهُوَ الْيَابِسُ ، لِأَنَّهُ يُتْرَكُ عَلَى النَّخْلِ =

= بَعْدَ إِرْطَابِهِ حَتَّى يَجِفَّ أَوْ يُقَارِبَ ثُمَّ يُقْطَعُ وَيُتْرَكُ فِي الشَّمْسِ حَتَّى يَيْبَسَ لتخزينه . والمراد في كلام سماحة الإمام رضي الله عنه أن الله تعالى وهبه من كل حديث عهد بربه ، وأعطى غيره علما مكتسبا مما تدولته الألسنة والفهوم .

قال الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عن شيخنا وعنه : فإن الله يقول فيهم : ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ {التوبة : ١٢٢} . فأقامهم مقام الرسول في التفقه في الدين والإنذار وهو الذي يدعو إلى الله على بصيرة كما يدعو رسول الله ﷺ على بصيرة لا على غلبة ظنّ . فشتان بين من هو على بصيرة منه في دعائه إلى الله وهو على بينة من ربه وبين من يفتي في دين الله بغلبة ظنه . إذ يقول من هو من أهل الله : إن الله ألقى في سرّي مراده بهذا الحكم في هذه الآية ، أو يقول : رأيت رسول الله ﷺ في واقعتي ، فأعلمني بصحة هذا الخبر المروي عنه وبحكمه عنده .

قال أبو يزيد البسطاميّ رضي الله عنه في هذا المقام : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت ، يقول أمثالنا : حدثني قلبي عن ربي ، وأنتم تقولون : حدثني فلان وأين هو ؟ قالوا : مات . عن فلان وأين هو ؟ قالوا : مات .

وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذا قيل له : قال : فلان عن فلان عن فلان . يقول : ما نريد نأكل قديداً ، هاتوا ائتوني بلحم طريّ . يرفع همم أصحابه . هذا قول فلان ، أيّ شيء قلت أنت ؟ ما خصك الله به من عطاياه من علمه اللدني ؟ أي حدثوا عن ربكم واتركوا فلاناً وفلاناً ، فإن أولئك أكلوه لحماً طرياً ، والواهب لم يمت وهو أقرب إليكم من حبل الوريد ، والفيض الإلهيّ =

وَلَيْسَ مَنْ سَارَ كَمَنْ رَكِب .

وَلَيْسَ مَنْ اسْتُرْغِبَ فَرَغِب ، كَمَنْ رُهِّبَ فَرَهِب .

فَمِنْ خَمْرِ سُكْرِي كُلُّهُم قَدْ شَرِب .

وَنَهَلَ مِنْهُمْ مَنْ نَهَل ، وَلِكُلِّ مُحِبٍّ مَا نَهَب (١) .

= والمبشرات ما سُدَّ بابها ، وهي من أجزاء النبوّة ، والطريق واضحة ، والباب مفتوح ، والعمل مشروع ، والله يهرول لتلقي من أتى إليه يسعى ، وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، وهو معهم أينما كانوا ، فمن كان معك بهذه المثابة من القرب ، مع دعواك العلم بذلك ، والإيمان به ، لم تترك الأخذ عنه والحديث معه ؟ وتأخذ عن غيره ولا تأخذ عنه ، فتكون حديث عهد بربك . أيكون المطر فوق رتبتك ؟ حيث برز إليه رسول الله ﷺ بنفسه حين نزل ، وحسر عن رأسه حتى أصابه الماء ، فقيل له في ذلك ، فقال : ﴿ إنه حديث عهد بربه ﴾ تعلمياً لنا وتنبيهاً .

١- وَلَمَّا صَفَا قَلْبِي وَطَابَتْ سَرِيرَتِي ... وَنَادَمَنِي صَحْوِي بِفَتْحِ الْبَصِيرة
سَقَانِي إِلهِي مِنْ كؤوس شَرَابِهِ ... فَأَسْكَرَنِي حَقًّا فَهِمْتُ بِسَكْرِتِي
وحَكَّمَنِي جَمْعَ الدِّنَانِ بِمَا حَوَى ... وَكُلُّ مُلُوكِ الْعَالَمِينَ رَعِيَّتِي
وَفِي حَانِنَا فادْخُلْ تَرَ الْكَأْسَ دَائِراً ... وَمَا شَرِبَ الْعُشَّاقُ إِلا بَقِيَّتِي
رُفِعْتُ عَلَى مَنْ يَدَّعِي الحُبَّ فِي الْوَرَى ... فَقَرَّبَنِي الْمَوْلَى وَفُزْتُ بِنَظْرَةِ
وَجَالَتْ خُيُولِي فِي الأَرَاضِي جَمِيعِها ... وَزُفَّتْ لِيَ الْكَاسَاتُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ =

وَلِكُلِّ غَالِبٍ مَا غَلَب .

وَلَكِنْ عَنْ مُسَابَقَتِي فَلْتَتُب .

فَأَنَا لَكَ نَاصِحٌ كَأَب .

= وَدُقَّتْ لِيَ الْرَايَاتُ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَا   وَأَهْلُ السَّمَا والأَرْضِ تَعْلَمُ سَطْوَتِي
فَمَنْ كَانَ مِثْلِي يَدَّعِي فِيكُمُ الهَوَى   يُطَاوِلُنِي إنْ كَانَ يَقْوَى لِسَطْوَتِي
أَنَّا كُنْتُ في الْعَلْيَا بِنُور مُحَمَّدٍ   وَفِي قَابَ قَوْسَيْنِ اجْتِمَاعُ الأَحِبَّةِ
وَصِرْتُ أَنَا السَاقِي لِمَنْ كَانَ حَاضِراً   أُدِيرُ عَلَيهِمْ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةِ
ذِرَاعِيَ مِنْ فَوْقِ السَّمَواتِ كُلِّهَا   وَمِنْ تَحْتِ بَطْنِ الْحُوتِ أَمْدَدْتُ رَاحَتِي
وَمَا قُلْتُ هَذَا القَوْلَ فَخْراً وإِنَّمَا   أَتَى الإِذْنُ حَتَّى تَعْرِفُوا مِنْ حَقِيقَتِي
وَمَا قُلْتُ حَتَّى قِيلَ لِي قُلْ وَلاَ تَخَفْ   فَأَنْتَ وَلِيِّي فِي مَقَامِ الْخِلافَةِ

التنزل السابع والعشرون ومائة

اليدان

المُحِبُّ ذُو عَيْنَيْنِ .

عَيْنٌ يَنْظُرُ بِهَا إِلَى الحَقِّ . وَعَيْنٌ يَنْظُرُ بِهَا إِلَى الخَلْقِ .

عَيْنٌ يَنْظُرُ بِهَا إِلَى الذَّاتِ . وَعَيْنٌ إِلَى الصِّفَاتِ .

عَيْنٌ إِلَى المُسَبِّبِ . وَعَيْنٌ إِلَى الأَسْبَابِ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : يجب أن تكون هناك عين على الأخذ بالأسباب ، وعين على التوكل على مسبب الأسباب ، ولا تنحجب عنه بقوة الأسباب . فيجب أن تنظر عينك الظاهرة إلى الأسباب ، ويجب أن لا تحجب بصيرتك عن مسبب الأسباب . فمن لم يأخذ بالأسباب ، وادعى أنه معتمد فقط على مسبب الأسباب ، فهو جاهل مغرور . ومن أخذ بالأسباب ، معتقداً أنها هي الفاعلة من نفسها ، وأنكر مسبب الأسباب ، فهو كافر .

عَيْنٌ إِلَى الإِطْلَاقِ . وَعَيْنٌ إِلَى التَّقْيِيدِ (١) .

عَيْنٌ إِلَى عَالَمِ الأَمْرِ . وَعَيْنٌ إِلَى عَالَمِ الخَلْقِ (٢) .

عَيْنٌ إِلَى عَالَمِ الغَيْبِ . وَعَيْنٌ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ .

عَيْنٌ إِلَى ظَاهِرِ الشَّرْعِ . وَأُخْرَى إِلَى حَقِيقَتِهِ وَبَاطِنِهِ (٣) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى : ١١} ، فالجزء الأول تنزيه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ ، والجزء الثاني تشبيه : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ والله تعالى منزه عن التنزيه وعن التشبيه . لأن التشبيه والتنزيه حادثان ، والله تعالى قديم ، فلا يُعلم القديم بالحادث حتى ولو كان تنزيها ! فالله تعالى من وراء تنزيهك وتشبيهك .

فَإِنْ قُلْتَ بِالتَّنْزِيهِ كُنْتَ مُقَيِّدًا ... وَإِنْ قُلْتَ بِالتَّشْبِيهِ كُنْتَ مُحَدِّدَا

وَإِنْ قُلْتَ بِالأَمْرَيْنِ كُنْتَ مُسَدَدًا ... وَكُنْتَ إِمَامًا فِي المَعَارِفِ سَيِّدَا

وقال سلطان العاشقين :

قَالَ لِي حُسْنُ كُلِّ شَيْءٍ تَجَلَّى ... بِي تَمَلَّى فَقُلْتُ قَصْدِي وَرَاكَـا

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : **فعالم الخلق** : هو الذي تخرج فيه الأشياء من خلف حجاب أسبابها . **وعالم الأمر** : هو الذي تبرز فيه الأشياء مباشرة عن القدرة ، بدون أسباب ، بأمر : كن فيكون .

٣- قال سماحة الإمام ﷺ : يجب أن يكون للمؤمن عينان – حتى لا يكون ممن يؤمن ببعض =

عَيْنٌ إِلَى التَّلْوِينِ ، وَعَيْنٌ إِلَى التَّمْكِينِ (١) .

= ويكفر ببعض – عين البصر ، وعين البصيرة ، فهذه لها مهمة ، وتلك لها مهمة أخرى ، ومن اقتصر على أحدهما فهو أعور .

فهو ينظر بعين إلى الظاهر ، وبالعين أخرى إلى الباطن .

فعين تتأدب بظاهر الشرع ، وعين تتحبب بباطن الشرع .

فمن نظر إلى باطن الشرع ، دون ظاهره ، فهو زنديق .

ومن نظر إلى ظاهر الشرع ، دون باطنه ، فهو فاسق .

ومثاله : من يصلي ويصوم ويزكي ويحج ، وليس له من أعمال القلوب شيء ؛ كالحب والتوكل والرضا واليقين والصبر والصدق والإخلاص ، فهو فاسق . ومن ادعى قوة يقينه وصفاؤه وخشوع قلبه وتوكله ، ولم يظهر ذلك في صورة عبادات ومعاملات شرعية ، فهو زنديق .

١- **التلوين** : صفة أرباب الأحوال . **التمكين** : صفة أهل الحقائق . فما دام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين ، لأنه يرتقى من حال إلى حال ، وينتقل من وصف إلى وصف ، فإذا وصل تمكن .

واعلم أن التغير بما يرد على العبد يكون لأحد أمرين : إمَّا لقوة الوارد ، أو لضعف صاحبه .

والسكون من صاحبه لأحد أمرين : إمَّا لقوته ، أو لضعف الوارد عليه .

وصاحب التمكين وصل وتمكن ، فانتهاء سيرهم الظفر بنفوسهم ، فإن ظفروا بها فقد وصلوا ، فانخنسنت أوصاف البشرية ، واستولى عليها سلطان الحقيقة ، فإذا دام ذلك للعبد ؛ فهو صاحب تمكين .

وقد يكون تلوين بعد التمكين ، ومعناه : النزول في المقامات كقوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ =

وَهُمَا اليَدَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ {ص : ٧٥} .

فَجَمَعَ اللهُ تَعَالَى لِآدَمَ عليه السلام بَيْنَ يَدَيْهِ .

تَشْرِيفاً لَهُ فِي الخَلْقِ (١) .

= {الرحمن : ٢٩} ، فيتلون العارف مع المقادير ، ويدور معها حيث دارت ، ويتلون بتلون الوقت ، فيكون بين قبض وبسط ، وقوة وضعف ، ومنع وعطاء ، وسرور وحزن ، وغير ذلك من تقلبات الأحوال ، غير أنه مالك غير مملوك ، لا يتغير بتغير الأحوال ، ولا يتأثر بتأثر الزلازل والأهوال ، والله تعالى أعلم .

١- قال سماحة الإمام رضي الله عنه : خلق الله تعالى الكون كله على صورة الجمال ، وهي صورته تعالى كما قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ ﴾ ، فخرج الكون كله جميلا في منتهى الجمال . فكان العالم هو المخلوق الأول المطوَّل . ثم خلق الله الإنسان ، فكان ملخص هذا العالم الكبير ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ {غافر : ٥٧} . ولكن خلق الناس أكمل من خلق السماوات والأرض . فالإنسان هو نسخة العالم كله . يحتاج إليه العالم ، ولا يحتاج هو إلى العالم ، فله الكمال ظاهرا وباطنا ، جسما وروحا . فجسمه : خلقه الله بيديه ، تشريفا له : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ {ص : ٧٥} . وعلى صورته كما قال ﷺ : ﴿ خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ﴾ فصورة الإنسان لها الشرف على جميع المخلوقات . وروح الإنسان وباطنه : كانت نفخة ربانية =

وَرِفْعَةً لَهُ فِي القَدْرِ .

وَاسْتِخْلَافاً لَهُ فِي الأَرْضِ .

يَسْتَمِدُّ مِنَ الحَقِّ ، وَيُمِدُّ الخَلْقَ .

يُمِدُّ ظَاهِرَ الخَلْقِ بِظَاهِرِهِ .

وَبَاطِنَهُ بِبَاطِنِهِ .

وَجَمِيعُ مَطَالِبِ مَنْ اسْتُخْلِفَ عَلَيْهِم مِنَ العَالَمِينَ عِنْدَهُ (١) .

= لم يحظ بها مخلوق سواه .

الله أوجد هذا المخلوق المسمى إنسانا ، حبا له ، وتوددا إليه ، فهو الودود . ثم نفخ فيه من روحه ، فما اشتاق إلا لنفسه ، ثم اشتق له منه شخصا على صورته ، سماه امرأة ، ولذلك كان للرجل درجة على المرأة ، بأنه خلقه بيديه ، ثم خلق منه المرأة ، فالرجل بالأصالة ، والمرأة بالتبعية : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ {البقرة : ٢٢٨} . ولذلك سُمُوا نساء من النَّسَأ وهو التأخر ، أي لتأخر خلقهن عن الرجال .

١- فالله تعالى هو المفيض الأول .

ورسول الله ﷺ هو المستفيض الأول ، والمفيض الثاني .

وخليفته ﷺ من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة ، في كل عصر ، هو المستفيض الثاني ، والمفيض الثالث .

وَمَطْلَبُهُ هُوَ لَيْسَ إِلَّا اللهُ .

اللهُ وَكَفَى (١) .

١- قال النفري :

قال لي : إذا رأيتني في بيتك وحدي فهو الحرم الآمن ، يؤمنك من سواي ، وإذا لم ترني في بيتك ، فاطلبني في كل شيء ، فإذا رأيتني فاهجم ولا تستأذن .

وقال لي : أنت ضالتي ، فإذا أوجدتنيك فأنت حسبي .

يا عبد كل ذي قلب ذو خلوة ، عمومها خلوة من طلب سواي ، وخصوصها خلوة من طلبني.

ربي طلبته ، فما وجدته ، وطلبني ، فوجدته .

يا عبد قل : أحضرني ربي بين يديه ، وأحضر كل شيء بين يدي ، وقال لي : هو بي ، وأنا من ورائه ، وأنت بي ، وأنا من ورائك ، ولك أظهرته كله ، فإن وقفت بيني وبينه ، إجلالاً لعظمتي وهيبة لاستيلائي وكبريائي ، وقفته بين يديك ، وأوقفته على سبلك ، فشف ، فرأيتني من ورائه أين نظرت إليه ، فقفه على ما أظهرته ، ووفه عند محلة الذي وفيته ، ووله ظهرك ، وولني عينك ووجهك ، وقل عني لقلبك ، فهو يعرف خطابي . أنا في كل قلب أقلبه على آثره ، وأسأله عن خبره ، وأكشف له عني ، فيعلم أني ، ويقول لي جهرة على علم غطني عنك ، فأحتجب عنه ، فلا يصبر عني ، يريد أن يراني ويكون الحكم له ، وحكمي هو الغالب ، وأنا ربه ، وهو عبدي . إن سرى إلي وجدني ، وإن طلبني أتيته ، كأني أحتجب وأسفر على مراده ، بل أعلمته ، فهو يعلم أني على ذلك وضعته ، وله صنعته وفطرته ، وبه جبلته ، وفيه أثبته ، وفيما أثبته أشهدته ، وفيما أشهدته عرفته . أنا له خير منه له ، إن نسيني ذكرته . كأنني أبني بذكره عزة ، وإن أعرض عني أقبلت عليه ، كأنني آنس به من وحشة !

التاء

الحُبُّ فِي كُلِّ القُلُوبِ قَدْ نَبَت (١) .

فَقُلُوبٌ أَبَتْ وَبَغَتْ ، فَطُرِدَتْ (٢) .

وَفِي قُلُوبٍ شَجَرَتُهُ نَمَتْ وَرَبَتْ (٣) .

وَقُلُوبٌ بِهِ قَدْ زَكَتْ (٤) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ :

الرُّوحُ هِيَ مَحَلُّ التَّجَلِّي الأَوَّلِ بِالحُبِّ .

ثُمَّ يَطْلُبُ القَلْبُ حَظَّهُ مِنْ هَذَا الحُبِّ أَنْوارًا .

ثُمَّ تَصِيرُ جَمِيعُ الجَوَارِحِ تَطْلُبُ حَظَّهَا مِنَ القَلْبِ .

٢- **أبت** : من الإباء : وهو شدة الامتناع .

بغت : من البغي : وهو مجاوزة الحد . أي مجاوزة العدل إلى الظلم .

طردت : أي أخرجت من جنة الحب والمحبين .

٣- **ربت** : الربا بصفة عامة هو الزيادة . والمقصود هنا ترعرع شجرة الحب .

٤- **زكت** : من الزكاة والتزكية : وهي الطهارة والنمو والبركة . =

وَقُلُوبٌ نَأَتْ فَسَلَتْ (١) .

وَقُلُوبٌ عَلَتْ فَغَلَتْ (٢) .

= **زكت** : لها معنى آخر وهو : ملئت ، أورده ابن الأثير في النهاية فِي صِفَةِ الإمام عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه : «أَنَّهُ كَانَ مَزْكُوتاً» أَيْ مَمْلوءاً عِلْمًا ، مِنْ قَوْلِهِمْ : زَكَتُّ الْإِنَاءَ إِذَا ملأته ، وزَكَتُّهُ الْحَدِيث زَكْتاً إِذَا أَوْعَاهُ إياهُ .

١- نأت من النأي : وهو البعد . قال ابن زيدون :

أَضْحَى التّنائي بَديلاً عنْ تَدانِينَا ... وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا

سَلَت من السلو : وهو النسيان .

على أبوابكم عبد ذليل ... كثير الشوق ناصره قليل
له أسف على ما كان منه ... وحزن من معاصيه طويل
يمد إليكم كف افتقار ... ودمع العين منهمل يسيل
يرى الأحباب قد وردوا جميعا ... وليس له إلى ورد سبيل
أكون نزيلكم ويضام قلبي ؟ ... وحاشى أن يضام لكم نزيل
فإن يرضيكم طردي وبعدي ... فصبري في محبتكم جميل
وحق ولائكم وشديد شوقي ... سُلُوِيَ عن هواكم مستحيل
قضيت بحبكم أيام عمري ... فلا أسلوا وهل يُسلى الجميل ؟

٢- **علت وغلت** : أي سمت وتطهرت لتتهيأ لتجلي الحق عليها .

وَقُلُوبٌ ضَحِكَتْ ، وَقُلُوبٌ بَكَتْ .

وَقُلُوبٌ عَنْهُ قَدْ ثَنَتْ (١) .

وَقُلُوبٌ فِيهَا قَدْ ثَبُتَ ، فَانْجَلَتْ (٢) .

وَقُلُوبٌ نَارُهُ فِيهَا قَدْ خَبَتْ (٣) .

١- ثنت : أي كفَّت وانصرفت .

٢- ثبت : أي أن هذه القلوب قد ثبت فيها الحب .

فانجلت : أي أصبحت كالمرآة المجلوة المستعدة لظهور الحق فيها . ومنه حديث أَبي الدَّرْدَاءِ ﷺ :

«إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ جِلاَءً ، وَإِنَّ جِلاَءَ الْقُلُوبِ ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »

٣- خبت : انطفأت .

قال سلطان العاشقين :

إن لم يكُنْ وَصْلٌ لَدَيكَ، فَعِدْ بهِ ... أملي وماطلْ إنْ وعدتَ ولا تفي

فالمطلُ منكَ لديَّ إنْ عزَّ الوفا ... يحلو كوصلٍ منْ حبيبٍ مسعفِ

أهفو لأنفاسِ النَّسيمِ تَعِلَّةً ... ولوجهِ منْ نقلتْ شذاهُ تشوُّفي

فلَعَلَ نارَ جَوانحي بهُبوبِها ... أنْ تَنطَفي، وأوَدّ أن لا تنطَفي

يا أهلَ ودّي أنتمُ أملي ومَنْ ... ناداكُمُ يا أهْلَ وُدّي فقد كُفي

عُودوا لـما كُنتمْ عليهِ منَ الوَفا ... كرماً فـإنّي ذلكَ الخِلُّ الوفي

فَمِنْهُ مَنْ أَحَبَّ فَسَكَتَ .

وَمِنْهُمْ مَنْ أَذَاعَ ، وَمَا صَمَتَ (١) .

١- قال السهروردي المقتول :

وَا رَحمةً للعاشِقينَ تكلّفوا ... ستر المَحبّةِ وَالهَوى فَضّاحُ
بِالسرِّ إِن باحوا تُباحُ دِماؤُهم ... وَكَذا دِماءُ العاشِقينَ تُباحُ
وَإِذا هُم كَتَموا تَحَدّث عَنهُم ... عِندَ الوشاةِ المَدمعُ السَفّاحُ
وَبَدَت شَواهِدُ للسّقامِ عَلَيهِمُ ... فيها لِمُشكل أمرهم إِيضاحُ
وَتَمَتّعوا فَالوَقتُ طابَ لِقُربِكُم ... راقَ الشّراب وَرَقّتِ الأَقداحُ
يا صاحِ لَيسَ عَلى المُحبِّ مَلامَةٌ ... إِن لاحَ في أُفقِ الوِصالِ صَباحُ
لا ذَنبَ لِلعُشّاقِ إِن غَلَبَ الهَوى ... كِتمانَهُم فَنما الغَرامُ فَباحوا
وَاللَّهِ ما طَلَبوا الوُقوفَ بِبابِهِ ... حَتّى دعوا فَأَتاهُم المِفتاحُ
لا يَطربونَ بِغَيرِ ذِكر حَبيبِهم ... أَبَداً فَكُلُّ زَمانِهِم أَفراحُ
حَضَروا وَقَد غابَت شَواهِدُ ذاتِهِم ... فَتَهَتّكوا لَمّا رَأَوه وَصاحوا
أَفناهُم عَنهُم وَقَد كشفَت لَهُم ... حجبُ البقا فَتَلاشتِ الأَرواحُ
فَتَشَبّهوا إِن لَم تَكُونوا مِثلَهُم ... إِنَّ التَّشَبّه بِالكِرامِ فَلاحُ
قُم يا نَديم إِلى المدامِ فَهاتِها ... في كَأسِها قَد دارَتِ الأَقداحُ
مَن باحَ بَينَهُم بِذِكرِ حَبيبِه ... دَمهُ حلالٌ لِلسّيوفِ مُباحُ

المُحِبُّونَ وُجُوهُهُم لِلرَّحمَنِ عَنَتْ .

وَأَرْوَاحُهُم قَدْ غَلَتْ . وَقَلُوبُهُم قَدْ قَنَتْ (١) .

عُيُونُهُم لَـمَّا أَشْوَاقُ المَحَبَّةِ دَعَتْ بَكَتْ .

وَدُمُوعُهُم قَدْ هَمَتْ ، وَ رَوَتْ (٢) .

١- قنت : من القنوت . ويَرِدُ بِمعانٍ مُتعَدّدة ، كالطَّاعة ، والخُشوع ، وَالصَّلَاةِ ، والدُّعاء ، والعِبادة ، والقِيام ، وَطُولِ القِيام ، والسُّكوت .

٢- قال البوصيري ﷺ :

فما لعينيكَ إن قلتَ اكففا هَمَتا ... ومَا لِقَلْبِك إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكتِمٌ ... ما بَيْنَ مُنْسَجِمٍ منهُ ومضطَرِمِ

لولاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ ... ولا أرقتَ لذكرِ البانِ والعَلمِ

فكيفَ تُنْكِرُ حُبًّا بعدَ ما شَهِدَتْ ... بِهِ عليكَ عدولُ الدَّمْعِ والسَّقَمِ

نعمْ سرى طيفُ من أهوى فأرقني ... والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللّذاتِ بالأَلَمِ

يا لائِمِي في الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً ... منِّي إليكَ ولو أنصفتَ لم تلُمِ

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ ... إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ في صَمَمِ

همت : سالت بالدمع . يهم : الهيام كالجنون من العشق .

وَلِرَحْمَةِ اللهِ رَجَتْ ، فَدَنَتْ .

وَعَلَى شَوَاطِئِ كَرَمِهِ رَسَتْ .

وَعَلَى أَشْجَارِ قُدْسِهِ غَنَّتْ ، وَطَرِبَتْ ، وَشَدَتْ .

وَقُلُوبِهِم لِنَعِيمِ قُرْبِهِ قَدْ هَفَتْ .

يَجْتَنِبُونَ كُلَّ مَا عَنْهُ الشَّرَائِعُ قَدْ نَهَت .

فَنُفُوسُهُم عَنِ الخَبَائِثِ عَلَتْ ، فَانْجَلَتْ .

وَإِلَى المَكَارِمِ قَدْ رَنَتْ .

أَرْوَاحُهُم فِي حُبِّهِ هَوَتَ ، وَ فَنَتْ ، فَنَجَتْ (١) .

وَأَخْلاَقُهُم لِكُلِّ مَكْرُمَةٍ حَوَتْ .

١- قال سلطان العاشقين :

سقتني حميَّا الحبِّ راحةَ مقلتي ... وكأسي محيَّا منْ عنِ الحسن جلَّتِ
ففي حانِ سكري حانَ شُكري لفتيةٍ ... بهِمْ تمَّ لي كتمُ الهوى مع شهرتي
ولمَّا انقضى صحوي تقاضيتُ وصلها ... ولمْ يغْشَني، في بسْطِها، قبضُ خَشيتي

التنزل الثامن والعشرون ومائة

رباط الحب

الكُلُّ فِي الحُبِّ مَرْبُوطٌ وَمُرْتَبِطٌ .

فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ العَالَمِ انْفِصَالٌ عَنْهُ ، وَلَا انْفِكَاكٌ مِنْهُ .

العَالَمُ كُلُّهُ مُرْتَبِطٌ بِهِ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ .

وَكَيْفَ يَنْفَصِلُ عَنْ مَا لَا غِنَاءَ لَهُ عَنْهُ .

الكُلُّ مُفْتَقِرٌ إِلَى الحُبِّ غَيْرُ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : المحبوب دائما مفتقر إلى محب ، ووصف الربوبية مفتقر إلى وصف العبودية ، ليكون ربا ، ولكن ذات الرب لا تفتقر لشيء ، فدائما هناك طالب ومطلوب ، ومحب ومحبوب ، وحتي تتميز المرتبتان ، وتظهر الحضرتان ، لابد أن يكون بينهما أمر ثالث فاصل بينهما ، فظهرت الأسماء والصفات ، لتتميز ذات من ذات ، فأوصاف المطلوب والمحبوب قديمة ، أزلية أبدية سرمدية ، وأوصاف الطالب والمحب حادثة ، مخلوقة ، محصورة بزمان =

وَلَـمَّا عَلِمَ اللهُ تَعَالَى افْتِقَارَ العَالَمِ إِلَيْهِ : سُفْلِيِّهِ وَعُلْوِيِّهِ .

جَعَلَهُ يَسْرِي فِي حَقَائِقِ المَوْجُودَاتِ .

سَرَيَانَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي المَخْلُوقَاتِ .

فَمَا اسْتَقَرَّ فِي مَوْجُودٍ إِلَّا وَقَالَ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ .

فَهُوَ صَاحِبُ الْلِسَانِ وَالبَيَانِ وَالأَمْرِ وَالنَّهْيِّ .

بِهِ قَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ .

وَعَلَيْهِ قَيُّومِيَّةِ كُلِّ سُنَّةٍ وَفَرْضٍ (١) .

= محدودة بمكان ، فظهر المحبوب للقلوب والبصائر باسمه الظاهر ، فشاع جماله ، وأشرقت أنواره ، وبطن عن الأبصار باسمه الباطن ، غيرة علي قدس أسراره ، وعزة استتاره ، وفي الحقيقة أن الله يطلبك لا أنت تطلبه ، وهو يحبك لا أنت تحبه ، لأنك لا تعرف ماهية الحب ، ولا مقداره ، ولا كيفيته ، وإن كنت تشعر به ، بإشعار الله لك ، فأنت في الحقيقة محبوب ، والمحبوب مطلوب ، وعلامة طلبه إياك هو أن استدعاك للوجود فأوجدك !

١- عن الحب قال سماحة الإمام ﷺ : غَايَةُ الحُبِّ أَنْ يَهَبَكَ اللهُ رُوحَهُ . رُوحُكَ نَفَخَهَا اللهُ ، أَمَّا أَرْوَاحُ المَلَائِكَةِ وَالطُّيُورِ وَالحَيَوَانَاتِ وَغَيرِهَا ، فَقَدْ خَلَقَهَا اللهُ . وَهُنَاكَ فَرْقٌ كَبِيرٌ بَينَ الرُّوحِ المَنْفُوخَةِ وَالرُّوحِ المَخْلُوقَةِ . خَصَّكَ اللهُ تَعَالَى بِالمَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ وَالاخْتِيَارِ ، دُونَ خَلْقِهِ أَجْمَعِين =

عِبادَةٌ بِلَا حُبٍّ ، لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهَا ، وَلَا يُعَوَّلُ عَلَيْهَا (١) .

= فَإِنَّمَا هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ ، وَأَنْتَ تَشَاءُ بِهَا . وَإِنَّمَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ ، وَأَنْتَ تُرِيدُ بِهَا . لَقَدْ أَعْطَاكَ سِرَّ (كُنْ) . فَسَخَّرَ لَكَ بِذَلِكَ السِّرِّ جَمِيعَ خَلْقِهِ . وَأَخْرَجَ لَكَ بِهِ أَسْرَارَ كَوْنِهِ . فَجَعَلَكَ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ فِي عَوَالِـمِهِ . أَنْتَ فَوْقَ كُلِّ مَخْلُوقٍ . وَلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا اللهَ . وَحَتَّي فِي الجَنَّةِ ؛ فَأَنْتَ تَقُولُ لِلشَّيءِ : (كُنْ) ، فَيَكُونُ . وَاللهِ هَذَا فِي غَايَةِ الحُبِّ !

١- وكيف لا ، وقد جعل الله تعالى حب الرسول ﷺ أصل الإيمان ، ولا يقبل إيمان بدونه ، ولا يعول عليه : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَهْلِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ ، وَعِتْرَتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ عِتْرَتِهِ ، وَذَاتِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ ذَاتِهِ**» رواه الطبراني والبيهقي والشجري وابن خلاد والديلمي .

قال سماحة الإمام ﷺ : أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الحُبُّ للهِ . أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الحُبُّ . وَأَنَّ الحُبَّ رَسُولُ اللهِ . أَيُّهَا الحُبُّ نَحْنُ الْمُتَعَبِّدُونَ بِكَ إِلَيْكَ . فَانْظُرْ بِكَ إِلَيْنَا ، وَمُنَّ بِكَ عَلَيْنَا . إِنْ زَلَّتْ أَقْدَامُنَا ؛ مَنْ لَنَا سِوَاكَ نَتَشَفَّعُ بِهِ ؟ وَأَنْتَ سُلْطَانُ يَوْمِ القِيَامَةِ . «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» ، يَوْمَ القِيَامَةِ . هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ لِلَّذِينَ يُنْكِرُونَ القِيَامَةِ . وَهُوَ يَوْمُ اللِقَاءِ وَالتَّلَاقِ لِأَهْلِ الحُبِّ وَالوِدَادِ . التَّلَاقِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ العُشَّاقِ . هَنِيئًا لَكُم : ﴿ **هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ {الأنبياء : ١٠٣} . وَلِقَاؤُكُمُ الَّذِي كُنْتُم إِلَيْهِ تَتُوقُونَ . المَحْبُوبُون المُصْطَفَونَ ، هُمْ ظِلُّ اللهِ فِي الأَرْضِ ، فَهُمُ المَعْنِيُّونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ** ﴾ {الفرقان : ٤٥} . وَهُمُ الَّذِين تَشْتَاقُهُمُ الجِنَانُ . أَمَّا المُحِبُّونَ فَهُم يَسْتَظِلُّون بِظِلِّ هَؤُلَاءِ المَحْبُوبُونَ ، المُحِبُّونَ فِي ظِلِّ العَرْشِ ، والمَحْبُوبُونَ تَحْتَ ظِلِّ اللهِ تَعَالَى : «**أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ، اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**» =

الحُبُّ غِنَىً لِكُلِّ فَقِيرٍ ، فَكَيْفَ هُوَ لِلْغَنِيِّ ؟ .

وَقُوَّةٌ لِكُلِّ ضَعِيفٍ ، فَكَيْفَ هُوَ لِلْقَوِيِّ ؟ .

وَعِزٌّ لِكُلِّ ذَلِيلٍ ، فَكَيْفَ بِهِ لِلْعَزِيزِ ؟ .

وَعِلْمٌ لِكُلِّ جَاهِلٍ ، فَكَيْفَ بِهِ لِلْعَالِمِ ؟ (١) .

= فَأَهْلُ الحُبِّ هَؤُلَاءِ ؛ النَّظَرُ إِلَيْهِم عِبَادَةٌ . وَالرُّكُونُ إِلَيهِم سِيَادَةٌ . إِذْ لَهُمُ الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ . لَا مَعْنَى لِلْمُؤمِنِينَ بِغَيْرِ الجَنَّةِ . وَلَا مَعْنَى لِلْجَنَّةِ بِغَيْرِ أَهْلِ الحُبِّ . أَهْلُ الحُبِّ ؛ فِي الدُّنْيَا فَازُوا بِرَاحَةِ بَالِـهِم . وَفِي الآخِرَةِ بِمَحْبُوبِهِم . هُم سَلَاطِينُ الكَوْنِ . إِذْ لَيْسَ فَوْقَهُم إِلَّا اللهَ . فَلَا نَظَرَ لَهُم لِسِوَاهُ . اسْمَاؤُهُم مَعْرُوفَةٌ . مَكْتُوبَةٌ فِي المَلَكُوتِ الأَعْلَى ، بِحُرُوفٍ مِنْ نُورٍ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : حبيبك هو الذي إذا نظرت إلى وجهه نظرة واحدة ، زال عنك النصب والوصب ، وانشرح صدرك ، وذهب التعب ، وأحسست بالرضى يغمر روحك ، ونشوى الحب تملأ قلبك ، بما فيها من رجاء وأنس وبسط ، وتجلٍ بلا استتار ، وبقاء بلا فناء ، وإعزاز بلا إذلال ، ورفع بلا خفض ، وغني بلا فقر ، وعطاء بلا منع ، وحياة بلا موت ، ونفع بلا ضر ، ويخرج قلبك من بين الأصبعين ، ليصير روحا بلا ضد ، حيث أحدية الذات بعد شفعية الأسماء والصفات ، فتصير لحقائق الاكوان جامعا ، بعدما كنت لبعضها منكرا و مانعا ، وتصبح غيبا بعدما كنت شهادة ، فغَيْبَتنا الأرواح وشهادتنا الأجسام ، والله تعالي جماله ظاهر وباطن ، فتدرك الظاهر بجسمك والباطن بروحك ، وتصير أولا بعدما كنت آخرا ، أما الله تعالي فهو الأول في عين آخريته ، الآخر في عين أوليته .

مَنْ رَزَقَهُ اللهُ الحُبَّ ،

فَرَأَى أَنَّ أَحَداً قَدْ أُوتِيَ خَيْراً مِنْهُ (١) ،

فَقَدِ اسْتَحْقَرَ مَا عَظَّمَ اللهُ .

١- وكيف يرى من رزق الحب أن هناك من أوتي خيرا منه ؟

وسماحة الإمام ﷺ يقول : مَا عَبَدَ كُلُ عَابِدٍ فِي مَعْبُودِهِ إِلَّا مَا ظَهَرَ لَهُ مِنَ الحُبِّ فِيهِ . وَعَلَى قَدْرِ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنَ الحُبِّ عَبَدَ . فَمَا عُبِدَ مَعْبُودٌ إِلَّا بِالحُبِّ . فَمَا أَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ للهِ إِلَّا بِالحُبِّ . وَمَا كَفَرَ مَنْ أَسْلَمَ لِغَيْرِ اللهِ مِنَ المَعْبُودَاتِ البَاطِلَةِ إِلَّا بِالحُبِّ . فَاخْتَلَفَ المَعْبُودُ فِي نَظَرِ كُلِّ عَابِدٍ ، وَتَوَحَّدَ الحُبُّ فِي قُلُوبِهِم . وَكُلُّ مُحِبٍّ مَعَ مَنْ أَحَبَّ . عَنْ أَنَسٍ ، ﷺ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : «**وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ؟**» قَالَ : حُبَّ اللهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ : «**فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» قَالَ أَنَسٌ : فَمَا فَرِحْنَا ، بَعْدَ الإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : «**فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» قَالَ أَنَسٌ : فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما . فرح الصحابة ﷺ لأن مجرد الحب كان سبب كاف ومقنع للسعادة في الدنيا والآخرة . الحُبُّ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الحُبُّ : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ {المائدة : ٥٤} وَأَعْظَمُ ثَوَابِهِ الفَوْزُ بِالمَحْبُوبِ . المحب هو خليفة حبيبه ، وهَبَه محبوبه ذاتا من ذاته ، وصفات من صفاته ، وأسماء من اسمائه ، وكفي بذلك شرفاً لنعمة الخلافة .

الثاء

الحُبُّ إِرْثٌ وَوِرْثٌ (١) .

وَنَفْخُهُ فِي القُلُوبِ بَعْثٌ (٢) .

١- أَلَمْ يَقُلْ ﷺ : «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ» ؟ فَلَفْظَةُ (الأَنْبِيَاءِ) جَمْع . يَعْنِي : وَرَثَةُ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ . إذ هم ورثة الأنبياء ، فهم على قدمهم ، فللأنبياء وحي الأحكام ، وللأولياء وحي الإلهام ، لأن القلوب إذا صفت من الأكدار والأغيار ، وملئت بالأنوار والأسرار ، لا يتجلى فيها إلا الحق ، فإذا نطقوا بشيء من وعد أو وعيد ، يجب على المريد تصديقه ، فإذا دخله تشكيك أو تردد فيما وعده الله على لسان نبيه أو شيخه ، قدح ذلك في نور بصيرته ، وأخمد سريرته .

قال أبو يزيد البسطامي ﷺ : إذا رأيت من يؤمن بكلام أهل هذه الطريقة ، فقل له يدعو لك فإنه مجاب الدعوة .

قال النفري ﷺ : قال لي من أشهدته ، أشهدت به . ومن عرفته ، عرفت به . ومن هديته ، هديت به . ومن دللته ، دللت به .

٢- **البعث** : هو الإحياء بعد موت . قال سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ حَيَاةُ القُلُوبِ وَغِذَاؤُهَا . قَلْبٌ لَا يَعْرِفُهُ الحُبُّ قَلْبٌ مَيِّتٌ . نَقَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِمَحْضِ فَضْلِهِ مِنَ المَوْتِ إِلَى الحَيَاةِ . ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ {الأنعام : ١٢٢} .

وَلَهُ أَوَانٌ ، فَلا تُطِلِ البَحْثَ .

أَنْتَ تَزْرَعُ ، وَعَلَيهِ الحَرْثُ (١) .

١- أي أن الحب المقصود هنا هو الحب الوهبي فهو نفحة من الوهاب فتعرَّض لها .

وفرق سماحة الإمام ﷺ بين الحب الكسبي والحب الوهبي فقال :

الحب الكسبي : ويكون من عالم الخلق ، وسببه جمال في الصفات والخلق ، أو عن رؤية الإحسان ، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ ، ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي**» . وهؤلاء لا تكون قلوبهم مستقرة ، حيث قال فيهم رسول الله ﷺ : «**إِنَّ الْقَلْبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابعِ الرَّحْمَنِ ، مَا شَاءَ أَزَاغَ ، وَمَا شَاءَ أَقَامَ**» . وفي رواية : «**يَقُولُ بِهِمَا هَكَذَا**» وحَرَكَ أَبُو أَحْمَدَ (راوي الحديث) إِصْبَعَهُ . أي يقلبه : قبضًا وبسطًا ، خوفًا ورجاءً ، هيبةً وأُنسًا ، وَجْدًا وفَقْدًا ، وَصْلًا وفَصْلًا ، فناءً وبقاءً . حتى يتم لهذا القلب التجريد والاستخلاص والتمكُّن ، فحينئذٍ يكون قد تهيأ للحب الأكبر ، وهو **الحب الوهبي** .

الحب الوهبي : ويكون من عالم الأمر ، وهو لا يذهب أبدًا ، ولو حاول صاحبه أن يغفل عن الله لحظة لما استطاع . قال سلطان العاشقين :

وَعَنْ مَذْهَبِي فِي الْحُبِّ مَالِيَ مَذْهَبٌ ... وَإِنْ مِلْتُ يَوْمًا عَنْهُ فَارَقْتُ مِلَّتِي
وَلَوْ خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ ... عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتُ بِرِدَّتِي

ويتغلغل هذا الحب في كل خلايا المحب ، حتى يؤدي به إلى سجود القلب .

أَيُّ ثَوْبٍ غَيْرُهُ رَثٌّ (١) .

وَأَيُّ قَوْلٍ سِوَاهُ رَفَثٌّ (٢) .

وَأَيُّ زِينَةٍ إِلَّاهُ شَعَثٌ (٣) .

مَنْصُورٌ مَنْصُورٌ مَنْ كَانَ الحُبُّ لَهُ غَوْثٌ .

وَكَانَ هُوَ بِهِ لَيْثٌ .

الحُبُّ لِلْبَرِيَّةِ مَطَرٌ وَغَيْثٌ .

الحَبِيبُ مَعَ حَبِيبِهِ لَا يَدْرِي كَمْ لَبِثَ .

إِذَا نَزَلَ الحَبِيبُ فَيَا حَبَّذَا المُكْثُ (٤) .

١- **الثوب الرَّث** : هو الثوب البالي القديم .

٢- **الرَّفَث** : هو الفاحش من القول والفعل .

٣- **الشَّعَث** : الغير مرتب .

٤- **المُكْث** : اللبث والانتظار والإقامة .

وفي وَصْلِهَا عام لدَيّ كلَحْظَةٍ   وساعــةُ هِجْرانٍ عَلَيَّ كعــامِ

التنزل التاسع والعشرون ومائة

الوجود الساري في كل موجود

الحُبُّ صِفَةٌ سَارِيَةٌ بَيْنَ عَبْدٍ وَرَبٍّ ، مَخْلُوقٍ وَخَالِقٍ (١) .

فَالكُلُّ بِالكُلِّ ؛ مِنْ حَقٍّ وَخَلْقٍ ، مَرْبُوطٌ بِهِ .

رَبْطُ عَبْدٍ بِرَبٍّ ، وَرَبٍّ بِعَبْدٍ .

وَهَذَا ارْتِبَاطٌ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ ، بِلَا اتِّصَالٍ وَلَا انْفِصَالٍ .

وَلَا تَكَيُّفٍ ، وَلَا تَشْبِيهٍ .

وَلَا تَرْتِيبٍ وَلَا تَقْدِيمٍ وَلَا تَأْخِيرٍ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : المحبوب دائما مفتقر إلى محب ، ووصف الربوبية مفتقر إلى وصف العبودية ، ليكون ربا ، ولكن ذات الرب لا تفتقر لشيء ، فدائما هناك طالب ومطلوب ، ومحب ومحبوب ، وحتي تتميز المرتبتان ، وتظهر الحضرتان ، لابد أن يكون بينهما أمر ثالث فاصل بينهما =

الكُلُّ فِي زَمَنٍ فَرْدٍ ، في عِلْمِ اللهِ العَلِيمِ .

فَفِي عِلْمِهِ تَعَالَى :

- لَيْسَ خَلْقُ آدَمَ عليه السلام مُقَدَّماً عَلَى خَلْقِ جَمِيعِ ذُرِّيَتِهِ .
- وَلَيْسَ يَوْمُ القِيَامَةِ فِيهِ مُتَأَخِّراً عَنْ يَوْمِنَا هَذَا .
- الكُلُّ عِنْدَ اللهِ زَمَنٌ وَاحِدٌ قَدْ مَضَى : ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ {النحل : ١} (١) .

= فظهرت الأسماء والصفات ، لتتميز ذات من ذات ، فأوصاف المطلوب والمحبوب قديمة ، أزلية أبدية سرمدية ، وأوصاف الطالب والمحب حادثة ، مخلوقة ، محصورة بزمان ، محدودة بمكان ، فظهر المحبوب للقلوب والبصائر باسمه الظاهر ، فشاع جماله ، وأشرقت أنواره وبطن عن الأبصار باسمه الباطن ، غيرة علي قدس أسراره ، وعزة استتاره ، وفي الحقيقة أن الله يطلبك لا أنت تطلبه ، وهو يحبك لا أنت تحبه ، لأنك لا تعرف ماهية الحب ، ولا مقداره ، ولا كيفيته ، وإن كنت تشعر به ، بإشعار الله لك ، فأنت في الحقيقة محبوب ، والمحبوب مطلوب ، وعلامة طلبه إياك هو أن استدعاك للوجود فأوجدك !

١- عن الزمن الفرد قال سماحة الإمام ﷺ : الله تعالى غير مُتَزَمِّن ، وغير متمكن ، أي أنه تعالى لا يخضع لقوانين الزمان ، ولا قوانين المكان .فيتساوى عنده تعالى التعبير بالزمن الماضي في قوله : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾ {النساء : ١٠٨} . مع قوله تعالى في زمن المضارع : ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ﴾ {يونس : ٣} . ويعبر الله تعالى بالماضي على ما سيحدث في المستقبل ، كما في قوله تعالى : =

وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الوُجُودُ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ ، بِالحُبِّ (١) .

= ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ﴾ {النحل : ١} . فأفاد هنا أن أمر الله تعالى أتى في الماضي ، ولا تستعجلوه في المستقبل ، ثم تلا ذلك بتنزيهه وتقديسه وتعاليه عن كل ما نظنه فيه تعالى من التزمن والتمكن .

يعجز التعبير باللغة عن وصف أفعاله وصفاته تعالى ، فبغض النظر عن الأغراض البلاغية المستخدم فيها هذه المعاني اللغوية ، التي يحاول أن يستنبطها المفسرون لهذه الآيات ، فإن الحق تعالى يعبر عما شاء ، بما شاء ، في أي زمان شاء ، في أي مكان شاء ، على مراده تعالى ، وليس على ظننا وفهمنا ومرادنا نحن .

الأزمان عند الخلق تتقيد بقوانين حركة الأجرام السماوية ، والله سبحانه يتعالى عن التقيد بذلك علوًّا كبيرا . ونحن نجد بعض الأحداث المخلوقة تخرج عن حيز الزمان المكان ، فما بالك بخالق الزمان والمكان ؟

١- قال الجيلي : تنزل الله تعالى في رتبة سماها خلقا .

قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ {الجاثية : ١١٣} . ولهذا سرى ظهوره في الموجودات ، فظهر كماله في كل جزء وفرد من أفراد أجزاء العالم ، ولم يتعدد بتعدد مظاهره ، بل هو واحد في جميع تلك المظاهر ، أحد على ما تقتضيه ذاته الكريمة في نفسها ، إلى غير ذلك من صفات الكمال . وإلى ظهوره في كل ذرة من ذرات الوجود أشارت الطائفة بـ (**الوجود السارى في جميع الموجودات**) وسر هذا السريان : أن خلق العالم من نفسه ، وهو لا يتجزأ ، فكل شيء من العالم هو بكماله ، واسم الخليقة =

= على ذلك الشيء بحكم العارية ، لا كما يزعم من زعم أن الأوصاف الإلهية هي التى تكون بحكم العارية على العبد ، وأشار إلى ذلك بقوله :

أعارته طرفا رآها به فكان البصير لها طرفها

فإن العارية في الأشياء : ليست إلا نسبة الوجود الخلقي إليها ، وأن الوجود الحقي لها أصل . فأعار الحقُّ حقائقَه اسم الخلقية ، لتظهر بذلك أسرار الألوهية ، ومقتضياتها من التضاد ، فكان الحق هيولي العالم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ {الحجر : ٨٥} ، فمثل العالم : مثل الثلج ، والحق سبحانه وتعالى الماء الذى هو أصل هذا الثلج ، فاسم تلك الثلجه على ذلك المنعقد : معار . واسم المائية عليه : حقيقة :

وما الخلق في التمثال إلا كثلجة وأنت بها الماء الذي هو نابع
وما الثلج في تحقيقنا غير مائة وغير آن في حكم دعته الشرائع
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع
تجمعت الأضداد في واحد البها وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع

قال ابن عطاء الله ﷺ في حِكَمِهِ من أن : **(الأكوان مثبتة بإثباته ، ممحوة بأحدية ذاته)** . وأنها كما قال ثابتة ، وليست موجودة ، فليس في المنقول ما يدل على أن شيئا موجودا ، وإنما هو مُثْبَتٌ ، ودليلنا على ذلك هو قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ {الفرقان : ٢} ، فنحن وجودنا مُثبَت بإثبات الله ، مُقَدَّر بتقدير الله ، وليس لنا وجود حقيقي مع وجود الله تعالى ! .

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ {الحديد : ٣} . إِذَنْ فَهُوَ الوُجُودُ كُلُّهُ . =

= وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرٍ ... ظَنُّوا سِوَاهَا وَهِي فِيهِم تَجَلَّتِ
فَفِي النَّشْأَةِ الأُولَى تَرَاءَتْ لِآدَمَ ... بِمَظْهَرِ حَوَّا قَبْلَ حُكْمِ الأُمُومَةِ
فَهَامَ بِهَا كَيْمَا يَكُونَ بِهَا أَبًا ... وَيَظْهَرَ بِالزَّوْجَيْنِ سِرُّ البُنُوَّةِ
وَتَظْهَرُ لِلْعُشَّاقِ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ ... مِنَ اللَّبْسِ فِي أَشْكَالِ حُسْنٍ بَدِيعَةِ

وَهَذَا هُوَ سِرُّ حُبِّ المَظَاهِرِ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ .
فَظُهُورُ الله تَعَالَى فِي المَظَاهِرِ هُوَ السِّرُّ .
هُوَ الحُبُّ ، وَهُوَ المَحْبُوبُ ، وَهُوَ المُحِبُّ .
وَمَا ثَمَّ سِوَاهُ ، وَمَا ثَمَّ غَيْرٌ .

الجيم

لِلْحُبِّ بَهَج (١) .

وَلَهُ أَرَجٌ وَبرَج (٢) .

فَإِنْ كَانَ فِي العُيُونِ : حَوَرٌ وَ دَعَج (٣) .

وَفِي الأَسْنَانِ : فَلَجٌ وَ وَهَج (٤) .

كَانَ المُحِبُّ فِي نَارٍ أَجَج (٥) .

١- البهج : هو السرور والحسن والنعيم .

٢- **أرج** : أي فوح كفوح الطيب .

برج : أي إظهار الزينة والجمال .

٣- **حور ودعج** : وهي العين الجميلة شديدة البياض شديدة السواد .

٤- **فلج** : هي الفرجة مابين الأسنان الأمامية .

وهج : كناية عن اللمعان والنظافة والحسن .

٥- **نار أجج** : هي النار الملتهبة المتوقدة .

مَقْطُوعَ الوَدَج (١) .

مَسْلُوبَ المُهَج (٢) .

١- **الوَدَج** : هما العرقان اللذان في العنق ، وقطعهما يعني القتل .

٢- **المُهَج** : دم القلب ، ومسلوبه : يعني مقتول .

قيل :

يا غصن نقا مكللاً بالذهب ... أفديك من الردى بأمي وأبي
إن كنتُ أسأت في هواكم أدبي ... فالعصمة لا تكون إلا لنبي
يا مالك مهجتي ترفّق بالله ... لا بدّ لكل عاشق من زلة
روحي تلفت ومهجتي في علة ... لا حول ولا قوة إلا بالله
الغصن إذا رآك مقبل سجدا ... والعين إذا رأتك تخشى الرمدا
يا من بوصاله يداوي الكبدا ... ما تفعله اليوم تلقاه غدا
لو صادف نوح دمع عيني غرقا ... أو شاهد لوعتي الخليل احترقا
أو حُمِّلت الجبال ما أحمله ... صارت دكّا وخرّ موسى صعقا
يا من سألك عن الهوى كن عادل ... احذر تبلى وخل عقلك عاقل
واسمع مثلا من منتبه لا غافل ... الحب أذى والعشق سم قاتل
تالله لقد سمعت في الأسحار ... عن جارية تدق بالأوتار
تالله لقد سمعت من منطقها ... من عذّب عاشقا جُزي بالنار

دُمُوعُهُ أَنْهَارٌ ، وَأَمْوَاجٌ لُجَج (١) .

بِدِمَائِهِ لِدُمُوعِهِ قَدْ مَزَج .

وَجَسَدُهُ عَلَى نِيرَانٍ قَدْ نَضَج .

وَلِسَانُه بِذِكْرِ حَبِيبِهِ لَهَج (٢) .

أَحْوَالُهُ كُلُّهَا عِوَجٌ وَمَرَج (٣) .

بِكُلِّ خُيُوطِ البَلَايَا ثَوْباً لِنَفْسِهِ نَسَج .

وَلَكِنَّهُ لِسُنَنِ المُحِبِّينَ قَبْلَهُ نَهَج (٤) .

١- **أمواج لجج** : هي الأمواج المتلاطمة كناية عن شدة هيجان البحر .

٢- **لهج بالذكر** : هو الولوع بالذكر وشدة حبه والمثابرة عليه .

عن الذكر قال النفري : أوقفني بين أولية إبدائه ، وآخرية إنشائه ، وقال لي : إن لم ترني فلا تفارق اسمي . **قال سماحة الإمام ﷺ في شرحها** : من لم يشهد الحقيقة ، ففرضه ذكر الله دائماً ، فإن الذكر سيوصله إن شاء الله .

٣- **مرج** : أي مختلط .

٤- **نهج** : أي وضع المنهج وقرر الأسس .

لَمْ يَسْتَمِعْ لِنَصِيحَةٍ وَلَا عَزْلٍ ، حَتَّى وَلَج (١) .

فَمَا أَنْ رَأَى مَحْبُوبَهُ قَدْ بَلَج (٢) .

١- **ولج** : أي دخل . والمراد هنا دخول الحضرة .

٢- **بلج** : أي أسفر عن وجهه النقاب وظهر ووضح وبان .

قال سلطان العاشقين :

أحبَّةَ قلبي والمحبَّةُ شافعي ... لدَيكُمْ إذا شِئتُمْ بها اتّصَل الحبلُ
عسَى عَطفَةٌ منكُمْ عَليّ بنَظرَةٍ ... فقدْ تعبتْ بيني وبينكمُ الرُّسلُ
أحبَّايَ أنتمْ أحسنَ الدَّهرُ أمْ أسا ... فكونوا كما شئتمْ أنا ذلكَ الخِلُّ
إذا كانَ حَظّي الهَجرَ منكم ولم يكن ... بِعادٌ فذاكَ الهجرُ عندي هوَ الوَصْل
وما الصّدّ إلا الوُدّ ما لم يكنْ قِلًى ... وأصعبُ شيءٍ غيرَ إعراضكمْ سهلُ
وتعذيبكمْ عذبٌ لديَّ وجوركمْ ... عليَّ بما يقضي الهوى لكمُ عدلُ
وصبري صبرٌ عنكمْ وعليكمْ ... أرى أبداً عندي مرارتهُ تحلو
أخذتمْ فؤادي وهوَ بعضي فما الّذي ... يَضَرُّكُمُ لو كانَ عِندَكمُ الكُلّ
نأيتمْ فغيرَ الدَّمعِ لمْ أرَ وافياً ... سوى زفرةٍ منْ حرِّ نارِ الجوى تغلو
فسهديَ حيٌّ في جفوني مخلَّدٌ ... ونومي بها ميتٌ ودمعي لهُ غسلُ
هوىً طلَّ ما بينَ الطُّلولِ دمي فمِنْ ... جُفوني جرى بالسّفحِ من سَفحِه وَبلُ
تبالَهَ قومي إذ رأوني مُتَيَّماً ... وقالوا بمنْ هذا الفتى مسَّهُ الخبلُ

وَنُورُهُ لِكِيَانِهِ قَدْ زَلْزَلَ وَ رَج (١) .

تَرَكَ الجَمِيعَ وَعَلَيْهِ عَرَج .

وَقَالَ : أَبْشِرْ ، قَدْ جَاءَ الفَرَج .

وَوَجَبَ بَعْدَ البِعَادِ وَ الفَتْقِ الرَّتَج (٢) .

فَأَحْرِمْ يَا مُحِبُّ ، وَلِحَرَمِهِ فَاخْرُجْ ، وَ حُج (٣) .

١- إذا زُلزلت أرضُ النفوس ، وحُركت بالواردات والأحوال ، وتحققت الغيبة عن اكوانها بالكلية ، أشرقت شمس العرفان ، فغطّت وجودَ الأكوان ، وأخرجت حينئذ ما فيها من العلوم يومئذ تُحدِّث أخبارها : بأن وجود الحق هو الكامن فيها ، كما قيل :

فلوا عاينت عيناك يوم تزلزلت أرض النفوس ودُكت الأجبال
لرأيتَ شمس الحق يسطع نورها يوم التزلزل والرجال رجال

٢- **الرتج** : وهو عكس البعاد والفتق ، والمراد هنا شدة القرب .

٣- قال سلطان العاشقين :

أيا كعبةَ الحسنِ الَّتي لجمالها قلوبُ أُولي الألبابِ لَبّتْ وَحجّتِ
بريقَ الثَّنايا منكِ أهدى لناسنا بريقِ الثَّنايا فهوَ خيرُ هديَّةِ
وأوحى لعيني أنّ قلبي مجاورٌ حِماكِ فتاقَتْ لِلجَمالِ وَحَنّتِ

التنزل الثلاثون ومائة

الحب من عالم الأسرار

الحُبُّ خَيْرٌ وَوِقَايَةٌ ، وَمَا عَدَاهُ شَرٌّ وَفَسَادٌ .

الحُبُّ هِدَايَةٌ وَكِفَايَةٌ ، وَسِوَاه ضَلَالٌ وَحِرْمَانٌ (١) .

الحُبُّ مَدْحٌ وَثَنَاءٌ ، وَغَيْرُهُ ذَمٌّ وَهِجَاءٌ .

الحُبُّ صِحَّةٌ وَابْتِسَامٌ ، وَالجَمِيعُ مَرَضٌ وَبُكَاءٌ .

الحُبُّ دَائِماً يَمِينٌ وَوَجْهٌ ، وَالكُلُّ شِمَالٌ وَقَفَا .

الحُبُّ رُوحٌ وَنُورٌ ، وَالبُغْضُ نَفْسٌ وَظَلَامٌ .

١- وكيف لا يكون في الحب خير وهداية وكفاية ؛ وسماحة الإمام ﷺ يقول : الحُبُّ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الحُبُّ : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ {المائدة : ٥٤} وَأَعْظَمُ ثَوَابِهِ الفَوْزُ بِالمَحْبُوبِ .

فَالحُبَّ الحُبَّ فِي الحَالِ وَالمَآلِ .

فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ وَالخِصَالِ (١) .

الحُبُّ فِي العِبَادَاتِ وَالمُعَامَلَاتِ .

الحُبُّ هُوَ النَّفْسُ الوَاحِدَةُ الَّتِي خَلَقَ اللهُ مِنْهَا الخَلْقَ .

وَجَعَلَ مِنْهَا ذُرِّيَةَ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالفَلَاحِ (٢) .

الحُبُّ سَعَادَةٌ لَا شَقَاءَ بَعْدَهَا .

الحُبُّ إِيمَانٌ لَا كُفْرَ فِيهِ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : المحب هو خليفة حبيبه ، وهَبَه محبوبه ذاتا من ذاته ، وصفات من صفاته ، وأسماء من اسمائه ، وكفي بذلك شرفاً لنعمة الخلافة .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : فَهُوَ الَّذِي تَجَلَّى لِآدَمَ في صُورَةِ حَوَّاءَ . وَتَجَلَّى لِحَوَّاءَ في صُورَةِ آدَمَ .

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرٍ ... ظَنُّوا سِوَاهَا وَهِي فِيهِم تَجَلَّتِ
فَفِي النَّشْأَةِ الأُولَى تَرَاءَتْ لِآدَمَ ... بِمَظْهَرِ حَوَّا قَبْلَ حُكْمِ الأُمُومَةِ
فَهَامَ بِهَا كَيْمَا يَكُونَ بِهَا أَبًا ... وَيَظْهَرَ بِالزَّوْجَيْنِ سِرُّ البُنُوَّةِ
وَتَظْهَرُ لِلْعُشَّاقِ في كُلِّ مَظْهَرٍ ... مِنَ اللَّبْسِ في أَشْكَالِ حُسْنٍ بَدِيعَةِ

الحُبُّ كَمَالٌ لَا يَعْتَرِيهِ نَقْصٌ .

الحُبُّ مِنْ عَالَمِ الأَسْرَارِ (١) .

فَلَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالذَّوْقِ وَالاسْتِبْصَارِ .

الحُبُّ نَفْخَةٌ سُبُّوحِيَّةٌ قُدْسِيَّةٌ (٢) .

حَقِّيَّةٌ عَلِيَّةٌ نُورِيَّةٌ أَحَدِيَّةٌ مَلَكِيَّةٌ (٣) .

نَبَوِيَّةٌ رَحْمَانِيَّةٌ غَيْبِيَّةٌ جَمَالِيَّةٌ .

١- شَمْسُ الحَقِيقَةِ أَشْرَقَتْ فِي هَيْكَلِي وَبِهَا سُجُودِي مُهَلِلٌ وَمُكَبِّرٌ

قال سماحة الإمام ﷺ : أَمَّا المُحِبُّونَ ؛ فَقَدْ وَصَلُوا بِالأَسْبَابِ إِلَى مُسَبِّبِهَا . فَوَصَلُوا بِأَسْبَابِ الجَمَالِ إِلَى الجَمِيلِ . فَمَا حَجَبَهُم سَبَبٌ ، وَلَا مَنَعَهُم غَرَضٌ وَأَرَبٌ . فَسَطَعَتْ صِفَاتُ الجَمَالِ وَالكَمَالِ فِي مِرْآةِ قُلُوبِهِم . فَهُم مُصَلُّون إِلَيْهَا عَلَى الدَّوَامِ .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : رُوحُكَ نَفْخَةُ اللهِ القَوِيَةُ بِدَاخِلِكَ . رُوحُكَ هِي نَفْسُ اللهِ فِي نَفْسِكَ . رُوحُ اللهِ قَدْ سَكَنَتْ فِيكَ . غَايَةُ الحُبِّ أَنْ يَهَبَكَ اللهُ رُوحَهُ . رُوحُكَ نَفَخَهَا اللهُ .

٣- قال سماحة الإمام ﷺ عن أحدية الحب : أَمَّا أَنَا ؛ فَلَا أُفَارِقُ أَحْبَابِي أَبَدًا . أَنْتَ كُلُّ عَبْدٍ . وَلَيْسَ كُلُّ عَبْدٍ أَنْتَ ! : **أَحَدِيَّةُ اللهِ تَعَالَى تَنْدَرِجُ تَحْتَهَا أَحَدِيَّةُ كُلِّ أَحَدٍ ، وَكُلُّ أَحَدٍ لَهُ أَحَدِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِهِ ، مَخْصُوصَةٌ بِمَرْتَبَتِهِ ، تَخْتَلِفُ عَنْ كُلِّ أَحَدِيَّاتِ غَيْرِهِ .**

إِحْسَانِيَّةٌ عُلْوِيَّةٌ صَمَدِيَّةٌ فَرْدِيَّةٌ .

الحُبُّ أَعْظَمُ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ (١) .

١- قيل :

ما دُمتُ بينَ يَدَيكمْ فالهَنا مَدَدِي — والبسْطُ حَالِي والأفرَاحُ طَوْعُ يَدِي

أنتمْ حياتِي فإنْ شاهَدْتكُمْ حَضرَتْ — وإن حُجِبْتُمْ تغِيبُ الرُّوحُ عَنْ جَسَدِي

لا غَيَّبَ اللهُ عَني وَجْهَكمْ أبداً — حَتَّى يَطِيبَ بِكُمْ عَيْشِي إلي الأبَدِ

أنَا الفقيرُ إليكُمْ والغَنِيُّ بكُمْ — فليسَ لِي بَعدَكُمْ حِرْصٌ عَلَى أحَدِ

يا عِزَّةً ظهرَتْ فِي رَحْمَةٍ نُشِرَتْ — عَلَى القُلُوبِ بِسِرِّ الوَجْدِ والرَّشَدِ

وَافَيْتُ حَضْرَتَكُمْ أَرْجُو مَرَاحِمَكمْ — مُعَوَّداً بِوَفَا مَعْنَاكُمُ الصَّمَدِي

أنْتمْ وُجُودِي ومَوجودِي ووَاجِدُهُ — لا أعْدَمَ اللهُ أهْلَ الوَجْدِ مِنْ مَدَدِي

الحاء

المُحِبُّ رُوحٌ سَمْح .

لَيْلُهُ نُورٌ وَصُبْح .

سِرُّهُ فَضْحٌ وَبَوْح (١) .

١- قال السهروردي المقتول :

وَا رَحمةً للعاشِقينَ تكلّفوا ستر المَحبّةِ وَالهَوى فَضّاحُ
بِالسرِّ إِن باحوا تُباحُ دِماؤُهم وَكَذا دِماءُ العاشِقينَ تُباحُ
وَإِذا هُم كَتَموا تَحَدّث عَنهُم عِندَ الوشاةِ المَدمعُ السَفّاحُ
وَبَدَت شَواهِدُ للسّقامِ عَلَيهِمُ فيها لِمُشكل أمرهم إِيضاحُ
يا صاحِ لَيسَ عَلى المُحبِّ مَلامَةٌ إِن لاحَ في أُفق الوِصالِ صَباحُ
لا ذَنبَ لِلعُشّاقِ إِن غَلَبَ الهَوى كِتمانَهُم فَنما الغَرامُ فَباحوا
لا يَطربونَ بِغَيرِ ذِكر حَبيبِهم أَبَداً فَكُلُّ زَمانِهِم أَفراحُ
حَضَروا وَقَد غابَت شَواهِدُ ذاتِهِم فَتَهَتّكوا لَمّا رَأوه وَصاحوا
قُم يا نَديم إِلى المدامِ فَهاتها في كَأسِها قَد دارَتِ الأَقداحُ
مَن باحَ بَينَهُم بِذِكرِ حَبيبِهِ دَمهُ حلالٌ لِلسّيوفِ مُباحُ

مُتَقَلِّبٌ بَيْنَ حُزْنٍ وَتَرَحٍ ، وَسَعَادَةٍ وَفَرَح .

هَجْرُ حَبِيبِهِ أَعْظَمُ عِنْدَهُ مِنْ قَتْلٍ وَذَبْح .

وَوِصَالُهُ فَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَرَوْح .

طَرِيقَهُ طَوِيلٌ ، يَقْطَعُهُ مَشْياً وَسَبْح (١) .

١- قيل :

متى يشتفي منك الفؤاد المعذبُ ؟ ... ونجم الثريا من وصالك أقربُ
غرامٌ ووجدٌ واشتياقٌ ولوعةٌ ... ووجدٌ وتبريحٌ به العمر يذهبُ
فلا الوصل يحييني ولا الهجر قاتلي ... ولا الموت يأتيني ولا أنت تُحجبُ
فلو كان لي قلبان عشتُ بواحدٍ ... وتركت قلباً في هواك يُعذّبُ
ولكنّ قلبي واحدٌ ليس في يدي ... إليكم صبا في حبكم يتصبّبُ
وما قال لما عن هواكم زجرته ... سوى أنه في بابكم مترهّبُ
فلا النصح يُجدي والهوى متمكّنٌ ... ولا الصبُّ غير الحب يرضيه مذهبُ
لي فؤادٌ في هواكم مؤدب ... إن زاغت الأهواء عنك لا يتقلبُ
وما زال قلبي والغرام يهزه ... كعصفورة في يد طفل يلعبُ
فلا هو ممنون الوصال فيرحم ... ولا هو ممنوح السراح فيذهبُ

بَيْنَ وَعْرٍ وَبَحْرٍ وَسَفْح .

عَلَى جَبَلٍ ، وَإِلَى وَادٍ ، أَوْ مُتَسَلِّقاً لِصَرْح .

لَا بَقَاءَ لِحُبٍّ إِلَّا إِذَا اقْتَرَنَ بِتَغَافُلٍ وَصَفْح (١) .

وَوَطَّنَ الْمُحِبُّ نَفْسَهُ لِقَبُولِ صُلْح .

وَإِلَّا تَاهَتْ نَفْسُهُ بَيْنَ جَمْعٍ وَطَرْح .

وَجُرْحٍ ، وَوَهْمٍ ، وَرَشْحٍ ، وَطَفْح .

وَخَطَأٍ ، وَصَوَابٍ ، وَغَلَطٍ ، وَصَح .

وَثَنَاءٍ ، وَذَمٍّ ، وَمَدْح .

وَحَمْدٍ ، وَشَرْحٍ ، وَقَدْح (٢) .

١- قال ابْنُ عُمَرَ ﷺ : «مَنْ خَدَعَنَا بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ تَخَدَّعْنَا لَهُ» رواه أبو نعيم وابن الجوزي والزمخشري والقشيري . وقَالَ الشَّافِعِيُّ: «اللَّبِيبُ الْعَاقِلُ، هُوَ الْفَطِنُ الْمُتَغَافِلُ» رواه البيهقي وأبو نعيم وابن المقري .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : فارحموا أول ما ترحمون أنفسكم ، إذ من لم يرحم نفسه فغير متصور أن يرحم غيره ، لا تتعاركوا مع أنفسكم ، ولا تجاهدوها ، إنكم إن فعلتم ذلك أضعتم أعماركم =

= ولم ولن تصلوا إلى الكمال ، ولكن صالحوا أنفسكم برؤية جمال الله فيها . أحضن نفسك ، ولا تجعلها تخرج عن حضنك أبداً ، إنها إن خرجت عن حكمك كانت للشيطان ، وأصبحت أعدى أعدائك ، فلا تجعلها تكرهك ، بل اكسب حبها ، ولو أن تتنازل لها عن بعض الوقت ، قال ﷺ : (روحوا النفوس ساعة و ساعة ، وقال : (ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فأعطها شيئا تسكّنها به ، ثم ارتحلها الي موطن الأنوار ، فالنفس نعم المطية ، إن أحسنت سياستها ، وكم وصي رسول الله ﷺ المؤمنين علي أنفسهم فقال : (اربعوا علي انفسكم) ، (إن هذا الدين يسر) ، (خير الدين أيسره) ، (خير العبادة أخفها) ، وما ذلك إلا رحمةً بالنفوس حتي قال ﷺ : (إن الله لا يمل حتي تملوا) كم وصي رسول الله على الجار ، ونفسك هي أقرب الجيران ، فعاملها بالإحسان ، لا بالحرب والنكران . إن حاربتها ؛ صارت هي أعدى أعدائك ، وانتصرت عليك . قال ﷺ : (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) إذ عندها كل أسرارك ومداخلك ومخارجك ، وإن أهملتها ؛ فسرعان ما يختطفها إبليس ، بما يظهر لها من حب ، حتى تصير معه عليك . أما إن أحببتها ؛ وأظهرت شفقتك عليها ، وصاحبتها ، فقد ملكتها وفزت بها ، ويا سعادة من فاز بنفسه . من فاز بنفسه فاز بكل شيء ، نفسك كم طال اشتياقها إلى كلمة حب منك ، وكم حنَّت إلى مجالستك ومحادثتك ومؤانستك : أن تهذبها ، أن تسقيها من أنوار القرب . وأنت مشغول عنها بكل شيء ، مع أنها أقرب إليك من كل شيء . من ضيع حق نفسه ؛ فهو لسواها من الحقوق أضيع . قال ﷺ : **(إن لنفسك عليك حقًّا)** ، فابدأ بحقها أولاً ، حتى وإن أظهرت لك العصيان ، فقابل عصيانها بالحب والعطف واللين والحلم والمغفرة ، وصاحب اللين لا يُقاوَم ، ويتأتى باللين ما لا يتأتى بالشدة . عليكم أنفسكم ، عليكم أنفسكم ، عليكم أنفسكم .

فَاقْبَلْ فِيهِ مِنِّي كُلَّ نُصْح .

يَأْتِكَ مِنَ اللهِ كُلُّ فَتْح (١) .

وَتَعِشْ دَوْماً مَعَ حَبِيبِكَ فِي فَرْح .

وَذَلِكَ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْح .

١- قال سماحة الإمام : قال تعالى : ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ {المائدة : ١١٦} . لكل إنسان ذات وتجليات . أما ذاتك : فإذا خلوت بنفسك ، فقد خلوت بذاتك . وذاتك هذه لا يعلمها ، ولا يعلم ما فيها ، سوى الله تعالى : ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ {الحديد : ٦} . أما أنت ، فلا تعلم من ذاتك إلا القليل ، الذي يكشفه الله لك منها . حتى الملائكة ، لا تعلم ما في ذاتك ، ولكنها تكتب ما يقول الإنسان أو يفعل ، أما ما في ذاته ؛ فهو غيب عنها ، وعن العالم . أما إذا مَنَّ الله عليك بالفتح الأكبر ؛ رأيت ذاتك وما فيها من أسرار التوحيد ، وشاهدت جمال الله تعالى فيها . فهي كالمرآة لله تعالى . قال النبي ﷺ : « المؤمنُ مِرْآةُ المؤمِنِ » . رواه الطبراني في الأوسط والضياء والبزار والقضاعي عن أنس رضي الله عنه وحسنه السيوطي ، ورواه البخاري في الأدب وأبو داود وابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال العراقي : إسناده حسن . فذاتك أيها المؤمن مرآة للمؤمن ، الذي هو الله تعالى . وذاتك هذه هي ذات مطلقة ، فهي نفخة الحق المطلق فيك . والله تعالى مطلق : يعني ما لا نهاية له . أزلاً وأبداً . فنفخة المطلق ؛ مطلقة . ومرآة المطلق ؛ مطلقة . أما جسمك فهو مقيد غاية التقييد ، وهو مخلوق أولاً من تراب ، ثم من نطفة ، وكل مخلوق فهو مقيد =

= فالدنيا مقيدة ، وكل من فيها ، وما فيها ، مخلوقٌ مقيدٌ ، لا أثر للإطلاق فيه . والآخرة مقيدة ، والجنة والنار مقيدتان ، والعرش والكرسي مخلوقان مقيدان ، والملائكة مقيدة . حتى اللوح والقلم مقيدان . وكل مخلوق مقيد فهو يبحث عن الله تعالى فلا يجده. وكيف يعرف المقيدُ المطلقَ ؟

سُبْحَانَ مَنْ رَبطَ أُصُولَ الحُبِّ وَقَوَاعِدَ العِشْقِ بِزَمَانٍ وَمَكَانٍ . هَكَذَا قَضَى . فَإِذَا بَلَغَ المِيقَاتَ المَكَانِيَّ ، وَلَوْ تَحْتَ شَجَرَةٍ . وَوَافَقَ ذَلِكَ المِيقَاتَ الزَّمَانِيَّ . وَقَعَ القُرْبُ ، وَتَمَّ الفَتْحُ . وَتَوالَتِ البَوَارِقُ وَالشَّوَارِقُ . وَفَاضَتِ الأَنْوَارُ ، وَانْشَرَحَ الصَّدْرُ . وَانْفَتَحَتْ أَبْوَابُ القَلْبِ ، وَاتَّصَلَ بِالرُّوحِ المُقَدَّسَةِ . فَيَبْدَأُ القَلْبُ فِي اسْتِقْبَالِ أَنْوَارِ التَّجَلِّي . قَطْرَةً قَطْرَةً ، ثُمَّ دَفْقَةً دَفْقَةً . ثُمَّ إِذَا ثَبُتَ الفُؤَادُ ؛ فُتِحَتْ خَزَائِنُ أَنْوَارِ تَجَلِّيَّاتِ الرُّبُوبِيَّةِ . تَتْبَعُهَا تَجَلِّيَّاتِ الأُلُوهِيَّةِ . وَكُلُّ تَجَلٍّ يُطِيحُ بِالعَقْلِ . وَآخَرُ يُطَهِّرُ النَّفْسَ . ثُمَّ تَفِيضُ أَنْوارُ تَجَلِّيَّاتِ الذَّاتِ عَلَى الذَّاتِ . فَالطَّرِيقُ أَصْبَحَ الآنَ مَفْتُوحًا ، وَالمَرُّ سَالِكًا . فَسُبْحَانَ مَنْ رَبطَ بِدَايَةَ الفَتْحِ بِزَمَانٍ وَمَكَانٍ . ثُمَّ أَخَذَ حَبِيبَهُ إِلَى حَيْثُ لَا زَمَانَ وَلَا مَكَانَ . فَسُرْعَةُ تَدَفُّقِ الأَنْوَارِ الذَّاتِيَّةِ إِلَى أَرْوَاحِ المُحِبِّينَ ؛ تَفُوقُ سُرْعَةَ الضَّوْءِ بِكَثِيرٍ . وَقُوَّتُهَا تَفُوقَ جَمِيعَ قُوَى العَالَمِ . أَصْعَبُ اللَّحَظَاتِ لَحْظَةُ البِدَايَةِ . نَظْرَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ وَيُصْبِحُ الإِنْسَانُ مُدْمِنًا بِجُنُونٍ . لَا يَصْبِرُ لَحْظَةً عَنْ حَبِيبِهِ .

التنزل الحادي والثلاثون ومائة

عجيب هو الحب

الحُبُّ هُوَ كَلِمَاتُ اللهِ التَّامَّاتِ (١) .

المُكَوَّنَةُ مِنْ حُرُوفِهِ الفُضْلَيَاتِ (٢) .

١- (كلمات الله) هي مخلوقاته تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ {لقمان : ٢٧} . و (كلمة الله العليا) و (كلمة الله التامة) هي أعلى المخلوقات وهو الإنسان الكامل ، وهو رسول الله ﷺ ، أو خليفة رسول الله ﷺ في كل زمان ومكان . رُوي عن الإمام علي كرم الله وجهه أنه قال : (**أنا الم ذلك الكتاب ، أنا كهيعص ، أنا القرآن الناطق ، أنا كلمة الله العليا**) . وقال في موضع آخر : (**إني الكلمة التامة ، والآية الباقية ، والحجة البالغة**) ومن هنا قال الشيخ محيي الدين بن عربي في مقدمة كتابه : (فصوص الحكم) : ﴿**الحَمْدُ لله مُنَزِّلِ الحِكَمِ عَلَى قُلُوبِ الكَلِمِ**﴾ و (الكلم) هنا جمع كلمه ، وهم الكلمات التامات ، وهم الأنبياء وكمل الأولياء .

٢- قال سماحة الإمام ، ﷺ : كل ما سوى البارئ تعالى فهو حرف ، لأن له صورة : إما حسية ، وإما معنوية . فالمخلوقات حروف ، والعقول حروف ، والحرف هو كل ما سوى الحق . فكل ما =

الَّتِي مَا أَتَتْ عَلَى ذَنْبٍ إِلَّا مَحَتْهُ .

وَلَا نَجِسٍ إِلَّا طَهَّرَتْهُ .

وَلَا وَضِيعٍ إِلَّا رَفَعَتْهُ .

وَلَا فَقِيرٍ إِلَّا أَغْنَتْهُ .

وَلَا ذَلِيلٍ إِلَّا أَعَزَّتْهُ .

وَلَا جَاهِلٍ إِلَّا عَلَّمَتْهُ .

وَلَا مُتَكَبِّرٍ إِلَّا قَسَمَتْهُ .

وَلَا عَزِيزٍ إِلَّا أَذَلَّتْهُ .

= سوى الله تعالى حرف ، ويدل على محروف .

قال الشيخ محيي الدين بن عربي :

كُنَّا حُروفاً عالياتٍ لمْ نُقلْ ... مُتعلِّقاتٍ في ذُرَى أعلى القُلَلْ

أَنَا أَنْتَ فيهِ وَنَحنُ أَنْتَ وأَنْتَ هُوْ ... والكلُّ في هو هُوْ فَسلْ عَمَّنْ وَصَلْ

فالحروف العاليات : هي ذوات معلومات العلم الإلهي ، المعبر عنها بالأعيان الثابتات بالعلم الإلهي ، وهي الشئون الذاتية ، الكائنة في غيب الغيوب ، كالشجرة في النواة .

وَلَا مُتَجَبِّرٍ إِلَّا دَحَرَتْهُ .

وَلَا قَوِيٍّ إِلَّا قَهَرَتْهُ .

وَلَا قَلْبٍ إِلَّا غَزَتْهُ (١) .

١- قال سلطان العاشقين :

شربنا على ذكرِ الحبيبِ مدامةً ... سَكِرْنا بها، من قبلِ أن يُخلق الكَرمُ
لها البدرُ كأسٌ وهيَ شمسٌ يديرها ... هِلالٌ، وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجمُ
فإنْ ذكرتْ في الحيِّ أصبحَ أهلهُ ... نشاوى ولا عارٌ عليهمْ ولا إثمُ
وإنْ خطَرَتْ يَوماً على خاطِرِ امرِىءٍ ... أقامَتْ بهِ الأفْراحُ، وارتحلَ الهَمُ
ولو نَظَرَ النُّدمانُ ختْمَ إنائِها ... لأسكرهمْ منْ دونها ذلكَ الختمُ
ولو نَضَحوا مِنها ثَرى قَبْرِ مَيتٍ ... لعادَتْ إليهِ الرُّوحُ، وانْتَعَشَ الجسْمُ
يقولونَ لي صفها فأنتَ بوصفها ... خَبيرٌ، أجَلْ! عِندي بأوصافِها عِلْمُ
صفاءٌ، ولا ماءٌ، ولُطْفٌ، ولاهَواً ... ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ
وقالوا شربتَ الإثمَ كلاَّ وإنَّما ... شَربتُ التي، في تَرْكِها، عندي الإثمُ
هنيئاً لأهلِ الديرِ كمْ سكروا بها ... وما شربوا منها ولكنَّهمْ همُّوا
وفي سكرةٍ منها ولو عمرَ ساعةٍ ... تَرى الدَّهْرَ عَبداً طائِعاً، ولَكَ الحُكْمُ
فلا عيشَ في الدُّنيا لمنْ عاشَ صاحياً ... ومنْ لمْ يمتْ سكراً بها فاتهُ الحزمُ
على نفسهِ فليبكِ منْ ضاعَ عمرهُ ... وليسَ لهُ فيها نصيبٌ ولا سهمُ

وَدَخَلَتْهُ سِلْماً ، لَا حَرْباً . وَفَتْحاً ، لَا غَزْواً .

عَجِيبٌ هُوَ الحُبُّ .

أَقَامَ اللهُ عَلَيْهِ الوُجُودَ مُلْكاً وَمَلَكُوتاً .

فَحِينَ تَهُبُّ رِياحُهُ الطَّيِّبَةُ ، لِتَنْقِلَ إِخْبَارَ الحَقِّ إِلَى الخَلْقِ .

بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ ، لَا بِنَظَرٍ وَعَيَانٍ .

فَالحُبُّ هُوَ نُورُ اللهِ السَّارِي بِقَيُّومِيَّةِ كُلِّ مَخْلُوقٍ (١) .

وَرِزْقُهُ الجَارِي لِكُلِّ مَرْزُوقٍ .

١- الحبيب الأول : هو نور الله الساري بقيومية كل مخلوق : هو سيدنا محمد ﷺ : فلكل اسم سر ساري ، يكون عنه الأثر في كل ما هو تحت حيطته ، وتتفاوت الآثار بتفاوت النسب بين ذلك السر والقوابل التي هي تحت حيطته وسلطانه ، ولما كانت الرتبة العليّة والنسبة الجامعة الحقية للذات المحمدية في حضرة العلم القديم ، كان من حيث تلك الجمعية سر السر الساري في جميع الأسماء والصفات ، وكان صلى الله عليه وآله من حيث شخصه مظهر كمال جميع الآثار .

فاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النُّوْرِ الذَّاتِي وَالسِّرِّ السَّارِي فِي سَائِرِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَعلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وسَلِّمْ .

وَفَتْحِهِ الفَاتِحِ لِكُلِ مُنْغَلِقٍ وَمَغْلُوقٍ (١) .

١- فحبيب الله تعالى هو النور الفاتح لكل منغلق ومغلوق وهو سيدنا محمد ﷺ .

قال سماحة الإمام ﷺ : معنى ﴿ **الفاتح لما أغلق** ﴾ على عدة معان ، نذكر منها :

أولا – أنه ﷺ هو الفاتح لما أغلق من صور الأكوان ، فإنها كانت مغلقة في حجاب البطون وصورة العدم ، وفُتحت مغاليقها بوجوده ﷺ ، وخرجت من صورة العدم إلى صورة الوجود ، ومن حجابية البطون إلى عالم الظهور . إذ لولاه ﷺ ما خلق الله موجودا ، ولا أخرجه من العدم إلى الوجود .

ثانيا – أنه تعالى فتح بسببه ﷺ على الخلق ، مغاليق الرحمة الإلهية ، ولولا أن الله تعالى خلق سيدنا محمد ﷺ ؛ ما رحم مخلوقا ، فالرحمة من الله تعالى لخلقه بسبب نبيه ﷺ .

ثالثا – أنه تعالى فتح بسببه ﷺ على الخلق أنواع الخيرات ، وأبواب السعادات الدنيوية والأخروية ، وبين لأمته ما أوحي إليه ، أو فتح بحكمته ما انغلق عليهم فهمه من أمورهم ودينهم .

رابعا – وهو ﷺ الفاتح ، لأنه افتتح النبوة ، فكان ﷺ نبيا وآدم ﷺ منجدل في طينته .

خامسا – وهو ﷺ الفاتح للأنوار ، لأن أول ما خلق الله نور النبي ﷺ .

سادسا – وهو ﷺ أول من يفتح باب الجنة ، لأنه ﷺ أمر خازن الجنة أن لا يفتح لأحد قبله . فهو سيد السادات ، ومراد الإرادات ، وحبيبه تعالى المكرم بالكرامات ، والمؤيَّد بالنصر والسعادات ، السر الظاهر ، والنور الباهر ، الجامع لجميع الحضرات ، صاحب لواء الحمد ، الذي هو مفتاح أقفال الأعطية الإلهيات . =

وَهُوَ دَائِماً بِدَايَةٌ جَدِيدَةٌ لِكُلِّ نِهَايَةٍ .

وَنَصْرٌ أَكِيدٌ بَعْدَ كُلِّ هَزِيمَةٍ .

وَأَمَلٌ لِلْفَوْزِ بِكُلِّ غَايَـةٍ .

= وهو الفاتح لكل شاهد حضرة المشاهد ، الذي أسري بجسمه الشريف الحاوي لجميع الكمالات ، وعُرِجَ بروحه الأقدس العالي إلى أعلى المقامات ، وخاطبه ربه وأكرمه بأعظم التحيات ، فهو النور الأبهر ، والسراج المنير الأزهر ، القائم بكمال العبودية في حضرة المعبود مع أتم العبادات .

وهو ﷺ نور الأسماء ، المتشعع بالأسماء في حضرة المُسَمَّى ، فكان هو :

عين مظاهرها الوجودية ، من حيث إحاطة علمه تعالى .

وعين أسرارها الجودية ، من حيث إحاطة كرمه .

وعين اختراعاتها الكلية الكونية ، من حيث إحاطة إرادته .

وعين مقدوراتها الجبروتية ، من حيث إحاطة قدرته وقهره .

وعين إنشاءاتها الإحسانية ، من حيث إحاطة سعة رحمته .

فأنِلنا اللهم من بركاته ، وافتح اللهم أقفال قلوبنا بمفاتيح حبه ، وكحل أبصار بصائرنا بإثمد نوره ، وطهر أسرار سرائرنا بمشاهدته وقربه ، حتى لا نرى في الوجود إلا أنت ، بِهِ ، ومن نوم غفلتنا ننتبه . فاللَّهُمَّ اللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الفاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ ، والخاتِمِ لِمَا سَبَقَ ، نَاصِرِ الحَقِّ بَالحَقِّ ، والهَادِي إلى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ ، وعَلَى آلِهِ حَقَّ قَدْرِهِ و مِقْدَارِهِ العَظِيمِ .

بِهِ تُرْفَعُ جَمِيعُ الحُجُبِ ، وَتُزَالُ كُلُّ السَّتَائِرِ .

بَدَايَةً بِالحُجُبِ الجِسْمَانِيَّةِ الظَّلْمَانِيَّةِ .

وَنِهَايَةً بِالحُجُبِ الرَّوْحَانِيَّةِ النَّوْرَانِيَّةِ .

فَالظُّلْمَةُ حِجَابٌ ، وَالنُّورُ حِجَابٌ .

وَاللهُ تَعَالَى مِنْ وَرَاءِ جَمِيعِ الحُجُبِ .

فَلَا تَنْحَجِبْ ! (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : ظهر الحق باحتجابه ، فهو الظاهر المحجوب . فهو الباطن للحجاب ، لا لك . وهو الظاهر لك ، وللحجاب . فسبحان من احتجب في ظهوره ، وظهر في حجابه . فلا تشهد عين سواه ، ولا ترتفع الحجب عنه . ولله در من قال :

تَجَلَّيتَ في الأَشياءِ حينَ خَلَقتَها	فَها هِيَ ميطَت عَنكَ فيها البَراقِعُ
قَطَعتَ الوَرى مِن ذاتِ نَفسِكَ قِطعَةً	وَلَم تَكُ مَوصولاً وَلا فَصلُ قاطِعُ
وَلَكِنَّها أَحكامُ رُتبَتِكَ اقتَضَت	أُلوهِيَّةً لِلضِّدِ فيها التَجامُعُ

الحق ليس بمحجوب عنك ، إنما المحجوب أنت عن النظر إليه ، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ، ولو كان له ساتر ، لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر ، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ {الأنعام : ١٨ ، ٦١} . الحق تعالى محال في حقه الحجاب ، فلا يحجبه شيء =

= لأنه ظهر بكل شيء ، وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، فلا ظاهر معه ، ولا موجود في الحقيقة سواه ، فهو ليس بمحجوب عنك ، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه ، لاعتقادك الغيرية ، وتعلق قلبك بالأمور الحسية ، فلو تعلق قلبك بطلب المولى ، وأعرضت بالكلية عن رؤية السوى ، لنظرت إلى نور الحق ساطعاً في مظاهر الأكوان ، وصار ما كان محجوباً عنك بالوهم في عداد الشهود والعيان ، ولله در القائل :

وما احْتُجِبَتْ إلا برفع حجابها ومن عجب أن الظهور تستر

فكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي أظهر كل شيء ؟ .
وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر بكل شيء ؟ .
وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر في كل شيء ؟ .
وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر لكل شيء ؟ .
وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟ .
وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو أظهر من كل شيء ؟ .
وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟ .
وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو أقرب إليك من كل شيء ؟ .
وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، ولولاه ما كان وجود كل شيء ؟ .
يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم !
أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم ! .

الخاء

لَابُدَّ لِكُلِّ مُحِبٍّ فِي مَحَبَّتِهِ مِنْ شَيْخٍ (١) .

١- قال الجيلي :

فشمر ولذ بالأولياء لأنهم ... لهم من كتاب الله تلك الوقائع
هم الذخر للملهوف والكنز للرجا ... ومنهم ينال الصب ما هو طامع
بهم يهتدى للعين من ضل في الهوى ... بهم تجذب العشاق والربع شاسع
هم القصد والمطلوب والؤال والمنى ... وأنسهم للصب في الحب شائع
هم الناس فالزم إن عرفت جنابهم ... ففيهم لضير المعالمين منافع
وإن جهلوا فانظر بحسن عقيدة ... إلى كل ما تلقاه بالفقر ضارع
وحافظ مواقيت الإرادة قائما ... بشرع الهوى إن أنت في الحب شارع
وداوم على شرطين ذكر أحبه ... وتسليك نفس للخلاف تسارع
ولا تهملن ذكر الأحبة لمحة ... فميل الفتى عما يحاول رادع
وإذا ساعد المقدور أوساقك القضا ... إلى شيخ حق في الحقيقة بارع
فقم في رضاه واتبع لمراده ... ودع كلما من قبل كنت تسارع
وكن عنده كالميت عند مغسل ... يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره ... عليه فإن الإعترض تنازع =

وَكُلُّ حُبٍّ قَبْلَ شَيْخِكَ فَانْسَخْ (١) .

حُبٌّ بِلَا شَيْخٍ يَزُولُ وَلَا يَرْسَخْ .

فَإِذَا وُفِّقْتَ لِلشَّيْخِ فَمِنْ جَمِيعِ أَغْرَاضِكَ فَانْسَلِخْ .

= وسلم له فيما تراه ولو يكن | على غير مشروع فثم مخادع
ففى قصة الخضر الكريم كفاية | بقتل غلام والكليم يدافع
فلما أضاء الصبح عن ليل سره | وسل حساماً للغياهب قاطع
أقام له العذر الكليم وإنه | كذلك علم القوم فيه بدائع
وواطب شهود الحق فيك فإنه | هو الحق والأنوار فيك سواطع
ورق مقام القلب عن نجم ربه | إلى قمر الرحمن إذ هو طالع
إلى شمس تحقيق الألوهية رافعاً | إلى ذاته في العذر إن أنت رافع
فلله خلف الإسم والوصف مظهر | وعنه عيون العالمين هواجع
وليس ترى الرحمن إلا بعينه | وذلك حكم في الحقيقة واقع
وإياك لا تستبعد الأمر إنه | قريب على من فيه للحق تابع

١- الشيء المنسوخ هو القديم البائد الذي لا قيمة له ولا يعول عليه ، كما قال ابن الفارض :

نسخْتُ بحُبّي آيةَ العِشقِ من قبلي | فأهلُ الهوى جُندي وحكمي على الكُلِّ

وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الخَلْقِ بَرْزَخٌ (١) .

فَمَازِلْتَ صَغِيراً فِي حِجْرِهِ كَفَرْخِ .

إِنْ حَكَمْتَ عَلَيْهِ بِعَقْلِكَ ؛ فَعَقْدُكَ فَسْخ (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : حَضْرَةُ الْمُحِبِّ الْمَحْبُوبِ هِيَ حَضْرَةُ الله . مَنْ حَضَرَهَا فَلَا يُفَكِّرُ فِي أَهْلٍ وَلَا مَالٍ . وَلَا وَلَدٍ ، وَلَا دُنْيَا ، وَلَا أُخْرَى . فَلْيَتَوَقَّفِ العَقْلُ وَالتَّفْكِيرُ . بَلْ ؛ فَلْتَسْمُوا الرُّوحُ ، وَتُحَلِّقُ إِلَى حَيْثُ لَا مُنْتَهَى . اسْتَأْذَنَ أَحَدُ التَّلَامِيذِ شَيْخَهُ فِي أَنْ يَزُورَ أُمَّهُ . فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ : إِنَّكَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الجَنَّةَ ؛ فَهِيَ تَحْتَ أَقْدَامِ أُمِّكَ . وَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ اللهَ ؛ فَعِنْدِي فَقَطْ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ حَضْرَةَ الحَقِّ ؛ وَلِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَهُ عَلَيْهِ حَقٌّ !

٢- عقدك فسخ : أي أن العهد والطريق الذي أخذته عليه أصبح باطلا .

قال سماحة الإمام ﷺ : **شيخ الترقية** : مشكلة المشاكل . فهو رجل اجتباه الله تعالى لقربه ، حتى صار كالمرآة البيضاء ، يرى باطن الشرع كما يرى ظاهره ، يظهر تارة بظاهر الشرع فيجلّه الخلق ، وتارة بباطن الشرع فينكر عليه أهل الظاهر من شيوخ التربية والتعليم ، ليس له نظر إلّا إلى الله تعالى .

النظر إليه عبادة ، واتباعه هدى ، والإنكار عليه هلكة ، نظرة منه إليك ترفعك إلى أعلى عليين ، إذا عامل الخلق بظاهر الشرع كانوا منه في جنّة وفهموا عنه ، وإذا عاملهم بباطنه ارتابوا فيه ، وبدّعوه ، وفسّقوه ، وكفّروه . لأن باطن الشرع ليست له قوانين تضبطه ، ولا أدلة تهدي إليه ، إنما هو ذوق في ذوق ، وخفاء في خفاء ، فهو يهدي بما به يضل ، قال تعالى :

﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ {البقرة : ٢٦} . =

= يوصل بما به يقطع ، وينعم بما به يعذب ، أضداد في أضداد ، بحر مترامي الأطراف ، بعيد القاع ، تحدق به الأخطار ، ولا ينجو منه إلَّا أهل التسليم والانقياد .

إذا نظرت إلى ظاهر البحر ؛ وجدته سهلاً جميلاً مستوياً لامعاً ، وغاب عنك ما في باطنه من أهوال . فإذا كنت ممن لا يجيد السباحة ؛ فيكفيك من البحر النظر إليه والتمتع برؤيته وجماله .

فمصاحبة شيوخ الترقية – على غير أدب معهم – هو خطر عظيم ، وهول جسيم ، وقديماً قالوا :

اجلس على البساط وإياك والانبساط .

وشيخ الترقية كالمرآة الصافية ، ترى فيها نفسك :

فإن صَحِبْتَه فوجدته كثير المعاصي في نظرك ، فهي صورة عملك ، انطبعت فيه ، لترى نفسك .

وإن صَحِبْتَه فوجدته كثير البرّ والطاعة ، فاعلم أنك على خير كبير .

وشيخ الترقية لا تدخل عليه بعقلك ، إنك إن دخلت عليه بعقلك ؛ خِبت وخسرت . ولكن بروحك وقلبك . فلا تدخل على الله تعالى ، ولا على رسول الله ﷺ ، ولا على الوالدين ، ولا على شيخ الترقية بعقلك أبدًا ، ولكن تدخل عليهم بروحك وحبك . فلا تزن رسول الله ﷺ بعقلك ، ولا شيخ الترقية كذلك وراثة نبوية ، انظر كيف دخل موسى عليه السلام على الخَضِر بعقله ، فاعترض عليه ، وانقطعت بينهما الصحبة . فإن صحبت شيخ ترقية ، ثم رأيت منه ما لا يوافق الشرع عندك ، فاصبر حتى يبين هو لك ذلك ؛ فإن لم تصبر ، وسألته أن يبين وجه ذلك من الشرع ، فقد استعجلت ، ومن استعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه ، فلن يبين لك شيئًا ويتركك وسوء ظنك . أو يبينه لك ، ويشترط عليك إنهاء صُحبته ، كما في قوله تعالى : =

= ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ {الكهف : ٧٨} .

شيخ الترقية ؛ فإن دخلت عليه بروحك ، فلن تفارقه أبدًا ، حتى لو انتقل إلى الدار الآخرة ، لأن مدد الأرواح باقٍ ، ونورها دائم . أما إن دخلت عليه بعقلك ، فسرعان ما تفارقه ، ويترتب على ذلك أن تسلبك مرتبته جميع الترقيات التي استفدتها منه في الحال ، وتعود إلى أسوأ حال ، ويَسْوَدّ وجهك ، ويمرض قلبك ، وتعود من أشد المنكرين عليه ، المغتابين له ، أعاذنا الله من ذلك .

شيخ الترقية فقد يكون واحداً ، ومعرفته مشكلة المشاكل ، فمجرد معرفته فتح كبير ، وهو لا يكاد يُعرف إلا بأمر غيبي ، فإن دلَّ هو على نفسه فهو كرم منه عظيم وفضل جسيم . **وشيخ الترقية** كثير التخفي عن الخلق ، إما بظاهره البسيط ، أو بالاشتغال بالدنيء من الحِرَف ، وإما بمخالفة بعض فروع الفقه ؛ كأن تراه يتوضأ وضوءاً غير مرتب ، حتى يوهم الخلق بأنه ليس بعالم ، فيعرضوا عنه ، فلا يعرفه منهم إلا أهل الله تعالى .

ذات الشيخ ذات لطيفة ، لا ضرر منها ، ولا تَعَمُّل لها في إيذاء أحد .

أما مرتبته ؛ فهي شيء آخر ، وهي ذَاتُ غيرةٍ شديدة على الشيخ من أعدائه ، فمن ظَاهَرَ شيخ الترقية بالعداوة ، أو أساء معه الأدب ، دعا له الشيخ بكل خير ، وعامله بلطف . أما مرتبة الشيخ ؛ فإنها تغار على صاحبها ، فتُهلك هذا المعترض ، وتذيقه العطب ، وتورده موارد الهلاك في الظاهر ، أو تنعم عليه في الظاهر ، فتكثر الدنيا في يده ، وتزيد عبادته من صلاة وصيام وحج ولكنها تصيبه في قلبه بالنفاق ، والحقد على أهل الإسلام ، وهذا أخفاها . أعاذنا الله تعالى =

وَحُبُّكَ نِتَاجُهُ مَسْخ (١) .

وَتكُونُ قَدْ وَقَعْتَ فِي فَخْ .

فَلَا تُكْثِرْ عِتَاباً وَنَفْخ .

وَأَنْتَ سَبَبُ الشَّرْخ .

وَإِنْ سَلَّمْتَ لَهُ فَبَخٍ بَخ (٢) .

= من الانتقاد ، ورزقنا وإياكم كمال الاعتقاد في أهل الله تعالى . آمين .

فإن وفقك الله تعالى في الانحياش إلى جناب شيخ اجتمعت فيه الترقية والتزكية والتعليم ، فقد أتمَّ الله تعالى نعمته عليك ، فلا تحزن على ما فاتك بعدها من علم أو عمل ، أو دنيا أو دين . فهذا الشيخ هو إمام وقته ، وغوث عصره ، وقطب زمانه . فالانتساب إلى أهل الترقية ؛ ترقية . والانحياش إلى أهل السعادة ؛ سعادة ، لا شقاء بعدها أبدا .

١- **المسخ** : هو قلب الحقائق . **النتائج المسخ** : هي النتائج الغير حقيقية أو التي لا يعول عليها .

٢- **بخ** : هي كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء ، وتكرر للمبالغة ، وهي مبنية على السكون ، فإن وُصِلَتْ جُرَّتْ ونُوِّنَت فقلت : بخٍ بخٍ .

التنزل الثاني والثلاثون ومائة

الحب جمال ، باطنه جلال

الحُبُّ هُوَ صِبْغَةُ اللهِ :

﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ ﴾ {البقرة : ١٣٨} (١) .

صِبْغَةٌ هِيَ أَصْلُ كُلِّ صِبْغَةٍ وَلَوْنٍ وَصُورَةٍ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ مُنَزَّهَةٌ عَنِ الأَلْوَانِ وَالصُّوَرِ .

١- **قال سماحة الإمام** ﷺ : اعلم أن لهذه النشأة الإنسانية ، صوراً ، كانت مبثوثة في العناصر والأفلاك ، قبل أخذ الميثاق عليه . وللإنسان صورة في العدم ، وهذه الصورة مرئية مبصَرة لله تعالى ، وهي التي يتوجه عليها خطاب الله ، إذا أراد إيجاد مجموعنا في الدنيا بكن . فنبادر ونجيب إلى الخروج من حضرة العدم ، إلى حضرة الوجود . فننصبغ بالوجود .

الحُبُّ جَمَالٌ ، بَاطِنُهُ جَلَالٌ (١) .

١- قال سلطان العاشقين :

وما هوَ إلاَّ أنْ ظهَرْتِ لناظري … بأكملِ أوصافٍ ، على الحُسْنِ أرْبتِ
فحلَّيْتِ لي البَلوَى ، فخلَّيتِ بينها … وبيني ، فكانتْ منكِ أجْمَلَ حِليَةِ
ومَنْ يتحَرَّشْ بالجَمَالِ إلى الرَّدى … رأى نفسَهُ ، مِنْ أنفس العيش ، ردَّتِ
ونفسٌ ترَى في الحبِّ أنْ لا ترَى عَناً … متى ما تصَدّتْ للصّبابَةِ صُدّتِ
وما ظفِرَتْ ، بالوُدّ ، روحُ مُرَاحَةٌ … ولا بالوَلا نفسٌ ، صفا العيشِ ، وَدَّتِ
وأين الصَّفا ؟ هيهات منْ عيشِ عاشقٍ … وجنَّةُ عَدْنٍ بالمَكارِهِ ، حُفَّتِ
ولو أبْعِدَتْ بالصدِّ والهجرِ والقِلى … وقطعِ الرَّجا ، عنْ خلّتي ، ما تخلّتِ
وعنْ مَذهَبي ، في الحبِّ ، مالِيَ مذهَبٌ … وإنْ مِلْتُ يوماً عنهُ فارَقتُ مِلّتي
ولوْ خطرَتْ لي ، في سِواكِ ، إرادةٌ … على خاطري ، سَهواً ، قضيتُ بردَّتي
لكِ الحُكمُ في أمْري فما شئتِ فاصْنعِي … فلمْ تكُ ، إلاّ فيكِ لا عنكِ ، رغبتي
ووَصْفِ كمَالٍ فيكِ ، أحسنُ صُورةٍ … وأقوَمُها ، في الخلقِ ، منهُ استمدَّتِ
ونعتِ جلالٍ منكِ ، يعذبُ ، دونهُ … عذابي ، وتحلو ، عِندهُ ، ليَ قتلتي
وسِرُّ جَمَالٍ ، عنكِ كلُّ مَلاحَةٍ … بهِ ظهَرَتْ ، في العالمينَ ، وتمَّتِ
وحُسْنٍ بهِ تسبى النُّهى دَلَّني على … هَوىً ، حَسُنتْ فيهِ ، لِعِزِّك ، ذِلَّتي
ومعنىً وَرَاءَ الحُسنِ ، فيكِ شهدتهُ … بهِ دَقَّ عنْ إدْرَاكِ عَينِ بَصيرَتي
لأنتِ مُني قلبي ، وغايةُ بُغيتي … وأقصى مُرادي ، واختياري ، وخِيرَتي

كَالنَّارِ ظَاهِرُهَا نُورٌ وَدِفْءٌ وَضِيَاءٌ .

وَبَاطِنُهَا إِحَرَاقٌ وَدَمَارٌ وَفَنَاءٌ .

فَكُنْ فِي دَائِرَةِ جَمَالِ الحُبِّ الظَّاهِرَةِ .

وَلَا تَتَعَدَّاهَا ، فَتَقَعَ فِي الجَلَالِ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي .

فَاللهُ تَعَالَى يَسْمَحُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ بِمُشَاهَدَةِ جَمَالِهِ .

وَلَكِنَّ وَضَعَ الحُجُبَ النُّورَانِيَّةَ ، حِجَاباً بَعْدَ حِجَابٍ .

وَبَاباً خَلْفَهُ بَابٌ .

حَتَّى يَحْمِيَ أَحْبَّاءَهُ مِنْ مُحَاذَاةِ الجَلَالِ .

فَتَفْنَى ذَوَاتُهُم ، وَتَزْهَقُ أَنْفُسُهُم (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ ، وَمَا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئًا مِنْ حِسِّ تِلْكَ الْحُجُبِ إِلا زَهَقَتْ** ﴾ فحجب النور من اسمه الظاهر ، وحجب الظلمة من اسمه الباطن . وذلك هو ظهور الحق تعالى في مظاهر أعيان الممكنات بحكم ما هي الممكنات عليه من الاستعدادات . فاختلفت الصفات على الظاهر ، لأن الأعيان التي =

= ظهر فيها مختلفة . فتميزت الموجودات ، وتعددت لتعدد الأعيان وتميزها .

فما في الوجود إلا الله وأحكام الأعيان .

وما في العدم شيء ، إلا أعيان الممكنات مهيأة للاتصاف بالوجود .

وحجب النور : هي حجب الروح . وحجب الظلمة : هي حجب النفس ، فلا تخلص إليه تعالى إلا بعد اختراق حجب النفس الظلمانية . فإذا جزتها ، وقعت في حجب الروح النورانية . فالنفس – وإن كانت مطمئنة – فهي حجاب . والروح – وإن صفت – فهي حجاب . وليس ثم إلا الإطلاق : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} .

اعلم أن أعظم العذاب ، هو الحجاب عن الله . واعلم أن من لم ير الله تعالى ، فلا علمه نفع ، ولا جهله ارتفع . واعلم أن مَن وراء الحجاب ، لا يدعو الله إلا بكشف الحجاب ، فهذا هو فرضه ونفله . واعلم أن من لم يره في الدنيا ، لا يراه في الآخرة . واعلم أن الكشف والمشاهدة : هو جنة الجنة ، والحجاب : هو نار النار . واعلم أن الله تعالى لم يرضك إلا لرؤيته ، فلا ترضى لغيبته . واعلم أن منهم من يراه ، ويحجبهم برؤيته ، عنهم . واعلم أن من مات ، انقطع ذكره لله ، ولا ينقطع ذكر الله له . واعلم أن من رأى وجه الله ، استوى عنده الكشف والحجاب . واعلم أن العلم – على من رأى وجهه جل جلاله – أضر من الجهل ، على من لم يره . واعلم أن الحسنة بعشر ، لمن لم يره ، وهي سيئة لمن رآه . ما ألطف هذه الحجب ، وما أخفاها . قال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ {ق : ١٦} . مع وجود الحجب التي تمنعنا من رؤيته ، في هذا القرب العظيم ، وما نرى لهذه الحجب عينا ، فهي أيضا محجوبة عنا ، نعم يارب : ما نبصرك ولا نبصر=

حَيْثُ : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ {القصص : ٨٨} .

فَهُوَ تَعَالَى يُفْنِيهُم فِي جَمَالِهِ قَبْلَ بُلُوغِ جَلَالِهِ (١) .

فَيَحْفَظُ ذَوَاتِهِم ، وَيُبْقِي عَلَى مُهَجِهِم .

وَهَذَا مِنْ أَدَقِّ الأَسْرَارِ .

كَشَفْتُهُ لَكَ حَتَّى تَكُونَ مِنَ الأَخْيَارِ .

= الحجب فنحن خلف الحجاب ، وأنت منا بمكان الوريد ، أو أقرب إلينا منا : **فالله غير محدود بحجاب ولا بغيره ، إلا أن يكون هو عين الحجاب . فما احتجبنا عنك إلا بك ، وما احتجبت عنَّا إلا بشدة ظهورك . و كيف نحتجب عنه ، ونحن مظهر من مظاهر ظهوره !!**

١- قال سماحة الإمام : روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿... **حِجَابُهُ النُّورُ** – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : **النَّارُ – لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**﴾ . وأيًّا كان التعبير عن الحجاب بالنور أو بالنار فهو عندنا صحيح وله ما يؤيده : **فالنور : لأهل الجمال** ، كما تبدَّى لرسول الله ﷺ . فقد سُئِلَ ﷺ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ . فَقَالَ : ﴿**رَأَيْتُ نُورًا**﴾ . **والنار : لأهل الجلال** ، كما وقع لموسى عليه السلام قال : ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا﴾ {طه : ١٠} . وهذا رسول الله ﷺ يقول : ﴿**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا** .....﴾ إلى أن قال : ﴿**واجعلني نورا**﴾ . طلب من ربه أن يجعله من جميع الوجوه نوراً دالاً ، وحجاباً يتنعم برؤيته من أراد التنعم بحسن النظر إلى الله .

الدال

مَدَد يا حُبُّ ، مَدَد ، مَدَد .

مَدَدٌ يَشْمَلُنَا إِلَى الأَبَدِ .

فَالحُبُّ أَقْرَبُ وَأَعْلَى سَنَد (١) .

إِذَا أَرَدْتَ بُلُوغَ المَجْدِ ؛

فَأَخْرِجْ مِنْ قَلْبِكَ الأَهْلَ وَالوَلَدَ (٢) .

١- السند هو حلقات السلسلة المتصلة بينك وبين رسول الله ﷺ ، والحب هو من يجعلك في أقرب حلقة في هذه السلسلة . قال سماحة الإمام ﵁ : المُحِبُّونَ تَبْدَأُ عُلُومُهُم بِالمَوْتِ اتْسَاعًا . وَمَعَارِفُهُم ارْتِقَاءً ، وَأَنْوارُهُم إِشْعَاعًا . يَكْفِيهُمُ أَنِ انْقَضَى أَجَلُهُم ، مُنْتَسِبِينَ إِلَى أَهْلِ الحُبِّ . وَحَتَّي إِنْ لَمْ يَصِلُوا إِلَى مَطْلُوبِهِم . فَالاِنْتِسَابُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ شَرَفٌ ، مَا بَعْدَهُ شَرَف . «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» .

٢- فما نَفَعَ القلبَ مثلُ عُزْلَةٍ يدخلُ بها مَيْدَانَ فكرة . أي لا ينفع قلب المريد شيءٌ من الأشياء المطهِّرة له من الغفلات مثل عزلة عن الخلق ، يدخل بها ميدان فكرة ، أي تفكر في مصنوعات بارئ الأرض والسماوات . وإضافة ميدان لفكرة لبيان تردد القلب فيها كتردد الخيل في الميدان . =

وَشَمِّرِ العَزْمَ ، فَمَنْ جَدَّ وَجَدَ .

وَمَنْ زَرَعَ حَصَد .

وَخُذْ عَلَى شَيْخِكَ العَهْدَ (١) .

= وفي الحديث : ﴿تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة﴾ وذلك لأنه يوصل إلى معرفة حقائق الأشياء وتزداد به معرفة الله . واعلم أن الشأن في العزلة أن تكون بالقلب والقالب بأن يتباعد صاحبها عن الخلق . ولا تترقب فراغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه . أي لا تنتظر – أيها المريد – انتهاء الأغيار أي الشواغل التي منها ما أقامك فيه الحق ، بل راقبه فيما تترقب فراغه ، فإن تأميلك للوقت الثاني يمنعك من القيام بحق الوقت الذي أنت فيه . والفقير الصادق يكون في كل وقت بحسبه .

وقد تكون العزلة بالقلب فقط ، بأن يختلط بجسمه مع الخلق ، مع تعلق قلبه بالحق ، كما قالت السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها :

ولقد جعلتُك في الفؤاد محدِّثي ... وأبحتُ جسمي مَنْ أراد جلوسي
فالجسمُ مني للجليسِ مؤانسٌ ... وحبيبُ قلبي في الفؤاد أنيسي

١- العهد مع الشيخ للمريد ، حال الرضاع ، هو أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي المغسل ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا =

= ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠﴾ {الكهف : (٦٦ – ٧٠)} .

قال سماحة الإمام ﷺ : مشكلة المشاكل هو شيخ الترقية . فهو رجل اجتباه الله تعالى لقربه ، حتى صار كالمرآة البيضاء ، يرى باطن الشرع كما يرى ظاهره ، يظهر تارة بظاهر الشرع فيجلّه الخلق ، وتارة بباطن الشرع فينكر عليه أهل الظاهر من شيوخ التربية والتعليم ، ليس له نظر إلَّا إلى الله تعالى . النظر إليه عبادة ، واتباعه هدى ، والإنكار عليه هلكة ، نظرة منه إليك ترفعك إلى أعلى عليين ، إذا عامل الخلق بظاهر الشرع كانوا منه في جنّة وفهموا عنه ، وإذا عاملهم بباطنه ارتابوا فيه ، وبدّعوه ، وفسّقوه ، وكفّروه . لأن باطن الشرع ليست له قوانين تضبطه ، ولا أدلة تهدي إليه ، إنما هو ذوق في ذوق ، وخفاء في خفاء ، فهو يهدي بما به يضل ، قال تعالى : ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ {البقرة : ٢٦} . يوصل بما به يقطع ، وينعم بما به يعذب ، أضداد في أضداد ، بحر مترامي الأطراف ، بعيد القاع ، تحدق به الأخطار ، ولا ينجو منه إلَّا أهل التسليم والانقياد . إذا نظرت إلى ظاهر البحر ؛ وجدته سهلاً جميلاً مستوياً لامعاً ، وغاب عنك ما في باطنه من أهوال . فإذا كنت ممن لا يجيد السباحة ؛ فيكفيك من البحر النظر إليه والتمتع برؤيته وجماله . فمصاحبة شيوخ الترقية – على غير أدب معهم – هو خطر عظيم ، وهول جسيم ، وقديماً قالوا : **اجلس على البساط وإياك والانبساط** . وشيخ الترقية لا تدخل عليه بعقلك ، إنك إن دخلت عليه بعقلك ؛ خِبت وخسرت . ولكن بروحك وقلبك . فلا تدخل على الله تعالى ، ولا على رسول الله ﷺ ، ولا على الوالدين ، ولا على شيخ الترقية بعقلك أبدًا ، ولكن تدخل عليهم بروحك وحبك . فلا تزن رسول الله ﷺ بعقلك =

وَقُلْ بِقَلْبِكَ : يَا فَرْدُ ؛ أَحَدٌ أَحَد .

فَتَنْزِل أَنْوارُ الحُبِّ عَلَى قَلْبِكَ مَطَرٌ وَبَرَد .

وَيُبْدِلُكَ اللهُ قُرْباً بَعْدَ البُعْدِ .

فَطَهِّرْ قَلْبَكَ مِنْ حِقْدٍ وَحَسَدٍ .

وَطَهِّر ظَاهِرَكَ مِنْ مَسَدٍ وَنَكَدٍ ،

وَشَهْوَةٍ وَرَغْبَةٍ وَجَسَدٍ .

وَكَسَلٍ وَعَجْزٍ وَكَسَدٍ .

وَشَمِّرِ العَزْمَ ، وَاكْسَرْ كُلَّ قَيْدٍ .

= ولا شيخ الترقية كذلك وراثة نبوية ، انظر كيف دخل موسى عليه السلام على الخَضِر بعقله ، فاعترض عليه ، وانقطعت بينهما الصحبة .

فإن وفقك الله تعالى في الانحياش إلى جناب شيخ اجتمعت فيه الترقية والتزكية والتعليم ، فقد أتمَّ الله تعالى نعمته عليك ، فلا تحزن على ما فاتك بعدها من علم أو عمل ، أو دنيا أو دين . فهذا الشيخ هو إمام وقته ، وغوث عصره ، وقطب زمانه . فالانتساب إلى أهل الترقية ؛ ترقية . والانحياش إلى أهل السعادة ؛ سعادة ، لا شقاء بعدها أبدا .

وَدَعِ الأَمْرَ للهِ ، فَأَنْتَ لَهُ عَبْدٌ .

وَدَعِ الخَلْقَ ، وَلَا تَخْشَى أَحَد .

وَقُلْ : يَا فَرْدُ يَا صَمَد .

فَكُلُّ ذَرَّةٍ مِنَ الكَوْنِ لِلْمُحِبِّ جُنْد .

وَهُو لِلْكَوْنِ حَيَاةٌ وَبَعْثٌ مِنْ بَعْدِ وَأد (١) .

١- قال سلطان العاشقين :

أممت إمامي في الحقيقة فالورى ... ورائي وكانت حيث وجهت وجهتي

يراها أمامي في صلاتي ناظري ... ويشهدني قلبي إمام أئمتي

ولا غرو أن صلى الأنام إلي أن ... ثوت بفؤادي وهي قبلة قبلتي

لها صلواتي بالمقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لي صَلَّت

كلانا مُصَلٍّ سَاجِدٌ إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواي ولم تكن ... صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

وفي الصحو بعد المحو لم أك غيرها ... وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت

فوصفي إذ لم تدع باثنين وصفها ... وهيئتها إذ واحد نحن هيئتي

فبي موقفي لا بل إلي توجهي ... كذاك صلاتي لي ومني كعبتي

فَتَتَبَّع دَينَ الحُبِّ مِنْ بَلَدٍ لِبَلَد (١) .

١- قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ :

أَلا يا حَماماتِ الأَراكَةِ والبَانِ ترَفّقْنَ لا تُضْعِفْنَ بالشجوِ أشجاني
ترَفّقْنَ لا تُظهرنَ بالنّوح والبُكا خفيَّ صباباتي ومكنونَ أحزاني
أُطارحُها عند الأصيلِ وبالضحى بحنَّةِ مشتاقٍ وأَنَّةِ هيمانِ
تَنَاوَحَتِ الأرواحُ في غَيضَةِ الغَضا فمالتْ بأفنانٍ عليَّ فأفناني
وجاءتْ منَ الشَّوقِ المبرِّحِ والجوى ومن طُرَفِ البَلْوَى إليّ بأفْنانِ
فمَن لي بجمعٍ والمحصَّب مِن مِنًى ومَنْ لي بِذاتِ الأَثْلِ مَنْ لي بنَعْمان
تطوفُ بقلبي ساعةً بعدَ ساعةٍ لوَجدٍ وتبريحٍ وتَلثُمُ أركاني
كما طاف خيرُ الرُّسلِ بالكعبةِ التي يقولُ دليلُ العقْلِ فيها بنُقصَانِ
وقبّلَ أحجاراً بها، وهو ناطقٌ وأينَ مَقامُ البيتِ من قدرِ إنسانِ
فكَم عَهِدَتْ أن لا تحولَ وأقسمتْ وليس لمخضوبٍ وفاءٌ بأيمانِ
ومنْ أعجبِ الأشياءِ ظبيٌ مبرقعٌ يشيرُ بعنَّابٍ ويومي بأجفانِ
ومَرعاهُ ما بينَ التّرائِبِ والحَشَا ويا عَجَباً من روضةٍ وَسَطَ نيرانِ
لقدْ كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
صارَ قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ فمَرْعًى لغِزْلاَنٍ وديرٌ لرُهْبانِ
وبَيْتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ
أدينُ بدينِ الحبِّ أنّى توجَّهتْ رَكائِبُهُ فالحُبُّ ديني وإيماني

فَإِنْ عَثَرْتَ عَلَيْهِ فَأَقِمْ ، قَدْ بَلَغْتَ الرَّشَد (١) .

وَنِلْتَ الْمُنَى ، وَوَصَلْتَ الأَمَد .

فَعِشْ فِي رَغَد (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : ومن الغريب أن يرتبط الفتح على القلوب بأماكن معينة ، فمنهم من يُفتَح عليه بمكان ، دون غيره . يقول أحد العارفين : مررت بمسجد ، فقلت أصلي فيه ركعتين ، فوجدت قلبي ، فمكثت فيه سنتين . وقال أحدهم : مررت – وأنا في طريقي إلى بيت الله الحرام – بشاب يصلي تحت سمرة في الصحراء . فقلت : هلا ذهبت إلى بيت الله الحرام ؟ فقال : كنت ذاهبا إليه منذ عشر سنين ، ومررت ، فصليت تحت هذه السمرة ، فوجدت قلبي ، فمكثت تحتها حتى أفقده .

٢- قيل :

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد	هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن	جار الحبيب فعيشه عيش رغد
عش في أمان الله تحت لوائه	لا خوف في هذا الجناب ولا نكد
لا تخشى فقداً فعندك بيت من	كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل النجوى ومن	هو في المحاسن كلها فرد صمد
قطب النهى غوث العوالم كلها	أعلى على سار أحمد من حمد
روح الوجود حياة من هو واجد	لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسي وآدم والصدور جميعهم	هم أعين هو نورها لما ورد

التنزل الثالث والثلاثون ومائة

الإنسان مصدر أنس كل موجود

الحُبُّ مَلِكُ مَالِك (١) .

وَالكَوْنُ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِك .

١- قال سلطان العاشقين :

ولَمَّا تجلَّتْ للقلوبِ تزاحمتْ على حُسنها للعاشقينَ مطامعُ

سكرتُ بخمرِ الحبِّ في حانِ حَيِّها وفي خمرهِ للعاشقينَ منافعُ

وإنْ قَسَمَتْ لي أنْ أعيشَ متيَّماً فشوقي لها بينَ المحبِّينَ شائعُ

يقولُ نساءُ الحيِّ : أينَ دِيارُها ؟ فقلتُ : دِيارُ العاشقينَ بلاقِعُ

وَمَا زِلتُ مُذ نِيطَت عَلَيَّ تَمَائِمِي أُبَايعُ سُلطَانَ الهَوى وَأُتَابِعُ

لقد عرفتني بالولا وعرفتها ولي ولها في النشأتين مطالع

قُولَا لَهَا إِنِّي مُقِيمٌ عَلي الهَوَى وَإِنِّي لِسُلطَانِ المَحَبَّةِ طَائِعُ

وَقُولَا لَهَا يَا قُرَّةَ العَينِ هَل إِلَى لِقَاكِ سَبِيلٌ لَيسَ فِيهِ مَوَانِعُ ؟

وَفِي الآخِرَةِ يَتَنَحَّى كُلُّ مَالِك .

إِلَّا الحُبُّ ؛ فَإِنَّهُ عَالِقٌ :

« **المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ القِيَامَةِ** » (١) .

الأُنْسُ بِالشَّيْءِ هُوَ كَمَالُ ظُهُورِ الحُبِّ فِيهِ .

وَالوَحْشَةُ مِنْ شَيْءٍ هُوَ عَدَمُ ظُهُورِ هَذَا الكَمَالِ .

وَهُو ظُهُورٌ لِلأَرْوَاحِ ، لَا لِلأَشْبَاحِ (٢) .

١- رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .

٢- إنما أستوحش العباد والزهاد من كل شيء ، لغيبتهم عن الله في كل شيء ، فلو شهدوه في كل شيء ، ما أستوحشوا من شيء .

العُبَّاد : هم الذين غلب عليهم الفعل ، فهم مستغرقون في العبادة الحسية ، يقومون الليل ويصومون النهار ، شغلهم حلاوة العبادة عن حلاوة شهود المعبود ، فحجبوا بعبادتهم عن معبودهم ، والزهاد : هم الذين غلب عليهم الترك ، فهم يفرون من الدنيا وأهلها ، ذاقوا حلاوة الزهد ، فوقفوا معه ، وحجبوا عن الله ، فهم يستوحشون من الأشياء ، لغيبتهم عن الله فيها ، ولو عرفوا الله في كل شيء ، ما استوحشوا من شيء ، ولأنسوا بكل شيء ، وتأدبوا مع كل شيء والعارفون – لنفوذ بصيرتهم – شهدوا الخلق مظاهر من مظاهر الحق ، فحجبوا أولاً بالحق =

فَإِنَّ الحُبَّ صِفَةٌ رُوحِيَّةٌ صِرْفَةٌ .

فَالأَرْوَاحُ مِنْ عَالَمِ التَّقْدِيسِ .

وَالنُّفُوسُ مِنْ عَالَمِ التَّدْلِيسِ .

وَالأُنْسُ مِنْ حَضْرَةِ الجَمَالِ .

وَالوَحْشَةُ مِنْ حَضْرَةِ الجَلَالِ .

فَأُنْسُ الأَرْوَاحِ يُزِيلُ وَحْشَةَ النُّفُوسِ إِذَا اجْتَمَعَتَا .

= عن الخلق ، وبالمعنى عن الحس ، وبالقدرة عن الحكمة ، ثم ردوا إلى شهود الحق في الخلق ، والقدرة في الحكمة ، فحين عرفوه في كل شيء ، أنسوا بكل شيء ، وتأدبوا مع كل شيء ، وعظموا كل شيء .

والحاصل أن العارفين بالله غابوا عن شهود الخلق بشهود الحق فهم مع الخلق بالأشباح ومع الحق بالأرواح ماتوا وبعثوا وقامت قيامتهم وتبدلت في حقهم الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فهم يرون الأنوار والناس في ظلمة الأغيار كشف لهم في هذه الدار عن أسرار مكنوناته مسدولة عليها قهارية أستاره وسيكشف لهم في تلك الدار عن أسرار ذاته من غير حجاب الحكمة التي هي أثر صفاته كما أشار إلى ذلك بقوله أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته .

حَتَّى إِذَا فَارَقَتِ الرُّوحُ الجَسَدَ ؛

أَخَذَتْ مَعَهَا الأُنْسَ ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيءٌ فِي الجَسَدِ .

وَلَـمَّا كَانَ الإِنْسَانُ هُوَ رُوحُ الوُجُودُ (١) .

فَهُوَ مَصْدَرُ أُنْسِ كُلِّ مَوْجُودٍ .

فَالأُنْسُ مَعَهُ حَيْثُ رَحَل .

فَإِذَا كَانَ فِي الدُّنْيَا ؛ أَنِسَتْ بِهِ الدُّنْيَا .

١- قال سلطان العاشقين :

إِلَيَّ رَسُولاً كُنْتُ مِنِّيَ مُرْسَلًا ... وَذَاتِي بِآيَاتِي عَلَيَّ اسْتَدَلَّتِ

وَلَـمَّا نَقَلْتُ النَّفْسَ مِنْ مُلْكِ أَرْضِهَا ... بحكمِ الشِّرا منها إلى مُلكِ جَنَّةِ

وَقَدْ جَاهَدَتْ وَاسْتُشْهِدَتْ فِي سَبِيلِهَا ... وَفَازَتْ بِبُشْرَى بَيْعِهَا حِينَ أَوْفَتِ

سَمَتْ بِي لِـجَمْعِي عَنْ خُلُودِ سَمَائِهَا ... وَلَمْ أَرْضَ إِخْلَادِي لأرضِ خليفتي

وَلَا فَلَكٌ إِلَّا وَمِنْ نُورِ بَاطِنِي ... بِهِ مَلَكٌ يُهدى الهدى بِمشيئتي

وَلَا قُطْرَ إِلَّا حَلَّ مِنْ فَيْضِ ظَاهِرِي ... بِهِ قطرةٌ عنها السَّحائبُ سحَّتِ

وَمِنْ مَطْلَعِي النُّورُ البَسِيطُ كَلَمْعَةٍ ... ومن مشرعي البحرُ المحيطُ كقطرة

فَكُلِّي لِكُلِّي طَالِبٌ مُتَوَجِّهٌ ... وبعضي لبعضي جاذبٌ بالأعنَّة

وَإِذَا انْتَقَلَ إِلَى الآخِرَةِ ، انْتَقَلَ مَعَهُ الأُنْسُ .

وَمِنْهُ اشْتُقَّ اسْمُ الإِنْسَانِ . مِنَ الإِينَاسِ .

الذال

الحُبُّ لَذِيذٌ لَذَذ (١) .

لَيْسَ مِنْهُ عَوَذ (٢) .

وَإِنِ الفِكْرُ شَحَذ (٣) .

إِذَا عَلَقَ بِقَلْبٍ ؛ فَمَا سِوَاهُ نَبَذ (٤) .

فَعُضَّ عَلَيْهِ بِنَجَذ (٥) .

١- **لذذ** : أي وجدته لذيذاً شهيًّا .

٢- **العَوَذ** : هو المفر والملجأ .

٣- **شحذ** : يُقال : شحذت السَّيْف أشحذه شحذا إِذا جلوته. وشحذ الجُوع معدته إِذا ضرمها وقواها على الطَّعَام . وشحذ الفكر هو طول التفكر والاجتهاد فيه ، والمقصود أنك لن تجد بديلا عن الحب ولو أجهدت تفكيرك .

٤- **نبذ** : أي طرح وترك : والمراد هنا أن القلب إذا ذاق حلاوة الحب ترك ما سواه .

٥- **نجذ** : وَمنها قَوله : حَتَّى بَدَت نَوَاجِذه : هِيَ هُنَا الأضراس والأنياب ، وَقيل المضاحك =

فَصَبْرُ الْمُحِبِّينَ نَفَذ (١) .

وَمَنْ يَقُلْ غَيْرَ ذَلِكَ شَذّ (٢) (٣) .

= والنواجذ أَيْضا أَوَاخِر الْأَسْنَان ، وَهِي أضراس الْعقل ، وَفِي الحَدِيث الآخر : عضوا عَلَيْهَا بالنواجذ : أَي بالأنياب .

١- **نفذ** : أي انتهى وخلص .

٢- **شذ** : أي انفرد وفارق رأي الجماعة .

٣- قيل :

عيني لغير جمالكم لا تنظر ... وسواكم في خاطري لا يخطر
صبرت قلبي عنكم فأجابني ... لا صبر لي لا صبر لي لا أصبر
لا اصبر حتى يراكم ناظري ... وعلى محبتكم أموت وأحشر
غبتم وغابت راحتي من بعدكم ... والعيش صار من الجفا يتكدر
لا فرق ما بيني وبين خيالكم ... إن غاب غبتم أو حضرتم أحضر
اثنان نحن وفي الحقيقة واحد ... لكن أنا الأدنى وأنت الأكبر
حبي لكم طبعا بغير تكلف ... والطبع في الانسان لا يتغير
فإذا نطقت ففي حديثي جمالكم ... وإذا سكتت ففيكم أتفكر
حاموا على جبر القلوب فإنها ... مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

التنزل الرابع والثلاثون ومائة

الحب هو الإمام المبين

لَا أَذَلَّ مِنْ مُحِبٍّ ، لِشِدَّةِ احْتِيَاجِهِ لِحَبِيبِهِ .

وَمَنْ لَمْ يَذِلَّ لِمَحْبُوبِهِ فَمَا أَحَبَّ (١) .

وَلِذَلِكَ كَانَتِ الطَّاعَةُ هِيَ عَلَامَةُ الحُبِّ .

١- قيل :

أيا من بالوَفا قد عوَّدوني ... بحقّ المصطفى لا تهجروني

بعِزِّكُمْ بذُلِّي في هَوَاكُمْ ... عِدُوني بالوصَال وماطِلُونِي

ويا آل عَشِيرَتِي إن مِتُّ شوْقاً ... فمن ماء المدامِعِ غسِّلونِي

وإن جرَّدْتُمونِي من ثِيابي ... ففي أثواب سُقمي كَفِّنونِي

ويا آل عَشِيرَتِي إن مِتُّ شوْقاً ... ففي أرض الأحبَّة فادْفِنونِي

وضَعُواْ على قبري عَلامة ... إذا مَرَّ الأحِبَّةُ يعرفونِي

لِأَنَّ فِي المَعْصِيَةِ لَا يَظْهَرُ فِيهَا احْتِيَاجُ العَبْدِ لِرَبِّهِ كَمَالَ الظُّهُورِ (١) .

بَلْ يَظْهَرُ فِيهَا اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ رَبِّهِ بِنَفْسِهِ .

وَلِذَلِكَ لَا تَظْهَرُ المَعْصِيَةُ إِلَّا فِي غَفَلَاتِ العَبْدِ عَنْ رَبِّهِ .

فَصَاحِبُ الغَفْلَةِ نَاقِصُ المَحَبَّةِ .

لِأَنَّ المُحِبَّ لَا يَغْفَلُ عَنْ مَحْبُوبِهِ .

الإِحْسَانُ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ .

وَالحُبُّ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَأَنْتَ تَرَاهُ (٢) : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ {البقرة : ١١٥}.

١- قال تعالى على لسان الرسول ﷺ : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {آل عمران : ٣١} . فعلامة الحب لله تعالى هو اتباع شرع رسول الله ﷺ ، وهذا يؤدي إلى حب الله تعالى للعبد ، قيل :

تعصي الإلَهِ وأنتَ تُظهِرُ حبَّه ... هذا لعَمْرُكَ في المَقالِ بديعُ
لو كنتَ تَصدُقُ حبَّهُ لأطَعْتَهُ ... إنّ المحبّ لمن يُحِبّ مُطيعُ

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : وهذا معنى قول ابن عطاء الله : (الحق ليس بمحجوب عنك =

= إنما المحجوب أنت عن النظر إليه . إذ لو حجبه شيء ، لستره ما حجبه . ولو كان له ساتر ، لكان لوجوده حاصر . وكل حاصر لشيء ، فهو له قاهر . ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ {الأنعام : ١٨ ، ٦١}) . فهو تعالى متجلٍّ في كل شيء ، ولكنك لا تراه في أي شيء ، إلا إذا عرفك بنفسه في ذلك الشيء ، ودليل ذلك قوله تعالى في قصة سيدنا موسى ﵇ : ﴿قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾ {القصص : (٢٩ – ٣٠)} . فالنداء كان من الشجرة ، وهو مبني لِما لَمْ يُسَمَّ فاعله ، وكان بلفظ ﴿نُودِيَ﴾ ، فكان لابد من أن يعرفه تعالى بنفسه ، فقال : ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ . فالكل مشاهد ، وليس الكل شاهد . والكل ينظر ، ولكن ليس الكل يبصر ، كما قال تعالى في حق نبيه ﷺ : ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ {الأعراف : ١٩٨} . فأنت إذا أحببت شيئًا ، فأنت لم تحبه إلا إذا أحببت الله فيه ، فهو تعالى المحبوب في كل محبوب . والذي يعبد ربًّا ، فإنه لا يعبده إلا إذا تجلى الله له فيه ، فهو تعالى المعبود في كل معبود . لذا فقد قال أبو طالب المكي ﵁ ، عن وسع تجلي الله سبحانه وتعالى : (**لا يتجلى الله تعالى بوصف مرتين ، ولا يظهر في صورة لاثنين ، ولا يرد منه – بمعنى واحد – كلمتان . بل لكل تجلٍّ منه صورة ، ولكل عبد – عند ظهوره له – صفة ، وعن كل نظرة كلام ، وبكل كلمة إفهام ، ولا نهاية لتجليه ، ولا غاية لأوصافه ، ولا نفاد لكلمه**) . ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ {الكهف : ١٠٩} .

الحُبُّ هُوَ الإِمَامُ المُبِينُ : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ {يس : ١٢} .

وَالإِمَامُ هُوَ القُدْوَةُ المُقَدَّمُ (١) .

١- الإمام المبين هو رسول الله ﷺ وهو أيضا حامل مرتبة الإنسان الكامل في كل عصر .

ومن هنا قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ في صلاته واصفا الحقيقة المحمدية :

اللَّهُمَّ أَفِضْ صِلَةَ صَلَوَاتِكَ . وَسَلامَةَ تَسْلِيمَاتِكَ . عَلَى أَوَّلِ التَّعَيُّنَاتِ المُفَاضَةِ مِنَ الْعَمَاءِ الرَّبَّانِي . وَآخِرِ التَّنَزُّلاتِ المُضَافَةِ إِلَى النَّوْعِ الإِنْسَانِي . المُهَاجِرِ مِنْ مَكَّةٍ كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ ثَانٍ . إِلَى مَدِينَةِ وَهُوَ الآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ . مُحْصِي عَوَالِمِ الحَضَرَاتِ الإِلَهِيَّةِ الخَمْسِ فِي وُجُودِهِ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ . وَرَاحِمِ سَائِلِي اسْتِعْدَادَتِهَا بِنَدَاهُ وَجُودِهِ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالِمِينَ . نُقْطَةِ الْبَسْمَلَةِ الجَامِعَةِ لِمَا يَكُونُ وَلِمَا كَانَ . وَنُقْطَةِ الأَمْرِ الجَوَّالَةِ بِدَوَائِرِ الأَكْوَانِ . سِرِّ الْهُوِيَّةِ الَّتِي فِي كُلِّ شَيْءٍ سَارِيَةٌ . وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ مُجَرَّدَةٌ وَعَارِيَةٌ . أَمِينِ اللهِ عَلَى خَزَائِنِ الْفَوَاضِلِ وَمَسْتَوْدَعِهَا . وَمُقَسِّمِهَا عَلَى حَسَبِ الْقَوَابِلِ وَمُوَزِّعِهَا . كَلِمَةِ الاسْمِ الأَعْظَمِ . وَفَاتِحَةِ الْكَنْزِ المُطَلْسَمِ . المَظْهَرِ الأَتَمِّ الجَامِعِ بَيْنَ الْعُبُودِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ . وَالنَّشْءِ الأَعَمِّ الشَّامِلِ لِلإِمْكَانِيَّةِ وَالوُجُوبِيَّةِ . الطَّوْدِ الأَشَمِّ الَّذِي لَمْ يُزَحْزِحْهُ تَجَلِّي التَّعَيُّنَاتِ عَنْ مَقَامِ التَّمْكِينِ . وَالْبَحْرِ الخِضَمِّ الَّذِي لَمْ تُعَكِّرْهُ جِيَفُ الْغَفَلاتِ عَنْ صَفَاءِ الْيَقِينِ . الْقَلَمِ النُّورَانِيِّ الجَارِي بِمِدَادِ الحُرُوفِ الْعَالِيَاتِ . وَالنَّفَسِ الرَّحْمَانِيِّ السَّارِي بِمَوَادِ الْكَلِمَاتِ التَّامَّاتِ . الْفَيْضِ الأَقْدَسِ الذَّاتِيِّ الَّذِي تَعَيَّنَتْ بِهِ الأَعْيَانُ وَاسْتِعْدَادَاتُهَا . وَالْفَيْضِ المُقَدَّسِ الصِفَاتِيِّ الَّذِي تَكَوَّنَتْ بِهِ الأَكْوَانُ وَاسْتِمْدَادَاتُهَا . مَطْلَعِ شَمْسِ الذَّاتِ فِي سَمَاءِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ . وَمَنْبَعِ نُورِ الإِفَاضَاتِ فِي رِيَاضِ النِّسَبِ وَالإِضَافَاتِ =

«إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا» (١) .

الحُبُّ جَمْعٌ فِي عَيْنِ الفَرْقِ (٢) .

= خَطِّ الْوَحْدَةِ بَيْنَ قَوْسَيِ الأَحَدِيَّةِ وَالْوَاحِدِيَّةِ . وَوَاسِطَةِ التَّنَزُّلِ مِنْ سَمَاءِ الأَزَلِيَّةِ إِلَى أَرْضِ الأَبَدِيَّةِ . النُّسْخَةِ الصُّغْرَى الَّتِي تَفَرَّعَتْ عَنْهَا الْكُبْرَى . وَالدُّرَّةِ الْبَيْضَاء الَّتِي تَنَزَّلَتْ إِلَى الْيَاقُوتَةِ الْحَمْرَاء . جَوْهَرَةِ الْحَوَادِثِ الإِمْكَانِيَّةِ الَّتِي لاَ تَخْلُو عَنْ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ . وَمَادَّةِ الْكَلِمَةِ الْفَهْوَانِيَّةِ الطَّالِعَةِ مِنْ كِنِّ كُنْ إِلَى شَهَادَةِ فَيَكُونُ . هُيُولَى الصُّوَرِ الَّتِي لاَ تَتَجَلَّى بِإِحْدَاهَا مَرَّةً لإِثْنَيْنِ . وَلا بِصُورَةٍ مِنْهَا لأَحَدٍ مَرَّتَيْنِ . قُرْآنِ الْجَمْعِ الشَّامِلِ لِلْمُمْتَنِعِ وَالْعَدِيمِ . وَفُرْقَانِ الْفَرْقِ الْفَاصِلَ بَيْنَ الْحَادِثِ وَالْقَدِيمِ . صَائِمِ نَهَارٍ إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي فيطعمني ويسقين . وَقَائِمِ لَيْلٍ تَنَامُ عَيْنَايَ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي . وَاسِطَةِ مَا بَيْنَ الْوُجُودِ وَالْعَدمِ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . وَرَابِطَةِ تَعَلُّقِ الْحُدُوثِ بِالْقِدَمِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ . فَذَلَكَةِ دَفْتَرِ الأَوَّلِ وَالآخِرِ . وَمَرْكَزِ إِحَاطَةِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ . حَبِيبِكَ الَّذِي اسْتَجْلَيْتَ بِهِ جَمَالَ ذَاتِكَ عَلَى مِنَصَّةِ تَجَلِّيَاتِكَ . وَنَصَبْتَهُ قِبْلَةً لِتَوَجُّهَاتِكَ فِي جَامِعِ تَجَلِّيَاتِكَ . وَخَلَعْتَ عَلَيْهِ خِلْعَةَ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاء . وَتَوَّجْتَهُ بِتَاجِ الْخِلاَفَةِ الْعُظْمَى . وَأَسْرَيْتَ بِجَسَدِهِ يَقْظَةً مِنَ الْمَسْجَدَ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى . حَتَّى انْتَهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . وَتَرَقَّى إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى . فَانْسَرَّ فُؤَادُهُ بِشُهُودِكَ حَيْثُ لاَ صَبَاحَ وَلاَ مَسَا . مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى . وَقَرَّ بَصَرُهُ بِوُجُودِكَ حَيْثُ لاَ خَلاءَ وَلاَ مَلا . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

٢- الكلام عن التأمين وراء الإمام ، والجمع في الفرق ، والإجمال في التفصيل ، هو ما ذكرناه من أن معنى الإمام المبين هو الحقيقة المحمدية التي قام بها رسول الله ﷺ أو من ينوب عنه =

وَإِجْمَالٌ فِي عَيْنِ التَّفْصِيلِ .

= في عالم الفرق بعد انتقاله ، ومن هنا فبعدما بين الشيخ محيي الدين بن عربي ﵁ بعض رشحات الحقيقة المحمدية طلب الاجتماع بهذا الإنسان الكامل بحيث يكون هو عين الإنسان الكامل في عصره فقال : صَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ صَلاَةً يَصِلُ بِهَا فَرْعِي إِلَى أَصْلِي . وَبَعْضِي إِلَى كُلِّي . لِتَتَّحِدَ ذَاتِي بِذَاتِه . وَصِفَاتِي بِصِفَاتِهِ . وَتَقَرَّ الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ . وَيَفِرَّ الْبَيْنُ مِنَ الْبَيْنِ . وَسَلِّمْ عَلَيْهِ سَلاَماً أَسْلَمُ بِهِ فِي مُتَابَعَتِهِ مِنَ التَّخَلُّفِ . وَأَسْلَمُ فِي طَرِيقِ شَرِيعَتِهِ مِنَ التَّعَسُّفِ . لأَفْتَحَ بَابَ مَحَبَّتِكَ إِيَّايَ بِمِفْتَاحِ مُتَابَعَتِهِ . وَأُشْهِدَكَ فِي حَوَاسِّي وَأَعْضَائِي مِنْ مِشْكَاةِ شَرْعِهِ وَطَاعَتِهِ . وَأَدْخُلَ وَرَاءَهُ إِلَى حِصْنِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله . وَفِي أَثَرِهِ إِلَى خَلْوَةِ لِي وَقْتٌ مَعَ الله . إِذْ هُوَ بَابُكَ الَّذِي مَنْ لَمْ يَقْصِدْكَ مِنْهُ سُدَّتْ عَلَيْهِ الطُّرُقُ وَالأَبْوَابُ . وَرُدَّ بِعَصَا الأَدَبِ إِلَى إِسْطَبْلِ الدَّوَابِّ . اللَّهُمَّ يَا رَبِّ يَا مَنْ لَيْسَ حِجَابُهُ إِلاَّ النُّورَ . وَلاَ خَفَاؤُهُ إِلاَّ شِدَّةَ الظُّهُورِ . أَسْأَلُكَ بِكَ فِي مَرْتَبَةِ إِطْلاَقِكَ عَنْ كُلِّ تَقْيِيدٍ . الَّتِي تَفْعَلُ فِيهَا مَا تَشَاءُ وَتُرِيدُ . وَبِكَشْفِكَ عَنْ ذَاتِكَ بِالْعِلْمِ النُّورِيِّ . وَتَحَوُّلِكَ فِي صُوَرِ أَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ بَالْوُجُودِ الصُّورِيِّ . أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلاَةً تَكْحَلُ بِهَا بَصِيرَتِي بِالنُّورِ الْمَرْشُوشِ فِي الأَزَلِ . لأَشْهَدَ فَنَاءَ مَا لَمْ يَكُنْ وَبَقَاءَ مَا لَمْ يَزَلْ . وَأَرَى الأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ فِي أَصْلِهَا مَعْدُومَةً مَفْقُودَةً . وَكَوْنَهَا لَمْ تَشَمَّ رَائِحَةَ الْوُجُودِ فَضْلاً عَنْ كَوْنِهَا مَوْجُودَةً . وَأَخْرِجْنِي اللَّهُمَّ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ مِنْ ظُلْمَةِ أَنَانِيَّتِي إِلَى النُّورِ . وَمِنْ قَبْرِ جُثْمَانِيَّتِي إِلَى جَمْعِ الْحَشْرِ وَفَرْقِ النُّشُورِ . وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ سَمَاءِ تَوْحِيدِكَ إِيَّاكَ . مَا تُطَهِّرُنِي بِهِ مِنْ رِجْسِ الشِّرْكِ وَالإِشْرَاكِ . وَأَنْعِشْنِي بِالْمَوْتَةِ الأُولَى وَالْوِلاَدَةِ الثَّانِيَةِ . وَأَحْيِنِي بِالْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ . وَاجْعَلْ لِي نُوراً أَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ . وَأَرَى بِهِ وَجْهَكَ أَيْنَمَا تَوَلَّيْتُ بِدُونِ اشْتِبَاهٍ وَلاَ الْتِبَاسٍ . نَاظِراً بِعَيْنَيِ الْجَمْعِ وَالْفَرْقِ . فَاصِلاً بِحُكْمِ الْقَطْعِ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْحَقِّ . دَالاًّ عَلَيْكَ . وَهَادِياً بِإِذْنِكَ إِلَيْكَ . يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

الْمُحِبُّونَ مُكَرَّمُونَ ، وَمَحْمُولُونَ .

لِأَنَّهُم تَوَاضَعُوا لله فَرَفَعَهُم ، وَحَمَلَهُم (١) .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ ﴾ {الإسراء : ٧٠} .

رَفَعَ اللهُ ذِكْرَهُم ، وَأَعْلَى قَدْرَهُم ، وَأَغْلَى ثَمَنَهُم (٢) .

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ {الشرح : ٤} .

١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : «مَنْ يَتَوَاضَعُ لله دَرَجَةً ، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهِ دَرَجَةً ، وَمَنْ يَتَكَبَّرُ عَلَى اللهِ دَرَجَةً ، يَضَعُهُ اللهُ بِهِ دَرَجَةً ، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ» رواه ابن ماجة وأحمد وابن حبان وأبو يعلى .

٢- رفع الذكر هو أن تصبح أنت اسم الله !

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ : كنت جالسا بين يدي شيخي ، وفي حجره ابن له صغير ، فخطر ببالي أن أسأله عن اسم الله الأعظم ، فقام إلي الولد ، ورمى بيده في طوقي ، وهزني ، وقال : يا أبا الحسن أنت أردت أن تسأل الشيخ عن اسم الله الأعظم ، ليس الشأن أن تعلم اسم الله الأعظم ، إنما الشأن أن تكون أنت هو اسم الله الأعظم ، يعني أن سر الله مودع في قلبك ، فتبسم الشيخ ، وقال لي : جاوبك فلان عني ، وكان إذ ذاك قطب الزمان . فلما ورث الشاذلي القطبانية ، كان أبو العباس المرسي تلميذه يقول : إن الشاذلي قال له : (إذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي) =

وَغَيْرُهُم مِنَ الخَلْقِ سَائِرُون .

فَرْدِيَّةُ كُلُّ أَحَدٍ مَشْفُوعَةٌ بِشَيْئِيَّتِهِ .

وَالُمحِبُّ فَرْدٌ ، لِزَوَالِ شَيْئِيَّتِهِ فِي فَرْدِيَّةِ حَبِيبِهِ (١) .

= أي أنه أصبح فعلا اسم الله الأعظم كما قال له شيخه الشيخ عبد السلام بن مشيش ﷺ .

قال سماحة الإمام رضي الله عنه : لَوْلَا وُجُودُ الكَوْنِ لَظَهَرَ العَيْنُ ، وَلَوْلَا الأَسْمَاءُ لَبَرَزَ الْمُسَمَّى .

وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، لَمْ يَكُن لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الكَوْن اسْمٌ غَيْرُ اللهِ .

تَجَلَّيْتَ فِي الأَشْيَاءِ حِينَ خَلَقْتَهَا ... فَهَا هِيَ مِيطَتْ عَنْكَ فِيهَا البَرَاقِعُ

قَطَعْتَ الوَرَى مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ قِطْعَةً ... وَلَمْ تَكُ مَوْصُولًا وَلَا فَصْلُ قَاطِعُ

فَأَنْتَ الوَرَى حَقًّا وَأَنْتَ إِمَامُنَا ... وَإِنَّكَ مَا يَعْلُو وَمَا هُوَ وَاضِعُ

١ - **قال النفري :**

قال لي : الواقف فرد والعارف مزدوج .

وقال لي : العارف يعرف ويعرف الواقف يعرف ولا يعرف .

وقال لي : الواقف يرث العلم والعمل والمعرفة ولا يرثه إلا الله .

وقال لي : ليس في الوقفة واقف وإلا فلا وقفة ، وليس في المعرفة عارف وإلا فلا معرفة .

وقال لي : يا من بلاؤه كل شيء ، صرفت البلاء عنك بالعافية ، والعافية داخلة في الشيئية ، والشيئية بلاء ، والبلاء والعافية إذا رأيتني عليك سواء ، فأيهما أصرف ، والصرف بلاء ؟

فَالفَرْدِيَّةُ سَارِيَةٌ فِي كُلِّ شَيءٍ ، بِسِرِّ النُّورِ المُحَمَّدِيِّ (١) .

وَالشَّفْعِيَّةُ سَارِيَةٌ فِي كُلِّ شَيءٍ ، بِسِرِّ النُّفُوسِ الشَّيْطَانِيَّةِ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : نفسك يا محمد هي ستر على الألوهية .

قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ {النساء : ٧٩} ، وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ {الفتح : ٢٩} .

فما ظهر عن الذات إلا سيدنا محمد ﷺ . ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ : ولا يعلم ذلك منك إلا الله ، كفى بالله شاهدا وشهيدا وعليما ، فلا شاهد أفضل من الله بأنك هو : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ {الفتح : ١٠} .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ : لما خلق الله النبي ﷺ ، جعله مظهرًا لجلاله وجماله ، وخلق كل حقيقة في محمد ﷺ ، من حقيقة من حقائق أسمائه وصفاته ، وخلق نفسه ﷺ من نفسه تعالى ، وليست النفس إلا ذات الشيء .

واعلم أن الله تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته – وذات الحق جامعة للضدين – خلق الملائكة العالين من حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ﷺ ، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة من نفس محمد ﷺ . فهو ﷺ مجلى مرآة الذات ، منتهى الأسماء والصفات ، مهبط أنوار الجبروت ، منزل أسرار الملكوت ، مجمع حقائق اللاهوت ، منبع رقائق الناسوت ، النافخ بروح الجبرلة ، والمانح بسرِّ الميكلة ، والسابح بقهر العزرلة ، والجانح بجمع السرفلة ، عرش رحمانية الذات ، كرسي الأسماء والصفات ، منتهى السدرات ، سموات فخر التسامي والترقيات ، شمس العلم والدراية ، بدر الكمال والنهاية ، نجم الاجتباء والهداية =

فَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حُكْمُ الفَرْدِيَّةِ نَجَا .

وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حُكْمُ الشَّفْعِيَّةِ هَلَكَ (١) .

= نار حرارة الإرادة ، ماء حياة الغيب والشهادة ، ريح صبا نفس الرحمة والربوبية ، طينة أرض الذلة والعبودية ، ذو السبع المثاني ، صاحب المفاتيح والثواني ، مظهر الكمال ومقتضى الجمال والجلال . فهو ﷺ بحر تنزل الروحانيات العلى ، مصعد أوج الملك ، وحضيض مهبط الشيطان والهوى ، طامس ظلام الكفر والإشراك ، نور بياض الإيمان والإدراك ، صبح جبين الهدى ، ليل دجى الغيّ والعمى ، مرآة الحديث والقديم ، مجلى هوية العذاب والنعيم .

واعلم أن الوجود والعدم متقابلان ، وفلك الألوهية محيط بهما ؛ لأن الألوهية تجمع الضدين : من القديم والحديث ، والحق والخلق ، والوجود والعدم ، فيظهر فيها الواجب مستحيلًا بعد ظهوره واجبًا ، ويظهر فيها المستحيل واجبًا بعد ظهوره فيها مستحيلًا ، ويظهر الحق فيها بصورة الخلق ، ويظهر الخلق بصورة الحق . والألوهية في نفسها تقتضي شمول النقيضين ، وجمع الضدين .

١- قيل : **إثنان نحن وفي الحقيقة واحد   لكن أنا الأدنى وأنت الأكبر**

قال سماحة الإمام ﷺ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**» .

فقوله ﷺ : «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ**» لِيُبَيِّنَ مَرْتَبَةَ الصِّفَاتِ .

ثُمَّ تَسَامَى بِالخَلْقِ فِي الخُلُقِ ، عَنْ مَرْتَبَةِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ . وَالَّتِي هِيَ مَرْتَبَةِ الأَضْدَادِ =

= إِلَى مَرْتَبَةِ التَّحَقُّقِ بِالذَّاتِ . فَأَثْبَتَ الذَّاتَ ، لِلذَّاتِ ، بِالذَّاتِ . فَقَالَ ﷺ : «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**» فَلَيْسَ مَنْ يَتَرَنَّحُ بَيْنَ أَضْدَادِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، وَيَتَأَرْجَحُ بَيْنَ الْمُعْطِي وَالمَانِعِ ، بَيْنَ المَوْتِ وَالحَيَاةِ ، بَيْنَ الغَضَبِ وَالمَغْفِرَةِ . كَمَنْ ثَبُتَ بِإِثْبَاتِ الذَّاتِ لَهُ . فَلَا ضِدِّيَةَ ، وَلَا تَضَادَّ . وَلَاسِكُونَ ، وَلَا حَرَكَةَ . وَلَا إِقْبَالَ ، وَلَا إِدْبَارَ . وَلَا حَسَنَاتٍ ، وَلَا سَيِّئَاتٍ . وَلَا جَنَّةَ ، وَلَا نَارَ . وَلَا دُنْيَا ، وَلَا أُخْرَى . وَإِنَّمَا ثُبُوتٌ ، لَا ضِدَّ لَهُ . ثُبُوتٌ فِي مَرْتَبَةِ الحُبِّ . فَصَارَتْ رُوحُكَ هِيَ رُوحُ الوُجُودِ كُلِّهِ . تُمِدُّهُ بِأَنْوارِ اللهِ . تُمِدُّ المُلْكَ وَالمَلَكُوتِ . وَصَارَ يَسْتَمِدُّ مِنْ نُورِكَ كُلُّ مَوْجُودٍ . وَصِرْتَ أَنْتَ قُطْبَ الوُجُودِ ، وَمَرْكَزَ الأَفْلَاكِ . رُوحُكَ تُمِدُّ كُلَّ رُوحٍ . وَقَلْبُكَ يُمِدُّ كُلَّ قَلْبٍ . وَحُبُّكَ يُمِدُّ كُلَّ حُبٍّ . وَصِرْتَ وِتْرًا «**وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ ، يُحِبُّ الْوِتْرَ**» .

وشَفْعُ وُجُودي في شُهوديَ ظلَّ في اتّـ	**ـحاديَ وِتــراً في تيقُّـظِ غفــوتي**

قال سلطان العاشقين :

ولا فَلَــكٌ إلا ومــن نــورِ بــاطِني	**بـهِ مَلَـكٌ يَهـدي الهـدى بِمشـيئتي**
ولا قُطرٌ إلاَّ حلَّ من فيضِ ظاهري	**بـهِ قطـرةٌ عنهـا السَّـحائبُ سـحَّتِ**
ومـن مطلعـي النُّـورُ البسيطُ كلمعـةٍ	**ومن مشرعي البحرُ المحيطُ كقطـرة**

الراء

الحُبُّ أَحْلَى قَضَاءٍ ، وَأَجْمَلُ قَدَر (١) .

١- قيل في قصيدة : (قضى اللهَ أن لا رأى في الحبِّ لامرئٍ... وذاك قضاءٌ نافذٌ ليس يُدفع) :

جَرَى الدمعُ حتى ليسَ في الجَفنِ مَدمَعُ ... وقاسيتُ حتَّى ليس في الصبرِ مَطمَعُ
وما أنا من يبكي ولكنَّه الهَوى ... يريدُ من الأُسدِ الخضوعَ فتخضعُ
فلِله قلبي ما أجلَّ اصطبارَهُ ... وأثبتَهُ والسيفُ بالسيف يُقرعُ
ولله قلبي ما أقلَّ احتماله ... إذا ما نأى عنه الحبيبُ المودِّعُ
إذا لاحَ لي سيفٌ من الخطبِ رُعتُه ... وإن لاح لي سيفٌ من اللحظِ أجزَعُ
وأقتادُ لَيثَ الغابِ واللَّيثُ مُخدِرٌ ... ويقتادني الظبي الغريرُ فأتبَعُ
وليلٍ أضلَّ الفجرُ فيه طريقَه ... فلم يدرِ لما ضلَّ من أين يَطلُع
سهرتُ به أرعى الكواكبَ والكَرَى ... عَصِيٌّ على الأجفانِ والدمعُ طيّعُ
أودُّ لو ان الطيفَ مَنَّ بِزَورَةٍ ... وكيفَ يزورُ الطيفُ مَن ليس يَهجَعُ
لقد عشتُ دَهراً ناعمَ البالِ خالياً ... من الهمّ لا أَشكُو ولا أتَوَجَعُ
أروحُ ولي في مَعهدِ الغَي مَربَعٌ ... وأغدُو ولي في مَسرحِ اللَّهو مرتَعُ
فما زلتُ أبغي الحبَّ حتَّى وجدتُه ... فلما أردتُ القُربَ كان التمنُّعُ
فلم يبقَ لي عن ذلك الحبِّ مهرَبٌ ... ولم يَبقَ لي في ذلك القُربِ مَطمَعُ =

= كأني في جوِّ الصبابةِ ريشةٌ ... بأيدي السوافي ما لها الدهرُ مَوقِعُ
كأني في بحر الهُيام سفينةٌ ... أحاطَ بها مَوجُ الردى المُتَدَفِّع
كأني في بيداءَ دهماءَ مَجهَلٌ ... تضلُّ رُخاءٌ في دُجاها وزَعزَعُ
فلا أنا فيها واجدٌ من يَدُلُّني ... ولا نجمها يبدو ولا البرقُ يَلمُع
فمهلاً رويداً أيها اللائم الذي ... يُجرِّعني في لومِه ما يُجرِّعُ
نَصحتَ فلم أسمَع وقلتَ فلم أُطِع ... فما نُصحُ حِبٍّ لا يُطيعُ ويَسمَعُ
فيا حُبَّ هذا القولُ لو كان مُجدِياً ... ويا نِعم ذاك النُصحُ لو كان ينفَعُ
قضى الله أن لا رأى في الحبِّ لامرئٍ ... وذاك قضاءٌ نافذٌ ليس يُدفع
قد اعتصمت بالصبر نفسي وفوضت ... إلى الله ما يُعطى الزمانُ ويمنَعُ
وأمسيتُ لا أخشى الخطوبَ ووقعَها ... ولو أنها سُمُّ الأساودِ مَنقَعُ
فقد بِتَّ جاراً للإمام وأنه ... أعز بَنى الدنيا جِواراً وأمنَعُ
سمعتُ بهِ دهراً فلما أَتيتُه ... رأَيتُ بعيني فوق ما كنت أسمع
وشاهدتُ وضاح الأساريرِ أروعاً ... على وجهه نورٌ من اللهَ يَسطع
تَزاحمُ أقدامُ العُفاةِ ببابه ... فلا هُوَ محجوبٌ ولا الفضل يمنعُ
أمولاي هذا الدهرُ وَالى صُرُوفَه ... على فأنجد أو أشر كيفَ أصنعُ
فما أنا إلا غَرسُ نعمتكَ الذي ... يُغاديهِ غَيثٌ من نَداكَ فيُمرعُ
فإن شِئتَ فالفضلُ الذي أنت أهله ... وإلا فإني في الأنام مُضَيّع

فَلَا يُغْنِي مِنْهُ ذَكَاءٌ وَلَا حَذَر .

وَلَا يَخْلُو مِنْهُ حَيَوَانٌ ، وَلَا طَيْرٌ ، وَلَا بَشَر .

فَالكُلُّ عَلَيْهِ قَدْ فُطِر .

الحُبُّ إِذَا دَخَلَ قَلْباً ؛ فَلَا يُبْقِي ، وَلَا يَذَر (١) .

فَكُلُّ شَيءٍ قَدْ أَسَر .

فَهُوَ لِلأَرْوَاحِ بَهَرَ وَغَمَر .

١- قال سلطان العاشقين :

عسَى عَطفَةٌ منكُمْ عَليّ بنَظرَةٍ ... فقدْ تعبتْ بيني وبينكمُ الرُّسلُ

أحبَّايَ أنتمْ أحسنَ الدَّهرُ أمْ أسا ... فكونوا كما شئتمْ أنا ذلكَ الخلُّ

إذا كانَ حَظّي الهَجرَمنكم، ولم يكن ... بِعادٌ فذاكَ الهجرُ عندي هوَ الوَصْل

وما الصّدّ إلاّ الوُدّ ما لم يكنْ قِلًى ... وأصعبُ شيءٍ غيرَ إعراضكمْ سهلُ

وتعذيبكمْ عذبٌ لديَّ وجوركمْ ... عليَّ بما يقضي الهوى لكمُ عدلُ

وصبري صبرٌ عنكمْ وعليكمْ ... أرى أبداً عندي مرارتهُ تحلو

أخذتمْ فؤادي وهوَ بعضي فما الّذي ... يَضَرّكُمُ لو كانَ عِندَكَمُ الكُلّ

نأيتمْ فغيرَ الدَّمعِ لمْ أرَ وافياً ... سوى زفرةٍ منْ حرِّ نارِ الجوى تغلو

وَلِلْقُيُودِ كُلِّهَا كَسر .

فَدُمُوعُ المُحِبِّينَ بِحَارٌ وَنَهَر .

سُكْرٌ ، وَوَصْلٌ ، وَهَجْرٌ ، وَسَمَر (١) .

عَقْرٌ ، وَنَحْرٌ . سَحَرٌ ، وَسَهَر .

شُكْرٌ ، وَحَمْدٌ . خَمْرٌ ، وَسَفَر .

سَطْرٌ ، وَسِفْرٌ . صُوَرٌ ، وعِبَر .

نَارٌ ، وَشَرَرٌ . زَجْرٌ ، وَشَذَر .

طُهْرٌ ، وَخَيْرٌ . صَبْرٌ ، وَظَفَر .

ذِكْرٌ ، وَنُورٌ . تِبْرٌ ، وَدُرَر .

المُحِبُّ دَائِمُ البَحْثِ عَنْ لَا لَهُ أَثَر .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : سَبَاهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَوَّلِ نَظْرَةِ حُبٍّ نَظَرَهَا إِلَيهِم . فَسَكِرَتْ أَرْوَاحُهُم بِجَمَالِهِ . فَإِذَا ابْتَلَاهُم ؛ فَلَا يَشْعُرُونَ بِالبَلَاءِ ، لِفَرْطِ سَعَادَتِهِم وَسُكْرِهِم . فَيَمُرُّ عَلَيْهِمُ البَلَاءُ الَّذِي تَتَصَدَّعُ لَهُ الجِبَالُ ، وَلَا يَحِسُّونَ بِهِ . إِذْ كُلُّ بَلَاءٍ إِنَّمَا هُوَ نَظْرَةُ حُبٍّ مِنَ اللهِ إِلَيْهِم .

بَحْثُهُ مَشْكُورٌ ، عَلَيْهِ قَدْ أُجِر (١) .

وَذَنْبُهُ قَدْ غُفِرَ ، وَإِنْ فَجَر (٢) .

حَبِيبِي تَجَلَّى لِي كَالْقَمَر .

بِلَا سَحَابٍ ، وَلَا كَدَر (٣) .

١- قيل :

أستخبر الشمس عنكم كلما طلعت	وأسأل البرق عنكم كلما لمعا
أبيت والليل يطويني وينشرني	في راحتيه ولا أشكو له وجعا
أحبابنا إن يكن طال المدى فلكَم	قد قطع الشوق قلبي بعدكم قطعا
فلو مننتم على طرفي برؤيتكم	لكان أحسن شيء منكمُ وقعا
لا تحسبوا أنني بالغير مشتغل	إن الفؤاد لحب الغير ما وسعا

٢- قال رسول الله ﷺ : « **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ** » رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

٣- عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، ﷺ ، أَخْبَرَ : أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : «**هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**» ؟ قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : «**فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**» ؟ قَالُوا : لا ، قَالَ : «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**» . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

فَمَنْ لَمْ يَسْجُدْ ، فَقَدْ كَفَر (١) .

١- قال سلطان العاشقين :

وفيَّ شَهِدْتُ السَّاجدينَ لَمظهري ... فحقَّقتُ أنّي كُنتُ آدمَ سَجدَتي
فلا أينَ بَعدَ العينِ ، والسُّكرُ منهُ قدْ ... أفقتُ ، وعينُ الغينِ بالصَّحوِ أصْحَتِ
فنقطةُ غينِ الغينِ عنْ صَحويَ انمحتْ ... ويَقظةُ عينِ العينِ ، محْويَ ، ألغتِ
أسافرُ عن عِلْمِ اليَقينِ لِعَيْنِهِ ... إلى حقِّهِ ، حَيثُ الحَقيقةُ رِحْلتي
وأنشُدُني عنِّي ، لأُرْشدَني ، على ... لساني ، إلى مُستَرْشدي عندَ نَشدَتي
وأسألني رَفْعي الحِجابَ بكَشفيَ الـ ... ـنِّقابَ ، وبي كانتْ إليَّ وسيلتي
وأنظرُ في مِرآةِ حُسنيَ كي أرى ... جَمالَ وُجودي ، في شُهوديَ طَلعتي
وأهْفُو لأنْفاسي لعَلِّيَ واجِدي ... بها مُستَجيزاً أنَّها بيَ مَرَّتِ
إلى أنْ بَدا مِنِّي ، لِعَينيَ بارِقٌ ... وبانَ سَنَى فجرى ، وبانتْ دُجنَّتي
وأرشدتُني ، إذْ كنتُ عنِّي ناشدي ... إليَّ ، ونفسي بي عليَّ دَليلتي
وأستارُ لبْسِ الحِسِّ ، لـمَّا كَشَفتُها ... وكانتْ لها أسرارُ حُكميَ أرْخَتِ
رَفعتُ حجابَ النَّفسِ عنها بكَشفيَ الـ ... ـنِّقابَ فكانتْ عنْ سؤاليَ مُجيبتي
وكنتُ جِلا مِرآةِ ذاتيَ مِن صَدا ... صِفاتي ، ومنِّي أحدِقَتْ بأشعَّةِ
وأشهدتُني إيَّايَ ، إذ لا سِوايَ ، في ... شهوديَ ، موجودٌ ، فيقضى بزحمةِ
وأسمعُني في ذكريَ اسميَ ذاكري ... ونفسي بنفي الحسِّ أصغتْ وأسمَتِ
وعن شِرْكِ وَصْفِ الحسِّ كلِّي منزّهٌ ... وفيَّ ، وقدْ وَحّدْتُ ذاتيَ ، نُزْهتي

الحُبُّ مَاءٌ مُبَارَكٌ وَمَطَر (١) .

وَلِكُلِّ ذَنْبٍ قَدْ غفر .

وَلِكُلِّ عَيْبٍ قَدْ سَتَرَ (٢) .

وَلِكُلِّ قَلْبٍ قَدْ غمَر (٣) .

١- قال تعالى عن المطر أنه ماء مبارك : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ {ق : ٩} .

٢- عَنْ عُمَرَ ، ﷺ ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا ، وَكَانَ يُهْدِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الْعُكَّةَ مِنَ السَّمْنِ ، وَالْعُكَّةَ مِنَ الْعَسَلِ ، فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا يَتَقَاضَاهُ ، جَاءَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَيَقُولُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَعْطِ هَذَا ثَمَنَ مَتَاعِهِ ، فَمَا يَزِيدُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَنْ يَبْتَسِمَ ، وَيَأْمُرَ بِهِ فَيُعْطَى ، فَجِيءَ بِهِ يَوْمًا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**لَا تَلْعَنُوهُ ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**» رواه البيهقي وأبو نعيم وأبو يعلى .

٣- **غمر** : أي امتلأ بالماء حتى علا عن الشيء .

والمراد هنا أن القلب مملوء حبا .

وقد تأتي غمر بلفظ غمرات الموت أي شدائده .

وهنا يكون المراد هو القلب الذي يعاني من آلام الحب !

وَمَنْ أَحَبَّ فَقَدْ مَهَر (١) .

١- مَهَر : أي دفع المهر ، والمراد هنا هو ما يستحق به الاقتران بالحقيقة .

ويا قاضيا في الحب يقضي بعدله ... تحكم بجور إنني لك طائع
جعلت وجودي ما يمن لها به ... وإن وجودي مكرة وخدائع
تلاقيت بنتي عادتي وطبائعي ... يذودان أغنامي ومائي نابع
سقيت من الماء الغنيم غنائمها ... ومن رعى زهر العلم هن شوابع
وجاء على استحياء ذاتي بربها ... بتوحيدها إحداهما وتسارع
فلما تزوجت الحقيقة صنتها ... وأمهرتها مني حماة شرائع
صعدت معالي طور قلبي منادياً ... لربي حتى أن بدت لي لوامع
وخلفت أهلي وهي نفسي تركتها ... وجئت إلى النار التي هي ساطع
فناداني التوحيد نعليك دعهما ... فهأنا ذا للروح والجسم خالع
وكلمني التحقيق من شجر الحشا ... بأني بالوادي المقدس راتع
وسرت بعقلي أي فتاي وحوته ... إلى مجمع البحرين والعقل تابع
هناك نسيت الحوت وهو أنيتي ... فسبح في بحر الحقيقة شارع
على أثري ارتددت حتى وجدتني ... هو الأصل إذ نفس أنا وهو طالع
فإن فهمت أحشاك ما قلت مجملاً ... وإلا فبالتفصيل ما أنا واضع
وإني على تنزيه ربي لقائل ... بأوصافه عني فحقي صادع
أنا الحق والتحقيق جامع خلقه ... أنا الذات والوصف الذي هو تابع

وَلِرَبِّهِ فِي الجِنَانِ قَدْ نَظَر .

وَغَنَّى بِأَلْحَانٍ عَلَى عُودٍ وَوَتَر .

وَلِلأَهْلِ وَالأَوْطَانِ قَدْ هَجَر .

وَفِي حُبِّهِ قَدْ عُذِر .

وَالمُحِبُّونَ دِمَاؤُهُم هَدْر (١) .

وَحَيَاتُهُم حُزْنٌ وَكَدَر .

وَلَكِنَّهُ كَدَرٌ أَحْلَى مِنَ العِينِ الحُوَر .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : وَكَمْ مِثْلِي أَمَاتَتْ مِنَ المُحِبِّينَ بِفَرْطِ المَحَبَّةِ وَالشَّوْقِ . وَمَا نَظَرَتْ إِلَيْهِ نَظَرَ العَطْفِ بَعْدَ الحَتْفِ . وَلَوْ نَظَرَتْ إِلَيْهِ لَأَحْيَتْهُ . فَإِنْ أَحَلَّتْ دَمِي ؛ فَقَدْ أَحَلَّتْ قَدْرِي فِي أَعَالِي مَقَامَاتِ العِزِّ .

إِذَا مَا أَحَلَّتْ فِي هَوَاهَا دَمِي ... فَفِي ذُرَى العِزِّ وَالعَلْيَاءِ قَدْرِي أَحَلَّتِ

وَكَمْ فِي الوَرَى مِثْلِي أَمَاتَتْ صَبَابَةً ... وَلَوْ نَظَرَتْ عَطْفًا إِلَيْهِ لَأَحْيَتِ

بِكُلِّ قَبِيلٍ كَمْ قَتِيلٍ بِهَا قَضَى ... أَسًى لَمْ يَفُزْ يَوْمًا إِلَيْهَا بِنَظْرَةِ

قُلُوبُهُم مُعَلَّقَةٌ عَلَى شَجَر .

وَهَذَا فِي الخَلْقِ وَالخُلُقِ قَدْ نَدَر (١) .

١- يُروى عن الحلاج أنهم جاءوه في الليلة الأولى التي حبسوه فيها ، فلم يجدوه في السجن ، فتفقدوا السجن كلّه فلم يجدوه . وفي الليلة الثانية ، لم يجدوه هو ولا السجن ، ومهما بحثوا عن السجن ، لم يجدوه . وفي الليلة الثالثة ، وجدوه في السجن ، فقالوا : أين كنت في الليلة الأولى ؟ وأين كنت أنت والسجن في الليلة الثانية ؟ قال : في الليلة الأولى كنت في الحضرة ، وفي الليلة الثانية كانت الحضرة هنا ، وفي الليلة الثالثة ، أرسلوني لحفظ الشريعة . فتعالوا وأدّوا عملكم .
ويروى أن ثلاثمائة رجل كانوا في السجن . فلما أقبل الليل ، قال : أيها المساجين سأحرركم . قالوا : ولماذا لا تحرر نفسك ؟ قال : إنني في قيد الله ، وأحظى بالسلامة . إن اردتم حطّمت القيود كلها بإشارة . ثم أشار بإصبعه ؛ فتحطمت القيود . فقالوا : أين نذهب الآن ؟ وباب السجن مغلق . أشار فظهرت فجوات في الجدار . وقال : تسللوا . فقالوا : ألا تأتي معنا ! فقال : لي سرٌّ معه ، لا يمكن إفشاؤه إلا على المشنقة . وفي اليوم التالي ، قالوا : أين ذهب المساجين ؟ قال حررتهم . قالوا : ولِمَ لم تذهب معهم ؟ قال : لأن الحق عاتب عليّ ، فلم أذهب . ووصل الخبر إلى الخليفة ، فقال : إنه سيشعل الفتنة ، فاقتلوه ، ثم أخذوه حتى يشنقوه . فصلوا يديه ، فابتسم فقالوا له : لِمَ تبتسم ؟ قال : فصل اليد عن رجل مقيّد أمرٌ سهل . ثم قطعوا قدمه ، فابتسم ، وقال : كنت أسافر بهذه القدم في الدنيا . لكنني أملك قدماً أخرى أطوي بها العالمين . فاقطعوها إن استطعتم . ثم مسح وجهه بيديه المقطوعتين المخضبتين بالدم ، فخضّب ساعديه ووجهه بالدم . قالوا : لماذا فعلت هذا ؟ قال : نزفت دماً كثيراً ، وأعلم أن وجهي قد ذبل ، =

فَالحُبُّ لِلأَمْوَاتِ قَدْ نَشَر .

وَلِلأَحْيَاءِ قَدْ نَصَر .

وَلِلسَّعَادَةِ فِي الكَوْنِ نَثَر (١) .

= وحتى لا تظنوا أن ذبول وجهي بسبب الخوف ، خضّبت وجهي بالدم ، حتى أبدو أحمر الوجه في عيونكم . فلون الرجال من لون دمهم . قالوا إن كنت خضّبت وجهك بالدم، فلماذا خضبت ساعديك؟ قال: لأتوضأ. قالوا أي وضوء، قال: ركعتان في العشق لا يصح وضوؤهما إلا بالدم . وسألوه قبل الصلب : ما التصوّف ؟ قال : أهونه ما ترون !

١- قال سلطان العاشقين :

شربنا على ذكرِ الحبيبِ مدامةً ... سَكِرْنا بها من قبلِ أن يُخلق الكَرمُ
لها البدرُ كأسٌ وهيَ شمسٌ يديرها ... هِلالٌ وكم يبدو إذا مُزِجَتْ نَجمُ
ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانها ... ولولا سناها ما تصوَّرها الوهمُ
ولم يُبْقِ مِنها الدَّهْرُ غيرَ حُشاشَةٍ ... كأنَّ خَفاها في صُدورِ النُّهى كَتْمُ
فإنْ ذُكِرَتْ في الحيِّ أصبحَ أهلُهُ ... نشاوى ولا عارٌ عليهِمْ ولا إثمُ
ومنْ بينِ أحشاءِ الدِّنانِ تصاعدتْ ... ولم يَبْقَ مِنْها في الحَقيقَةِ ، إلا اسمُ
وإنْ خَطَرَتْ يَوماً على خاطِرِ امرِىءٍ ... أقامَتْ بِهِ الأفْراحُ وارتحلَ الهَمُّ
ولو نَظَرَ النُّدمانُ خَتْمَ إنائِها ... لأسكرهمْ منْ دونها ذلكَ الختمُ
ولو نَضَحوا مِنها ثَرى قَبْرِ مَيتٍ ... لعادَتْ إليهِ الرُّوحُ وانْتَعَشَ الجسْمُ

وَكُلُّ مَخْلُوقٍ لَهُ شَكَر .

إِذْ أَزَالَ الضَّرَرَ ، وَلِلشَّقَاءِ قَدْ طَمَر .

فَمَنْ بِحَبِيبِهِ ظَفَرَ فَقَدْ ظَهَر (١) .

وَجَنَى مِنْ زَرْعِهِ الثَّمَر .

وَإِلَّا ضَاعَ مِنْهُ الأَثَر .

وَحَيَاتُهُ مِنَ الصَّبْرِ أَمَرّ .

وَمَنْ تَوَلَّى فَحُبُّهُ فَتَر .

وَجَفَّ دَمْعُهُ أَوْ قَطَر .

١- قال بعضهم :

ظَهَرْتُ بِسِرِّ الحُبِّ فِـي بَدْءِ نَشْأَتِي ... كُلِّي إِلِيك يَـا حَبِيبِي أَسِيرُ بِفِطْرَتِي

حَالِي بِـهِ يَحْلُـو وَإِنْ لَامَ عَـاذِلِي ... فَفِي عَذْلِهِ يَتْلُو جَمَـــــالَ أَحِبَّتِي

وَلَازِلْتُ فِي حَيِّ الهَـوَى مُتَنَقِّلَا ... إِلَى أَنْ بَدَا سِرُّ الــــغَرَامِ بِمُهْجَتِي

عَلَى عَرْشِ قَلْبِي بِالجَمَالِ قَدِ اسْتَوَى ... فَبَايَعْتُـهُ طَـــوْعًا لِحُكْـمِ صَبَابَتِي

وَأَشْعَلَتِ الأَشْـــوَاقَ فِي قَلْبِ صَبِّهَا ... وَمَنَّتْ عَلَى قَلْبِـي الحَزِيـنِ بِنَظْـرَةِ

التنزل الخامس والثلاثون ومائة

العبودية والربوبية

الحُبُّ هُوَ الاسْمُ الأَعْظَمُ ، وَالسِّرُّ الأَفْخَمُ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : اللهُ : هُوَ اسْمُ اللهِ الأَعْظَمِ ، بِالنَّسْبَةِ لِلأَسْمَاءِ . وَالرَّحْمَنُ : هُوَ اسْمُ اللهِ الأَعْظَمِ ، بِالنِّسْبَةِ لِلصِّفَاتِ . وَمُحَمَّدُ : هُوَ اسْمُ اللهِ الأَعْظَمِ ، بِالنِّسْبَةِ لِلأَنْبِيَاءِ . وَالشَّيْخُ : هُوَ اسْمُ اللهِ الأَعْظَمِ ، بِالنِّسْبَةِ لِلْمُرِيدِ . وَالحُبُّ : هُوَ اسْمُ اللهِ الأَعْظَمِ ، بِالنِّسْبَةِ لِلْكَوْنِ . اسْمُ اللهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ اللهُ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَعْطَى . فَبِحَقِّ اللهِ ، وَبِحَقِّ الرَّحْمَنِ . وَبِحَقِّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَبِجَاهِ الشَّيْخِ . وَبِحَقِّ الحُبِّ لَدَيْكَ يَااللهُ . افْتَحْ قُلُوبَ عِبَادِكَ لِلْحُبِّ ، وَحَقِّقْهَا بِأَنْوَارِ القُرْبِ . فَبِحَقِّ مَنْ سَمَتْ نُفُوسُهُمْ عَنْ حُظُوظِهَا . وَتَحَقَّقُوا بِقَدْرِ الرُّوحِ وَأَحْكَامِهَا . فَمِنْهُمْ مَنْ خَاضُوا بِحَارَ الحُبِّ . فَلَمَّا تَوَسَطُوا البَحْرَ ، غَمَرَتْهُم سُيُولُ قَهْرِ البَلَاءِ ، وَضُرُّ الفَنَاءِ . فَأَخَذُوا يَسْبَحُونَ فِي بِحَارِ الهَلَاكِ . فَمِنْهُم مَنْ أَدْرَكَهُ الغَرَقُ ، وَأَهْلَكَهُ الحُكْمُ الَّذِي سَبَقَ . فَكَانُوا عِنْدَ اللهِ شُهَدَاء . وَلَكِنَّهُم لَمْ يَصِلُوا إِلَى عِزِّ ذَاكَ الجَمَالِ الأَقْدَس . وَمِنْهُمْ مَنْ تَلَقَّتْهُ يَدُ العِنَايَةِ . فَحَمَلَتْهُ حَتَّى أَدْرَكَ الغَايَةَ . وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَخَلَّوا عَنْ كُلِّ عِلْمٍ وَعَمَلٍ . وَمَقَامٍ وَحَالٍ ، وَكَشْفٍ وَمَعْرِفَةٍ وَصِفَةٍ . وَعَادَ كَمَا كَانَ فِي الأَزَلِ ، حَيْثُ كَانَ بِاللهِ . بِمَدَدِهِ وَهِدَايَتِهِ وَعِنَايَتِهِ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ !

وَالْمُحِبُّونَ تَنْفُثُ أَرْوَاحُهُم فِي قُلُوبِهِم .

فَتَنْطِقُ قُلُوبُهُم عَلَى أَلْسِنَتِهِم .

فَكُلُّ حَرْفٍ نَطَقُوهُ كَانَ مَمْزُوجاً بِنُورِ أَرْوَاحِهِم .

فَكَانَ مِنْهُم لِلْخَلْقِ عَطَايَا إِلَهِيَّةٌ .

وَمِنَحٌ رَبَّانِيَّةٌ ، وَفُتُوحَاتٌ قُدْسِيَّةٌ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : أَخَذُوا عِلْمَهُم عَنِ الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ . وَالنَّاسُ أَخَذُوا عِلْمَهُم مَيِّتًا عَنْ مَيِّتٍ . تَقْصِدُهُم العُلُومُ ، وَلَا يَقْصِدُونَهَا . وَتَطْلُبُهُم المَعَارِفُ ، وَلَا يَطْلُبُونَهَا . تَأْتِيهُم الحِكْمَةُ ، وَلَا يَأْتُونَهَا . عِلْمُ العُلَمَاءِ ، ظَنِّيٌّ . وَذَوْقُ المُحِبِّينَ ، قَطْعِيٌّ . يُلْهِمُهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالعُلُومِ وَالحِكْمَةِ وَالمَعَارِفِ ، فِي كُلِّ نَفَسٍ مِنْ أَنْفَاسِهِم ، مِمَّا لَوْ وُزِّعَ عَلَى الثَّقَلَيْنِ لَوَسِعَهُم . فَهُمْ دَائِمًا فِي خَلْوَةٍ مَعَ رَبِّهِم بِرَبِّهِم لِرَبِّهِم .

فشتان بين من يقول حدثني فلان رحمه الله عن فلان رحمه الله ، وبين من يقول حدثني قلبي عن ربي ، وإن كان هذا الأخير رفيع القدر ، فشتان بينه وبين من يقول حدثني ربي عن ربي ، أي حدثني ربي عن نفسه ، وهذا هو العلم الذي يحصل من المشاهدة الذاتية ، فمن كان هذا مشربه كيف يعرف مذهبه ؟ فلا تعرفه حتى تعرف الله ، ولن يُعرف الله تعالى من جميع وجوه المعرفة ، كذلك هذا الولي لا يُعرف ، كما قيل :

ظَهَرْتَ لِمَنْ أَبْقَيْتَ بَعْدَ فَنَائِهِ فَكَانَ بِلا كَوْنٍ لِأَنَّكَ كُنْتَهُ

فَهُمْ رَبَّانِيُّونَ وَإِنْ كَانُوا عَبِيداً .

إِذْ لَا وُجُودَ لِعَبْدٍ بِلَا رَبٍّ .

وَلَا ظُهُورَ لِرَبٍّ بِلَا عَبْدٍ (١) .

النُّورُ إِذَا قَابَلَ الظُّلْمَةَ أَكْسَبَهَا نُوراً يَلِيقُ بِهَا .

فَيَزُولُ سَوَادُهَا فِي عَيْنِ النَّاظِرِ .

وَلَكِنَّهَا فِي حَقِيقَتِهَا ظَلَامٌ عَلَى حَالِهَا (٢) .

فَالرَّبُّ مَوْجُودٌ . أَمَّا العَبْدُ ؛ فَاكْتَسَبَ وُجُودَهُ بِاقْتِرَانِهِ بِالمَوْجُودِ (٣) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قَدْ زَيَّنْتُ سِرَّ كَمَالِ رُبُوبِيَّتِي بِعُبُودِيَّتِكَ . فَبَاهَيْتُ بِكَ الْمُقَرَّبِينَ مِنْ مَلَائِكَتِي . فَلَا كَوْنَ إِلَّا وَهُوَ بِكَ قَائِمٌ . وَلَا مُلْكَ إِلَّا وَهُوَ بِكَ دَائِمٌ . وَلَا مَخْلُوقَ إِلَّا فِي جَمَالِكَ هَائِمٌ . أَنْتَ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْكَ . أَنْتَ عَبْدِي حَقًّا . وَأَنْتَ حَبِيبِي صِدْقًا .

٢- فَالكَوْنُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ ، وَإِنَّمَا أَنَارَهُ ظُهُورُ الحَقِّ فِيهِ ، فَمَنْ رَأَى الكَوْنَ ؛ وَلَمْ يَشْهَدْهُ فِيهِ ، أَوْ عِنْدَهُ ، أَوْ قَبْلَهُ ، أَوْ بَعْدَهُ ، فَقَدْ أَعْوَزَهُ وُجُودُ الأَنْوَارِ ، وَحُجِبَتْ عَنْهُ شُمُوسُ المَعَارِفِ بِسُحُبِ الآثَارِ .

٣- قال سماحة الإمام : أَنْتَ عَبْدٌ . وَبِلَا أَنْتَ ؛ رَبٌّ . فَأَنْتَ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ . وَبِلَا أَنْتَ ، البَحْرُ نَفْسُهُ . فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الحَقُّ . لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ . فَلَا ثَمَّ مَوْصُولٌ ، وَمَا ثَمَّ بَائِنٌ .

المَحْبُوبُونَ يَسْأَلُونَ اللهَ تَعَالَى ، لَا عَنِ اسْتِعْجَالٍ ، وَلَا عَنْ إِمْكَانٍ (١) .

وَلَكِنْ عَنِ امْتِثَالِ الأَمْرِ : ﴿ٱدْعُونِىٓ﴾ {غافر : ٦٠} (٢) .

فَيَسْمَعُونَ اللهَ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ لَهُم فِي قُلُوبِهِم .

بِقَوْلِهِ : «**لَبَّيْكَ عَبْدِي**» (٣) .

فَهِيَ عِنْدَهُم أَلَذُّ مِنْ نَعِيمِ الجَنَّةِ .

١- فهم يوقنون بأن : طَلَبُكَ مِنْهُ اتِّهَامٌ لَهُ ، وَطَلَبُكَ لَهُ غَيْبَةٌ مِنكَ عَنْهُ ، وَطَلَبُكَ لِغَيْرِهِ لِقِلَّةِ حَيَائِكَ مِنْهُ ، وَطَلَبُكَ مِنْ غَيْرِهِ لِوُجُودِ بُعْدِكَ عَنْهُ !

٢- قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ : لما فني اختياري مع الله ، مكثت ستة أشهر لا أسأل الله تعالى شيئا لحدوث شيء ، فخوطبت في سري : ادعونا عبودية ، لا ترجيح فيها للعطاء على المنع !
قال سماحة الإمام ﷺ : فعندما يرفع العبد يديه للسؤال من الله تعالى ، فإن الله يفرح بسؤال عبده إياه ، لأن الدعاء وإظهار الفاقة والعبودية والذل لله تعالى مقصد في حد ذاته ، وأدب العبد مع الله في هذه الحالة : أن يفرح بفرح ربه به ، أكثر من فرحته بإجابة الله تعالى مسألته ، وهذه هي معاملة الحب بين العبد والرب . مصداقا لقول النبي ﷺ : «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ ، غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ» .

٣- عَنْ أُمِّ المُؤمِنِينَ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : يَارَبِّ ، يَارَبِّ ، قَالَ اللهُ : لَبَّيْكَ عَبْدِي سَلْ تُعْطَهْ**» رواه البزار وابن شاهين .

وَغَيْرُهُم يَدْعُو لِطَلَبِ حُصُولِ المَطْلُوبِ (١) .

﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ {غافر : ٦٠} .

فَالْعَطَايَا لَابُدَّ لَهَا مِنْ سُؤَالٍ .

إِمَّا بِالمَقَالِ ، وَإِمَّا بِالحَالِ ، وَإِمَّا بِالامْتِثَالِ .

وَإِمَّا بِالاسْتِعْدَادِ لِلاسْتِقْبَالِ (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : فَتَذُوبُ إِرَادَتُهُ في إِرَادَةِ مَوْلَاهُ . وَمَشِيئَتُهُ في مَشِيئَةِ حَبِيبِهِ ، وَاخْتِيارُهُ في اخْتِيَارِهِ . وَالمُحِبُّ يُنَزِّهُ بِسَاطَ المَحَبَّةِ عَنْ طَلَبِ الحَوَائِجِ .

٢- عن الاستعداد قال سماحة الإمام ﷺ : وقال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ {الحجر : ٢١} ، فعنده تعالى خزائن الاستعداد ، ثم ينزل الإمداد ، وعلى قدر الإمداد ينعم الله بالاستعداد ، وليس العكس ، فالفيض الإلهي لا ينزل علي روح حتي ينعم الله على تلك الروح بكامل الاستعداد لتلقي فيوض الامداد . ولكن الأرواح لا تقبل التجليات دفعة واحدة وإنما بالتدريج المعبر عنه بلفظ : (ننزِّل) التي تفيد تـوالي النزول ، وتعدده ، وتدرجه ، واســـتمراره . فأول السيل قطرة ، وأول الفيض دفقـة ، ثم يتوالى ولا ينقطع بعدها ابداً . فإذا حان وقت الفتح ، فإن الله تعالى يرفع الحجب بينه وبين عبده حجاباً حجاباً وهو المقصود بقوله : ﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ .

الزاي

الحُبُّ كَنْز .

وَلَابُدَّ بَيْنَ المُحِبِّينَ مِنْ رَمْز .

وَأَقْوَى أَحْوَالِهُمُ العَجْز (١) .

١- قيل :

أنا ما حيلتي والعجز غاية قوتي ... وأمري جميعا تحت حكم المشيئة
فخلصني من أسر الطبيعة واهدني ... بنورك يا الله وأوصل قطيعتي
أنعم بتطهير الفؤاد من الهوى ... وجد لي بتوفيق ومُنَّ بتوبتي
إن كان جسمي عن جنابك قاطع ... فروحيَ نورٌ من جمالك مُدَّتِ
في القرب روح الروح حقا وفي ... اللقا حياةٌ لنفسٍ في الغرام اطمئنتِ
في البعد لوعة وفي القرب رحمة ... وفي الوصل راحة إذ الحب منيتي
يا سائق الأرواح رفقا بِمُدْنِفٍ ... رأى روحَه دُعِيَتْ فَلَبَّتِي
يا سائرًا في حي حِبِّي وقاصدًا ... حِمَاهُ اسْتَقِمْ واحذر سهام التلفُّتِ
فلا تحسبن الوصل سَهْلًا مَنَالُهُ ... فكم همم في القرب هَمَّت فَصُدَّتِ
ومن غير جدل تراها أخو الهوى ... ومن لم يمت لم يحظ منها بنظرةِ

وَأَحْلَى صِفَاتِهُمُ العوَز (١) .

وَهُمْ فِي الكَوْنِ لُغز (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ في الحديث القدسي : ﴿أَنَا عِنْدَ المُنْكَسِرَةِ قُلُوبهُمْ مِنْ أَجْلِي﴾ ، معناه : أنا كسرت قلوبهم بما أوجبته عليهم ، وأدخلتهم فيه من الاضطرار ، وأنزلتهم من معقل عزتهم بذلك ، فلما انكسروا ؛ كان عندهم في هذا الكسر جابراً ، بما أوجبه على نفسه ، وما أخبر به من أنه ما يبدل القول لديه ، وأن الكلمة منه حقَّت .

وَيَحْسُنُ إظهارُ التَجلُّدِ للعِدى ... ويقبُحُ غَيرُ العَجزِ عندَ الأحِبَّةِ
وَيَمنَعُني شكوَايَ حُسنُ تَصَبُّري ... وَلَو أَشكُ لِلأَعداءِ ما بي لأَشكَتِ
وَعُقبى اصطِباري في هَواكِ حَميدةٌ ... عَلَيكِ وَلَكِن عَنكِ غَيرُ حَميدَةِ
وَما حلَّ بي من مِحنَةٍ فَهوَ مِنحَةٌ ... وقد سَلِمَت من حَلِّ عَقدِ عَزيمَتي
وكُلُّ أذىً في الحُبِّ مِنكِ إذا بَدا ... جَعَلتُ لهُ شُكري مكانَ شَكِيَّتي
نَعَم وَتَباريحُ الصَّبابَةِ إن عَدَت ... عَلَيَّ مِنَ النَّعماءِ في الحبِّ عُدَّتِ
وَمِنكِ شَقائي بَل بَلائيَ مِنَّةٌ ... وفيكِ لِباسُ البؤسِ أسبَغُ نِعمَةِ

٢- قال سلطان العاشقين :

وسِرِّ جَمالٍ ، عنكِ كُلّ مَلاحَةٍ ... بِهِ ظهرتْ في العالمِينَ وتَمَّتِ
وحُسْنٍ بهِ تُسبي النُّهَى دَلّني على ... هوىً حسنتْ فيهِ لعزِّك ذلَّتي
ومعنًى ، وراءَ الحُسنِ ، فيكِ شهدتُهُ ... بهِ دَقّ عن إدراكِ عَينِ بَصيرَتي

وَإِنْ كَانُوا مِنَ البَرِيَّةِ فِي غَمْزٍ ، وَلَـمْز ، وَوَخْزٍ ، وَهُمَز (١) .

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَنْ يَصْرِفَهُمْ أَزّ (٢) .

فَالحُبُّ لَهُمْ هُوَ الخُبْز (٣) .

١- **الغَمْزُ** : الإشارة بالجفن والحاجب . **والغَمْزُ** : العصرُ باليد . **والغَمّازَةُ** : الجارية الحسنة الغَمْزِ للأعضاء . **والغَميزة** : ضَعْفَةٌ في العمل وجَهْلَةٌ في العقل . وتقول : سمعت كلمة فاغتمزتها في عقلِهِ أي : علمت أنه أحْمَقُ . **والمَغامِزُ** : المعَايبُ ، ويعيب بها على غيره .

اللَّمْزُ : كالغمز في الوجه ، تَلْمِزُه بفيك بكلام خفّي ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ {التوبة : ٥٨} ، أي : يُحرِّك شفتيه بالطّلب .

رجلٌ **هُمَزة** : يعيبك من خلفك ، وهو عكس اللُمَز . ورجل **لُمَزة** : يعيبك في وَجْهك لا من خَلْفك ، وهو من اللَّمْز ، قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ {الهمزة : ١} .

الوَخْزُ : طَعْنٌ غير نافذٍ .

٢- **الأَزُّ** : أَنْ تَؤزَّ إِنْسَانًا أي تَحْمِلُهُ عَلَى أَمْرٍ بِحِيلَةٍ وَرِفْقٍ حَتَّى يَفْعَلَهُ ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ {مريم : ٨٣} ، يَقُولُ : تُحَرِّكُهُمْ إِلَى طَلَبِ المَعَاصِي تَحْرِيكًا .

٣- قال سماحة الإمام ﷺ : يَجْلِسُ الوَاحِدُ مِنْهُم الأَيَّامَ وَالشُّهُورَ ، بِلَا زَادٍ ، وَلَا طَعَامٍ ، وَلَا شَرَابٍ . دُونَ الإِحْسَاسَ بِالجُوعِ أَوِ العَطَشِ . فَنَظَرَاتُ حَبِيبِهِم هِيَ قُوتُهم ، وَأَنْوَارُهُ غِذَاؤُهُم . فَنِعْمَ الغِذَاءُ غِذَاؤُهُم ، وَنِعْمَ القُوتُ قُوتُهُم .

السين

الحُبُّ هُوَ الفِرْدَوْس (١) .

أَهْلُهُ فِي هَوَسٍ وَوَجَس (٢) .

وَنَبْسٍ وَهَمْس (٣) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : إِذَا ظَهَرَ الحُبُّ في أَيِّ مَظْهَرٍ ؛ كَانَ الحُكْمُ لَهُ وَكَانَ الشَّرْعُ مِنْهُ أَمْراً وَنَهْياً ، حِسَاباً وَعِقَاباً . جَنَّةً وَنَاراً ، قُرْباً وَبُعْداً ، وَصْلاً وَفَصْلاً . الحُبُّ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الحُبُّ : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ {المائدة : ٥٤} . وَأَعْظَمُ ثَوَابِهِ الفَوْزُ بِالمَحْبُوبِ . فَالجَنَّةُ وَنَعِيمُهَا ، وَالنَّارُ وَعَذَابُهَا ؛ وَالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَالعَرْشُ وَمَا حَوَى ؛ مَا هُوَ إِلَّا نُقْطَةٌ تَحْتَ بَائِهِ . سَارِيَةٌ في حُرُوفِهِ . إِذَا وَصَلَ المَحْبُوبُ ؛ فَحَبِيبُهُ نُقْطَةٌ فَوْقَ نُونِ النَّعِيمِ . وَإِنْ هَجَرَ ؛ صَارَ المُحِبُّ نُقْطَةً تَحْتَ بَاءِ العَذَابِ .

٢- **الهَوَس** : طرف من الجنون . **الوَجسُ** : فزعةُ القلبِ ، يقال : أوجسَ القلبُ فَزَعاً . وتوجستِ الأذن إذا سمعت فزعاً . قال تعالى : ﴿وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ﴾ {هود : ٧٠} .

٣- **النَّبْس** : هو الكلام . **وَمَا نبس ببنت شفة** : أي ما تحركت شفتاه بشيء . **الهَمْس** : أخفى ما يكون من صوت الكلام ، لدرجة أنه قد لا يُفهم ، وفي الحديث : «**كَانَ رَسُولَ الله ﷺ إِذَا صَلَّى العصر ، هَمَسَ بِشَيْءٍ لَا نَفْهَمُهُ**» وقال تعالى : ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ {طه : ١٠٨} .

وَقُدْسٍ وَأُنْس (١) .

وَغَطْسٍ وَغَمْس (٢) .

١- **قُدْس** : قَالَ الله عز وَجل : ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ {البَقَرَة : ٣٠} ، أَي : نُطَهِّرُ أَنْفُسنَا لَك ، وَكَذَلِكَ نفعلُ بمنْ أطاعَكَ ، نقدِّسهُ أَي : نطهِّرُهُ وَمن هَذَا قيل للسَّطْلِ القَدَسُ ، لأَنَّهُ يُتَقَدَّسُ مِنْهُ : أَي : يُتطهرُ ، وَمن هَذَا بَيت الْمُقَدّس أَي : البيتُ المطهر الَّذِي يُتَطَهَّرِ بِهِ مِن الذُّنوبِ . **والقدوس** : الطَّاهِر : وَهُوَ من أَسمَاء الله .

فالحب تطهير للنفس ، لتدخل حضرة القدس ، فلا يدخل القدس إلا القدوس ، أي ليس في الحضرة غير الله ، وتطهير النفس هو تقديسها عن الغيرية ، ومن هنا كان الحديث القدسي : (**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**) في هذا الحديث أخطأ من يقول أن الله تعالى لم يكن هو الحبيب ، ثم كان ، فالتغير مستحيل عليه تعالى ، وإنما الحبيب لم يكن يعلم أنه ينطوي على ذلك الكنز ثم علم بإعلام الله تعالى له :

ظَهَرْتَ لِمَنْ أَبْقَيْتَ بَعْدَ فَنَائِهِ ... فَكَانَ بِلَا كَوْنٍ لِأَنَّكَ كُنْتَهُ

الأنس : المعنى المطلوب منه هو الرؤية المصحوبة بالإحساس : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ {القصص : ٢٩} .

٢- **الغطس** : هو التغطية بالماء أو المائع عموما لمده طويله . **الغمس** : هو أيضا تغطية بالمائع لمدة قصيرة ثم النزع . والمراد هنا الغيبة عن البشرية والغيرية ، وينتهي به الأمر بعد الغمس والغطس إلى الغرق ، وكان بعضهم يقول في دعائه : أغرقني في عين بحر الوحدة شهودا .

وَبَأْسٍ وَفَرَجٍ وَيَأْس (١) .

وَانْطِلَاقٍ وَحَبْس (٢) .

١- البَأْس : الحَرْبُ . ثم كَثُر حتى قيل لا بَأْس عليك ، ولا باسَ عليك : أي لا خَوْفَ عليك .

الفرج : ذهاب الغم . اليأس : ذهاب الرجاء .

يا من به علقت روحي فقد تلفت ... وجدا فصرت رهينا تحت أهوائي

أبكي على شجني من فرقتي وطني ... طوعا ويُسعدني بالنوح أعدائي

أدنو فيبعدني خوفي فيقلقني ... شوقٌ تمكن في مكنون أحشائي

فكيف أصنع في حِبٍّ كلفتُ بهِ ... مولاي قد ملَّ من سقمي أطبائي

قالوا تداوى به منه فقلت لهم ... يا قوم هل يتداوى الداءُ بالداءِ ؟

حُبِّي لمولاي أضناني وأسقمني ... فكيف أشكو إلى مولاي مولآئي

إني لأرمقهُ والقلب يعرفه ... فما يترجم عنه غير إيمائي

يا ويح روحي من روحي فوا أسفي ... عليَّ مني فإني أصل بلوائي

كأنني غَرِيقٌ تبدو أنامله ... نعوشا وهو في بحرٍ من الماءِ

وليس يعلم ما لاقيتُ من أحد ... إلا الذي حلَّ مني في سويدائي

ذاك العليم بما لاقيت من دنف ... وفي مشيئتهِ موتي وإحيائي

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : إنْ وَقَفْتَ مَعَ شَيْءٍ ، حُبِسْتَ فِيهِ . كُلُّهُم غَيرِي . العِلْمُ سِجْنُ اللهِ . مَنْ دَخَلَهُ بِنَفْسِهِ ، حُبِسَ مَعَ المَحْبُوسِينَ . وَمَنْ دَخَلَهُ بِرَبِّهِ ، اسْتَنْقَذَ المَحْبُوسِينَ .

وَغَدٍ وَأَمْس (١) .

وَغُلُوٍّ وَبَخْس (٢) .

وَلَكِنَّهُم لِلْبَرِيَّةِ شَمْس (٣) .

وَلِلأَجْسَامِ رَأْس (٤) .

وَلِلأَرْوَاحِ نَفَسٌ وَقَبَس (٥) .

١- الغد والأمس هما المستقبل والماضي .

قال سماحة الإمام ﵁ : **الأزل** : هو الماضي اللانهائي . **والأبد** : هو المستقبل اللانهائي . والأزل والأبد هما من صفات الله تعالى . ومجموعهما هو : **السرمد** . وهما ناتجان عن اسمه تعالى : الدهر

٢- **الغلو** : الزيادة عن القيمة الحقيقية المعروفة . **البَخْسُ** : الظلم ، تَبْخَسُ أخاك حقه فتنقصه ، كما ينقص الكيال مكياله فينقصه . وقوله عز وجل : ﴿بِثَمَنٍۢ بَخْسٍ﴾ {يوسف : ٢٠} أي : ناقص ، وقوله عز وجل : ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ {الشعراء : ١٨٣} أي : لا تنقصوا قيمتها .

٣- **شمس** : أي تمحوا الظلام .

٤- **رأس** : أي هو المقدم والإمام .

٥- قال سماحة الإمام ﵁ : أَنْفَاسُكَ الَّتِي لَمْ تَتَسِعْ لَهَا أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ . مَا وَسِعَهَا إِلَّا رُوحُكَ فِيَّ . وَذَلِكَ وُسْعَ مَعْرِفَةٍ ، لَا وُسْعَ إِحَاطَةٍ . وَحُبِّي لَكَ لَا تَسَعُهُ أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ . وَإِنَّمَا يَسَعُهُ حِضْنكَ الرَّؤُوفُ ، الرَّحِيمُ ، الوَدُودُ ، الحَنَّانُ ، المَنَّانُ ، الجَمِيلُ . حِيْنَمَا تَهُبُّ عَلَى رُوحِي أَنْفَاسُكَ الهَادِئَةُ .

فَاشْرَبْ مَا أَبْقَوا لَكَ فِي الكَأْس (١) .

١- قيل :

حبيب قلبي يطول فيــــك سُهادي والشوق عانق بالـــجوى والوادي
لم أسلُ يوما عـــــن أحبايا فإنهم شمس الـــمعارف انجلت بفؤادي
فيا حادي الركب عرج نحو حيِّهم فلقياهم تالله فــــــيه كلُّ أعيادي
أرى السعي حقا فـــــي رحابهم شفاء سقم لـــــي فاسعى ونادي
ففي حبهم كان الـــــعناء مطيتي وهجر المضاجع حتى نفدنا عوادي
هم نصب عيني مادام بالحياة نفس بين الضلوع وفي مكنون أكبادي
مزقت أثواب الـحياة حال نشوتي ورددت آهـــــات سرت بفؤادي
والروح قد سبحت في بحر حبهم نورا تجلى فكان مــــحو الصادي
فأدركت ما هم عليه مـــــن الوفا وغدوت مسرورا بنيل مــــرادي
في جمعهم مجلى لكــــــل سريرة فالسُكر فيهم نشوتي وشهادي
لله جودوا علي بنظرة يا ساداتي يُشفى بها الصب المعنى الرادي
في هواكم القلب يخشع والـعين تدمع والروح تنزع وهذا مرادي
فهواكم خفقان قلبي جلوته فنحول جسمي لنزع روحي عين مرادي
أحببت فيكم كـــــلَّ شيء سادتي حتى سلوت الكلَّ مــــن روادي
فذقت شهد الرضا في حان صفوكم والحال رقَّ لـــــــشامخ الأطوادِ
وشموس معرفة سرت في هيكلي فحق يقيني مثـــــــبتا إشهادي =

= فحال الأحبة محجب عــن منكر　　لفيض الإله متوجاً لــــعبادي
أقصد حماهم طالبا رضـــاهم　　فهم الحياة بعينها والــــزادِ
لا حياة بـــعد حياتهم ترجى　　وديارهم أكرم بها مــن وادي
بباب عزهم قـــف متذللا　　مُسدل الطرف راعيــا لودادِ
فهم غياث للــضعيف ونجدة　　وسفينة تنجي فــي يوم الميعادِ
سفن النجا لـكل من جاء طالبا　　يرجو الحمى مستشفعا بالهادي
فبحقهم يا ربي كــن عونا لنا　　وحصنا مــن الآفات والحسادِ
ويا ربي متعنا بهـــم وبآلهم　　فهم الهُداة بل كعبة الــقصادِ

الشين

الحُبُّ مَلِكٌ عَلَى عَرْش (١) .

لَهُ جَيْش . شَدِيدُ البَطْش .

ذُو حَمِيَّةٍ وَجَأْش (٢) .

وَصَوْلَةٍ وَطَيْش (٣) .

١- فهو ملك على عرش القلوب .

قال سماحة الإمام ﷺ : أَهْلُ مَحَبَّتِي ؛ أُرْسِلُ إِلَيْهِمُ العُلُومَ وَالمَعَارِفَ مِنْ قُلُوبِهِم ، بَعْدَ أَنْ أَسْتَوِيَ عَلَى عَرْشِهَا وَحْدِي . حِينَ أَتَعَرَّفُ إِلَيْكَ مِنْ جِهَةِ قَلْبِكَ ، وَلَوْ مَرَّةً فِي عُمْرِكَ ، إِيذَانًا لَكَ بِوِلَايَتِي . وَتَكُونُ أَنْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ كُلِّ شَيءٍ . فَتَلِينِي . لَا كُلُّ شَيءٍ . وَيَلِيكَ كُلُّ شَيءٍ . وَلَا يَلِينِي .

قيل :

وَلَـمَّا تَرَاضَعْنَا بِمَهْدِ وَلَائِهَا ... سَقَتْنَا حُمَيَّا الحُبِّ فِيهِ المَرَاضِعُ

وَمَازِلْتُ مُذْ نِيطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي ... أُبَايِعُ سُلْطَانَ الهَوَى وَأُتَابِعُ

٢- **الحمية** : هي العزة والمنعة . **الجأش** : هو ثبات القلب .

٣- **الصولة** : السلطان والهيمنة والقوة . **الطيش** : هو خفة العقل .

وَمَعَ ذَلِكَ يَكْفِي المُتَحَابِّينِ عُش (١) .

المَحَبَّةُ وَالوُدُّ لَهُمَا فَرْش .

وَالكَوْنُ كُلُّهُ لَهُمَا هَشّ وَبَشّ (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : كَمْ طَارَ مُحِبٌّ وَرَاءَ مَحْبُوبِهِ . وَهُوَ لَا يَدْرِي أَنَّهُ اللهَ الَّذِي يَجْذِبُهُ . بِجَوَاذِبِ عِنَايَتِهِ إِلَى حَيْثُ كَمَالِهِ . مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ الجَمَالِ . إِذَا فُتِحَ لَكُمُ القَفَصُ فَطِيرُوا ، وَلَا تَنْتَظِرُوا . فَكُلُّ مَا فِي الكَوْنِ يَسْعَى لِحَبْسِكَ وَأَسْرِكَ . إِلَّا الحُبَّ ؛ فَهُوَ يَسْعَى دَائِماً لِيُحَرِّرَكَ .

٢- **الهش** : هي السهولة والخفة والارتياح . **البش** : اللطافة وإضاءة الوجه .

التنزل السادس والثلاثون ومائة

الحب فرض عين

الحُبُّ ثُبُوتٌ وَوُجُودٌ ، لَا نَفْيٌّ وَلَا عَدَم .

الحُبُّ فَرْضُ عَيْنٍ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : الحب فرض عين ، واذا ضيعت فرض ما تعلم ، فما تصنع بعلم ما تجهل ؟ لو علم الناس ما في الحب من القرب ، لحزنوا علي دخول الجنة . المحب لا يستوقفه الحديث ، إنما يستوقفه المُحدِّث ، من لم يرني فلا علمه نفع ولا جهله ارتفع .

أَنْتُم فُرُوضي ونَفلي ... أَنْتُم حَديثي وشُغْلي
يا قِبْلَتِي في صلاتي ... إذا وَقَفْتُ أُصلّي
جَمالُكُمْ نُصْبَ عَيني ... إليهِ وجّهْتُ كُلّي
وسِرّكُمْ في ضَميري ... والقلبُ طُورُ التّجَلّي
صارَتْ جِبالِيَ دكاً ... منْ هَيْبَةِ المُتَجَلّي
وصِرْتُ مُوسَى زَمَاني ... مذ صارَ بَعْضِيَ كلّي

فَإِذَا ذَهَبَ العَقْلُ ؛ سَقَطَ عَنِ المُكَلَّفِ كُلُّ تَكْلِيفٍ (١) .

إِلَّا الحُبُّ ؛ لَمْ يَسْقُطْ أَبَداً .

الحُبُّ عَطَاءٌ ذَاتِيٌّ (٢) .

وَغَيْرُهُ مِنَ العَطَايَا ؛ أَسْمَائِيَّةٌ وَصِفَاتِيَّةٌ .

العَطَايَا الذَّاتِيَّةُ ثَمَرَتُهَا مَعْرِفَةٌ بِذَاتِ اللهِ تَعَالَى .

وَالعَطَايَا الأَسْمَائِيَّةُ وَالصِّفَاتِيَّةُ ثَمَرَتُهَا مَعْرِفَةُ التَّجَلِّيَاتِ الأَسْمَائِيَّةِ وَالصِّفَاتِيَّةِ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : الشرع يحكم ما دام العقل حاكمًا ، فإذا ذهب العقل بمسكر أو نوم أو غيره ؛ فلا حكم للشرع إذن . ولكنه إذا ذهب بمسكر حرام ، حاسبه الشرع عن كل ما يفعل ، وإذا ذهب بمسكر يحسبه شيئًا آخر ، فلا حساب عليه . والشرع يحكم عالم الشهادة ، أما العوالم الأخرى كعالم المعنى ، وعالم الإطلاق ، وغيرها فلا حكم للشرع عليه .

٢- الحب هو المقام الذي انفرد به رسول الله ﷺ عن العالمين كما أخبر هو ﷺ عن نفسه في الحديث العظيم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، ﷺ ، قَالَ : جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ ، قَالَ : فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَجَبًا إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا ، اتَّخَذَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَقَالَ آخَرُ : مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا ، وَقَالَ آخَرُ : فَعِيسَى كَلِمَةُ اللهِ وَرُوحُهُ ، وَقَالَ آخَرُ : آدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ . =

= فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ وَقَالَ : «قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللهِ وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَمُوسَى نَجِيُّ اللهِ وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَعِيسَى رُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ ، وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللهُ وَهُوَ كَذَلِكَ ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللهِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ المُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ» رواه الترمذي والدارمي والكلاباذي والضياء المقدسي في المختارة .

ولما كان رسول الله ﷺ منفردا بالحب ، فقد انفرد بالتجلي الذاتي ، كما بين ذلك سماحة الإمام ؓ في معرض كلامه عن الحديث الشريف : «**المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ**» فقال :

قد يكون المراد بالمؤمن الأول : الحق تعالى ، لأن المؤمن من أسمائه تعالى والمراد بالمؤمن الثاني : العبد . فالحق تبارك وتعالى ، مرآة عبده . أو أن يكون المراد بالمؤمن الأول : العبد ، وبالمؤمن الثاني : الحق . فيكون العبد مرآة الحق تعالى . **إذ في الحقيقة إنه تعالى : مرآتك ، وأنت مرآته** .

فمن حيث كونك مرآته ، يرى هو صورته فيك ، فتكون أنت عنده عين ذاته ، وصفاتك وأسماؤك ، عين أسمائه وصفاته . وجميع ما صدر منك ، عين ما صدر منه . وبهذا الاعتبار قال سبحانه وتعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ {النساء : ٨٠} . وقال : ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ {الأنفال : ١٧} . ومن ثم قال ﷺ : «**خلق الله آدم على صورته**» .

ومن حيث كون الحق مرآة لك ، ترى أنت ذاتك متجلية بأسمائه وصفاته . بل تتحقق أن ذاتك هي عين المعبر عنه بذاته . فأنت هو ، وهو أنت . =

فَيَأْتِي التَّفَاوُتُ عَلَى مِقْدَارِ اسْتِعْدَادِ الْمُتَلَقِّي .

= ولاتزال تتحقق صورتك في مرآة كماله ، حتى تتجلى ذاتك بجميع مالها من تلك المحاسن الظاهرة ، في تلك المرآة المشهودة على التمام والكمال .

ولما كان التجلي على قدر صفاء المرآة وصقلها ، وعلى قدر قابلية المتلقي ، ولما كانت أصفى مرآة هي مرآة رسول الله ﷺ ، وأكبر قابلية هي قابليته ﷺ ، لذا اختص ﷺ بالتجلي الذاتي ، وما سواه ليس له إلا التجلي الأسمائي والصفاتي . فرسول الله ﷺ هو المرآة التي ظهرت فيها الذات المقدسة ، في أكمل تجلٍ يتجلاه تعالى على مخلوق . فارجع بقطرتك إلى بحره ﷺ ، فتفنى في رسول الله ﷺ ، فتستقبل بقابلية بحره ﷺ ، وليس بقابلية قطرتك ، فيتحقق له هذا المقام ، وتحظى بتجلي الله الذاتي .

من نظر في المرآة لا يرى جرم المرآة ، ولكن يرى صورة الواقف أمامها ، ويجهد نفسه أن يرى جرم المرآة ، فلا يستطيع . فمن نظر إلى رسول الله ﷺ – الذي هو المرآة – فإنه لا يرى رسول الله ﷺ ، ولكن يرى التجلي الإلهي فيه ، ومن رأى رسول الله ﷺ ، ولم يرى الله تعالى فيه ، فإن مرآة قلبه تحتاج أن تصقل . فرسول الله ﷺ ليس واسطة بين الله وبين خلقه ، ولكنه ﷺ مرآة صافية ، يرى الخلق فيها ربهم ، ولا يرون سواه فيها ، حتى أنهم لا يرون رسول الله ﷺ ، لأن أحدا لا يرى جرم المرآة عند ظهور الصورة فيها .

أما تجلي الأسماء والصفات ؛ فيتجلى الله تعالى بها على جميع خلقه ، وله تعالى الظهور في أي صورة شاء منها ، فالأسماء والصفات لها التعدد . وهذا فارق كبير بين أن تقول أن الله تعالى تجلى على ذات أحد ، وبين أن تقول أن الله تعالى حَلَّ بذاته في ذات أحد من خلقه .

إِذَا تَلَقَّى بِرُوحِهِ وَقَلْبِهِ ؛ فَهُوَ حُبٌّ وَقُرْبٌ .

وَإِنْ تَلَقَّى بِعَقْلِهِ ؛ فَهُوَ جَهْلٌ وَتَضَادٌّ وَكَرْبٌ (١) .

١- عن الفرق بين التلقي بالروح والقلب عن التلقي بالعقل قال سماحة الإمام ﷺ :

مَنْ عَبَدَ اللهَ بِعَقْلِهِ ، دُونَ رُوحِهِ ؛ فَقَدْ قَيَّدَهُ فِي صُورَةٍ دُونَ غَيْرِهَا . لِأَنَّ العَقْلَ لَا يَعْبُدُ إِلَّا مَا وَقَعَ تَحْتَ حُكْمِهِ مِنَ الصُّوَرِ . فَقَيَّدَ إِلهًا ، وَحَكَمَ عَلَيْهِ بِحُكْمِهِ أَنَّهُ إِلَهٌ . وَمَا عَلِمَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى تَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ الصُّوَرِ . كَمَا أَنَّهُ ظَهَرَ بِكُلِّ صُورَةٍ . فَأَطْلِقْ بِرُوحِكَ مَا قَيَّدَهُ عَقْلُكَ . فَكُلُّ مَا تَصَوَّرَهُ العَقْلُ لَيْسَ هُوَ اللهُ المَعْبُودُ . مَعَ أَنَّهُ مُمِدٌّ كُلَّ صُورَةٍ بِمَا تَقْتَضِيهِ قَيُّومِيَّتُهُ بِهَا .

شيخ الترقية لا تدخل عليه بعقلك ، إنك إن دخلت عليه بعقلك ؛ خِبت وخسرت . ولكن بروحك وقلبك . فلا تدخل على الله تعالى ، ولا على رسول الله ﷺ ، ولا على الوالدين ، ولا على شيخ الترقية بعقلك أبدًا ، ولكن تدخل عليهم بروحك وحبك . فلا تزن رسول الله ﷺ بعقلك ، ولا شيخ الترقية كذلك وراثة نبوية ، انظر كيف دخل موسى ﵇ على الخَضِر بعقله ، فاعترض عليه ، وانقطعت بينهما الصحبة .

إن صحبت شيخ ترقية ، ثم رأيت منه ما لا يوافق الشرع عندك ، فاصبر حتى يبين هو لك ذلك ؛ فإن لم تصبر ، وسألته أن يبين وجه ذلك من الشرع ، فقد استعجلت ، ومن استعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه ، فلن يبين لك شيئًا ، ويتركك وسوء ظنك . أو يبينه لك ، ويشترط عليك إنهاء صُحبته ، كما في قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ {الكهف : ٧٨} . =

فَأَنْتَ أَيُّهَا الْمُحِبُّ ؛ لَا تَرَى إِلَّا صُورَةَ اسْتِعْدَادِكَ فِي مِرْآةِ رَبِّكَ (١) .

وَلَا تَرَى ذَاتَ الْمِرْآةِ .

لِاحْتِجَابِهَا عَنْكَ بِالصُّوَرِ الَّتِي ظَهَرَتْ لَكَ فِيهَا .

فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرَى ذَاتَ الْحَقِّ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ أَبَداً .

وَإِذَا مَحَوْتَ صُورَتَكَ مِنْ ذَاتِ اللهِ ؛ رَجَعْتَ إِلَى الْعَدَمِ .

لِأَنَّكَ لَا تَرَى جِرْمَ الْمِرْآةِ أَبَداً إِلَّا إِذَا مَحَوْتَ صُورَتَكَ مِنْهَا .

= **شيخ الترقية** ؛ إن دخلت عليه بروحك ، فلن تفارقه أبدًا ، حتى لو انتقل إلى الدار الآخرة ، لأن مدد الأرواح باقٍ ، ونورها دائم . أما إن دخلت عليه بعقلك ، فسرعان ما تفارقه ، ويترتب على ذلك أن تسلبك مرتبته جميع الترقيات التي استفدتها منه في الحال ، وتعود إلى أسوأ حال ، ويَسْوَدّ وجهك ، ويمرض قلبك ، وتعود من أشد المنكرين عليه ، المغتابين له ، أعاذنا الله من ذلك .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : **العطايا الذاتية** : لا تكون إلا عن تجلٍّ إلهي ، والتجلي من الذات ، لا يكون إلا بصورة استعداد المتجلي . فالمتجلَّى له : ما رأى سوى صورته في مرآة الحق ، وما رأى الحق ، ولا يمكن أن يراه ، واجهد في نفسك عندما ترى الصورة في المرآة أن ترى جرم المرآة . لا تراه أبدا ، **فلون الماء لون إنائه** ، فهو تعالى مرآتك ، في رؤيتك نفسك ، وأنت مرآته في رؤيته أسمائه ، وظهور أحكامها : ﴿ **الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ** ﴾ .

أَنْتَ مِرْآةُ الحَقِّ فِي رُؤيَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ، لَا ذَاتِهِ (١) .

وَهُوَ مِرْآتُكَ فِي رُؤيَةِ ذَاتِكَ ، لَا فِي رُؤيَةِ صِفَاتِكَ (٢) .

١- فلولا وجود الخلق ؛

ما كانت ألوهية ولا إله ولا مألوه .

ولا ربوبية ولا رب ولا مربوب .

ولا صبر ولا صبور ، ولا رزق ولا رزاق ولا مرزوق .

ولا رحمة ولا راحم ولا مرحوم .

ولا ذنب ولا غفران ، ولا معصية ولاطاعة ولا توبة .

فهذه كلها نسب ما ظهرت إلا بوجود الخلق .

وإن شئت قلت إلا بتنزله تعالى في رتبة سماها خلقا .

فما نزل إلينا إلا ليأخذنا منا إليه .

وما المنازلة إلا مفاعلة بين نزوله إلينا وعروجنا إليه .

فهو في كل ذلك متعرف إلينا ، مقبل بوجود إحسانه علينا .

٢- قال الجيلي :

أأحطت خبراً مجملاً ومفصلاً ... بجميع ذاتك يا جميع صفاته ؟
أم جَلَّ وجهك أن يُحاطَ بكنهِهِ ... فـاحتطه أن لا يحاط بذاته ؟
حاشاك من غايٍ وحاشا أن تكن ... بك جاهلاً ، ويلاه من حيراته

الرَّاسِخُونَ في العِلْمِ عِلْمُهُمُ الَّذِي رَسَخُوا فِيهِ هُوَ عَجْزُهُم عَنِ المَعْرِفَةِ .

وَهَذَا هُوَ عَيْنُ اعْتِرَافِهِم بِالجَهْلِ :

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ {البقرة : ٢١٦ ، ٢٣٢ ، آل عمران : ٦٦ ، النور : ١٩} .

فَمَنِ اعْتَرَفَ بِجَهْلِهِ ؛ دَخَلَ حَضْرَةَ عِلْمِ اللهِ .

فَعَلَّمَهُ اللهُ عِلْماً لَيْسَ ضِدَّهُ الجَهْلُ .

وَهُوَ العِلْمُ اللدُنِّيُّ : ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ {الكهف : ٦٥} .

وَمَنِ اعْتَرَفَ بِفَقْرِهِ ؛ دَخَلَ حَضْرَةَ الغَنِيِّ .

وَمَنِ اعْتَرَفَ بِذُلِّهِ ؛ دَخَلَ حَضْرَةَ العَزِيزِ .

وَمَنْ تَحَقَّقَ بِضَعْفِهِ ؛ دَخَلَ حَضْرَةَ القَوِيِّ .

وَمَنْ رَسَخَ فِي حُبِّهِ ؛ دَخَلَ حَضْرَةَ المَحْبُوبِ .

الصَّاد

الحُبُّ لِص .

يَسْرِقُ القُلُوبَ وَيَقْنِص (١) .

لَكِنَّهُ يُخْرِجُهَا مِنْ قَفَص (٢) .

بِهِ يَخُصُّ اللهُ تَعَالَى مَنْ يَخُصّ (٣) .

١- **القنص** : هو الصيد .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ : المحبة آخذة من الله لقلب عبده عن كل شيء سواه ، فترى النفس مائلة لطاعته ، والعقل متحصنا بمعرفته ، والروح مأخوذة في حضرته ، والسر مغموراً في مشاهدته ، والعبد يستزيد فيزاد ، ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته ، فيكسى حلل التقريب على بساط القربة ، ويمس أبكار الحقائق وثيبات العلوم ، فمن أجل ذلك قالوا : أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون .

٢- **القفص** : المراد به هنا هو التقييد .

٣- عن أن الحب بالاختصاص لا بالتدبير والسبب ، قال سماحة الإمام ﷺ :

إِذَا أَرَادَكَ ؛ قَرَّبَكَ بِلَا تَعَبٍ . وَأَحَبَّكَ بِلَا سَبَبٍ . وَأَخْرَجَكَ مِنْ نَفْسِكَ بِلَا نَصَبٍ . =

فَعَلَيْهِ فَاحْرِص .

وَلَهُ فَأَخْلِص .

فَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ يَرْخُص .

= فَفِي الحُبِّ ؛ لَا جَدْوَى مِنَ التَّدْبِيرِ .

قد كنت أحسب أن وصلك يُشترى بنفائس الأموال والأرباحِ
وظننت جهلا أن حبك هين تفنى عليه كرائم الأرواحِ
حتى رأيتك تجتبي وتخص من تختاره بلطائف الأمناحِ
فعلمت أنك لا تُنال بحيلة فلويت رأسي تحت طي جناحِي
وجعلت في عش الغرام إقامتي فيه غُدُوِّي دائما ورَوَاحِي

قال سماحة الإمام ﷺ :

الحُبُّ عَنْ سَبَبٍ لَا يَسْتَقِرُّ .

إِذْ أَنَّهُ يَذْهَبُ بِذَهَابِ السَّبَبِ .

الحُبُّ عَنْ غَيْرِ سَبَبٍ ؛ دَائِمٌ ، مُسْتَقِرٌّ ، سَاكِنٌ .

الحُبُّ عَنْ سَبَبٍ يَكُونُ كَسْبِيًّا .

الحُبُّ عَنْ غَيْرِ سَبَبٍ هُوَ حُبٌّ وَهْبِيٌّ .

بَلْ لَوْ حَاوَلَ صَاحِبُهُ أَنْ يَغْفَلَ عَنْ حَبِيبِهِ لَـمَا اسْتَطَاعَ .

لِأَنَّ الحُبَّ تَغَلْغَلَ فِي كُلِّ خَلَايَاهُ .

فَالحُبُّ فُرَص .

مَا أَدْمَنَهُ قَلْبٌ إِلَّا وَرَقَص (١) .

وَإِلَى العَلْيَاءِ شَخَص .

١- قال الشيخ أبو مدين ﷺ :

فقل للذى ينهى عن الوجد أهله اذا لم تذق معنى شراب الهوى دعنا
إذا اهتزت الارواح شوقـــا الى اللقا ترقص الاشباح يا جاهل المعنى
أما تنظر الطير المقفص يافــــتى ! إذ ذكر الأوطان حن إلى المغنى !؟
ويرقص بالأقفاص شوقا إلى اللقا فيطرب أرباب العقول إذا غنى
كذلك أرواح المحـــــبين فى الهوى تطير بها الأشواق للعالم الأسنى
أتلزمها بالصـــــــبر وهى مشوقة وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى؟
فيـــا حادى العشاق قم واحد قائما ودندن لنا باسم الحبيب وروحنا
وصن سرنا فى سكرنا عن حـــــسودنا وان أنكــــــــرت عيناك شيئا فسامحنا
فإنَّـــا إذا طبنا وطابت قلـــــــوبنا وخامرنا خـــــــمر الغرام تهتكنا
ولا تلم السكران فى حــــــال سكره فقد رفع التكليف فى سكـــرنا عنا
وسلم لنا فيها ادعينــــــــــاه إننا إذا غلبت أشواقنا ربها بحــــــنا
شربنـــــا طربنـــــا ثم همنا صبابة فبالله ياخالى الحشا لا تعنفنا

وَعَنِّي فَأَسْهِب ، وَلَخِّصْ وَقُصّ (١) .

١- قال سلطان العاشقين :

زِدْني بفَرْطِ الحُبّ فيك تَحَيُّرا وارْحَمْ حشى بلَظَى هواكَ تسعّرا
وإذا سألْتكَ أن أراكَ حقيقةً فاسمَحْ ولا تجعلْ جوابي لن تَرى
يا قلبُ أنتَ وعدَتني في حُبّهِمْ صَبراً فحاذرْ أن تَضِيقَ وتَضجرا
إنَّ الغرامَ هوَ الحياةُ فمُتْ بِهِ صَبًّا فحقّك أن تَموتَ وتُعذرا
قُل لِلّذِينَ تقدَّموا قَبلي ومَن بَعدي ومَن أضحى لأشجاني يَرَى
عني خذوا وبي اقْتدوا وليَ اسمعوا وتحدّثوا بصَبابتي بَينَ الوَرى
ولقد خَلَوْتُ مع الحَبيب وبَيْنَنا سِرٌّ أرَقّ منَ النسيمِ إذا سرى
وأباحَ طَرْفِي نَظْرَةً أمّلْتُها فَغَدَوْتُ معروفاً وكُنْتُ مُنكَّرا
وغدا لسانُ الحال عنّي مُخْبِرا فَدُهِشْتُ بينَ جمالِهِ وجَلالِهِ
فأَدِرْ لِحَاظَكَ في محاسنِ وجْهه تَلْقَى جميعَ الحُسْنِ فيه مُصَوَّرا
لو أنّ كُلّ الحُسْنِ يكمُلُ صُورةً ورآه كان مُهَلِّلاً ومُكَبِّرا

التنزل السابع والثلاثون ومائة

الكل منك و إليك و فيك

الحُبُّ لَهُ ظَوَاهِرٌ ، وَلَهُ ضَمَائِرٌ .

فَإِذَا اتَّفَقَتْ ظَوَاهِرُهُ وَضَمَائِرُهُ ؛ فَقَدْ أَثْمَرَتْ بَشَائِرُهُ (١) .

١- قال الجيلي :

خبتني فكانت فيَّ عني نيابة … أجل عوضاً بل عين ما أنا واقع
فكنت أنا هي ، وهي كانت أنا … وما لها في وجود مفرد من ينازع
بقيت بها فيها ولا تاء بيننا … وحالي بها ماض كذا ومضارع
وشاهدتني حقاً بعين حقيقتي … فلي في جبين الحسن تلك الطلائع
فأوصافها وصفي وذاتي ذاتها … وأخلاقها لي في الجمال مطالع
واسمي حقًّا اسمها ، واسم ذاتها … لي اسم ، ولي تلك النعوت توابع
فما ثم من شيء سوى الله في الورى … وما ثم مسموع وما ثم سامع

وَالظَّوَاهِرُ هِيَ عَيْنُ الضَّمَائِرِ .

وَالضَّمَائِرُ هِيَ عَيْنُ الظَّوَاهِرِ وَالمَظَاهِرِ (١) .

وَالأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ لَيْسَتْ عَيْنَ الذَّاتِ ، وَلَا غَيْرَ الذَّاتِ .

فَأَوَّلِيَّتُهُ هِيَ عَيْنُ آخِرِيَتِهِ .

وَخَفْضُهُ هُوَ عَيْنُ رَفْعِهِ .

وَإِضْلَالُهُ هُوَ عَيْنُ هِدَايَتِهِ (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : أَنَا الظَّاهِرُ بِكَ ، وَفِيكَ ، وَلَكَ ، أَنْتَ سَمْعِي ، وَبَصَرِي ، وَلِسَانِي ، وَقَدَمِي ، وَيَدِي . جَمَالِي يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ جَمَالٍ . خَلَقْتُكَ لِلْخُلُودِ ، فَلَا مَوْتَ يَأْتِي عَلَيكَ . إِنَّمَا مَوْتُكَ فِي الحِجَابِ ، وَقَدْ زَالَ الحِجَابِ . أَنَا الظَّاهِرُ فِي كُلِّ ظَاهِرٍ ، أَنَا الظَّاهِرُ فِي المَظَاهِرِ . وَنَظَرْتُ فَإِذَا الكَوْنُ كُلُّهُ عَامِرٌ بِوُجُودِ اللهِ فِيهِ . بَعْدَمَا كُنْتُ أَظُنُّهُ خَالِيًا مِنْ وُجُودِ اللهِ . وَرَأَيْتُ اللهَ يَتَرَاءَى لِي فِي قِبْلَتِي إِذَا قُمْتُ أُصَلِّي . حَتَّى صِرْتُ الذَّاكِرَ ، وَالذِّكْرَ ، وَالمَذْكُورَ .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : لابد أن ترى الله من وراء الضدين رؤية واحدة . إذا رأيت الله من وراء الضدين رؤية واحدة ، فقد وصلت إلى الذات . والعلوم نوعين : علوم ذات ، وعلوم أسماء وصفات . فإذا علمت أن علوم الذات : هي العلوم التي تعرفك بالذات الإلهية . فإذا عرفت أن الذات الإلهية لا تُعرف ، فقد عرفت الذات . الذات الإلهية هي لك مرآة . =

وَالحُبُّ هُوَ أَخْفَى الخَفَايَا ، وَأَعْقَدُ المَاهِيَّاتِ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ أَصْفَى الطَّوِيَاتِ ، وَأَظْهَرُ الخَفِيَّاتِ (١) .

= مصداقا لقول رسول الله ﷺ : «**المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ**» . فالمؤمن هو الإنسان المؤمن . والمؤمن هو الحق لأنه من أسمائه تعالى . فإذا وقفت أمام المرآة ، رأيت صورتك في المرآة . وفي المكان الذي ترى فيه صورتك في المرآة ؛ لا ترى جرم المرآة . وكي ترى جِرم المرآة ؛ لابد من أن تنعدم صورتك . فالذات الإلهية بالنسبة لك ؛ مرآة ، ترى فيها وجودك . ولا تستطيع أن ترى الذات الإلهية ، طالما كنت موجودا . فأقصى أمانيك هي أن ترى وجودك أنت . ولا مطمع لك في أكثر من ذلك . لأنك لو أردت أن ترى الذات الإلهية ، التي هي جِرم مرآة وجودك ، ستنعدم أنت . فأقصى ما يمكن أن تعلمه : هو أن تعلم أن الذات الإلهية ، هي مرآتك ، في رؤية ذاتك . وأنت مرآتها في رؤية أسمائها وصفاتها .

١- قال سلطان العاشقين :

شربنا على ذكرِ الحبيبِ مدامةً ... سَكِرْنا بها، من قبلِ أن يُخلق الكَرمُ
يقولونَ لِي صفها فأنتَ بوصفها ... خَبيرٌ، أجَلْ! عِندي بأوصافِها عِلْمُ
صفاءٌ، ولا ماءٌ، ولُطْفٌ، ولاهَواً ... ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ
وقالوا شربتَ الإثمَ كلاَّ وإنَّما ... شَرِبتُ التي، في تَرْكِها، عندي الإثمُ
هنيئاً لأهلِ الديرِ كمْ سكروا بها ... وما شربوا منها ولكنَّهمْ همُّوا
وفي سكرةٍ منها ولو عمرَ ساعةٍ ... تَرى الدَّهْرَ عَبداً طائِعاً، ولَكَ الحُكْمُ
فلا عيشَ في الدُّنيا لمنْ عاشَ صاحياً ... ومنْ لمْ يمتْ سكراً بها فاتَهُ الحزمُ
على نفسهِ فليبكِ منْ ضاعَ عمرهُ ... وليسَ لهُ فيها نصيبٌ ولا سهمُ

فَالمُحِبُّ مِنْ شَجَرَةِ نَفْسِهِ ، جَنَى ثَمَرَةَ عِلْمِهِ .

وَاقْتَطَفَ بِيَدِ حِسِّهِ وَحَدْسِهِ ثَمَرَةَ غَرْسِهِ .

فَإِنْ تَنَوَّعَتْ عَلَيْهِ العُلُومُ ، وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ الفُهُومُ ،

فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِعْدَادُهُ ظَهَرَ لَهُ فِي نُورِ مَعْرِفَتِهِ .

فَالْكُلُّ مِنْكَ وَإِلَيْكَ وَفِيكَ (١) .

فَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِكَ (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قَدْ زَالَتْ بَيْنَنَا الضَمَائِرُ .
حَيْثُ لَا أَنَا ، وَلَا أَنْتَ ، وَلَا هُوَ .
بَصَرُكَ بَصَرِي ، وَسَمْعُكَ سَمْعِي . وَيَدُكَ يَدِي ، وَقَدَمُكَ قَدَمِي .

٢- قال النفري : قال لي : الحجاب عليك منك .
قال سماحة الإمام ﷺ : أَنَــا لَسْتُ أَنَــا .
وَمَنْ أَنَــا حَتَّى أَكُونَ أَنَــا ؟
أَنْتَ الظَّاهِرُ فِيَّ أَنَــا .
نَظَرْتُ فِي المِرْآةِ ؛ فَلَمْ أَرَنِي ، بَلْ رَأَيْتُكَ .
انْظُرُوا فِي المِرْآةِ ؛ فَمَنْ لَمْ يَرَ اللهَ فِي نَفْسِهِ ، لَمْ يَرَهُ فِي غَيْرِهِ .

وَمَنْ عَرَفَ اسْتِعْدَادَهُ ، عَرَفَ قَبُولَهُ لِحَقَائِقِ دَقَائِقِ الحُبِّ (١) .

الحُبُّ حَضْرَةٌ فَاصِلَةٌ .

وَبَرْزَخٌ عَظِيمٌ ، بَيْنَ الامْتِنَاعِ وَالوُجُوبِ وَالإِمْكَانِ وَالغُيُوبِ .

وَهُوَ مِنْ نَفَائِسِ عِلْمِ الإِنْسَانِ (٢) .

١- قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ : الوقت على الحقيقة هو ما أنت به ، وما أنت به هو عين استعدادك ، فلا يظهر فيك من شئون الحق التي هو عليها ، إلا ما يطلبه استعدادك .

قال سماحة الإمام ﷺ : اللهُ تَعَالَى يُنْزِلُ العَبْدَ ، مِنْ حَيْثُ أَنْزَلَهُ العَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ . إِنْ أَجْلَلْتَ أَمْرَهُ ، أَجَلَّكَ . وَإِنْ أَحْبَبْتَهُ ، أَحَبَّكَ . وَإِنْ رَضِيتَهُ ، فَقَدْ رَضِيَكَ . وَإِنْ رَأَيْتَهُ قَرِيبًا مِنْكَ ، فَأَنْتَ قَرِيبٌ . وَبِقَدْرِ الصَّفَاءِ ، يَكُونُ الوَفَاءُ . وَمَنِ اكْتَمَلَ اسْتِعْدَادُهُ ، نَالَ مُرَادَهُ .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : العَالَمُ كُلُّهُ شَهَادَةٌ ، وَالمُحِبُّونَ فِيهِ غَيْبٌ . فَلَا يَعْرِفُهُم سِوَى مَحْبُوبُهُم . الحُبُّ خَلِيفَةٌ ، مُسْتَخْلَفٌ . يُوَلِّي مَنْ يَشَاءُ ، وَيَعْزِلُ مَنْ يَشَاءُ ، وَالقُلُوبُ خُدَّامُهُ وَعَسْكَرُهُ وَجُنُودُهُ وَأَعْوَانُهُ وَوُزَرَاؤُهُ . تَسْتَمِدُّ مِنْهُ القُلُوبُ قُوَّتَهَا عَلَى حَسَبِ اسْتِعْدَادِهَا .

الضاد

الحُبُّ رَوْضٌ فَسِيحٌ ، لَهُ طُولٌ وَعَرْض (١) .

وَهُوَ فَرْض (٢) .

١- إنما كان الحب كذلك لأنه وهب من الله تعالى .

قال سماحة الإمام : وَحُبِّي لَكَ لَا تَسَعُهُ أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ . وَإِنَّمَا يَسَعُهُ حضْنكَ الرَّؤُوفُ ، الرَّحِيمُ ، الوَدُودُ ، الحَنَّانُ ، المَنَّانُ ، الجَمِيلُ . حِيْنَمَا تَهُبُّ عَلَى رُوحِي أَنْفَاسُكَ الهَادِئَةُ . وَتَبْدَأُ أَوْتَارُ قَلْبِي تَعْزِفُ أَلْحَانَ الحُبِّ . فَتَهْتَزُّ ذَرَّاتُ عَوَالِمي طَرَبًا وَوَجْدًا . ثُمَّ تَسْكُنُ بِالوُجُودِ فِي أَحْضَانِ القُرْبِ .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : الحب فرض عين ، واذا ضيعت فرض ما تعلم ، فما تصنع بعلم ما تجهل ؟ لو علم الناس ما في الحب من القرب ، لحزنوا علي دخول الجنة . المحب لا يستوقفه الحديث ، إنما يستوقفه المُحدِّث ، من لم يرني فلا علمه نفع ولا جهله ارتفع .

أَنْتُم فُرُوضي ونَفلي	أَنْتُم حَديثي وشُغْلي
يا قِبْلَتِي في صلاتي	إذا وَقَفْتُ أُصلّي
جَمالُكُمْ نُصْبَ عَيني	إليهِ وجّهْتُ كُلّي
وسِرّكُمْ في ضَميري	والقلبُ طُورُ التّجَلّي
وصِرْتُ مُوسَى زَمَاني	مذ صارَ بَعْضِيَ كلّي

وَاللهُ قَدْ حَرَّمَ البُغْض (١) .

وَالُمحِبُّونَ بِسِيَماهُم ، يَعْرِفُ بَعْضُهُمُ البَعْض (٢) .

أَبْصَارُهُم غَضٌّ وَغَمْض (٣) .

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ ، وَلاَ تَحَسَّسُوا ، وَلاَ تَجَسَّسُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»

٢- **السيما** : هي العلامة ، التي قال عنها سماحة الإمام ﷺ : المَلاَئِكَةُ طَعَنَتْ فِي آدَمَ قَبْلَ وُجُودِهِ . وَلَكِنَّهُم عِنْدَمَا رَأَوا عَلاَمَةَ الحُبِّ فِيهِ مَطْبُوعَةً ؛ سَجَدُوا لِلْعَلاَمَةِ . وَأَذْعَنُوا لِلتَّكْرِيمِ وَالكَرَامَةِ . وَكُلُّ مَأْمُورٌ لِلسُّجُودِ ؛ لِمَنْ هُوَ أَكْمَلَ مِنْهُ دَرَجَةً فِي الحُبِّ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ . فَلاَ تَدَّعِي لِنَفْسِكَ كَرَامَةً . وَلَوْ كُنْتَ فِي التَّقْوَى كَالمَلاَئِكَةِ . فَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَكْمَلُ مِنْكَ ، وَأَقْرَبُ ، وَأَحَبُّ .

٣- **الإغضاء** لغة : هو إدناء الجفون . **والغمض** : هو عدم الرؤية .

والمراد هنا أن الحب يمنع العين عن رؤية السوى . قيل :

سقانـــي مدامـــي بكأس الأزل　　فزاد احتشامي وشأني اكتمل

حبيبي مؤانـــس بقلبـــي نـــزل　　أزال الغير بمحـــو الأثـــر

على عرش قلبي حبيبي استوى　　فدامت حياتي وزال الســوى

فحققت ذاتـــي بأنـــي هـــو　　فصحَّ الخبر لأهل النظـــر

وَكَلَامُهُم خَفْض (١) .

إِذَا بَدَا يَوْماً حَبِيبُهُم ؛ فَسَعْيُّهُم رَكْض (٢) .

وَأَرْوَاحُهُم نَهْض (٣) .

١- يخفضون كلامهم ويغضون أصواتهم لأنهم دائما في حضرة رسول الله ﷺ لا يحجبون عنه أبدا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ {الحجرات : ٣} .

٢- **الركض** : هو المشي بالرجلين معا كناية عن الإسراع .

٣- **النهض** : هو البراح من الموضع كناية عن السفر .

قال سماحة الإمام ﷺ : السفر الأصلي ، واحدٌ كُلِّيٌّ ، لا يستطيل ، بل دوري . وهو السفر الحق ، من الحق ، إلى الحق . وأعداد منازل هذا الطريق عشرة ، مخصوصة بسائر الفرق ، وهي : التَعَيُّن في علم الله ، بعد أن كان قطرة في بحر الذات . والظهور في اللوح المحفوظ . وأصلاب ظهور الآباء . ومنزل الخطاب ، والجواب ، يوم ألست بربكم . وبطون الأمهات . والعالم الدنيوي . والبرزخ ، وفيه فراق عالم الأجسام . والمحشر أو يوم القيامة . والجنة أو النار . والكثيب لأهل الجنة . والأعراف لأهل النار ، بعد أن يضع فيها الجبار قدمه . ورجوع القطرة إلى بحر الذات . قال تعالى : ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ {الأعراف : ٢٩} . أي كما بدأكم منه ، وكنتم كالقطرة من بحر الذات ، تعودون إليه ، فترجع القطرة إلى بحرها ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ {البقرة : ١٥٦} . أي منه وبه وإليه . وقال تعالى في الانتهاء إليه : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ {النجم : ٤٢} =

وَعُهُودُهُم نَقْض (١) .

وَقُلُوبُهُم نَبْض (٢) .

وَأَنْوَارُهُم فَيْض (٣) .

= ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ {الشورى : ٥٣} . ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ {العلق : ٨} . ومن القوم من طويت له المراحل ، وزويت له المسافات بين المنازل ، فوصل إلى الله ، وهو في هذه الدار الدنيا ، وهذا هو أصل السلوك في الطريق الصوفي . فالنفس هي التي تحجبك عن الله ، فإذا أفنيتها – باختيارك – في حياتك الدنيا ؛ فقد وصلت إلى ربك .

١- **النقض** : إفساد ما أبرم . قيل لبعضهم : بماذا عرفت ربك ؟ قال : بنقض العزائم . فلا يتكون إلا ما أحاط به قدر الله وقضاؤه ، فهمة العارف تتوجه للشيء ، فإن وجدت القضاء سبق به ، كان ذلك بإذن الله ، وإن وجدت سور القدر مضروباً عليه ، لا تخرقه ، بل تتأدب معه ، وترجع لوصفها وهي العبودية ، فلا تتأسف ولا تحزن ، بل ربما تفرح لرجوعها لمحلها ، وتحققها بوصفها . وقال بعض أكابر العارفين : نحن إذا قلنا شيئاً فخرج فرحنا مرة واحدة ، وإذا لم يخرج فرحنا عشر مرات ، وذلك لتحققه بمعرفة الله . وقال بعضهم : نحن قوم لا نقول : (كذلك) إلا إذا قال الله ذلك .

٢- **النبض** : هو ضربات القلب التي هي انقباضاته وانبساطاته لتوزيع وسحب دم الجسم . وهو كناية عن حياة قلوبهم ، قال تعالى : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ {الأنعام : ١٢٢} .

٣- **الفيض** : الكثير الزائد . والمراد أن الله تعالى يفيض عليهم من أنواره ، فيفيضون بها على الناس =

وَأَرْوَاحُهُم قَبْض (١) .

وَحَيَاتُهُم قَرْض (٢) .

= فالله تعالى هو المفيض الأول . ورسول الله ﷺ هو المستفيض الأول ، والمفيض الثاني . وخليفته ﷺ ، من لدن آدم إلى قيام الساعة ، في كل عصر ، هو المستفيض الثاني ، والمفيض الثالث .

١- أي قبضت أرواحهم فانتقلوا من الدنيا إلى الآخرة ، كما في الحديث النبوي عَنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ ، ﷺ ، أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ لَهُ : «**يَا حَارِثُ ، كَيْفَ أَصْبَحْتَ ؟**» قَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا ، فَقَالَ : «**انْظُرْ مَا تَقُولُ ، إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً**» ، قَالَ : أَلَسْتُ قَدْ عَزَفْتُ الدُّنْيَا عَنْ نَفْسِي ، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا - يَعْنِي يَصِيحُونَ - قَالَ : «**يَا حَارِثُ ، عَرَفْتَ فَالْزَمْ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»

٢- **القرض** : هو العارية . أي أن حياتك مستعارة من حياة الله تعالى .

قال سماحة الإمام ﷺ : أنت مُحْدَث ، والله مُحدِث ، ووالله ما تحيا إلا بحياته ، ولا توجد إلا بوجوده ، ولا تسمع إلا بسمعه **وإذا اتصلت حياتك بوجوده ، تنعمت ذاتك بشهوده** . الموت له الزوال ، والحياة لها الثبوت ، والله تعالى هو الثابت الحي . فاسلك بحياتك إلى حياته ، ثم اسلك بحياته في حياته . فاسلك إليه ، ثم اسلك به ، ثم اسلك فيه . ولا تنظر إلى الموت . إنك إن نظرت إلى الموت ، جعلته بينك وبين الحي الذي لا يموت . واعلم أن اسم الله تعالى المميت يزول حكمه من العالم بعد ذبح يحيى ﵇ للموت بين الجنة والنار ، ولا يبقى الحكم إلا لاسمه الحي . فاثبت في الحياة ، ثم لا تنظر إليها أيضًا . فكن بالحي ، لا بالحياة .

أَضْعَفَهُمُ المَرَض (١) .

فَلَا يَبْرَحُونَ الأَرْض (٢) .

١- قال سماحة الإمام : فالتجلي الذاتي مباشر على رسول الله ﷺ ، وغير مباشر من خلال حجاب رسول الله ﷺ في **الموت والمرض والبلاء** . في الحديث القدسي : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿**إِنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي . قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ . قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ . يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي . قَالَ : يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ . قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي . يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي . قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**﴾ . انظر إلى قوله تعالى في المرض : ﴿**لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ**﴾ : أي بذاتي ، أي كنت أنا جزاءك . وقوله في الجوع والعطش : ﴿**لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**﴾ : أي بأسمائي وصفاتي ، أي أجزيك من حسناتي . وشتان بين من كان هو تعالى جزاؤه بنفسه ، وبين من كان جزاؤه منه الحسنات ! عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا ! . قَالَ : ﴿**أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**﴾ .

٢- **لا يبرح** : أي لا يغادر . أي لا يغادرون مقام العبودية بتطلعهم إلى الربوبية . قال شيخ شيوخ اليمن الشيخ أبو الغيث بن جميل ﷺ : ﴿العبد بكل الرب عبد ، والرب بكل العبد رب﴾ =

كَأَنَّهُم فَرْخٌ يَخْرُجُ مِنْ بَيْض (١) .

وَحُبُّهُم فَنَاءٌ مَحْض (٢) .

وَلَكِنْ عَلَى حُبِّهِم فَحُض .

تَلْقَهُم عَلَى الحَوْض (٣) .

= أي أن العبد يظل عبدا رغم كل ما يتجلى الله تعالى عليه من أنوار وأسرار . والرب يظل ربا رغم كل ما يتنزل به للعبد من تشبيه .

١- **فرخ يخرج من بيض** : أي ضعفاء لا حيلة لهم ، ولا حول لهم ولا قوة إلا بالله تعالى .

أنا ما حيلتي والعجز غاية قوتي ... وأمري جميعا تحت حكم المشيئة

فخلصني من أسر الطبيعة واهدني ... بنورك يا الله وأوصل قطيعتي

٢- محض الفناء أن يقوم المحبوب الباقي في المحب الفاني نيابة عنه . أي فني من لم يكن ، وبقي من لم يزل . قال سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الحُبُّ : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ {المائدة : ٥٤} . وَأَعْظَمُ ثَوَابِهِ الفَوْزُ بِالمَحْبُوبِ . قال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ **فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا** ﴾ .
فاللهم اتحفنا بالحب الرباني ، والوصل المعنوي ، كمن أصطفيته حتى أحببته ، فكنته :

ظَهَرْتَ لِمَنْ أَبْقَيْتَ بَعْدَ فَنَائِهِ ... فَكَانَ بِلَا كَـوْنٍ لِأَنَّكَ كُنْتَـهُ

٣- قال رسول الله ﷺ : «**فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما =

وَفِي أَعْرَاضِهِم لَا تَخُض .

وَإِذَا دَعَوْكَ يَوْماً فَلَا تَرْفُضِ العَرْض .

فَحُبُّهُم سَعَادَةٌ وَخَيْرٌ مَحْض .

= قال سماحة الإمام ﷺ : لا يشرب شارب إلا بيديه ﷺ . وهذا هو الكوثر : يشرب منه العوام في الآخرة . في الدورة الخلقية الوسطى . ويشرب منه الخواص في الدنيا والآخرة . لأنهم لا دنيا لهم ولا آخرة ، لانتهاء الدورة الخلقية الكبرى في حقهم .

الطَّاء

الحُبُّ رِزْقٌ مِنَ السَّمَاءِ هَبَط (١) .

عَلَى القُلُوبِ فَقَط .

قَدْ رَبَطَ وَسَقَط (٢) .

١- طالما هو رزق هبط من السماء ، فيكون المقصود هنا هو الحب الوهبي .

٢- ربط القلوب : هو امتلاكها ، وهو دفعها للسجود .

قال سماحة الإمام ﷺ : **الحب الوهبي** : ويكون من عالم الأمر ، وهو لا يذهب أبدًا ، ولو حاول صاحبه أن يغفل عن الله لحظة لما استطاع . قال سلطان العاشقين :

وَعَنْ مَذْهَبِي فِي الحُبِّ مَالِيَ مَذْهَبٌ ... وَإِنْ مِلْتُ يَوْمًا عَنْهُ فَارَقْتُ مِلَّتِي

وَلَوْ خَطرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ ... عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتَ بِرِدَّتِي

ويتغلغل هذا الحب في كل خلايا المحب ، حتى يؤدي به إلى سجود القلب .

سجود القلب : إذا سجد القلب ، لا يرفع أبداً ، بخلاف سجود الوجه . اتفق لسهل بن عبد الله التستري ﷺ – وهو في السادسة من عمره – في أوّل دخوله إلى هذا الطريق – أنه رأى قلبه قد سجد ، وانتظر أن يرفع ، فلم يرفع ، فبقي حائراً ، فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته . فما وجد أحداً يعرف واقعته – فإنهم أهل صدق ، لا ينطقون إلا عن ذوق محقق – فدلوه على =

فَسِوَاهُ لَغَط (١) .

وَغَيْرُهُ مِنَ الأَعْمَالِ حَبَط (٢) .

وَلَكِنْ كُنْ مِنْهُ عَلَى حِوَط (٣) .

فَهُدَاهُ شَطَط (٤) .

وَلِكُلِّ حَقٍّ قَدْ غَمَط (٥) .

= شيخ ، فرحل إليه من أجل واقعته ، فلما دخل عليه ، سلَّمَ وقال : أيها الشيخ ! أيسجد القلب ؟ فقال له الشيخ إلى الأبد ، فوجد سهل شفاءه على يده ، فلزم خدمته . ومدار هذه الطريقة على هذه السجدة القلبية ، إذا حصلت للإنسان – حالة مشاهدة عين – فقد كمل ، وكملت معرفته ، وعصمته ، فلم يكن للشيطان عليه من سبيل . قيل لبعضهم : هل للقلوب صلاة ؟ فقال نعم ؛ إذا سجد لا يرفع رأسه أبداً . وهو المعروف عندهم بسجود القلب .

١- **اللغط** : هو الأصوات المبهمة التي لا تفهم .

٢- **الحبط** : الفاسد .

٣- **الحوط** : المراد هنا على حذر .

٤- **الشطط** : هو مجاوزة الحد في الجور .

٥- **الغمط** : هو الجحود والكفران والإنكار .

فَصَحُّهُ غَلَط .

وَرَخَاؤُهُ قَحْط (١) .

وَهُوَ فُرَصٌ وَلَقَط (٢) .

وَحُرُوفُهُ نُقَط (٣) .

وَصَاحِبُهُ فِي وَرَط (٤) .

١- **القحط** : هو احتباس المطر . والمراد هنا أن هذا الرخاء المنتظر كالسراب .

٢- **واللَّقَطُ** : قطع ذهب أو فضة أمثال الشذر وأعظم ، توجد في المعادن ، وهو أجوده .

٣- ظهور سريان النقط في الحروف هو ظهور سريان الأحدية في الكون . والمراد هنا أنه يظهر للمحب ما كان غيبا عنه ، ويتلاشى ما كان ظاهراً له . قال سلطان العاشقين :

وأُشهدتُ غيبي ، إذ بدَتْ ، فوجَدْتُني ... هُنالكَ ، إيّاها ، بجلوةِ خلوتي

وطاحَ وجودي في شهودي ، وبِنْتُ عن ... وُجودِ شهودي ، ماحِياً ، غيرَ مُثبتِ

وعانقتُ ما شاهدتُ في محوِ شاهدي ... بمشهدِهِ للصَّحوِ ، من بعدِ سكرتي

ففي الصَّحو ، بعدَ المحوِ ، لم أكُ غيرَهَا ... وذاتي بذاتي ، إذ تحَلَّتْ تجَلَّتِ

٤- **الورطة** : هو الهلاك .

وَعَدْلُهُ قَسْط (١) .

وَرِضَاهُ سُخْط (٢) .

وَلَكِنَّ المُحِبِّينَ فِي غِبْط (٣) .

فَلَا تُكْثِرِ اللَّغَط (٤) .

فَالحُبُّ لَيْسَ فِيهِ وَسَط (٥) .

١- **القَسط** : أي الجور والظلم .

٢- **السخط** : عكس الرضا .

٣- **الغِبْطُ** : حسن الحال .

٤- **اللَّغط** : هو الأصوات المبهمة التي لا تفهم .

٥- قال سلطان العاشقين :

هُوَ الحُبّ فاسلمْ بالحشا ما الهَوَى سَهْلُ ... فَما اختارَهُ مُضْنًى بهِ، ولهُ عَقْلُ

وعِشْ خالياً فالحبُّ راحتُهُ عناً ... وأوّلُهُ سُقْمٌ وآخِرُهُ قَتْلُ

ولكنْ لديَّ الموتُ فيه صبابةً ... حَياةٌ لَمن أهوَى عليّ بها الفَضْلُ

نصحتُكَ علماً بالهوى والَّذي أرَى ... مُخالفتي فاخترْ لنفسكَ ما يحلو

فإنْ شِئتَ أنْ تحيا سَعيداً فَمُتْ بِهِ ... شَهيداً وإلا فالغرامُ لَهُ أهْلُ

التنزل الثامن والثلاثون ومائة

لغز الحب

الحُبُّ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَفْهَمَهُ الكُلُّ (١) .

وَإِنْ تَذَوَّقَهُ الجَمِيعُ .

١- قيل :

غريب على باب الرجاء طريح ... يناديك موصول الجوى وينوح

يهون عذاب الجسم والروح سالم ... فكيف وروح المستهام جروح

وأهواك ولكني أخاف وأستحي ... إذا ما قلت قلبي في هواك جريح

طريقي إليك الوجد والسهد والضنى ... ودمع أداري في الهوى ويبوح

يقولون لي غني وبالقلب لوعة ... أغني بها في خلوتي وأنوح

ولي في طريق الشوق والليل نائم ... معالم تخفى تارة وتلوح

ولي في مقام الوجد حال نشوة ... بسر الهوى تغدو وفيه تروح

بكيت من اللي جرى لي من عذابه ... ولكن الهوى بالواهين يصيح

الذَّاتُ الإِلَهِيَّةُ لَا يُحْكَمُ عَلَيْهَا بِإِطْلَاقٍ وَلَا تَقْيِيدٍ .

وَلَا تَنْزِيهٍ وَلَا تَشْبِيهٍ .

وَلَا اسْمٍ وَلَا صِفَةٍ وَلَا نِسْبَةٍ .

لِأَنَّ المَحْكُومَ عَلَيْهِ مَحْدُودٌ وَمُقَيَّدٌ .

وَالمُقَيَّدُ حَادِثٌ ، لَا قَدِيمٌ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : العقل ، جاء بنصف معرفة الله ، وهو التنزيه ، وسلب أحكام كثيرة عنه تعالى ، وجاء الشارع يخبر عن الله ، بثبوت ما سلب عنه بالعقل بدلالته ، فجاء بالأمرين في آية واحدة : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تنزيه . ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ {الشورى : ١١} تشبيه . وهذا غاية الكمال الإلهي .

وخاطب الحواس والخيال بالتنزيه ، فحارت الحواس والخيال ، وخاطب العقول بالتشبيه ، فحارت العقول ، فعلا جل جلاله عن إدراك العقول والخيال ، وانفرد سبحانه بالحيرة في الكمال .

فلم يعلمه سواه ، ولا شاهده غيره .

فلم يحيطوا به علما ، ولا رأوا له عينا .

ما هي إلا آثار تُشْهَد وجناب يُقصد . =

وَالأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ مُجَرَّدُ نِسَبٍ وَإِضَافَاتٍ .

ظَهَرَتْ بِظُهُورِ الخَلْقِ .

وَتَعَيَّنَت بِتَعَيُّنِهَا فِي عِلْمِ الله قَبْلَ ظُهُورِهَا .

= **ورتبة تُحمد ، وإله منزه ، ومشبه يُعبد .**

هذا هـو الكمـال الإلهـي !

وبقى الإنسان متوسط الحال ، في حيرته بين تشبيه وتنزيه .

فبالإنسان كمل العالم ، وما كمل الإنسان بالعالم .

ولما انحصرت في الإنسان حقائق العالم ، بما هو إنسان ، لم يتميز عن العالم بصغر حجمه خاصة ، وبقيت له رتبة كماله ، فجميع الموجودات قبلت كمالها ، والإنسان انقسم إلى قسمين :

- قسم لم يقبل كماله .
- وقسم قبل الكمال ، فظهرت فيه الحضرة الإلهية بكمالها ، وجميع أسمائها ، فأقام هذا القسم خليفة ، وكساه حلة الحيرة فيه ، فنظرت الملائكة إلى نشأة جسده فقالت ما قالت ، فلما أخبرهم تعالى بحقائقه ، وما أودع فيه ، حارت فيه الملائكة فقالت : ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ {البقرة : ٣٢} . والحائر ، لا علم له ، فأعطاه علم الأسماء الإلهية ، التي لم تسبحه الملائكة بها ، ولا قدسته . وغدا يحمده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمحامد لا يعلمها الآن ، فإن محامد الله بحسب ما تطلبها المواطن والنشآت ، فأعطت نشأة آدم ومن أشبهه من أولاده ، الأهلية للخلافة في العالم ، فظهر بأسماء الحق على كثرة تقابلها ، وحكم بالحق والعدل ، والله هو الحق والعدل .

فَسُمِّيَ الخَالِقُ بِظُهُورِ المَخْلُوقِ .

وَالرَّازِقُ بِظُهُورِ المَرْزُوقِ .

وَالبَاقِي بِظُهُورِ فَنَاءِ العَبْدِ .

وَالوَاحِدُ بِظُهُورِ التَّعَدُّدِ فِي المَخْلُوقَاتِ (١) .

وَوُجُودُ النَّقْصِ فِي العَالَمِ كَمَالٌ .

١- ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ، وقد كان ولا سماء ، ولا عالم ، هل كان يوصف بالنزول إلى من ؟ أو من أين ؟ ولا أين ؟ ثم أحدث الأشياء ، فحدثت النسب ، فاستوى على العرش ، ونزل إلى السماء ، وأخذ الميزان ، فخفض ورفع ، بذا وردت الأخبار ، والإيمان بها واجب ، والكيف مجهول ، غير معقول ، فهو الواحد الواجد الأحد الماجد ، الذي ليس كمثله شيء . فلولا وجود الخلق ؛ ما كانت ألوهية ولا إله ولا مألوه ، ولا ربوبية ولا رب ولا مربوب ، ولا صبر ولا صبور ، ولا رزق ولا رزاق ولا مرزوق ، ولا رحمة ولا راحم ولا مرحوم ، ولا ذنب ولا غفران ، ولا معصية ولاطاعة ولا توبة ، فهذه كلها نسب ما ظهرت إلا بوجود الخلق . وإن شئت قلت إلا بتنزله تعالى في رتبة سماها خلقا . فما نزل إلينا إلا ليأخذنا منا إليه . يا من استوى برحمانيته على عرشه ، فصار العرش غيبا في رحمانيته ، كما صارت العوالم غيبا في عرشه ، محقت الآثار بالآثار ، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار .

إِذْ لَوْ لَمْ يُوجَدِ النَّقْصُ ؛

لَنَقُصَ العَالَمُ شَيئاً اسْمُهُ النَّقْصُ .

وَفِي الحَقِيقَةِ لَا يُوجَدُ نَقْصٌ (١) .

لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْطَى لِكُلِّ مَخْلُوقٍ مُهِمَّةً فِي الحَيَاةِ .

١- وكيف يخلق الله شيئا ناقصا وقد قال : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ {السجدة : ٧} ؟ فنسبة النقص لخلق الله كفر بأنعم الله . قال الجيلي :

وكل قبيح إن نسبت لحسنه ... أتتك معانى الحسن فيه تسارع
ولا تحسبن الحسن ينسب وحده ... إليه البها والقبح بالذات راجع
يكمل نقصان القبيح جماله ... وما ثم نقصان وما ثم يانع
ويرفع مقدار الوضيع جلاله ... إذا لاح فهو للوضيع رافع
فلا تحتجب عنه لشين بصورة ... مخلفا حجاب العين للنور لامع
وأطلق عنان الحق في كل ما ترى ... فتلك تجليات من هو صانع
لقد خلق الأراضين بالحق والسما ... كذا جاء في القرآن إن أنت سامع
وما الحق إلا الله لا شيء غيره ... فشم شذاه فهو في الخلق ضائع
وشاهده حقا منك فيك فإنه ... هويتك اللتى بها أنت والع
ففى أينما حقا تولوا وجوهكم ... فما ثم إلا الله هل من يطالع

فَكَمَالُهُ هُوَ قِيامُهُ بِمُهِمَّتِهِ عَلَى خَيْرِ وَجْهٍ .

حَتَّى الكَافِرَ إِنْ قَامَ بِمُهِمَّتِهِ عَلَى خَيْرِ وَجْهٍ مِنَ الكُفْرِ فَهُوَ كَمالٌ .

وَالفَاسِقُ وَالْمُنَافِقُ كَذَلِكَ (١) .

١- قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ {مريم : ٨٣} . فالآية هنا تنص على أن الشياطين مرسلون إلى الكافرين في مهمة بالأمر ، وليس عن اختيار منهم ، وأن هؤلاء الشياطين حين ينفذون تلك المهمة هم طائعون لله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ {الإسراء : ١٦} . ففسق المترفين كان أيضا مهمة لهم بالأمر ، لغاية أخرى وهي تدمير القرية .

ولكن هل سيحاسب الله تعالى هؤلاء الشياطين وهؤلاء المترفين أم لا ؟ فهذا في علم الله تعالى وطبقا لمشيئته .

سئل الإمام الجنيد : أيزني العارف ؟ فقال : ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ {الأحزاب : ٣٨} . فلم يعول الجنيد هنا على التقوى ولا العصمة وإنما على القدر !

وفَرَّق الجيلي بين هذه الفئات وبين الأولياء ؛ بأن كلا الفئتين مطيع لأمر الله تعالى وإرادته ، وإنما الولي يخبره الله تعالى قبل الفعل بطبيعة المهمة التي اختاره لينجزها :

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ... وما لي عن حكم الحبيب تنازعُ

فطورا تراني في المساجد راكعا ... وإنيَ طورا في الكنائس راتعُ =

وَلَا يَقُومُ ذُو مُهِمَّةٍ فِي العَالَمِ إِلَّا بِاسْمٍ إِلَهِيٍّ يَسْتَنِدُ عَلَيْهِ .

فَتَعَدَّدَتِ الأَسْمَاءُ الإِلَهِيَّةُ .

وَخَرَجَتْ عَنِ الحَصْرِ .

سُبْحَانَ الهَادِي المُضِلِّ .

= أراني كالآلات وهو محركي … أنا قلم والاقتدار أصابعُ
ولست بجبريٍّ ولكن مشاهد … فعال مريد ما له مَن يدافعُ
فآونة يقضي علي بطاعة … وحينا بها عنه نهتنا الشرائعُ
لذاك تراني كنت أترك أمره … وآتي الذي أُنهاه والجفن دامعُ
ولي نكتة غراء سوف أقولها … وحُقَّ لها أن ترعويها المسامعُ
هي الفرق ما بين الولي وفاسق … تنبه لها فالأمر فيه فظائعُ
وما هو إلا أنه قبل وقعه … يخبر قلبي بالذي هو واقعُ
فأجني الذي يقضيه فيَّ مرادها … وعيني له قبل الفعال تطالعُ
فكنت أرى منها الإرادة قبل ما … أرى الفعل مني والأسير مطاوعُ
فأتي الذي تهواه نفسي ومهجتي … لذلك في نار حَوَتها الأضالعُ
إذا كنت في حكم الشريعة عاصيا … فإنِّي في علم الحقيقة طائعُ

المُحِبِّ المَحْبُوبِ الوَدُودِ (١) .

١- قال رسول الله ﷺ : ﴿ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ : سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ . أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ . أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ﴾ .

قال سماحة الإمام صلاح الدين التجاني ﷺ : أسماء الله ليست هي الأسماء الواردة في الكتاب والسنة فقط ، بل هي اسم كل شيء تجلى الله لك فيه ، وعرَّفك بنفسه أنه متجل فيه ، فهو اسم له تعالى في حقك أنت فقط ، كما قال تعالى في قصة موسى ﷺ : ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ {طه : (١٠ - ١٢)} . فلم يعلم موسى ﷺ أن النار هي مظهر لتجلي الله تعالى ، إلا عندما عَرَّفَهُ تعالى بنفسه فيها ! . وهذا لموسى ﷺ فقط ، وليس للمحيطين به ، حيث كان أهله معه ، فليس لهم هذا التجلي .

الظاء

الحُبُّ وَعْظ .

فَاسْمَعْ وَتيَقَّظ .

وَلِعَهْدِهِ فَاحْفَظ (١) .

فَالحُبُّ لَحْظ (٢) .

وَالحُبُّ لَفْظ (٣) .

١- قيل :

أتاني زماني بما أرتضي ... فبالله يا دهر لا تنقضي
ويا ليلة الوصل عودي لنا ... لأن الحبيب علينا رضي
سقانا بكأس الهنا شربةً ... فلاح من الكأس نورٌ يُضيء
ونحن على العهد نرعى الوداد ... وعهد المحبين لا ينقضي

٢- **اللحظة** : هي النظرة . يقول سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ نَظْرَةٌ ، وَلَوْلَاهُ مَا خَلَقَ اللهُ الأَبْصَارَ .

٣- **اللفظ** : هو الكلمة . يقول سماحة الإمام ﷺ : دَعْنِي أَقُولُ لَكَ كَلِمَةً وَاحِدَةً : أُحِبُّكَ يَا أَنَا !

العين

الحُبُّ خُضُوع (١) .

١- قيل :

سقوني وقالوا مت غراما بحبنا ... إذا شئت أن تحيا وتحظى بقربنا
فموت الفتى بالحب راحة قلبه ... إذا مات من حر الصبابة والعنا
فكم من فتى أضحى متيـم ... وكم من قتيل في الغرام بحبنا
فإن كنت في دعوى المحبة صادقا ... تجرد وقم وانهض إلى باب عزنا
وقف سَحَرًا واخضع وكن متذللًا ... وقَبِّـل ثَرَى أعتابنا تبلغ المنى
فمشروبنا يُحيَى به كل ميت ... ورضائنا يشفي العليل مِنَ الضنى
فيا لائمي في الحب دعني فإنني ... جعلت لمن أهواه قلبي مسكنا
وأصبحت من وجدي وشوقي ولوعتي ... أعلل قلبي بالمسرة والهنا
ومُطْلِقٌ دمعي مُرْسَلٌ فوق وجنتي ... ونَمَّ بأسراري وباح وأعلنا
وأصبح من فوق الخدود مسلسلا ... وأمسى حديثي من غرامي معلنا
فمحبوب قلبي قد تجلَّى جماله ... على طور قلبي حين لبيت معلنا
وقربني لما وقفت ببـابه ... وقال لك البشرى تَـمَـلَّ بقربنا
فطاب سماعي عند طيب حديثه ... وزال العنا عني وأصبحت آمنا

الحُبُّ خُشُوع .

شَوْقٌ وَدُمُوع .

اطْمِئْنَانٌ ، لَا فَزَع .

سُكُونٌ ، لَا هَلَعٌ ، وَلَا فَجَع (١) .

سُرُورٌ وَنَعِيمٌ ، مَا فِيهِ وَجَع .

لِكُلِّ القُلُوبِ قَدْ وَسَع (٢) .

١- **الهلع** : الهياج والضجر . **الفجيعة** : هي المصيبة .

٢- قيل :

مَنْ ذَاقَ طَعْمَ شَرَابِ القَوْمِ يَدْرِيهِ ... وَمَنْ دَرَاهُ غَدًا بِالرُّوحِ يَشْرِيـهِ

وَقَطْرَةٌ مِنْهُ تَكْفِي الخَلْقَ لَوْ طَعِمُوا ... فَيَشْطَحُونَ عَلَى الأَكْوَانِ بِالتِّيهِ

وَذُو الصَّبَابَةِ لَوْ يُسْقَى عَلَى عَدَدِ الأَنْـ ... ـفَاسِ وَالكَوْنِ كَأْساً لَيْسَ يَرْوِيهِ

يُرْوَى وَيَظْمَأُ لا يَنْفَكُّ شَارِبُهُ ... يَصْحُو وَيَسْكَرُ وَالمَحْبُوبُ يَسْقِيهِ

فِي رَيِّـهِ ظَمَأٌ وَالصَّحْوُ يُسْكِرُهُ ... وَالوَجْدُ يُظْهِرُهُ طَوْراً وَيُخْفِيهِ

يَبْدُو لَهُ السِّرُّ مِنْ آفَاقِ وِجْهَتِهِ ... وَلَيْسَ إِلَّا لَهُ مِنْهُ تَبَدِّيهِ

لَهُ الشَّهَادَةُ غَيْبٌ وَالغُيُوبُ لَهُ ... شَهَــادَةٌ وَالفَنَــاءُ المَحْـضُ يُبْقِيـهِ

وَالكُلُّ مِنْهُ فِي وَلَع (١) .

وَعَلَى كُلِّ قَلْبٍ قَدْ طَبَع (٢) .

مَا تَرَكَ طِفْلاً وَلَا شَيْخاً إِلَّا وَلِقَلْبِهِ لَسَع (٣) .

فَاللهُ تَعَالَى أَوْجَبَهُ وَشَرَع .

فَمَا شُفِّعَ إِلَّا شَفَع (٤) .

وَمَا غُولِبَ إِلَّا قَمَع (٥) .

وَبِحُجَّتِهِ صَدَع (٦) .

١- **الولع** : هو اللهج بالشيء وحبه حبا شديدا .

٢- **الطبع على القلب** : هو الختم عليها ، فلا يخرج منها ما فيها ، ولا يدخل فيها ما هو خارج عنها .

٣- **لسع قلبه** : أي ذاق مرارة الهجران وحلاوة الوصال .

٤- قال سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وصَادِقٌ مُصَدَّقٌ . مَا تَشَفَّعَ بِهِ أَحَدٌ إِلَى اللهِ ، إِلَّا فُتِّحَتْ لَهُ الأَبْوَابُ ، وَرَأَى بِغَيرِ حِجَاب .

٥- **غولب** : المراد بها حالة النزاع والعراك . **القمع** : الذل .

٦- **الصدع** : التكلم جهارا . قال تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ {الحجر : ٩٤} . أمر بالجهر بالدعوة .

وَمَا قُورِعَ إِلَّا قَرَع (١) .

وَمَا صُورِعَ إِلَّا صَرَع (٢) .

وَمَا جُرِّدَ إِلَّا قَطَع (٣) .

وَمَا نُوزِعَ إِلَّا نَزَع (٤) .

مَنْ أَحَبَّ فَمَا هَجَع (٥) .

وَلِلْمَنَامِ قَدْ وَدَّع (٦) .

١- **القرع** : هو الضرب .

٢- **الصرع** : هو القتل .

٣- **التجريد** : هو التعرية من الغطاء . والمراد هنا هو تجريد السيف من غمده للقطع أو القتل به ، أي أن الحب عند استعماله هو كالسيف القاتل .

٤- **النزاع** : هو الخلاف والعراك . والمراد أن الحب هو الذي له السلطة .

٥- **الهجع** : هو نوم الليل . أي أن الحب يفقد الحبيب القدرة على النوم ليلا .

٦- قيل :

واسألْ نُجومَ اللّيلِ : هل زارَ الكَرَى   جَفني ؟ وكيفَ يزورُ مَن لم يَعرِفِ ؟

لا غَروَ إنْ شَحَّتْ بِغُمضِ جُفونِها   عيني وسحَّتْ بالدُّموعِ الذُّرَّفِ

مَنْ فَازَ بِهِ قَنَعَ (١) .

وَقَلْبُهُ ضَرَع (٢) .

وَوَجْهُهُ لَمَعَ (٣) .

وَتَخَطَّى مَرْتَبَةَ الوَرَع (٤) .

١- **قنع** : أي رضي به واكتفى .

٢- **التضرع** : هو الخشوع والذل .

٣- **وجهه لمع** : أي استنار وجهه من شدة الأنوار والفتوحات .

٤- **الورع** : مرتبط بالخوف ، والمحب تخطى الورع إلى الحياء .

قال سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ مُقَدَّمٌ عَلَى الخَوْفِ .

اعلم أن الله تعالى لما توجه إلى إيجاد المخلوقات ، إنما توجه على إيجادهم ، بأسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر والعزة ، فخرجوا أذلاء تحت هذا القهر الإلهي ، وتعرف إليهم حين أوجدهم بهذه الأسماء : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ {الرعد : ١٣} ، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ {النحل : ٥٠} . فهم ، ومن دونهم ، يعبدون الله على الخشية ، لا على الحب والود . فلم يتمكن لمن خلق بهذه المثابة أن يرفع رأسه ، وقد أشهده أنه في قبضته ، وتحت قهره ، وشهدوا .

وأما الثقلان ، فخلقهم تعالى بأسماء اللطف والحنان والرحمة ، فعندما خرجوا ، لم يروا عظمة =

= ولا عزا ولا كبرياء ، ورأوا أنفسهم مستندة في وجودها إلى رحمة وعطف ، ولم يبد الله لهم من جلاله ولا كبريائه ولا عظمته في خروجهم إلى الدنيا شيئا من العز والكبرياء ، فلو شهدوا أن نواصيهم بيد الله ، شهادة عين ، ما عصوا الله طرفة عين ، وكانوا مثل سائر المخلوقات ، يسبحون الليل والنهار ، لا يفترون : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ {الشعراء : ٤} . ولكن الله تعالى أراد منهم الإقبال عليه ، إقبال حب ، لا إقبال خشية ، فلما رأى الثقلان ذلك العطف والحنان ، عصوه فلم يطيعوه : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ ﴾ {طه : ١٢١} .

وإذا شاء الله تعالى أن يعتني بعبده ، ويرزقه التوفيق ، يجعل عبوديته بين عينيه ، فيصير عبداً ، تام العبودية لله . **ألا ترى أن الله تعالى إذا ذكر أسماءه لنا ، يبتديء بأسماء الرحمة ، ويؤخر أسماء الكبرياء ، لنأخذها بحكم التبعية ، فقبلنا أسماء العظمة ، لما رأينا أسماء الرحمة قد قبلتها .**

قال تعالى في الملائكة : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ {الصافات : ١٦٤} ، كذلك بالنسبة للثقلان لكل منهم مقام معلوم ؛ ولكن المقام المعلوم لصالحي الجن ، ليس كالمقام المعلوم لصالحي الإنس ، كما بين من قال : ﴿ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ {النمل : ٣٩} . وبين من قال : ﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ {النمل : ٤٠} . **فالإنس وحدهم لهم الخلافة عن الله : ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾** {البقرة : ٣٠} . **وهم حاملوا الأمانة : ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾** {الأحزاب : ٧٢} **خلقهم الله بيده ، وأسجد لهم ملائكته ، وخلقهم على صورته : «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» وعرفهم عليه ، به ، إذ صار سمعهم وبصرهم وجميع قواهم ، فما عرف إلا نفسه ، بنفسه .**

وَكُلُّ الكَوْنِ لَهُ سَجَدَ وَرَكَع .

وَلِذِكْرِهِ اللهُ رَفَع . وَنُورُهُ سَطَع (١) .

١- قيل :

يا أنــا من أنــا ؟ أنــا فــ ـــناء ساخر أنــا خيال ثائر
وَهْمٌ يَجِلُّ عن الحقيقه وصفه وسراب ظمئان يراه الحائر
ما نحن إلا كالكتابه في الهوا سطور خيال والحروف ضمائر
ألا يا رفاق الصبر في حكم القدر هل لنا من منصف يجلو الخبر ؟
أين كان الحب أو كيف ظهر ؟ سحر لحظ أم عن الغيب صدر ؟
قيل : كان الحب من قبل البشر حيث لا شغل ولا قيد صور
هامت الأرواح من غير حظر في جمال لاح يوما واستتر
نحن فى الأشباح نقتص الأثر الحب ما بدا فى هيكل إلا قهر
ضلت القلوب بل ذاغ البصر عين سرٍّ مَسَّ قلبًا فاستعر
آه نفسي كدتي تصليني صقر أوهمتنى سولتلي لم تذر
أشرقي روحي فإني في خطر أدركي ركبي فقد حان السفر
واعتزمت السير في هدي القمر سيرة العشاق وذا أذكى السِّيَرَ
فأشرقت شمسي على أرض القمر وانجلت للروح أسرار القدر
فصرت ملكا لا تحيط بي النُّهَى بل محيطٌ جامعٌ غيهبي ظهر

التنزل التاسع والثلاثون ومائة

الجنة والنار

الحُبُّ ظَاهِرٌ فِي كُلِّ مَفْهُومٍ .

وَلَكِنَّهُ بَاطِنٌ عَنْ كُلِّ فَهْمٍ (١) .

وَاللهُ تَعَالَى خَلَقَ الحُبَّ ، وَجَعَلَ لَهُ أَهْلاً .

كَمَا خَلَقَ الإِيمَانَ ، وَجَعَلَ لَهُ أَهْلاً .

١- فكل المخلوقات تحب ، ولكن لا تدري سر الحب :

ظَهَرْتُ بِسِرِّ الحُبِّ فِـي بَدْءِ نَشْأَتِي ... كُلِّي إِلِيك يَـا حَبِيبِي أَسِيرُ بِفِطْرَتِي

حَالِي بِـهِ يَحْلُـو وَإِنْ لَامَ عَـاذِلِي ... فَفِي عَذْلِهِ يَتْلُو جَمَـــالَ أَحِبَّتِي

وَلَازِلْتُ فِي حَيِّ الهَـوَى مُتَنَقِّلَا ... إِلَى أَنْ بَدَا سِرُّ الـــغَرَامِ بِمُهْجَتِي

عَلَى عَرْشِ قَلْبِي بِالجَمَالِ قَدِ اسْتَوَى ... فَبَايَعْتُـهُ طَــوْعًا لِحُكْـمِ صَبَابَتِي

وَأَشْعَلَتِ الأَشْــوَاقَ فِي قَلْبِ صَبِّهَا ... وَمَنَّتْ عَلَى قَلْبِـي الحَزِيـنِ بِنَظْرَةِ

وَكَذَا خَلَقَ الكُفْرَ وَالشِّرْكَ وَالنِّفَاقَ ، وَجَعَلَ لَهُم أَهْلِينَ .

فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الحُبِّ وَالإِيمَانِ .

لَا مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ وَالعِصْيَانِ .

وَأَعَدَّ الجَنَّةَ نَعِيماً لِلْمُؤمِنِينَ .

وَالنَّارَ عَذَاباً لِلْكَافِرِينَ .

أَمَّا المَحْبُوبِينَ ؛ فَادَّخَرَ لَهُم نَفْسَهُ (١) .

فَيُنَعِّمُهُم بِنَفْسِهِ ، نَعِيماً لَا تَعْرِفُهُ الجَنَّةَ .

وَلَوْ عَرَفَتْهُ لَانْشَغَلَتْ بِهِ ، وَتَوَقَّفَتْ عَنِ التَّنْعِيمِ .

وَلَوْ عَرَفَتْهُ النَّارُ لَتَوَقَّفَتْ عَنِ التَّعْذِيبِ .

١- قال سماحة الإمام رضي الله عنه : الحُبُّ لَايَسَعُهُ مِيزَانٌ . بَلْ هُوَ سِرٌّ يُدَّخَرُ لِرُؤيَةِ الرَّحْمَنِ فِي نَعِيمِ الجِنَانِ . الأَدَبُ يُدْخِلُ صَاحِبَهُ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ، وَلَا سَابِقَةِ عِقَابٍ . وَالحُبُّ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ إِلَى حَيْثُ لَا مُنْتَهَى . فِي حَضْرَةِ الاصْطِفَاءِ وَالرِّضَا وَالاجْتِبَاءِ . فَطُوبَى لِلْمُحِبِّينَ أَهْلِ الأَدَبِ . وَطُوبَى لِلأُدَبَاءِ أَهْلِ المَحَبَّةِ .

وَاللهُ تَعَالَى ظَاهِرٌ فِي الجَنَّةِ لِأَهْلِهَا .

بَاطِنٌ فِي النَّارِ عَنْ أَهْلِهَا .

وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ مِنِ اسْمِهِ الرَّحْمَنِ :

﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ {مريم : ٤٥} .

وَلَكِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي مَوْطِنٍ ، بَاطِنٌ فِي مَوْطِنٍ آخَرٍ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ موضحا معنى ظهوره وبطونه تعالى في هذه العبارة فقال :
قال تعالى في المؤمنين : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ {ق : ٤١} . وقال في الكافرين : ﴿ أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ {فصلت : ٤٤} فقد صح للمحمديين النداء . وقد صح للكفار النداء – مع أن الفعل في آيتهم مبني لما لم يسمى فاعله – لأنهم لا يدرون أنه تعالى المنادي عليهم . وقد صح أن الله سبحانه وتعالى هو المنادي على كل من الفريقين لسعادتهم . واختلفت المسافة المقطوعة من كل منهم ، لاختلاف مكان النداء ، واختلاف الطريق الذي أتى عليه كل من هؤلاء وهؤلاء . ولكن لابد للكل من الوصول إلى الله ، ورجوع القطرة للبحر . وبعد الوصول إلى المنزل ، يتحد من نودي من قريب ، ومن نودي من بعيد . لأنهم يتحدون فى اندراجهم في الحقيقة المحمدية ، لأنها النور الذي خلق الله منه الجنة والجحيم ، والمحتد الذي وُجد منه العذاب والنعيم .

الغين

الحُبُّ فَجْرٌ بَزَغ .

وَكُلُّ مُحِبٍّ لِـمَأْرَبِهِ بَلَغ (١) .

وَبِكُلِّ حُجَّةٍ دَمَغ (٢) .

فَالحُبُّ لِلْقُلُوبِ صَبَغ (٣) .

وَالْتَصَقَ بِهَا كَصَمْغ .

فَمِنْهُ لَا تَقْتَرِبْ ، فَإِنَّهُ يَلْدَغ (٤) .

١- **لمأربه بلغ** : أي لحاجته نال .

٢- **دمغ** : أي ظهر وعلا .

٣- قال سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ هُوَ صِبْغَةُ الله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ {البقرة : ١٣٨} . صِبْغَةٌ هِيَ أَصْلُ كُلِّ صِبْغَةٍ وَلَوْنٍ وَصُورَةٍ . وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ مُنَزَّهَةٌ عَنِ الأَلْوَانِ وَالصُّوَرِ .

٤- **اللدغ** : هو عضة الحية . أي ذاق مرارة الهجران . فالحب كما قال سماحة الإمام : مَا تَرَكَ طِفْلاً وَلَا شَيْخاً إِلَّا وَلِقَلْبِهِ لَسَع .

وَلِلْقُلُوبِ يَمْضَغ .

وَلَكِنْ مَنْ أَحَبَّ فَقَدْ نبَغ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : المحب هو خليفة حبيبه ، وهَبَه محبوبه ذاتا من ذاته ، وصفات من صفاته ، وأسماء من اسمائه ، وكفي بذلك شرفاً لنعمة الخلافة .

الفاء

الحُبُّ زَحف . وَلِلْقُلُوبِ خَطَف (١) .

وَلِلْمَلَذّاتِ خَسَفَ ، وَقَصَفَ ، وَنَسَفَ .

فَبِاسْمِ حَبِيبِكَ فَاهْتِف . وَلِقَلْبِكَ نَظِّف (٢) .

١- **الزحف** : هو الجيش يدخل الحصن ليفتحه .

قال سماحة الإمام ﷺ : لَا مَكَانَ فِي القَلْبِ إِلَّا لِي . إِنْ سَكَنْتُ قَلْبَ عَبْدٍ ؛ جَعَلْتُهُ قِبْلَةَ الكَوْنِ كُلِّهِ !

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ {النمل : ٣٤} . فإذا دخل ملك الملوك قرية القلب ، محى كل ما فيها سواه . قال السبتي ﷺ :

ومن عجب أني أحن إليهم ... وأسأل شوقاً عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم بسوادها ... ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

٢- كيف يشرق قلبٌ صور الأكوان منطبعةٌ في مرآته ؟

أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبلٌ بشهواته ؟

أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟

أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته ؟

وَلِلْدُمُوعِ جَفِّف .

وَلِلْخَوَاطِرِ فَاصْرِف .

وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ يَخَف .

حَتَّى وَلَو ذُقْنَا الحَتْف .

وَأَصَابَنَا مِنْهُ الضَّعْف .

لِأَنَّهُ يَقْتُلُ كَسَيْف (١) .

فَبِهِ القُلُوبُ تَأْتَلِف .

لِأَنَّهُ نُقْطَةٌ وَكَلِمَةٌ وَحَرْف (٢) .

١- **قال سماحة الإمام** ﷺ : كُنْتُ أَظُنُّ العِشْقَ هِبَةً لِلْقُلُوبِ . كُنْتُ أَظُنُّهُ مِنْحَةً سَهْلَةً . فَإِذَا المَوْتُ أَيْسَرُهُ ، وَالمُنُونَ أَسْهَلُهُ .

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّعَشُّقَ مِنْحَةً لِقَلْبِي فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا لِمِحْنَتِي

٢- قال الجيلي ﷺ : الحرف مركب من النقطة ، ولكل حرف نقطة ، هى أوله ، فكذلك الحق سبحانه وتعالى ، مع كل أحد ، بكماله ، لا يتجزأ ، ولا يتبعض . فالنقطة إشارة إلى ذات الله تعالى =

= الغائب خلف سرادق كنزيته ، فى ظهوره لخلقه . ألا تراك ترى النقطة ، ولا تحسن تقرأها البتة ، لصموتها ، وتنزهها عن التقييد بمخرج دون مخرج ، إذ هى نفس الحروف الخارجة من جميع المخارج . فتنبه لما تقابله ، من هوية غيب الأحدية ، وتقرأ النقطة باعتبار . ألا تراك ، تقول فى التاء ، إذا زادت عليه نقطة : ثاء . فما قرأت إلا النقطة . لأن الباء ، والتاء ، والثاء ، لا تُقرأ ، إذ صورتها واحدة ، ولا تُقرأ إلا نقطتها . فلو كانت تقرأ فى نفسها ، لكانت هيئة كل واحدة غير هيئة الأخرى ، وبالنقطة تميزت . فما قُرِئَ فى الأحرف إلا النقطة . وكذلك ما عُرِفَ فى الخلق إلا الله . فكل ما عرفته من الخلق ، إنما عرفته من الله تعالى . بيد أن النقطة فى بعض الأحرف ، أشد ظهورا منها فى بعضها : فتظهر فى بعضٍ زائدة عليها ، يكون تكميل ذلك الحرف بها ، كالحروف المعجمة (أي المنقوطة) ، فإن تكميلها بها . وتظهر فى بعضٍ عينها ، كالألف والحروف المهملة ، لأنه مركب من النقطة ، ولهذا كان الألف أشرف من الباء ، لظهور النقطة فى عينه ، وما ظهرت النقطة فى الباء إلا على حسب تكميله ، على وجه الاتحاد ، لأن نقطة الحرف من تمام الحرف ، فهو متحد بالحرف ، والاتحاد يشعر بالغيرية ، وهو ذاك الفصل الذى تراه بين الحرف وبين النقطة ، والألف مقامه مقام الواحد فى الواحد بنفسه ، ولهذا كان الألف ظاهرا بنفسه فى كل حرف . كما تقول أن **الباء** ألف مبسوطة . و**الجيم** ألف معوجة الطرفين . و**الدال** ألف منحني الوسط . والألف فى مقام النقطة ، لتركيب كل حرف منها . وكل حرف مركب من النقطة . فالنقطة لكل حرف كالجوهر البسيط . والحرف كالجسم المركب . فمقام الألف بجسميّة مقام النقطة . لتركيب الأحرف منه كما ذكرناه ، فى أن الباء ألف مبسوطة . وكذلك الحقيقة المحمدية =

بِهِ يَبَرُّ مَنْ حَلِف .

فَهُوَ شَرَفٌ وَترَفٌ وَرَأَف (١) .

وَمَنْ ذَاقَ فَقَدْ عَرَف (٢) .

وَعَنِ الشَّهَوَاتِ عَزَف .

= خُلِق العالم بأسره منها ، كما ورد فى حديث جابر أن الله **تعالى خلق روح النبى ﷺ من ذاته ، وخلق العالم بأسره ، من روح محمد ﷺ** . فمحمد ﷺ ، هو الظاهر فى الخلق ، بجسمه ، بالمظاهر الإلهية . فنسبة الألف ، بين الأحرف المهملة ، نسبة محمد ﷺ بين الأنبياء ، والورثة الكمل ، فلهذا قُدِّمَ الألف ، على سائر الحروف . فافهم وتأمل .

١- **رأف** : الرّأفة : الرَّحْمَةُ ، رَؤُفَ يَرْؤُفُ رأفة ، ويُقالُ : رَأَفَ يَرْأَفُ ، فهو رَأْفٌ ورَءُوفٌ .

٢- مَنْ ذَاقَ طَعْمَ شَرَابِ القَوْمِ يَدْرِيهِ ... وَمَنْ دَرَاهُ غَدًا بِالرُّوحِ يَشْرِيـهِ
وَقَطْرَةٌ مِنْهُ تَكْفِي الخَلْقَ لَوْ طَعِمُوا ... فَيَشْطَحُونَ عَلَى الأَكْوَانِ بِالتِّيهِ
وَذُو الصَّبَابَةِ لَوْ يُسْقَى عَلَى عَدَدِ الأَنْـ ... ـفَاسِ وَالكَوْنِ كَأْساً لَيْسَ يَرْوِيهِ
يُرْوَى وَيَظْمَأُ لا يَنْفَكُّ شَارِبُهُ ... يَصْحُو وَيَسْكَرُ وَالمَحْبُوبُ يَسْقِيهِ
في رَيِّـهِ ظَمَأٌ وَالصَّحْوُ يُسْكِرُهُ ... وَالوَجْدُ يُظْهِرُهُ طَوْراً وَيُخْفِيهِ
يَبْدُو لَهُ السِّـرُّ مِنْ آفَاقِ وِجْهَتِهِ ... وَلَيْسَ إِلَّا لَهُ مِنْهُ تَبَدِّيهِ
لَهُ الشَّهَادَةُ غَيْبٌ وَالغُيُوبُ لَهُ ... شَهَــادَةٌ وَالفَنَـاءُ المَحْـضُ يُبْقِيـهِ

وَعَلَى أَبْوَابِهِ عَكَف .

وَمِنْ بِحَارِهِ غَرَف .

فَعَلَى أَعْتَابِهِ فَقِف (١) .

فَهُوَ كَهْف .

لَيْسَ فِيهِ لِمَ ؟ وَلَا أَيْنَ ؟ وَلَا كَيْف ؟

١- قيل :

فإن كنت في دعوى المحبة صادقا ... تجرد وقم وانهض إلى باب عزنا
وقِفْ سَحَرًا واخضع وكن متذللًا ... وقَبِّل ثَرَى أعتابنا تبلغ المنى
فمشروبنا يُحيَى به كل ميت ... ورضائنا يشفي العليل مِنَ الضنى
فيا لائمي في الحب دعني فإنني ... جعلت لمن أهواه قلبي مسكنا
وأصبحت من وجدي وشوقي ولوعتي ... أعلل قلبي بالمسرة والهنا

التنزل الأربعون ومائة

الحب ليس له شريك

الحُبُّ غَايَةٌ لَا تُدْرَك .

وَإِذَا أَدْرَكْتَهَا ؛ فَلَا مُنْتَهَى لَهَا .

إِذْ لَوِ انْتَهَتْ ؛ لَانْتَهَتْ جَمِيعُ الأُمْنِيَاتِ مِنَ الوُجُودِ .

أَنْتَ تَسْلُكُ فِي طَرِيقِ الحُبِّ .

وَلَنْ تَبْلُغَ غَايَتَهُ (١) .

١- غايته لا تدرك ولا تُبلغ لأنها هي محض الفناء ، أي أن يقوم المحبوب الباقي في المحب الفاني نيابة عنه . أي فني من لم يكن ، وبقي من لم يزل . قال سماحة الإمام رضي الله عنه : الحُبُّ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الحُبُّ : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ {المائدة : ٥٤} . وَأَعْظَمُ ثَوَابِهِ الفَوْزُ بِالمَحْبُوبِ . قال تعالى في الحديث القدسي : ﴿ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ=

الحُبُّ تَجْهَلُهُ النُّفُوسُ . وَلَكِنْ تَفْهَمُهُ الأَرْوَاحُ .

فَالجَمِيعُ يَتَّبِعُونَهُ أَرْوَاحاً ، وَيُخَالِفُونَهُ أَشْبَاحاً .

فَهُوَ جَوَامِعُ الكَلِمِ .

وَخَوَالِصُ الهِمَمِ ، المُفْضِي إِلَى قِمَّةِ القِمَمِ .

حَيْثُ مِنْهُ تُمْطِرُ سَحَائِبُ العُلُومِ بِرَغَائِبِ المَعَارِفِ .

وَغَرَائِبِ الطَّرَائِفِ المَعْقُولَةِ وَالمَحْسُوسَةِ وَالمَوْرُوثَةِ .

خِلَافَةً وَنِيَابَةً عَنِ الحَقِّ إِلَى الخَلْقِ تَعْرِيفاً وَتَصْرِيفاً (١) .

= بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا﴾ . فاللهم اتحفنا بالحب الرباني ، والوصل المعنوي ، كمن أصطفيته حتى أحببته ، فكنته :

ظَهَرْتَ لِمَنْ أَبْقَيْتَ بَعْدَ فَنَائِهِ ... فَكَانَ بِلَا كَـوْنٍ لِأَنَّكَ كُنْتَـــهُ

١- قال الجيلي :

خبتني فكانت فيَّ عني نيابة ... أجل عوضاً بل عين ما أنا واقع

فكنت أنا هي ، وهي كانت أنا ... وما لها في وجود مفرد من ينازع =

الَمحْبُوبُونَ وَحدَهُم هُمْ أَصْلَحُ الخَلْقِ لِلتَّبْلِيغِ .

لِأَنَّ الحُبَّ مَلأَ قُلُوبَهُم .

فَيَأْخُذُونَ عَنِ المَحْبُوبِ الأَصْلِيِّ ، وَيُبَلِّغُونَ المَحْبُوبِينَ بِالتَّبَعِيَّةِ (١) .

الحُبُّ أَقْرَبُ طَرِيقٍ لِلْوُصُولِ إِذَا اتُّبِعَتِ الأُصُولُ .

الحُبُّ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ .

الإِشْرَاكُ : أَنْ تُشْرِكَ فِي طَرِيقِ الحُبِّ .

وَالكُفْرُ : أَنْ تَكْفُرَ بِهِ .

= بقيت بها فيها ولا تاء بيننا ... وحالي بها ماض كذا ومضارع
وشاهدتني حقاً بعين حقيقتي ... فلي في جبين الحسن تلك الطلائع
فأوصافها وصفي وذاتي ذاتها ... وأخلاقها لي في الجمال مطالع
واسمي حقًّا اسمها ، واسم ذاتها ... لي اسم ، ولي تلك النعوت توابع
فما ثم من شيء سوى الله في الورى ... وما ثم مسموع وما ثم سامع

١- الله تعالى هو المفيض الأول . ورسول الله ﷺ هو المستفيض الأول ، والمفيض الثاني . وخليفته ﷺ ، من لدن آدم إلى قيام الساعة ، في كل عصر ، هو المستفيض الثاني ، والمفيض الثالث .

وَالنِّفَاقُ : أَنْ تُظْهِرَ الحُبَّ ، وَتُبْطِنَ البُغْضَ .

وَالتَّوْحِيدَ : أَنْ تَقُومَ فِي طَرِيقِهِ عَلَى التَّفْرِيدِ .

لَا تَطْرُقْ بَابَ الزُّهَادِ ، وَلَا النُّسَّاكِ ، وَلَا العُبَّادِ ، وَلَا العُلَمَاءِ (١) .

وَاطْرُقْ بَابَ الحُبِّ ، يُغْنِكَ عَنْ كُلِّ بَابٍ .

وَيَرْفَعُكَ فَوْقَ السَّحَابِ .

١- قال سلطان العاشقين :

هُوَ الحُبّ فاسلمْ بالحشا ما الهَوى سَهْلُ ... فَما اختارَهُ مُضْنًى بِهِ، ولهُ عَقْلُ
وعِشْ خالياً فالحبُّ راحتُهُ عناً ... وأوّلُهُ سُقْمٌ، وآخِرُهُ قَتْلُ
ولكنْ لديَّ الموتُ فيه صبابةً ... حَياةٌ لَمن أهوَى ، عليّ بها الفَضْلُ
فإنْ شِئتَ أنْ تحيا سَعيداً، فَمُتْ بهِ ... شَهيداً، وإلاّ فالغرامُ لَهُ أهْلُ
تمسّكْ بأذيالِ الهوى واخلعْ الحيا ... وخلِّ سبيلَ النّاسكينَ وإنْ جلُّوا
وقلْ لقتيلِ الحبِّ وفّيتَ حقّهُ ... وللمدَّعي هيهاتَ ما الكَحْلُ الكُحْلُ
أحبّةَ قلبي والمحبّةُ شافعي ... لدَيكُمْ، إذا شِئتُمْ بها اتّصَل الحبلُ
عسَى عَطفَةٌ منكُمْ عَليّ بنَظرَةٍ ... فقدْ تعبتْ بيني وبينكمُ الرُّسلُ
أحبَّايَ أنتمْ أحسنَ الدَّهرُ أمْ أسا ... فكونوا كما شئتمْ أنا ذلكَ الخلُّ

القاف

الحُبُّ أَعْظَمُ رِزْق (١) .

الحُبُّ خُلُق (٢) .

الحُبُّ فَوْق (٣) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : أَمَرْتُكَ بِخِدْمَتِي ، وَضَمِنْتُ لَكَ قِسْمَتِي . وَقَدْ رَزَقْتُ مَنْ غَفَلَ عَنِّي وَعَصَانِي . فَكَيْفَ لَا أَرْزُقُ مَنْ أَطَاعَنِي وَرَعَانِي ؟ مِنِّي كَانَ الإِيجَادُ ، وَعَلَيَّ دَوَامُ الإِمْدَادِ . مِنِّي كَانَ الخَلْقُ ، وَعَلَيَّ دَوَامُ الرِّزْقِ . وَالحُبُّ أَكْبَرُ رِزْقٍ .

٢- إذا أحبك الله تعالى أسبغ عليك من أخلاقه الإلهية .

قال أبو يزيد البسطامي ﷺ :

قَالَ لِي : تَوَحَّدْ بِوَحْدَانِيَّتِي ، وَتَفَرَّدْ بِفَرْدَانِيَّتِي ، وَارْفَعْ رَأْسَكَ بِتَاجِ كَرَامَتِي ، وَتَعَزَّزْ بِعِزَّتِي ، وَتَجَبَّرْ بِجَبَرُوتِي ، وَاخْرُجْ بِصِفَاتِي إِلَى خَلْقِي ، أَرَ هَوِيَّتِي فِي هَوِيَّتِكَ ، وَمَنْ رَآكَ رَآنِي ، وَمَنْ قَصَدَكَ قَصَدَنِي ، يَا نُورِي فِي أَرْضِي ، وَزِينَتِي فِي سَمَائِي .

فَقُلْتُ : أَنْتَ عَيْنِي فِي عَيْنِي ، وَعِلْمِي فِي جَهْلِي ، كُنْ أَنْتَ نُورَكَ ، تَرَ بِكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ !

٣- **الفوق** : فاقَ الرجل أصحابه يفوقُهُمْ ، أي عَلاهُم بالشرف .

فَهُوَ أَكْرَمُ وَدْق (١) .

عَلَى بَابِ القَلْبِ طَرَق (٢) .

لَهُ القُلُوبُ تَدُقُّ ، وَبِهِ تُرَقّ و تَرِق (٣) .

فَهُوَ نَاعِمٌ كَالإِسْتَبْرَق (٤) .

إِذَا ظَهَرَ الحَبِيبُ يَوْماً فِي الأُفُق (٥) .

١- **الوَدْق** : المطر كله ، شديده وهينه . والمراد هو سحائب العلم والحكمة والأنوار . قال الحلاج :

أَنْعي إليك قلوباً طالما هَطَلَتْ سحائبُ الوحي فيها أَبْحُر الحكم

٢- **الطرق** : هو الضرب بالمِطْرَقَة : العَصَا الَّتِي يُنفض بِهَا الصُّوف ، والمِطْرَقَة : الحديدة الَّتِي يطْرق بِهَا .

٣- **الدَّقُّ** : دَقَّهُ يَدُقُّه دَقًّا : كسَرَهُ بأَيِّ وَجْهٍ كَانَ . أَو دَقَّهُ : ضَرَبَهُ بشَيْءٍ فهَشَمَهُ ، فانْدَقَّ ذلِكَ الشَّيءُ .

الرِّقُّ : هو العبودية . والرقيق : العبيد . والمراد تستعبد القلوب بالحب .

وقد يكون المراد : **رَقَّ** ، **ترِقُّ** : بمعنى تلين وتنبسط . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ {الزمر : ٢٣} .

٤- **الإستبرق** : ديباج غليظ ، أو حرير سميك ، منسوج بخيوط الذهب : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ {الكهف : ٣١} .

٥- **الآفاق** ، وواحد الآفاق : **أُفُقٌ** ، وهي النواحي من الأرض ، وكذلك آفاقُ السماء نواحيها .

أَوْ عِنْدَ الشَّفَق (١) .

وَ لَهُ بَرَقٌ وَشَرَق (٢) .

فَالأَبْصَارُ تُحَمْلِق (٣) .

١- **الشَّفَقُ** : الحمرة في السماء من غروب الشمس إلى وقت العشاء الأخيرة .

٢- **بَرِقَ بصره ، فهو بَرِقٌ** : أي بهت ، فهو فزع مبهوت . وكذلك يفسر من قرأ : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴾ {القيامة : ٧} . ومن قَرَأ : ﴿ بَرَقَ ﴾ يقول : تراه يلمع من شدة شخوصه ولا يطرف .

شَرقَ : يَشْرُقُ شُروقاً ، يقال لكل شيء طلع من قبل المَشْرِقِ .

٣- **حملقَ الرجلُ** : إذا أدَار حماليق عينه فِي نظره . والحِملاق والحُمْلوق وَاحِد : وَهُوَ بَاطِن الجفن الذي يسوده الكحل . يقال : جاء فلان متلثِّماً لا يظهر من حُسْن وجهه إلاّ حَماليقُ حدقَتيه . ويقال : هو ما غطّته الأجفان من بياض المُقلة . وقد حَمْلَقَ الرجل: فَتَح عينيه ونظر نظراً شديداً . قيل :

أستخبر الشمس عنكم كلما طلعت ... واسأل البرق عنكم كلما لمعا
أبيت و الشوق يطويني و ينشرني ... في راحتيه و لا أشكو له وجعا
أحبابنا إن يكن طال المدى فلكم ... قد قطع القلب مني بعدكم قطعا
فلو منتم على طرفي برؤيتكم ... لكان أحسـن شيء بيننا وقعا
لا تحسبوا أنني بالغير مشتغلٌ ... إن الفؤاد لحب الغير ما وسعا

وَالقُلُوبُ تَخْفِق (١) .

وَالبَصَائِرُ تَرْمُق (٢) .

وَالأَفْئِدَةُ تُسْرَق (٣) .

١- **الخفقان** : هو الاضطراب ، ويقال : راية خفاقة ، أي راية عالية تلاعبها الرياح ، وفي حالة خفقان القلب ، فهو الاضطراب الحادث في ضربات القلب ، نتيجة للقلق من خبر مفرح أو محزن للإنسان . قال سلطان العاشقين :

لـي فـي الغـرام سـريرة ... واللـه أعلـم بالسـرائر
ومشـبه بـالغصون قلبـي ... لا يـزال عليـه طـائر
حـلو الحـديث وإنهـا ... لحـلاوة شـقت مرائـر
أشـكو وأشـكر فعلـه ... فـأعجب لشـاك منـه شـاكر
لا تنكـروا خفقـان قلبـي ... والحـبيب لـدي حـاضر
مـا القلـب إلا داره ... ضـربت لـه فيهـا البشـائر

٢- **أرمقه ببصري** : أي أتبعه ببصري .

٣- قال سلطان العاشقين :

وتعذيبكمْ عذبٌ لديَّ وجوركمْ ... عليَّ بما يقضي الهوى لَكُمُ عدلُ
وصبريَ صبرٌ عنكمُ وعليكمُ ... أرى أبداً عندي مرارتهُ تحلُو
أخذتمْ فؤادي وهْوَ بعضي فما الَّذي ... يَضَرّكُمُ لو كانَ عِندَكَمُ الكُلُّ

وَالأَلْسِنَةُ تَزْعَق (١) .

وَالحَنَاجِرُ تَشْهَق (٢) .

وَالجَمِيعُ فِي شَوْق . مِنْ غَرْبٍ لِشَرْق .

الحُبُّ سَهْمٌ فِي القُلُوبِ يَرْشُق (٣) .

وَلِلْمَلَذَّاتِ يَشْنُق (٤) .

وَلِلشَّهَوَاتِ يَسْحَق (٥) .

المُحِبُّ دَائِماً فِي أَرَقٍ ، وَحُمْقٍ (٦) .

١- **الزعق** : الصياح .

٢- **الشّهق** : تردُّد الْبكاء فِي الصَّدْر .

٣- **الرَّشْقُ** : الخزق بالرمي ، ورَشَقناهُم بالسهام رَشْقاً .

٤- **الشنق** : التعليق . وشنق الملذات هو قتلها .

٥- **السَّحْقُ** : دونَ الدَّقّ . سَحَقَتِ الرِّيحُ الأرضَ وسَهَكَتْهُ إِذا قَشَرَت وَجْهَ الأرضِ بشدَّةِ هُبُوبها . والمراد هنا أن الحب يفني الشهوات .

٦- **الأرق** : السهاد والسهر . الحمق : هو الرجل يفعل أفعال الأحمق . وهو من شرب الخمر .

وَخَنْق وَزَهَقٍ وَشَوْقٍ (١) .

وَقَلَقٍ وَحَرْقٍ وَحَنْق (٢) .

وَلَكِنَّهُ فِي بِحَارِ نَعِيمِهِ غَرَق .

وَلِسَفِينَتِهِ خَرَق (٣) .

١- **الخنق** : هو سد مجرى الهواء ومنع التنفس . زهقت نفسه : أي خرجت . والمراد أن الحب قاتل .

٢- **القلق** : هو عدم الثبات . الحرقة : المقصود هنا وجع القلب . الحنق : الضيق وشدة الاغتياظ .

قيل في هذا المعنى :

تضيقُ بنا الدنيا إذا غبتُم عنا ... وتَذهَبُ بالأشواقِ أرواحُنا منّا

فبُعدُكُم موتٌ وقُربكُم حيا ... فإن غبتموا عنّا ولو نفساً متنا

نموت ببعدِكمُ ونحيا بقُربكم ... وإن جاءنا عنكم بشيرُ اللقا عشنا

ونحيا بذكراكم إذا لم نراكمُ ... ألا إنَّ تذكارَ الأحبَّة ينعشُنا

فلَولا معانيكمُ تراها قلوبُنا ... إذا نحنُ أيقاظٌ وفي النوم إن غبنا

لمتنا أسى من بعدكم وصبابةً ... ولكنَّ في المعنى معانيكُم معنا

٣- قال تعالى : ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ....فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا ﴾ {الكهف : (٧١ – ٧٩)} . فأفسد سفينة نفسه حتى لا يغتصبها ملك الهوى ، قال النفري : (**إِنَّمَا يَصْلُحُ لَنَا ، مَنْ لَا يَصْلُحُ لِشَيْءٍ**) !

أَيُّهَا المَحْبُوبُ عَلَيْنَا فرِقّ ، وَلَا تَشُق (١) .

وَلِرِقَابِنَا فَاعْتِق (٢) .

وَبِقُلُوبِنَا فَارْفِق (٣) .

١- **الرقيق** : هو الذي ليس له سمك ، وبالتالي قدرته ضئيلة على التحمل كناية عن ضعفة وهشاشته وعجزه ، ومن هنا كان الطلب بعدم المشقة ، بقوله : **ولا تشق** .

٢- **العتق** : هو التخلص من العبودية والرق . والمراد هنا التخلص من العبودية للهوى والشهوات والجسد .

٣- **الرفق** : لين الجانب ولطافة الفعل وصاحبه رفيقٌ ، وتقول: ارفُقْ وتَرَفَّقْ. ورفقاً معناه ارفُقْ رِفقاً ، قال الله- عز وجل-: وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً ، أي رفقاً وصلاحاً لكم من أمركم .

قال سلطان العاشقين :

إن كان جسمي عن جنابك قاطع ... فروحيَ نورٌ من جمالك مُدَّتِ
في القرب روح الروح حقا وفي ... اللقا حياةٌ لنفسٍ في الغرام اطمئنتِ
في البعد لوعة وفي القرب رحمة ... وفي الوصل راحة إذ الحب منيتي
يا سائق الأرواح رفقا بِمُذْنِفٍ ... رأى روحه دُعِيَتْ فَلَبَّتِي
يا سائرًا في حي حِبِّي وقاصدًا ... حِمَاهُ اسْتَقِمْ واحذر سهام التلفُّتِ
فلا تحسبن الوصل سَهْلًا مَنَالُهُ ... فكم همم في القرب هَمَّت فَصُدَّتِ
ومن غير جدل تراها أخو الهوى ... ومن لم يمت لم يحظ منها بنظرةِ

وَلِهَفَوَاتِنَا فَلا تُدَقِّق .

فَنَحْنُ أَهْلُ صِدْق .

وَطُلَّابُ حَق .

وَأَصْحَابُ ذَوْق .

الُمحِبُّ فِي نَفَق .

وَالنَّفَقُ ضَيِّق (١) .

وَانْهَمَرَ العَرَق .

وَآنَ لِلأَسِيرِ الأَبْق (٢) .

لِسَانُ الحُبِّ نَطَق .

وَلِلأَحْوَالِ فَرَق .

١- هذا النفق هو الذي سيعبر به من الخلقية إلى الحقية .

٢- **الأبق** : هو هروب الأسير أو السجين من سجن الرق والعبودية إلى فضاء الحرية . والمعنى هو تطلع الروح الرقيقة الأسيرة لفك أسرها وهروبها من سجن الجسد الكثيف .

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ {الانشقاق : ١٩} .

اهْتَدَى مَنِ اهْتَدَى ، وَفَسَقَ مَنْ فَسَق .

الحُبُّ عِشْقٌ وَعُمْق .

وَلِلْقُلُوبِ فَتْقٌ بَعْدَ رَتْق (١) .

فَبِهِ فَتِق .

فَالمُحِبُّ قَدْ سَبَق .

١- **الفَتْقُ** : انفِتاقُ رَتْقٍ كل شيء متصل مستو وهو رتق فإذا انفصل فهو فَتْقٌ . والمراد هنا انفتاح عين القلب المسماة بالبصيرة .

كان بعضهم يقول : اللهم اجعلنا من الذين فتقت له رتق غواشي جفون القلوب ، حتى نظروا إلى تدبير حكمتك ، وشواهد حجج تبيانك ، فعرفوك بموصول فطن القلوب ، فرقيت أرواحهم عن أطراف أجنحة الملائكة ، فسماهم أهل الملكوت زواراً ، وأهل الجبروت عماراً ، وترددوا في مصاف المسبحين ، ولاذو بأفنية المقدسين ، فتعلقوا بحجاب العزة ، وناجوا ربهم كفاحا ، حتى نظروا بأبصار القلوب إلى عز الجلال إلى عظيم الملكوت ، فرجعت القلوب إلى الصدور على الثبات بمعرفة توحيدك ، فلا إله إلا أنت .

التنزل الحادي والأربعون ومائة

عبد الله على الحقيقة

مَا عَبَدَ كُلُ عَابِدٍ فِي مَعْبُودِهِ إِلَّا مَا ظَهَرَ لَهُ مِنَ الحُبِّ فِيهِ .

وَعَلَى قَدْرِ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنَ الحُبِّ عَبَدَ .

فَمَا عُبِدَ مَعْبُودٌ إِلَّا بِالحُبِّ .

فَمَا أَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ لله إِلَّا بِالحُبِّ .

وَمَا كَفَرَ مَنْ أَسْلَمَ لِغَيرِ الله مِنَ المَعْبُودَاتِ البَاطِلَةِ إِلَّا بِالحُبِّ .

فَاخْتَلَفَ المَعْبُودُ فِي نَظَرِ كُلِّ عَابِدٍ ، وَتَوَحَّدَ الحُبُّ فِي قُلُوبِهِم .

وَكُلُّ مُحِبٍّ مَعَ مَنْ أَحَبَّ (١) .

١- عَنْ أَنَسٍ ، ﷺ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : =

وَاللهُ غَيُورٌ (١) .

لَا يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ سِوَاهُ .

فَظَهَرَ لِكُلِّ عَابِدٍ فِي مَظْهَرِ مَعْبُودِهِ .

فَظَهَرَ لِعَابِدِ الحَجَرِ فِي مَظْهَرِ الحَجَرِ .

وَلِعَابِدِ الشَّجَرِ فِي مَظْهَرِ الشَّجَرِ .

وَلِعَابِدِ البَشَرِ فِي مَظْهَرِ البَشَرِ (٢) .

= «**وَمَا أَعْدَدْتَ لِلسَّاعَةِ؟**» قَالَ : حُبَّ اللهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ : «**فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» قَالَ أَنَسٌ : فَمَا فَرِحْنَا ، بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : «**فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**» قَالَ أَنَسٌ : فَأَنَا أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما . فرح الصحابة ﷺ لأن مجرد الحب كان سبب كاف ومقنع للسعادة في الدنيا والآخرة .

١- قال رسول الله ﷺ : «**لاَ أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ**» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ {البقرة : ٣٠} . وقال : ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ {البقرة : ١٤٧} . وقال : ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ {النجم : ٤٢} . موضع الشاهد في هذه الآيات ، هو (كاف) الخطاب في (ربك) والمراد هنا هو رب سيدنا محمد ﷺ =

= قال تعالى : ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ {آل عمران : ٤١} . موضع الشاهد في هذه الآية ، هو (كاف) الخطاب في (ربك) ، والمراد هنا هو رب سيدنا عيسى عليه السلام .

قال تعالى : ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ {البقرة : ٦١} . موضع الشاهد في هذه الآية ، هو (كاف) الخطاب في (ربك) ، والمراد هنا هو رب سيدنا موسى عليه السلام .

وهنا يثور سؤال : هل الأرباب مختلفة ؟ هل ليس رب سيدنا محمد ﷺ كرب غيره من الرسل والنبيين ؟ وهل رب الرسل والنبيين هو رب عامة المؤمنين ؟ وهل رب المؤمنين هو رب الكافرين ؟

قال تعالى : ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴾ {البقرة : ١٣٩} . وصح عنه ﷺ أنه قال في الحديث : «**رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ**» رواه أبو داود . فالله تعالى واحدٌ ، وإنما الرب المتخيَّل في معتقدات المخلوقين متعدد . وهذا ما تطلق عليه الطائفة : (إله المعتقدات) ، أو (الإله المجعول) ، أو (الحق الاعتقادي) ، أو (الحق المُعْتَقَد في القلب) . وصح عنه ﷺ أنه قال : «...فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا . فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا ، عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتْبَعُونَهُ» .

ومن هنا تعرف إن كل عاقل له في ذات الله مقالة . إنما عبد كل عابد ما صوره له عقله ، والعقل يصور على قدر علمه ، فكلما ازداد الإنسان علماً بالله تعالى كلما ارتقى معبوده . فالجاهل يعبد إلهاً=

= والعالم يعبد إلهاً ، وما بين الإلهين كما بين العلم والجهل . وإن لله عباداً عملوا على إيمانهم ، وصدقوا الله في أحوالهم ، ففتح الله أعين بصائرهم وتجلّى لهم في سرائرهم ، فعرفوه على الشهود ، وكانوا في معرفتهم تلك على بصيرة ، وبينة ، بشاهد منهم : وهو الرسول المبعوث إليهم . وهؤلاء هم جل أصحاب رسول الله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ {الحجر : ٩٩} . أي اعبد ربك المنعوت في الشرع ، حتى يأتيك اليقين ، فينكشف الغطاء ، ويحتد البصر ، فترى ما رأى ﷺ ، وتسمع ما سمع ﷺ ، فتلحق به في درجته ﷺ ، من غير نبوة تشريع ، بل وراثة محققة ، لِنَفْسٍ مُصَدِّقَةٍ مُتَّبِعَةٍ .

فلما قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ {الحجر : ٩٩} . فإن (الكاف) في (ربك) هي سيدنا محمد ﷺ . أي اعبد رب محمد ﷺ . وما ذكر رب محمد ﷺ هنا سُدًى ، وإنما قاصدًا بذكره أن تعبده بشرعه ، لأنه الصراط المستقيم الموصل إلى كشف الغطاء . ومن هنا قال باب مدينة العلم أمير المؤمنين الإمام علي كرم الله وجهه : (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا) . لأن النبي ﷺ قال فيه : «**عَلِيٌّ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْهُ**» رواه ابن ماجة وأحمد .

وفي الحديث السابق عنه ﷺ أنه قال : «...فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا . فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا ، عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتْبَعُونَهُ» . فقد أثبت هذا الحديث أنه تعالى له تجلٍ في الصور ، وأثبت أن في مخيلة كل شخص صورة لربه ، لا يعرفه إلا =

= بها ، وأنه إذا رآه تعالى في الآخرة في غير هذه الصورة ، التي اعتقده فيها في الدنيا ، فلن يعرفه وسينكره ، حتى يتجلى الله تعالى له في الصورة التي اعتقده عليها ، وعرفه فيها . ولله در الشيخ محيي الدين بن عربي ، ﷺ ، حيث قال :

لَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ اليومِ أُنْكِرُ صَاحِبِي ... إِذَا لَمْ يَكُنْ دِينُه إِلَى دِينِي دَانِي
لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلاً كُلَّ صُورَةٍ ... فَمَرْعَىً لِغِــزْلَانٍ ودَيْرٌ لِرُهْبَــانِ
وَبَيْتٌ لِأَوْثَـانٍ وَكَعْــبَةُ طَائِـفٍ ... وَأَلْوَاحُ تَوْرَاةٍ ومُصْحَفُ قُــرْآنِ
أَدِينُ بِدِينِ الْحُــبِّ أَنَّى تَوَجَّهَتْ ... رَكَائِبُهُ ، فَالْحُبُّ دِينِي وَإِيمَانِي

وقال الجيلي ، ﷺ :

تَجَلَّى حَبِيبِي فِي مَرَائِي جَمَالِهِ ... فَفِي كُلِّ مَرْأَىً لِلحَبِيبِ طَلَائِعُ
فَلَمَّا تَبَدَّى حُسْنُهُ مُتَنَوِّعاً ... تَسَمَّى بِأَسْمَاءٍ فَهُنَّ مَطَالِعُ
وَأَبرَزَ مِنْهُ فِيهِ آثَارَ وَصْفِهِ ... فَذَلِكُمُ الآثَارُ مَنْ هُوَ صَانِعُ
فَأَوْصَافُهُ وَالاسْمُ وَالأَثَرُ الَّذِي ... هُوَ الكَونُ عَينُ الذَّاتِ وَاللهُ جَامِعُ
فَمَا ثَمَّ مِن شَيْءٍ سِوَى اللهُ فِي الوَرَى ... وَمَا ثَمَّ مَسْمُوعٌ وَمَا ثَمَّ سَامِعُ

ولا يتجلى الله تعالى بوصف مرتين ، ولا يظهر في صورة لإثنين ، ولا يرد منه – بمعنى واحد – كلمتان . بل لكل تجلٍّ منه صورة ، ولكل عبد – عند ظهوره له – صفة ، وعن كل نظرة كلام ، وبكل كلمة إفهام ، ولا نهاية لتجليه ، ولا غاية لأوصافه ، ولا نفاد لكلمه .

فَاللهُ هُوَ ﴿الظَّاهِرُ﴾ : يَعْنِي لَا ظَاهِرَ سِوَاهُ (١) .

فَمَا عَبَدَ عَابِدٌ فِي الحَقِيقَةِ إِلَّا اللهَ .

حَتَّى قَالَ : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ {الإسراء : ٢٣} (٢) .

١- قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ {الحديد : ٣} . إذن ، فهو الوجود كله . و(الـ) تتضمن عدم مشاركة أحد له في هذه الصفات . فإذا قلت : **(ظاهر)** ، يقتضى ظهور غيره ، أما إذا قلت : **(الظاهر)** يعني عدم ظهور غيره . فهو تعالى الظاهر في المظاهر ، الظاهر له ، ولك . الباطن عنك ، لا ، عنه . الأول بك . الآخر ، إذا كان عينك .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ {الإسراء : ٢٣} ، وقضاؤه نافذ . فلا يعبد عابد معبوداً ، إلا وقد ظهرت له فيه بعضُ من صفات الألوهية ، فعبدها في معبوده فكلهم – وإن ضلوا في العبادة – ولكنهم ما ضلوا في المعبود . وإن عصى منهم أحد الأمر ، فلا يستطيع أن يعصى الإرادة ، فليس هناك إله يعصى أبدا فالكل له طائعون : إما لأمره وإرادته معا ، وإما لإرادته دون أمره وهذا في الظاهر . أما في الباطن ؛ فالكل طائعون لأمره وإرادته – حتى العاصي – لأنه ما عصى العاصي إلا بأمره تعالى ، بدليل قوله تعالى : ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ {الإسراء : ١٦} ، فهذه الآية مصرحة بأن فسق الفاسقين فيها كان بأمر باطني : ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ {الأعراف : ٥٤} فكلٌ مُسَيَّرٌ في تخييره . =

يَعْنِي : قَضَى فِي قَدِيمِ أَزَلِهِ أَنَّهُ لَا يَعْبُدُ عَابِدٌ إِلَّا مَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ مَظْهَرٍ إِلَهِيٍّ .

وَلَكِنَّ مَنْ عَبَدَ اللهَ عَلَى الحَقِيقَةِ ؛

فَقَدْ عَبَدَهُ دُونَ مَا حِجَابٍ مِنَ المَظَاهِرِ .

= وقال الجيلي ﷺ :

فَسَلَّمتُ نَفسي حَيثُ أَسلَمَني القَضا ... وَما لِيَ مَع فِعلِ الحَبيبِ تَنازُعُ
فَطَوراً تَراني في المَساجِدِ عاكِفاً ... وَأَنّي طَوراً في الكَنائِسِ راتِعُ
أَرانيَ كَالآلاتِ وَهوَ مُحَرِّكي ... أَنا قَلَمٌ وَالإِقتِدارُ الأَصابِعُ
وَلَستُ بِجَبرِيٍّ وَلَكِن مُشاهِد ... فِعال مُريدٍ ما لَهُ مَن يُدافِعُ
فَآوِنَة يَقضي عَلَيَّ بِطاعَةٍ ... وَحيناً بِما عَنهُ نَهَتنا الشَرائِعُ
لِذاكَ تَراني كُنتُ أَترُكُ أَمرَهُ ... وَآتي الَّذي يَنهاهُ وَالجَفنُ دامِعُ
وَلي نُكتَةٌ غَرّا هُنا سَأَقولُها ... وَحُقَّ لَها أَن تَرعَويها المَسامِعُ
هِيَ الفَرقُ ما بَينَ الوَلِيِّ وَفاسِقٍ ... تَنَبَّه لَها فَالأَمرُ فيهِ بَدائِعُ
فَما هُوَ إِلا أَنَّهُ قَبلَ وَقعِهِ ... يُخَبِّرُ قَلبي بِالَّذي هُوَ واقِعُ
فَأَجني الَّذي يَقضيهِ فِيَّ مُرادُها ... وَعَيني لَها قَبلَ الفِعالِ تُطالِعُ
وَكُنتُ أَرى مِنها الإِرادَةَ قَبلَ ما ... أَرى الفِعلَ مِنّي وَالأَسيرُ مُطاوِعُ
فَآتي الَّذي تَهواهُ مِنّي وَمُهجَتي ... لِذَلِكَ في نارٍ حَوَتها الأَضالِعُ
فَإِن كُنتُ في حُكمِ الشَريعَةِ عاصِياً ... فَإِنّي في عِلمِ الحَقيقَةِ طائِعُ

فَذَاكَ عَبْدُ خَالِصٌ مُخْلَصٌ .

أَمَّا مَنْ عَبَدَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ مَظْهَرٍ ؛

فَقَدِ انْحَجَبَ بِالمَظْهَرِ عَنِ الظَّاهِرِ .

فَحِجَابُهُ بِقَدْرِ مَا انْحَجَبَ بِهِ .

فَظُهُورُهُ المُطْلَقُ هُوَ مَعْبُودُ أَهْلِ الإِيمَانِ .

وَظُهُورُهُ بِمَعْنًى خَاصٍّ هُوَ مَعْبُودُ أَهْلِ الكُفْرَانِ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ عن **عبادة النصارى** : الذين اختلفوا في عيسى ﷺ ، قالوا : إن الله تعالى حَلَّ بذاته في يسوع . ولو أنهم قالوا : إن الله تعالى تجلى على يسوع ؛ لكانوا مؤمنين .
ثم إنهم طلبوا الله تعالى ، فعبدوه في عيسى ومريم وروح القدس . ثم قالوا بعدم التجزئة . ثم قالوا بقدمه تعالى على وجوده في محدث عيسى . وكل هذا تنزيه في تشبيه لائق بالجناب الإلهي . لكنهم لما حصروا ذلك في هؤلاء الثلاثة ، نزلوا عن درجة المحمديين ، غير أنهم أقرب من غيرهم إلى درجتهم لأن شهودهم حَصرَ ذلك في الحقيقة العيسوية يئول بهم – إذا انكشف الأمر على ساق – أن يعلموا أن بني آدم كمراء متقابلات ، يوجد في كل منها ما في الأخرى ، فيشهدون الله تعالى في نفسهم ، فيوحدونه على الإطلاق ، فيُنقلون إلى درجة الموحدين لكن بعد جوازهم على صراط البعد ، وهو ذلك التقييد والحصر المتحكم في عقائدهم . =

= أول الإنجيل : (باسم الأب والأم والإبن) . كما أن أول القرآن : (بسم الله الرحمن الرحيم) . فأخذ هذا الكلام قومه على ظاهره ، فظنوا أن الأب والأم والابن عبارة عن الروح ومريم وعيسى . حينئذ قالوا : إن الله ثالث ثلاثة . ولم يعلموا أن المراد بالأب : هو اسم الله ، والأم : كنه الذات المعبر عنها بماهية الحقائق ، وبالابن : الكتاب ، وهو الوجود المطلق ، لأنه فرع ونتيجة عن ماهية الكنه . قال الله تعالى : ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ {الرعد : ٣٩} . إشارة إلى ما سبق بيانه . وإليه أشار عيسى عليه السلام بقوله : ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ {المائدة : ١١٧} أن أبلغه إياهم ، وهو هذا الكلام ، ثم قال : ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ {المائدة : ١١٧} حتى يعلم أن عيسى عليه السلام يقتصر على ظاهر الإنجيل ، بل زاد في البيان والإيضاح ، بقوله : ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ {المائدة : ١١٧} ، لينتفي ما توهموه أنه هو الرب وأمه والروح ، وليحصل بذلك البراءة لعيسى عليه السلام عند الله ، لأنه بَيَّنَ لهم ، فلم يقفوا على ما بَيَّنَ لهم عيسى عليه السلام ، بل ذهبوا إلى ما فهموه من كلام الله تعالى ، فقول عيسى عليه السلام في الجواب : ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ {المائدة : ١١٧} ، على سبيل الاعتذار لقومه ، يعني أنت المرسل إليهم بذلك الكلام الذي أوله : (باسم الأب والأم والإبن) فلما بلغهم كلامك ، حملوه على ما ظهر لهم من كلامك ، فلا تلمهم على ذلك ، لأنهم فيه على ما علموه من كلامك . فكان شركهم عين التوحيد ، لأنهم فعلوا ما علموه بالإخبار الإلهي في أنفسهم ، فمثلهم كمثل المجتهد الذي اجتهد وأخطأ ، فله أجر الاجتهاد ، فاعتذر عيسى عليه السلام لقومه بذلك الجواب للحق ، حيث سأله : =

= ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ {المائدة : ١١٦} . ولهذا تتطرق إلى أن قال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ {المائدة : ١١٨} ، ولم يقل في قوله : (وإن تعذبهم فإنك شديد العقاب) ولا ما يشابه ذلك ، بل ذكر المغفرة طلبا لهم من الحق إياها ، حكما منه بأنهم لم يخرجوا عن الحق . لأن الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، لا يسألون الحق تعالى لأحد بالمغفرة ، وهم يعلمون أنه يستحق العقوبة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ {التوبة : ١١٤} ، وهكذا جميع الأنبياء . فكان طلب عيسى عليه السلام لقومه المغفرة ، عن علم أنهم يستحقون ذلك ، لأنهم على حق في أنفسهم ، ولو كانوا في حقيقة الأمر على الباطل ، فكونهم على حق في معتقدهم هو الذي يئول إليه أمرهم ، ولو كانوا معاقبين على باطلهم الذي عليه حقيقة أمرهم ، ولهذا قال : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ ﴾ {المائدة : ١١٨} . (وإن تفيد الشك) ولقد أحسن التلفظ حيث قال بعدها : ﴿ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ {المائدة : ١١٨} . يعني كانوا يعبدونك وليسوا بمعاندين ، ولا من الذين لا مولى لهم ، لأن ﴿ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ {محمد : ١١} . لأنهم على الحقيقة مُحِقُّون ، لأن الحق تعالى هو حقيقة عيسى ، وحقيقة أمه ، وحقيقة روح القدس ، بل حقيقة كل شيء ، وهذا معنى قول عيسى عليه السلام : ﴿ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ {المائدة : ١١٨} . فشهد لهم عيسى أنهم عباد الله ، وناهيك بها من شهادة لهم . ولذلك قال الله تعالى عقيب هذا الكلام : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ {المائدة : ١١٩} عند ربهم . إشارة لعيسى عليه السلام =

= بإنجاز ما طلب يعني أنهم لما كانوا صادقين في أنفسهم – لتأويلهم كلامي على ما ظهر لهم – ولو كانوا على خلاف ما هو الأمر عليه – نفعهم – عند ربهم – لا عند غيره . لأن الحكم عليهم بالضلال عندنا ، ظاهر الأمر عليه في نفسه ، ولهذا عوقبوا به ، ولما كان مآلهم إلى ما هم عليه به مع الله من الحق ، وهو اعتقادهم في أنفسهم حقيقة ذلك ، فصدقهم في ذلك الاعتقاد ، نفعهم عند ربهم ، حتى آل حكمهم إلى الرحمة الإلهية ، فتجلى عليهم في أنفسهم ، بما اعتقدوه في عيسى ، فظهر لهم أن معتقدهم كان حقا من هذا الوجه ، فتجلى عليهم من حيث معتقدهم ، لأنه عند ظن عبده به .

فكان الإنجيل عبارة عن تجليات أسماء الذات ، يعني تجليات الذات في أسمائه ، ومن التجليات المذكورة : تجليه في الواحدية ، التي ظهر بها على قوم عيسى ، في عيسى وفي مريم وفي روح القدس ، فشهدوا الحق في كل مظهر من هذه المظاهر . وهم ولو كانوا محقين من حيث هذا التجلي ، فقد أخطئوا فيه وضلوا :

- أما خطؤهم فكونهم ذهبوا فيه إلى حصر ذلك في عيسى ومريم وروح القدس .
- وأما ضلالهم فكونهم قالوا بالتجسيم المطلق والتشبيه المقيد في هذه الواحدية ، وليس من حكمها ما قالوه على التقييد .

فهذا هو محل خطؤهم وضلالتهم ، فافهم . وليس في الإنجيل إلا ما يقوم به الناموس اللاهوتي في الوجود الناسوتي ، وهو مقتضى ظهور الحق في الخلق ، لكن لما ذهبت النصارى إلى ما ذهبوا إليه من التجسيم والحصر ، كان ذلك مخالفا لما هو في الإنجيل . =

= فعلى الحقيقة ما قام لما في الإنجيل إلا المحمديون ، لأن الإنجيل بكماله في آية من آيات القرآن ، وهو قوله تعالى : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ {الحجر : ٢٩ ، ص : ٧٢} وليست روحه غيره . فهذا إخبار الله سبحانه وتعالى بظهوره في آدم ، ثم أيده بـ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ {فصّلت : ٥٣} يعني أن جميع العالم المعبر عنه بـ ﴿ فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ هو ﴿ٱلْحَقُّ﴾ ثم بَيَّنَ ، فصرح في قوله في حق محمد ﷺ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ {الفتح : ١٠} وفي قوله : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ {النساء : ٨٠} فاهتدى قوم محمد ﷺ بذلك إلى حقيقة الأمر ، ولهذا لم يحصروا الوجود الحقي في آدم وحده ، لأن الآية ما عينت إلا آدم وحده ، ولكن تأدبوا وعلموا أن المراد بآدم كل فرد من أفراد هذا النوع الإنساني ، وشهدوا الحق في جميع أجزاء الوجود بكماله ، امتثالا للأمر الإلهي وهو قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ {فصّلت : ٥٣} وكذلك محمد ﷺ والمسلمون . فلو أنزلت مثل هذه الآية في الإنجيل ، لاهتدى قوم عيسى إلى ذلك ، ولا يكون هذا .

لأن كل كتاب أنزله الله تعالى ، لابد أن يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ، كما أخبر سبحانه وتعالى في القرآن بذلك ، ألا ترى إلى علماء الرسوم كيف ضلوا في تأويل هاتين الآيتين فذهبوا فيهما إلى ما ذهبوا إليه ولو كان ما ذهبوا إليه وجها من وجوه الحق ، ولكن تحكمت عندهم لها أصول بعدوا بها عن الله وعن معرفته ، وقد اهتدى أهل الحقائق بهما إلى معرفة الله تعالى ، فعين ما اهتدى به هؤلاء ضل به أولئك ، قال الله تعالى : =

= ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ {البقرة : ٢٦} . يقال : فسقت البيضة : إذا فسدت ولم تصلح للتفريخ . فالمراد به هنا قوم فسدت به قوابلهم عن القبول للتجلي الإلهي ، لما تصور عندهم من أن الله تعالى لا يظهر في خلقه ، بل لا يظهر لهم . ثم لما وجدوا ما يريد ذلك من الأصول التنزيهية ، التي حكم فيها بالذات الإلهية وتركوا الأمور العينية ، أخذوا بالأوصاف الحكمية ، ولم يعلموا أن تلك الأوصاف الحكمية ، هي بعينها على كمالها لهذا الأمر العيني ، والوجود الخلقي الحقي . وقد أخبر الحق سبحانه وتعالى عن نفسه بذلك ، في مواضع من كتابه ، كما في قوله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ {البقرة : ١١٥} وفي قوله : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ {الذاريات : ٢١} وقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ ﴾ {الحجر : ٨٥} وقوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ ﴾ {الجاثية : ١٣} وقوله ﷺ إن الله سمع العبد وبصره ويده ولسانه . ولله در من قال :

تجلّى حبيبي في مَرائي جَمالِهِ ... ففي كُلِّ مَرأىً لِلحَبيبِ طَلائِعُ
فَلَمّا تَبَدّى حُسنُهُ مُتَنَوِّعاً ... تَسَمّى بِأَسماء فَهُنَّ مطالِعُ
وَأَبرَزَ مِنهُ فيهِ آثارَ وَصفِهِ ... فَذَلِكُمُ الآثارُ مَن هُوَ صانِعُ
فَأَوصافُهُ وَالاسمُ وَالأَثَرُ الَّذي ... هُوَ الكَونُ عَينُ الذاتِ وَاللهُ جامِعُ
فَما ثَمَّ مِن شَيءٍ سِوى اللهُ في الوَرى ... وَما ثَمَّ مَسموعٌ وَما ثَمَّ سامِعُ

قال تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ {البقرة : ١١٥} فالله تعالى هو الظاهر في كل مظهر . فالظهور شهادة ، والبطون غيب . فما غاب من العالم عن العالم : فهو غيب =

= والقلب من عالم الغيب . وما شاهد العالم من العالم : فهو شهادة ، وكله لله شهادة وظاهر .
فظاهر العبد صورة خلقية محدودة ، وباطنه هوية الحق غير محدودة .
فمن حيث الصورة الظاهرة : هو من جملة من يسبح بحمد الله .
ومن حيث باطنه : فالحق يسبح نفسه بصورة عبده .
فإذا ذكر العبد ربه : فالله تعالى هو الذكر والمذكور والذاكر نفسه بعبده . والمجموع ، هو العبد .
أثنى عليَّ عبدي : أي أثنيت على نفسي في صورة عبدي . فالله له الظهور في المظاهر ، تجليا ، لا ذاتيا . إذ أن ذاته تعالى جلت عن التقييد في الأغراض ، بل لها الإطلاق التام . كل ذلك لا يذاق إلا بالمشاهدة .

عبادة الكفار : فأما الكفار : فإنهم عبدوه بالذات : لأنه لما كان الحق سبحانه وتعالى حقيقة الوجود بأسره ، والكفار من جملة الوجود ، وهو حقيقتهم ، فكفروا أن يكون لهم رب ، لأنه تعالى حقيقتهم ، ولا رب له ، بل هو الرب المطلق ، فعبدوه من حيث ما تقتضيه ذواتهم ، التي هو عينها . ثم إن من عبد منهم الوثن ؛ فلسر وجوده سبحانه بكماله – بلا حلول ولا مزج – في كل فرد من أفراد ذرات الوجود ، فكان تعالى حقيقة تلك الأوثان التي يعبدونها ، فما عبدوا – على التحقيق – إلا الله . ولم يفتقر في ذلك إلى علمهم ، ولا يحتاج إلى نياتهم ، لأن الحقائق ولو طال إخفاؤها لابد لها أن تظهر على ساق مما هو الأمر عليه ، وذلك سر اتباعهم للحق في أنفسهم ، لأن قلوبهم شهدت لهم بأن الخير في ذلك الأمر ، فانعقدت عقائدهم على حقيقة ذلك ، وهو عند ظن عبده به . وقال تعالى : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ {المؤمنون : ٥٣ ، الروم : ٣٢} =

= يعني في الدنيا والآخرة ، لأن الاسم لا ينفك عن المسمى ، فهو سماهم بأنهم ﴿ فَرِحُونَ ﴾ . ووصفهم بهذا الوصف ، والوصف غير مغاير للموصوف . بخلاف ما لو قال : فرح كل حزب بما لديهم . كان هذا صيغة الفعل . ولو قال : يفرح : على صيغة المضارع ، كان يقتضي الانصرام . وأما الاسم : فهو لدوام الاستمرار . فهم فرحون في الدنيا بأفعالهم ، وفرحون في الآخرة بأحوالهم . فهم دائمون في الفرح بما لديهم . ولهذا ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ {الأنعام : ٢٨} .

فعبادة الكفار له عبادة ذاتية ، وهي وإن كانت تئول بهم إلى السعادة ، فإنها طريق الضلال ، لبعد حصول سعادتها ، فإنه لا تنكشف لصاحبها الحقائق ، إلا بعد خوض طباق النار الأخروية جميعها ، جزاء بما خاض في الدنيا طباق النار الطبيعية ، بالأفعال والأحوال والأقوال ، على مقتضى البشرية . فإذا استوفى ذلك ، قطع طريقه إلى الله تعالى ، لأنه نودي من بعد ، فيصل بعد ذلك إلى سعادته الإلهية ، فيفوز بما فاز به المقربون من أول قدم ، لأنهم نودوا من قرب ، فافهم .

عبادة المحمديين : أما المحمديون : فإنهم عبدوه من حيث الإطلاق ، بغير تقييد بشيء من أجزاء المحدثات ، فقد تنزهت عبادتهم عن تعلقها بوجه دون وجه ، من باطن وظاهر ، فكان طريقهم صراط الله ، إلى ذاته ، فلهذا فازوا بدرجة القرب من أول قدم ، فهؤلاء الذين أشار إليهم الحق بقوله : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ {ق : ٤١} . أولئك ينادون من مكان قريب . بخلاف من عبده من حيث الجهة ، وقيده بمظهر ، كعبدة الشمس والنار والأوثان أو غيرهم ، فإنهم المشار إليهم بقوله : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ {فصلت : ٤٤} . لأنهم لا =

وَاللهُ مَالِكُ المُلْكِ بِالأَصَالَةِ ، وَعَلَى الحَقِيقَةِ .

وَالعَبْدُ أَيْضاً مَالِكٌ بِالتَّبَعِيَّةِ وَالاسْتِخْلَافِ .

فَلَا يَمْلِكُ فِي الدُّنْيَا إِلَّا الإِنْسَانُ .

وَكُلَّمَا مَلَكَ ؛ كُلَّمَا زَادَ تَخَلُّقُهُ وَتَذَوُّقُهُ لِهَذَا الاسْمِ الشَّرِيفِ .

= يرجعون إليه إلا من حيث ذلك المظهر ، الذي عبدوه من حيث هو ، ولا يظهر عليهم في غيره ، وذلك عين البعد ، الذي نودوا إليه من حيث هو .

قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ {ق : ٤١} . وقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ﴾ {فصلت : ٤٤} . فقد صح للمحمديين النداء . وقد صح للكفار النداء – مع أن الفعل في آيتهم مبني لما لم يسمى فاعله – لأنهم لا يدرون أنه تعالى المنادي عليهم . وقد صح أن الله سبحانه وتعالى هو المنادي على كل من الفريقين لسعادتهم . واختلفت المسافة المقطوعة من كل منهم ، لاختلاف مكان النداء ، واختلاف الطريق الذي أتى عليه كل من هؤلاء وهؤلاء . ولكن لابد للكل من الوصول إلى الله ، ورجوع القطرة للبحر .

وبعد الوصول إلى المنزل ، يتحد من نودي من قريب ، ومن نودي من بعيد . لأنهم يتحدون فى اندراجهم في الحقيقة المحمدية ، لأنها النور الذي خلق الله منه الجنة والجحيم ، والمحتد الذي وُجد منه العذاب والنعيم .

الكاف

الحُبُّ مَلِك (١) .

مُلْكُهُ عَلَى كُلِّ فَلَك .

١- قالوا :

تَمَلَّكتموا عقلي وطرفِي ومسمَعي … وَرُوحِي وأحشائِي وَكُلِّي بأَجْمَعي
وتيّهتُموني فِي بديع جَمالِكُم … وَلَمْ أدر فِي بَحْرَ الهَوَى أَينَ مَوضعي
وأوصَيتُمونِي لا أبوح بسرِّكُم … فباحَ بِما أُخفِي تفيضُ أَدْمُعي
ولمَّا قُضَى صبري وقلَّ تَجَلُّدي … وفارَقَني نَومِي وحُرمت مضجعي
أتَيت لِقاضي الحُبِّ قُلتُ أحبِّتِي … جَفَونِي وقَالُوا أنت فِي الحُبِّ مدَّعي
وعندي شهودٌ للصَبابةِ والأسا … يزكُّونَ دعوايَ إذا جئتُ أدَّعي
سُهادي وَوَجدي واكتئابِي ولوعتِي … وشوقي وسقمي واصفراري وأدمعي
ومن عجبٍ أَنِّي أَحنُّ إِلَيهم … وأسأَلُ شوقاً عنهم وهمُ معي
وتبكيهُم عينِي وهُم فِي سوادِها … ويشكوهم النَّوى وهم بين أضلُعي
فَإِن طَالبونِي فِي حُقوقِ هَواهُم … فَإِنِّي فَقِيرٌ لا علَيَّ ولا معي
وَإِن سجنونِي فِي سجونِ جفاهُم … دخَلتُ عليهم بالشفيعِ المُشَفَّع

فَيَمْلِكُ كُلَّ مَالِكٍ وَمَا مَلَك .

وَفِي كُلِّ قَلْبٍ قَدْ سَلَك (١) .

وَبِكُلِّ جَبَّارٍ فَتَك .

وَلِكُلِّ جَسَدٍ بَرَى وَنَهَك (٢) .

١- **قال سماحة الإمام** ﷺ : لَا مَكَانَ فِي القَلْبِ إِلَّا لِي . إِنْ سَكَنْتُ قَلْبَ عَبْدٍ ؛ جَعَلْتُهُ قِبْلَةَ الكَوْنِ كُلِّهِ ! قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ {النمل : ٣٤} . فإذا دخل ملك الملوك قرية القلب ، محى كل ما فيها سواه .

٢- **بَرى يَبْري بَرْياً** ، إذا نحت . مثل بَرْي القَلم . وَمَا وَقع من نَحْت، فَهُوَ بُراية .

النَّهْكُ : التَّنَقُّصُ . نَهِكَتْهُ الحُمّى إذا رُئِي أَثَرُ الهُزالِ فيه من المرض ، فهو منهوكٌ ، وبدت فيه نَهْكَةُ المَرَضِ ، أي : أَثَرُ الهُزال . والمقصود هنا هو آثار البلاء الواقع عليهم .

قال سماحة الإمام ﷺ : سَبَاهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَوَّلِ نَظْرَةِ حُبٍّ نَظَرَهَا إِلَيهِم . فَسَكِرَتْ أَرْوَاحُهُم بِجَمَالِهِ . فَإِذَا ابْتَلَاهُم ؛ فَلَا يَشْعُرُونَ بِالبَلَاءِ ، لِفَرْطِ سَعَادَتِهِم وَسُكْرِهِم . فَيَمُرُّ عَلَيْهِمُ البَلَاءُ الَّذِي تَتَصَدَّعُ لَهُ الجِبَالُ ، وَلَا يَحِسُّونَ بِهِ . إِذْ كُلُّ بَلَاءٍ إِنَّمَا هُوَ نَظْرَةُ حُبٍّ مِنَ اللهِ إِلَيْهِم . يُزِيلُ بِهَا عَنْهُم حِجَابًا جَدِيدًا . حَتَّى صَارَتْ تِلْكَ البَلَايَا أَجْمَلَ هَدِيَّةٍ ، وَأَعْظَمَ حِلْيَةٍ ، تَسْتَحِقُّ مِنْهُمُ الشُّكْرَ ، وَتَسْتَوْجِبُ مِنْهُمُ الحَمْدَ . إذ كل ما أصابهم ، فهو لهم ، لا عليهم . قال تعالى : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ {التوبة : ٥١} . قال ﷺ : «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ**» . =

وَلِكُلِّ سِتْرٍ هَتَك (١) .

فَالْمُحِبُّونَ مِنْهُ فِي وَعْك (٢) .

= وَيَظَلَّ الحَقُّ يَبْتَلِي أَحْبَابَهُ ، حَتَّى لَا يَصِيرُ لَهُمْ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ . وَيَتَحَقَّقُ فِيهِم كَنْزُهُمُ الَّذِي أَهْدَاهُ اللهُ إِلَيهِمْ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ . وَهُوَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله . فَهُم – وَإِنْ أَصْبَحُوا فِي غَايَةِ النُّحُولِ ، وَفَرْطِ الذُّبُولِ ، إِلَّا أَنَّهُم أَقْوَى خَلْقِ اللهِ بِالله .

١- **الهَتْكُ** : أن تجذبَ سِتراً فتَشُقَّ منه طائفةً ، أو تَقْطَعَه ، فيبدو ما وراءَه منْهُ . والمراد هنا أن الحب يهتك أستار الحجب ويزيح عنها الأستار فتظهر ما فيها من الأسرار . فيظهر أنك بجثمانيتك حجاب على الحقية فيك ، قال النابلسي :

أطوف على ذاتي بكاسات خمرتي ... واستمع الألحان في حان حضرتي
وعندي إلى رؤيا جمالي تشوق ... كثير وما عشقي لغير حقيقتي
ويا لهف أحشائي على حسني الذي ... فؤادي به صب ويا فرط لوعتي
أحن إلى ذاتي صباحا وفي المسا ... وغاية قصدي في العوالم رؤيتي
وقد وعدتني اليوم نفسي بوصلها ... غدا متى مني تقوم قيامتي
وأرفع عن وجهي خماري مجردا ... ثيابي عن ذاتي وأهتك سترتي

٢- **الوعْك** : مَغْثُ المَرَض . تَقول : وعكته الحمّى إِذا دكّته . وَرجل موعوك أَي مَحْمُوم ، وَقد وعَكته الحمّى تَعِكُه.

وَحَالُهُم ضَنْك (١) .

بَيْنَ بَتْكٍ وَحَبَك (٢) .

مِنْهُم مَنْ هَلَك .

وَمِنْهُم مَنْ عَلَى وَشَك .

١- **الضَّنْكُ** : الضِّيق . ويفسر قوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ {طه : ١٢٤} ، كل ما لم يكن حلالاً فهو ضَنْك وإن كان موسعاً عليه . والمراد أن في حال الهجر يكون الضيق : قيل في هذا المعنى :

تضيقُ بنا الدنيا إذا غبتُم عُنا ... وتَذهَبُ بالأشواقِ أرواحُنا منّا
فبُعدُكُم موتٌ وقُربكُم حيا ... فإن غبتموا عنّا ولو نفساً متنا
نموت ببعدِكمُ ونحيا بقُربكم ... وإن جاءنا عنكم بشيرُ اللقا عشنا
ونحيا بذكراكم إذا لم نراكمُ ... ألا إنَّ تذكارَ الأحبَّة ينعشُنا
فلَولا معانيكمُ تراها قلوبُنا ... إذا نحنُ أيقاظٌ وفي النوم إن غبنا
لمتنا أسى من بعدكم وصبابةً ... ولكنَّ في المعنى معانيكُم معنا

٢- **البتك** : القطع . وهو كناية عن الهجر .

والحبك : النسج . وهو كناية عن الوصل .

وَلَكِن بِدُونِ الحُبِّ لَا تَكْمُلُ النُّسُك (١) .

١- قيل :

وجدتُ هواكم قائدي منذ نشأتي ... فغبتُ عن الأكوانِ إذ كنتَ وِجهتي
وهِمْتُ بكم والحبُّ فيكم مصاحبي ... مدى العمر والأشواقُ كانت مطيَّتي
مُنى القلب لم يخطرْ سواكم بخاطري ... ومذ كنت طفلاً كان حبُّك قدوتي
وإن حنَّ طيرٌ نحو وَكْرٍ وجدتني ... أنوحُ اشتياقًا كلَّما الريحُ هبَّت
فيذكركم قلبي وما بحتُ باسمكم ... لغير فؤادي أو لغير سريرتي
إذا جنَّ بي ليلي أحنُّ لطيْفِكم ... وأجعل ذكراكُمُ على البعد سلوتي
وما طمحتْ في الحب نفسي لغيركم ... وما غيرُ ذاتي قربَ ذاتي أحبَّت
وإني من القوم الذين تتيَّموا ... غرامًا وعهدي في الهوى قبل خلقتي
وفي القلب نيرانٌ وفي العين وحشةٌ ... من الخلق والأسقامِ دومًا قرينَتي
ومذ كنتَ أصْلي كان حبُّك مذهبي ... وما غيرُ جسمي كان سجنًا لفرقتي
وما الجسمُ إلا رمزُ بُعدٍ تكوَّنَ ... من الغير والأغيارُ ثوب الحقيقة
وما الجسم إلا مظهرٌ لصفاتِكم ... تكوَّن من طينٍ لحمل الأمانة
ولكنه للابتلاء رهينةٌ ... وفي عالم الأجسامِ عاينْتُ محنتي
فحينًا بحكم الروح أطمحُ للعُلا ... وتهبطُ بي حينًا كثافةُ طينتي
وطَوْرًا أراني حاضرًا غيرَ غائبٍ فما ... وطورًا أراني في غياهب غَفْلتي
يصنع العاني أسيرُ جمالِكم ... وشرطُ الهوى فيكم فناءُ الإرادة =

وَيَنْمَحِي مِنَ الكَوْنِ الضَّحِك (١) .

= وما حيلتي والعجزُ غاية قوّتي ... وأمري جميعًا تحت حكم المشيئة
لئن كان جسمي عن جنابكَ قاطعي ... فروحيَ نورٌ من جمالِك مُدَّت
فخلّصني من أسْرِ الطبيعة واهدِني ... بنورِكِ يا الله واوصل قطيعتي
وأنعمْ بتطهيرِ الفؤاد من الهوى ... وجُدْ لي بتوفيقٍ ومُنَّ بأوْبة
ففي القُرْب روحُ الروحِ حقًّا وفي اللقا ... حياةٌ لنفسٍ في الغرام أطمأنّت

١- قَالَ ﷺ : «**اللَّهُمَّ الْقَ طَلْحَةَ تَضَحَكُ إِلَيْهِ ، وَيَضْحَكُ إِلَيْكَ**» . رواه ابن أبي عاصم والطبراني وأبو نعيم . وفي معنى الضحك نقول : ورد فِي الْحَدِيثِ : ﴿**يَبْعَثُ اللهُ السَّحابَ فَيَضْحَكُ أحسنَ الضَّحِكِ**﴾ جَعَلَ انْجِلاَءَهُ عَنِ الْبَرْقِ ضَحِكاً ، اسْتِعَارَةً وَمجَازًا كَمَا يفْتَرُّ الضاحِكُ عَنِ الثَّغْر ، وَكَقَوْلِهِمْ ضَحِكَتِ الأَرْضُ إِذا أَخرجت نبَاتَهَا وزَهْرَتها . والضَّحْك : النَّوْرُ . والضَّحْك : المَحَجَّة . وضَحِكَتِ المرأةُ : حَاضَتْ . فالضحك هو الانفتاح أي فتح الشيء المغلق وخروج المختفي . ففي حالة السرور يفتح الفم بالضحك . وفي حالة الحيض يفتح الرحم بالدم : ﴿ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ {هود : ٧١} . والمراد في حديث «**اللَّهُمَّ الْقَ طَلْحَةَ تَضَحَكُ إِلَيْهِ ، وَيَضْحَكُ إِلَيْكَ**» هو فتح مغاليق الرحمة والعطايا والمنح الإلهية .

التنزل الثاني والأربعون ومائة

طوفان المقام المحمود

الحُبُّ نَارٌ تَتَأَجَّجُ وَسَطَ مَاءٍ يَتَمَوَّجُ (١) .

وَهَذِهِ دَرَجَةٌ رَفِيعَةٌ وَسَطَ أَكْوَانِ الطَّبِيعَةِ .

١- قال سلطان العاشقين :

إن لم يكُنْ وَصْلٌ لَدَيكَ ، فَعِدْ بِهِ — أملي وماطلْ إنْ وعدتَ ولاتفي
فالمطلُ منكَ لديَّ إنْ عزَّ الوفا — يحلو كوصلٍ منْ حبيبٍ مسعفِ
أهفو لأنفاسِ النَّسيمِ تعلَّةً — ولوجهِ منْ نقلتْ شذاهُ تشوُّفي
فلَعَلَ نارَ جَوانحي بهُبوبِها — أنْ تَنطَفي، وأوَدّ أن لا تنطفي
يا أهلَ ودِّي أنتمُ أملي ومنْ — ناداكُمُ يا أهْلَ وُدّي قد كُفي
عُودوا لمَا كُنتمْ عليهِ منَ الوَفا — كرماً فإنِّي ذلكَ الخلُّ الوفي
وحياتكمْ وحياتكمْ قسماً وفي — عُمري، بغيرِ حياتِكُمْ، لم أحْلِفِ
لوْ أنَّ روحي في يدي ووهبتها — لمُبَشّري بِقَدومِكُمْ لم أنصفِ

اخْتَطَفَ اللهُ حَقَائِقَهُم إِلَيْهِ .

وَأَذَابَ نُفُوسَهُم فِي شُهُودِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ .

اضْمَحَلَّتْ ذَوَاتُهُم فِي ذَاتِهِ .

وَصِفَاتُهُم فِي صِفَاتِهِ (١) .

فَعَذَابُهُم لَا يَنْقَطِعُ ، وَاسْتِعْذَابِهِم لَا يَنْدَفِعُ .

فَقَلْبُ المُحِبِّ لَمْ يَزَلْ بِهِ يَهِيمُ .

١- قال الجيلي :

خبتني فكانت فيَّ عني نيابة ... أجل عوضاً بل عين ما أنا واقع
فكنت أنا هي ، وهي كانت أنا ... وما لها في وجود مفرد من ينازع
بقيت بها فيها ولا تاء بيننا ... وحالي بها ماض كذا ومضارع
وشاهدتني حقاً بعين حقيقتي ... فلي في جبين الحسن تلك الطلائع
فأوصافها وصفي وذاتي ذاتها ... وأخلاقها لي في الجمال مطالع
واسمي حقًّا اسمها ، واسم ذاتها ... لي اسم ، ولي تلك النعوت توابع
فما ثم من شيء سوى الله في الورى ... وما ثم مسموع وما ثم سامع

وَاللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ .

قَدْ تُفْنِيهِم سَطْوَةُ أَنْوَارِ الشُّهُودِ (١) .

١- (**لَا يُخْرِجُكَ عَنِ الوَصْفِ إِلَّا شُهُودُ الوَصْفِ**) فلا يخرجك عن أوصاف نفسك الذميمة إلا شهود أوصاف ربك العظيمة ، فلا يخرجك عن دناءة نفسك إلا شهود كرم ربك ، فلا يخرجك عن شهود أوصافك الحادثة إلا شهود أوصاف ربك القديمة ، فيخرجك عن شهود فعلك بشهود فعله ، وعن شهود صفاتك بشهود صفاته ، وعن شهود ذاتك بشهود ذاته ، وقد سئل القطب ابن مشيش رضي الله عن شيخنا وعنه عن حقيقة المحبة ، سأله تلميذه أبو الحسن الشاذلي ﷺ ، فقال : المحبة أخذُ القلب وخطفه عند كشف نور الجمال وقدس الجلال ، والشرب مزج الأوصاف بالأوصاف ، والأخلاق بالأخلاق ، والأنوار بالأنوار ، والأسماء بالأسماء ، والنعوت بالنعوت ، والأفعال بالأفعال . فما دام العبد لم يشاهد أوصاف ربه العظيمة ، لا يمكنه أن يخرج عن أوصاف نفسه اللئيمة خروجا كليا ، وإنما يكون ذلك مجاهدة ، تارة له وتارة عليه ، بين طلوع ونزول ، بخلاف ما إذا شاهد أوصاف ربه ، فإنه يغيب عن نفسه ، قد تولاه محبوبه ، فكان سمعه وبصره ويده ورجله ومؤيدا له فلا يتصرف إلا بالله : ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ {آل عمران : ١٠١} . يشير إلى أنه إذا تحقق الفناء في الذات والبقاء بالله ، فلا نقص للنفس ولا كمال ، وإنما الكمال للكبير المتعال ، فله الحمد والثناء على كل حال كما قيل : المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكرا ، وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا ، فالنفس عند تحقق الفناء لا وجود لها حتى تذكر ، ولا فعل لها =

وَلَكِنَّ ذَوَاتِهِم مُتَنَعِّمَةٌ بِنِعْمَةِ الوُجُودِ (١) .

= حتى تشكر ، فليس للعارف عن نفسه إخبار ، حتى يخبر عنها بفعل شيء ، فضلاً عن أن يشكر لها وصفا ، **قد استغرقه شهود فعل الحق عن فعله ، وشهود وصف الحق عن شهود وصفه ، وشهود نور ذات الحق عن شهود ذاته** . فيشغله الثناء على الله عن الالتفات إلى ما سواه ، إذ لا يشهد في الكون إلا إياه ، وتشغله حقوق الحق عن الالتفات إلى حظوظ النفس ، إذ لا نفس مع الفناء ، فلا يبقى إلا حقوق العالم الأسنى ، فتنقلب الحظوظ في حقه حقوقا ، لأنهم إذا صدر منهم عمل رأوه منةً من الله ، فيستحيون أن يطلبوا عليه عوضا أو غرضا.

١- إنما كانت ذوات المحبين متنعمة بنعمة الوجود لأنها اتصلت بالموجود .

قال سماحة الإمام ﷺ : هُوَ المُتَجَلِّي الظَّاهِرُ في كُلِّ ظَاهِرٍ . وَهُوَ المُتَجَلِّي النَّاظِرُ في كُلِّ نَظَرٍ . وَالبَصِيرُ في كُلِّ بَصَرٍ . وَهُوَ السَّمِيعُ في كُلِّ سَمْعٍ . و﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ {الحديد : ٣} . إِذَنْ فَهُوَ الوُجُودُ كُلُّهُ .

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرٍ ... ظَنُّوا سِوَاهَا وَهِي فِيهِم تَجَلَّتِ

فَفِي النَّشْأَةِ الأُولَى تَرَاءَتْ لِآدَمَ ... بِمَظْهَرِ حَوَّا قَبْلَ حُكْمِ الأُمُومَةِ

فَهَامَ بِهَا كَيْمَا يَكُونَ بِهَا أَبَا ... وَيَظْهَرَ بِالزَّوْجَيْنِ سِرُّ البُنُوَّةِ

وَتَظْهَرُ لِلْعُشَّاقِ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ ... مِنَ اللَّبْسِ فِي أَشْكَالِ حُسْنٍ بَدِيعَةِ

وَهَذَا هُوَ سِرُّ حُبِّ المَظَاهِرِ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ . فَظُهُورُ اللهِ تَعَالَى فِي المَظَاهِرِ هُوَ السِّرُّ . هُوَ الحُبُّ ، وَهُوَ المَحْبُوبُ ، وَهُوَ المُحِبُّ . وَمَا ثَمَّ سِوَاهُ ، وَمَا ثَمَّ غَيْرٌ .

فَهُم غَارِقُونَ مُسْتَغْرِقُونَ فِي طُوفَانِ المَقَامِ المَحْمُودِ (١) .

١- الاستغراق في طوفان المقام المحمود : هو ما عبر عنه سماحة الإمام في بيان بعض معاني صلاة الفاتح بقوله : ﴿**ناصر الحق بالحق**﴾ : وهذا على معنيين :

- أن يكون الحق في اللفظين هو الله تعالى ، كقوله : ﴿**إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ**﴾ {محمد : ٧} .
- أو أن يكون الحق الأول هو الله تعالى ، والحق الثاني هو سيدنا محمد ﷺ ، فهو ﷺ القائل : ﴿**وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ**﴾ .

فاللهم صل على حقيقة حقك ، وصفوتك من خلقك . الذي بنوره حُمِلَت حَمَلَةُ عرشك ، وبسره رُفعت سماواتك ، وبُسطت أرضك ، فهو سماء سمائك ، وعناية عيون إحسانك ، ومظهر عزك وسلطانك ، فأنت العليم به من حيث الحق والحقيقة ، فصل رب عليه من حيث حقيقة علمك بذلك ، وتحققه لما هنالك . اللهم صل على المتخلق بصفاتك ، المستغرق في مشاهدة ذاتك ، الحق المتخلق بالحق ، حقيقة الحق : ﴿**وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ**﴾ {يونس : ٥٣} . ﴿**فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ**﴾ {الذاريات : ٢٣} .

فالمقام المحمود هو المقام الذي يرجع إليه عواقب المقامات كلها ، وإليه تنظر جميع الأسماء الإلهية المختصة بالمقامات ، وهو لرسول الله ﷺ ، ويظهر ذلك جليا لعموم الخلق يوم القيامة وبهذا صحت له ﷺ السيادة على جميع الخلق يوم العرض ، ومن هنا قال ﷺ : ﴿**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ . وكان قد أقيم آدم عليه السلام في هذا المنزل لما سجدت له الملائكة ، فإن ذلك المقام اقتضى له ذلك في الدنيا ، ولنبينا ﷺ في الآخرة ، وهو كمال الحضرة الإلهية ، وإنما ظهر به أولاً أبو البشر ، لكونه عليه السلام كان يتضمن جسده بشرية سيدنا محمد ﷺ ، وهو الأب الأعظم في الجسمية =

قُلُوبُهُم فِي سُكُونٍ وَسُجُودٍ . فِي حَضْرَةِ المَعْبُودِ (١) .

= والمقرب عند الله ، وأول هذه النشأة الترابية الإنسانية ، فظهرت فيه المقامات كلها ، حتى المخالفة ، إذ كان جامعاً للقبضتين ، قبضة الوفاق ، وقبضة الخلاف ، فما تحرك من آدم لمخالفة النهي إلا النسمة المجبولة على المخالفة ، فكانت مخالفته نهي الله ، من تحريك تلك النسمة ، التي كان يحملها في ظهره ، فإن المقام يقتضي له ذلك . فما عصى من آدم ﷺ إلا ما كان من أولاده المخالفين في ظهره ، وما سُجِدَ لآدم إلا لظهور نور سيدنا محمد ﷺ فيه ، فكان السجود لسيدنا محمد ﷺ في مظهر آدم ﷺ . وكانت العاقبة لسيدنا محمد ﷺ في الدار الآخرة ، فظهر في المقام المحمود .

١- لا يسكن القلب إلا إذا سكنه الحق ، ولا يسجد إلا عن شهود .
قال سماحة الإمام ﷺ : أَنَا النَّاظِرُ وَالمَنْظُورُ . وَالعَارِفُ وَالمَعْرُوفُ ، وَالمُحِبُّ وَالمَحْبُوبُ . فَلَيْسَ غَيْرِي ، وَلَا سِوَايَ . فَبِي ؛ فَانْظُرْ . وَبِي ؛ فَاسْمَعْ . وَبِي ؛ فَتَعَلَّمْ . وَبِي ؛ فَتَعَرَّفْ . وَبِي ؛ كُلُّ الحُبِّ لِي . فَلَا مَكَانَ فِي القَلْبِ إِلَّا لِي . إِنْ سَكَنْتُ قَلْبَ عَبْدٍ ؛ جَعَلْتُهُ قِبْلَةَ الكَوْنِ كُلِّهِ !

وأيُّ بلادِ الله حَلّتْ بها ، فما ... أراها ، وفي عيني حَلَتْ ، غيرَ مكّةِ
أيُّ مكانٍ ضمّها حرمٌ كذا ... أرى كلّ دارٍ أوْطَنَت دارَ هِجْرَةِ بقرَّةِ
وما سكَنَتْهُ فهوَ بيتٌ مُقَدَّسٌ ... عيني فيهِ أحشايَ قرَّتِ
ومَسجِدِي الأقصَى مساحِبُ بُرْدِهَا ... وطيبي ثَرَى أَرْضٍ ، عليها تمَشَّتِ
مواطنُ أفراحي ومربَى مآربي ... وأطوارُ أوطاري ومأمنُ خِيفتي

كَانَ ﷺ يَلْبَسُ العِمَامَةَ السَّوْدَاءَ .

حَتَّى يُومِئَ لِلْخَلْقِ أَنْ لَيْسَ فَوْقَهُ إِلَّا الغَيْبُ المَحْضُ (١) .

---

١ - **عن مراتب الغيب قال سماحة الإمام : الغيب على ثلاث مراتب** : غيب نسبي . وغيب مطلق . وغيب محض .

الغيب النسبي : هو الغيب الذي ضده الشهادة ، وتستطيع أن تفهمه بعقلك . ولكن الله تعالى ستر منه بعض المعلومات على بعض الناس ، وجعلها غيبًا وهذه نعمةٌ عظيمةٌ : فلو علمت أنك تموت مثلًا بعد عشرين عامًا ، لَتَنَغَّصَ عليك حالُكَ ، ولكن هناك من أولياء الله تعالى من يعلم من الله تعالى موعده ، أي موعد لقائه بالله تعالى ، بل إن بعضهم يرتب مراسم جنازته ، ومَن يغسله ، ومَن يصلي عليه ، ومن يدفنه ، وأين يُدفَن .

- وهناك غيب نسبي مكاني ؛ فمن يكون في مصر ، فأمريكا بالنسبة له غيب .
- وهناك غيب نسبي زماني ؛ فالكهرباء قبل اختراعها كانت موجودة ، ولكنها ظلت غيبا إلى أن أذن الله تعالى بظهورها للوجود .
- وهناك غيب نسبي في العوالم المتوازية ؛ فالجنة والنار موجودتان ، ولكنهما غيبًا عنَّا ، ولكنهما شهادة لرسول الله ﷺ ، والنار الآن شهادة لمن دخلها ، ممن مات كافرًا ، والجنة شهادة الآن للشهداء .

الغيب المطلق : وهو الغيب الذي ليس ضده الشهادة ، فهو غيب لا ضد له ، وهو يُدرَك بالروح ، وهو يتعلق بالإلهيات وعلوم الروح ، وهو المقصود من قوله تعالى : ﴿ **عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ** =

= عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ {الجن : (٢٦ – ٢٧)} . والرسول المقصود هنا ؛ هو رســول الله ﷺ وورثته من أكابر الأولياء . بل إنه تتفاوت فيه نسبة اطلاع الورثة على هذا الغيب . فمثلًا قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ {الأعراف : ١٧٢} هذا من الغيب الذي يؤمن به عامة المؤمنين ، الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ {البقرة : ٣} . ولكن ورثة رسول الله ﷺ لهم في الاطلاع على هذا الغيب ثلاث مراتب :

- مرتبة **المشاهدة** : وهي الاطلاع على موقف ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ جملة وليست تفصيلا .
- مرتبة **المكاشفة** : وهي الاطلاع على موقف ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ بكل تفاصيله ودقائقه .
- مرتبة **المنازلة** : وهي أن يعيش الولي نفسه موقف ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ويشارك فيه كأنه يحدث في التو واللحظة ، أي يرى نفسه مرة عين آدم عليه السلام ، ويرى نفسه مرة عين ذرية آدم عليه السلام ، ويرى نفسه أخرى عين أصلابهم . بل إن في هؤلاء الورثة من يرى نفسه أنه هو عين الحق الذي يستشهد هذه الذرية ، فتتوالى عليه الأدوار والمشاهد ، كما لو كان مشتركًا في فيلم ، يرى نفسه مرَّةً البطل ، ومرَّةً البطلة ، ومرَّةً الكومبارس ، ومرَّةً هو المؤلف ، ومرَّةً المخرج ، ومرَّةً يكون هو الاستوديو والديكور !

<u>الغيب المحض</u> : وهو الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ، ولا يعلمه سواه ، وهي علوم وراء طور العقل والروح . =

إِذْ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ حُجُبُ النُّورِ الَّتِي بَينَ الحَقِّ وَالخَلْقِ .

فَهُوَ الحِجَابُ الأَعْظَمُ وَالبَرْزَخُ المُطَلْسَمُ .

فَلَيْسَ بَعْدَهُ غَايَةٌ تُدْرَكُ ، وَلَا أُمْنِيَّةٌ تَتَحَقَّقُ (١) .

= كل مراتب الغيب التي ذكرناها ، هي عند الله سبحانه وتعالى شهادة ، بل : لا غيب عنده ، ولا شهادة : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ {البقرة : ١١٥} . بل : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ {الحديد : ٣} . بل : «كَانَ اللهُ ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» . وهو الآن على ما عليه كان .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : أفاض الله تعالى على الإنسان من حقيقته - المسماة محمد - فأُضيف للممكن وصف الوجود ، فاتصف الممكن بالوجود والعدم معا ، وإن شئت قلت بأنه لا موجود ولا معدوم : فلو كان موجوداً ، لا يتصف بالعدم ، لكان حقاً . ولو كان معدوماً ، لا يتصف بالوجود ، لكان محالاً . ومن هنا صدق فيه قول القائل :

فَإِنْ قُلْتَ حَقٌّ كَانَ قَوْلُكَ صَادِقاً   وَإِنْ قُلْتَ فِيهِ بَاطِلٌ لَسْتَ تَكْذِبُ

ظهور الشمس في مرآة القمر ؛ ظهور حق في خلق . لأن النور اسم من أسماء الله تعالى ، فظهر باسمه النور في ظهور القمر ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ {نوح : ١٦} فالقمر مجلى لنور الشمس ، والنور هو الحق سبحانه وتعالى ، فإنه الممدّ بالنورية لكل منوّر . فهو تعالى الذي جعل الشمس سراجاً ، وكذلك جعل نبيه ﷺ سراجاً منيراً ، في قوله تعالى : =

= ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ {الأحزاب : ٤٦} . لأنه تعالى يمدّه ﷺ بالنور ، الذي بدوره يمد ﷺ به كل من دعاه إلى الحق ، فهو ﷺ المستفيض الأول والمفيض الثاني :

المستفيض الأول : أي أنه ﷺ لا مستمد من الله مباشرة غيره .

المفيض الثاني : أي أنه ﷺ يفيض على الخلق ثانية ، ما استفاضه من الله تعالى أولا .

قال الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ وقال في معرض الامتنان : ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ {الأنعام : ١٢٢} . وما يمشي إلا بنفسه ، فعين نفسه ، قد يكون عين نوره ، وليس وجوده سوى الوجود الحق ، وهو النور ، فهو يمشي في الناس بربه ، وهم لا يشعرون ، كما قال : إذا أحب الله عبداً كان سمعه الذي يسمع به ، وذكر في هذا الخبر جميع قواه وأعضائه ، إلى أن قال : ورجله التي يسعى بها ، وما مشى في الناس إلا برجله ، فهو في حال مشيه بربه ، فهو الحق ليس غيره . فأزال بنوره ظلمة الكون الحادث .

قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ {الزمر : ٩} وقال تعالى في حق من لا يعلم : ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ {الأنعام : ١٢٢} . والكفر هو الستر والإخفاء ، أي أن الذين ستروا وجود الحق فيهم لا يعلمون . فيُحشرون في ظلمة جهلهم ، ما لهم نور يمشون به ، ولا يسعى بين أيديهم . والمؤمنون هم الذين أظهروا وجود الحق فيهم ، فظهرت أنواره عليهم ، بين أيديهم وبأيمانهم ، فقيل فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا =

= ﴿ وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ {التحريم : ٨} . وإتمام النور المقصود هنا هو : أن يجعلهم الله تعالى نورا .أو إن شئت قلت : يفنيهم عنهم ، ويقيمهم به . أو إن شئت قلت : يكون هو تعالى عوضا فيهم ، لهم ، عنهم .أو إن شئت قلت : يعطيهم العلم اليقيني بقوله : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ ﴾ {الحجرات : ٧} .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ أَنَّهُ قَالَ : جَعَلَ رسول الله ﷺ يَقُولُ فِي صَلاتِهِ ، أَوْ فِي سُجُودِهِ : ﴿ **اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَفَوْقِي نُورًا ، وَتَحْتِي نُورًا ، وَاجْعَلْنِي نُورًا** ﴾ . فأجاب الله تعالى دعاءه ﷺ : فأخبرنا تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ ﴾ {الأحزاب : (٤٥ – ٤٧)} . فجعله الله تعالى سراجاً منيرا ، فجعله نوراً كما سأل ، ليس ذلك فقط ، بل أمره الله تعالى أن يبشر المؤمنين بذلك النور المحمدي ؛ بأن لهم من الله فضلا كبيرا ، وليس هناك فضل أفضل من أن يشرق هذا النور المحمدي على ظلمتنا ، فتستنير بأضوائه جوانحنا ، حتى نستحق أن نكون منه ﷺ ، وهو منَّا .

دعاء النبي ﷺ ربه : ﴿ **وَاجْعَلْنِي نُورًا** ﴾ أي حتى أكون بذاتي عين الاسم الإلهي (النور) ، ومن كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله ، ولاينطق عن الهوى ؛ **فما هُوَ هُوَ** . **وما بقي لمن يراه ، ما يرى ، إلا الله** .عرف ذلك الرائي ، أو لم يعرفه ، هكذا يشاهده أهل العلم بالله . إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ {النجم : (٣ – ٤)} . =

= قال ﷺ في دعائه : ﴿ **وَاجْعَلْنِي نُورًا** ﴾ . وقال في الحديث : ﴿ **حِجَابُهُ النُّورُ** – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : النَّارُ – **لَوْ كَشَفَهُ ؛ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** ﴾ . فالسُّبُحات أنوار ، والنور لا يحترق بالنور ، ولكن يندرج فيه ، أي يلتئم معه للمجانسة ، ولما وقف ﷺ على ذلك المقام الذي ذكرناه ، أداه إلى أن يطلب أن يكون نوراً ، فكأنه يقول : اجعلني أنت ، حتى أراك بك ، فلا تذهب عيني برؤيتك ، لكن اندرج فيك .

قال النابغة الذبياني :

بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ ... إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

وما ذهب للكواكب عين ، وما ظهر لها عين ، فهي تَرَى ، ولا تُرَى ، لأنها خلف حجاب النور الأعظم ، الذي له الحكم في ظاهر الأمر ، ولأنوار الكواكب حكم في باطن الأمر ، مندرج في النور الأعظم .

قال ﷺ في دعائه : ﴿ **وَاجْعَلْنِي نُورًا** ﴾ : كأنه ﷺ يقول : اجعلني أنت . فإنه تعالى : ﴿ **نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ فهناك قال الحق تعالى : كنت سمعه عندما يسمع ، وبصره عندما يبصر ، ورجله عندما يمشي ، ويده عندما يبطش ، ولسانه عندما يتكلم . كأنه ﷺ يقول : اجعلني نوراً يَهتدي بي كل من رآني ، في ظلمات بر ظاهره ، وبحر نفسه وباطنه . فأعطاه تعالى القرآن ، وأعطانا الفهم فيه . فإن هذه المنحة من أعلى المنح ، في رتبة هي أسنى المراتب . ومعناه : غيبني عني ، وكن أنت بوجودي ، فيرى بصري كل شيء بك ، ويسمع سمعي كل مسموع بك ، فإن نور كل عضو إدراكه ، وهكذا جميع ما فصله الحديث ، ثم أقمني بعد هذا في عين الجمع =

فَاجْتَمَعَتْ فِيهِ كُلُّ الأَنْوَارِ وَالأَسْرَارِ (١) .

فَلْيَرْتَفِعَ السِّتَارُ ، وَلْتَسْجُدَ العُقُولُ وَالأَفْكَارُ (٢) .

= والوجود ، فتتحد الأنوار بأحدية العين : فإن لم أكن هناك ؛ فبجعلك إياي نورا . وإن كنت هناك ؛ فبجعلك فيَّ نوراً أهتدي به في ظلمات كوني ! . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ {الأنعام : ٩٧} .

١- اللهمَّ إنهُ سِرُّكَ الجَامِعُ لِكُلِّ الأسرارِ ، ونُورُكَ الواسعُ لجميعِ الأنوارِ ، ودَلِيلُكَ الدَّالُ بِكَ عليكَ ، وقائِدُ ركْبِ عَوالِمِكَ إِلَيكَ ، وحِجَابُكَ الأعظمُ القائمُ لكَ بَينَ يديكَ ، فلا يصِلُ واصلٌ إلا إلى حَضْرتِهِ المانعةِ ، ولا يهتدِي حائرٌ إلا بأنوارِهِ اللامعةِ . اللهمَّ أَلحِقني بنسبهِ الرُّوحي ، وحَققني بحسبِهِ السُّبُّوحي ، وعرِّفني إياهُ معرفةً أشهدُ بها مُحياهُ ، وأصيرُ بها مجْلاهُ ، كما يُحِبُّهُ ويَرضَاهُ ، وأسلَمُ بها مِن وُرُودِ مَوَارِدِ الجَهْلِ بعَوَارِفِه ، وأكْرَعَ بها من مواردِ الفضلِ بمعارفِهِ . آمين .

٢- عن سجود العقل قال سماحة الإمام ﷺ : إذا ظهرت قطرة من نور الروح وجمالها ، للعقل ؛ خَرَّ ساجداً ، وغاب عن نفسه ، وفقد سيطرته على الجوارح ، وأصبح الحكم للروح المطلقة بغير تقييد العقل ، وهذا ما تسميه الطائفة بالسُّكر . نَزَلَتْ أَنْوارُ تَجَلِّيَاتِ الجَمَالِ عَلَى أَرْوَاحِ المُحِبِّينَ فَذَهَبَتْ بِعُقُولِهِم ، وَجَذَبَتْ أَرْوَاحَهُمْ . فَسَجَدَ العَقْلُ . وَطَارَتِ الرُّوحُ إِلَى وَطَنِهَا الأَوَّلِ .

اللام

الحُبُّ مِنَ الأَبَدِ إِلَى الأَزَل (١) .

فَهُوَ أَجَلٌ بَعْدَهُ أَجَل (٢) .

وَلِكُلِّ شَيءٍ أَصْل (٣) .

وَلَيْسَ لَهُ بَدَل .

١- قال سماحة الإمام ﵁ : **الأزل** : هو الماضي اللانهائي . **والأبد** : هو المستقبل اللانهائي . والأزل والأبد هما من صفات الله تعالى . ومجموعهما هو : **السرمد** . وهما ناتجان عن اسمه تعالى : **الدهر** ، فقد قال المعصوم ﷺ : «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**» .

٢- المراد أن الإنسان كتب الله تعالى له الخلود حباً له .

قال سماحة الإمام ﵁ : فَأَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانَ ؛ قَدْ جِئْتَ مِنَ الأَزَلِ ، وَذَاهِبٌ إِلى الأَبَدِ . في سَرْمَدٍ ؛ بِدَايَتُهُ هِيَ عَيْنُ نِهَايَتِهِ ، وَنِهَايَتُهُ هِيَ عَيْنُ بِدَايَتِهِ . فَقَدْ كَتَبَ اللهُ لَكَ الخُلُودَ . فَأَنْتَ دَائِمٌ بِإِدَامَةِ الله ، لَا بِدَوَامِ الله . فَكَيْفَ تَمُوتُ ، وَفِيكَ نَفْخَةُ الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؟

٣- الحب أصل كل شيء لأن الحب هو صفة الحق . قال سماحة الإمام ﵁ : أَنَا الأَصْلُ ، وَرُوحُكَ صُورَتِي . وَفِي الحَدِيثِ : «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» . أَنَا الأَصْلُ ، وَالوُجُودُ صُورَتي . الوُجُودُ هُوَ كِتَابِي المُطَوَّلُ . وَأَنْتَ هُوَ كِتَابِي المُلَخَّصُ . أَنْتَ مِرْآتي .

فَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَبَسْمِلِ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : ﴿ أَكْثِرُوا الصَّلاَةَ عَلَيَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ ، تَشْهَدُهُ الملاَئِكَةُ ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلاَتُهُ ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا ﴾ . قُلْتُ : وَبَعْدَ الموْتِ ؟ . قَالَ : ﴿ وَبَعْدَ الموْتِ ، إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَنَبِيُّ اللهِ حَيٌّ يُرْزَقُ ﴾ فهذا الإحياء له ﷺ ، قد تم بصلاتك وتسليمك عليه ؛ ولا يخلو الكون كله – في أي لحظة – من صلاة وتسليم عليه ، فلذلك فهو ﷺ حي على الدوام . هذا في الظاهر ، وبالدليل النقلي والعقلي .

أما عندنا فالمعنى الظاهر على ما هو عليه ، ويزيد عليه المعنى الباطن ، وهو أنك بجثمانيتك قبره ﷺ ، وأنك بصلاتك وتسليمك عليه تحييه في داخلك ، فإذا ظهر هو فيك ؛ تفنى أنت عنك ، ويكون هو فيك نيابة عنك ، فتستقبل من الله تعالى بقابليته هو ، وليس بقابليتك أنت ، وعلى قدره هو ، ليس على قدرك أنت ، ومن هنا كنت أنت – بصلاتك عليه – أولى الناس به ، كما ورد في الحديث : ﴿ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً ﴾ . ولفظ أولى الناس بي تحتمل معان كثيرة ، والمعنى المقصود بها هنا : أن تصبح أنت منه ، وهو منك . وهذا يشرح قول بعض السادة ﷺ : (لو حُجِبَ عَنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرْفَةَ عَينٍ ، ما عَدَدْتُ نَفْسِي مِنَ المُسْلِمِين) .

عن البسملة قال سماحة الإمام ﷺ : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ هي عقد وكالة من الله تعالى لعبده وكله فيه بأن يقرأ من قرآنه نيابة عنه : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ {طه : ١٤}

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، ﷺ ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، ﷺ ، سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، فَقَالَ : «هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله ، وَمَا بَيْنَهُ ، وَبَيْنَ اسْمِ الله الْأَكْبَرِ ، إِلَّا كَمَا بَيْنَ سَوَادِ الْعَيْنِ ، وَبَيَاضِهَا مِنَ الْقُرْبِ» =

تَجِدِ الوُجُودَ قَدْ أَفَل (١) .

وَسَطَعَتْ أَنْوَارُ شَمْسِ الأَمَل (٢) .

= فالبسملة : هي تنزُّل من مرتبة الألوهية ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ إلى عموم رحمة ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ ثم إلى خصوص رحمة ﴿الرَّحِيمِ﴾ . والبسملة من الولي كـــ (كُنْ) من الله تعالى ؛ تنفعل لها الكائنات ، ويحصل بها التصريف في الكون كله ، علويه وسفليه ، إذ إنها اشتملت على اسم الله الأعظم الظاهر (الله) ، وهو الاسم الجامع لجميع حضرات الأسماء كلها .

١- أَفَلَتِ الشَّمْسُ تأفُل أفولاً . وكلّ شيء غاب فقد أَفَلَ ، وهو آفل .

٢- المراد هنا أن شمس وجود الكون تأفل ، وتشرق شمس الغيب ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ {الزمر : ٦٩} . قال سماحة الإمام ﷺ : حبيبك هو الذي إذا نظرت إلى وجهه نظرة واحدة ، زال عنك النصب والوصب ، وانشرح صدرك ، وذهب التعب ، وأحسست بالرضى يغمر روحك ، ونشوى الحب تملأ قلبك ، بما فيها من رجاء وأنس وبسط ، وتجلٍ بلا استتار ، وبقاء بلا فناء ، وإعزاز بلا إذلال ، ورفع بلا خفض ، وغنى بلا فقر ، وعطاء بلا منع ، وحياة بلا موت ، ونفع بلا ضر ، ويخرج قلبك من بين الأصبعين ، ليصير روحا بلا ضد ، حيث أحدية الذات بعد شفعية الأسماء والصفات ، فتصير لحقائق الاكوان جامعا ، بعدما كنت لبعضها منكرا و مانعا ، وتصبح غيبا بعدما كنت شهادة ، فغَيْبَتنا الأرواح وشهادتنا الأجسام ، والله تعالي جماله ظاهر وباطن ، فتدرك الظاهر بجسمك والباطن بروحك ، وتصير أولا بعدما كنت آخرا ، أما الله تعالي فهو الأول في عين آخريته ، الآخر في عين أوليته .

وَالفَتْحَ قَدْ حَصَل .

وَالقَلْبَ قَدْ وَصَلَ فَاتَّصَل (١) .

١- الفتح الذي يعول عليه والاتصال المقصود هنا هو أن ينعم الله تعالى عليك ببصيرة يريك بها أنك هو : قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ {الجاثية : ١١٣} . ولهذا سرى ظهوره في الموجودات ، فظهر كماله في كل جزء وفرد من أفراد أجزاء العالم ، ولم يتعدد بتعدد مظاهره ، بل هو واحد في جميع تلك المظاهر ، أحد على ما تقتضيه ذاته الكريمة في نفسها ، إلى غير ذلك من صفات الكمال . وإلى ظهوره في كل ذرة من ذرات الوجود أشارت الطائفة بـ **(الوجود السارى في جميع الموجودات)** وسر هذا السريان : أن خلق العالم من نفسه ، وهو لا يتجزأ ، فكل شيء من العالم هو بكماله ، واسم الخليقة على ذلك الشيء بحكم العارية ، لا كما يزعم من زعم أن الأوصاف الإلهية هي التى تكون بحكم العارية على العبد ، وأشار إلى ذلك بقوله :

أعارته طرفا رآها به ... فكان البصير لها طرفها

فإن العارية في الأشياء : ليست إلا نسبة الوجود الخلقي اليها ، وأن الوجود الحقي لها أصل . فأعار الحق حقائقة إسم الخلقية ، لتظهر بذلك أسرار الألوهية ، ومقتضياتها من التضاد ، فكان الحق هيولي العالم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ {الحجر : ٨٥} ، فمثل العالم : مثل الثلج ، والحق سبحانه وتعالى الماء الذى هو أصل هذا الثلج ، فاسم تلك الثلجه على ذلك المنعقد : معار . واسم المائية عليه : حقيقة : =

= وما الخلق في التمثال إلا كثلجة
وأنت بها الماء الذي هو نابع
وما الثلج في تحقيقنا غير مائة
وغير آن في حكم دعته الشرائع
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه
ويوضع حكم الماء والأمر واقع
تجمعت الأضداد في واحد البها
وفيه تلاشت وهو عنهن ساطع

قال ابن عطاء الله ﷺ في حِكَمِهِ من أن : (**الأكوان مثبتة بإثباته ، ممحوة بأحدية ذاته**) . وأنها كما قال ثابتة ، وليست موجودة ، فليس في المنقول ما يدل على أن شيئا موجودا ، وإنما هو مُثْبَتٌ ، ودليلنا على ذلك هو قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ {الفرقان : ٢} ، فنحن وجودنا مُثبَت بإثبات الله ، مُقَدَّر بتقدير الله ، وليس لنا وجود حقيقي مع وجود الله تعالى ! .
﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ {الحديد : ٣} . إِذَنْ فَهُوَ الوُجُودُ كُلُّهُ .

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرٍ
ظَنُّوا سِوَاهَا وَهِي فِيهِم تَجَلَّتِ
فَفِي النَّشْأَةِ الأُولَى تَرَاءَتْ لِآدَمَ
بِمَظْهَرِ حَوَّا قَبْلَ حُكْمِ الأُمُومَةِ
فَهَامَ بِهَا كَيْمَا يَكُونَ بِهَا أَبَا
وَيَظْهَرَ بِالزَّوْجَيْنِ سِرُّ البُنُوَّةِ
وَتَظْهَرُ لِلْعُشَّاقِ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ
مِنَ اللَّبْسِ فِي أَشْكَالِ حُسْنٍ بَدِيعَةِ

وَهَذَا هُوَ سِرُّ حُبِّ المَظَاهِرِ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ . فَظُهُورُ اللهِ تَعَالَى فِي المَظَاهِرِ هُوَ السِّرُّ . هُوَ الحُبُّ ، وَهُوَ المَحْبُوبُ ، وَهُوَ المُحِبُّ . وَمَا ثَمَّ سِوَاهُ ، وَمَا ثَمَّ غَيْرٌ .

وَتِلْكَ حَقِيقَةٌ ، بِلَا مِرَاءٍ وَلَا جَدَل .

عَلِمَ مَنْ عَلِمَ ، وَجَهِلَ مَنْ جَهِل .

فَالْمُحِبُّ لِرُوحِهِ قَدْ بَذَل .

وَقَاتَلَ بِنَفْسِهِ ، وَمَا بَخِل (١) .

فَهُوَ مُجَاهِدٌ وَمُثَابِرٌ وَبَطَل .

فَيَعْبُرُ بِحَارَ الخَطَرِ ، وَمَا أَصَابَ رِجْلَيْهِ بَلَل (٢) .

وَيَحْمِلُ فَوْقَ ظَهْرِهِ مِنَ الهُمُومِ جَبَلاً فَوْقَهُ جَبَل .

وَلَكِنَّهُ يَحْمِلُ بِاللهِ ، فَلَا يَشْعُرُ بِثِقَل .

وَلَا يَمَسُّ عَقْلَهُ خَبَل (٣) .

١- **بخل** : بَخِلَ بَخَلاً وبُخْلاً فهو بَخيلٌ ، بَخَالٌ ، مُبَخَّلٌ . والبَخْلةُ : بُخْل مرةٍ واحدةٍ .

٢- المقصود بالبلل هنا هو أن يمسه سوء من ذلك الخطر .

٣- **الخبل** : جُنُون أو شبهه في القلب ، ورجل مَخبُولٌ : به خَبْل ، وهو مُخَبَّل أي : لا فؤاد له ، ويقال : قد خَبَلَه الحزن والشيطان والحب والداء . وأول الحب هو السكر والدهش . =

وَلَكِنَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ذُهِل ،

مِمَّا يَرَى مَا أَصَابَهُ مِنْ ذَبْلٍ ونَحَل (١) .

= قال سماحة الإمام ﷺ : الحب هو مواطأة القلب لمراد الرب . وهو ميل دائم بقلب هائم . فالمحب ليس لغير محبوبه سلطان على قلبه . أول مشاهدة المحب لحبيبه تُحدِثُ سُكرًا ودهشًا في سر المحب ، ناتج عن فجأة ظهور الجمال ، وهذا الدهش يحجبه عن مشاهدة هذا الجمال . فإذا تكررت المشاهدة ؛ استأنس المحب بحبيبه ، بلقائه ووصاله ، فثبت حاله ، وتنعم بمشاهدة الجمال . فيميتهم الله تعالى بالهيبة والجلال ، فيفنيهم ، فلا يبقى إلا الواحد . ثم يحييهم الله تعالى بالجمال حياة لا نهاية لها ، حياة هي الحيوان ، حتى أنها تتخلل كل خلية منهم ، فلا تموت أجسادهم . وتكون حركته بالله ولله وفي الله وإلى الله وعن الله :

يُنَـــادِينِي مِنِّي أَهْلاً بِكَ يَا أَنَا

قال الشيخ محيي الدين بن عربي : المحب ملتذ في دهش الدهش ، سببه فجأة المحبوب ، وهو المعبر عنه بالهجوم ، فلما كان الحق دعا قلوب العباد إليه ، وشرع لهم الطريق الموصلة المشروعة ، وتعرف إليهم بالدلالات ، فعرفوه ، وتحبب إليهم بالنعم فأحبوه ، فلما تجلى لهم على غير موعد عندما دخلوا عليه ، وهم غير عارفين بأنهم في حال دخول عليه ، فجأهم تجليه ، فعرفوه بالعلامة ، فدهشوا لفجأة التجلي ، والتذوا لعلمهم بالعلامة في نفوسهم ، أنه حبيبهم ومطلوبهم ، فهذا التذاذهم .

١ - ذَبُلَ يَذْبُل ذُبولاً : إذا جَفَّ ويَبِسَ . نَحَلَ نُحُولا : رَقَّ، جِسْمُهُ مِنَ الهَمِّ .

لِأَنَّ نَوْمَهُ رَحَلَ وَارْتَحَل (١) .

إِذَا جَنَّهُ لَيْل ؛

هَرْوَلَ وَهَلَّلَ وَتَمَلْمَلَ وَنَهَل .

وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُصِيبُهُ كَسَل (٢) .

وَهُوَ عَنِ الخَلْقِ فِي شُغُل .

فَلَا يَسْمَعُ لَوْماً وَلَا عَذْل .

وَلَا يَدْخُلُ قَلْبَهُ حِقْدٌ وَلَا حَسَدٌ وَلَا غِل .

فَلِنَفْسِهِ قَتَل .

١- قيل :

واسأَلْ نُجومَ اللّيلِ : هل زارَ الكَرَى جَفني ؟ وكيفَ يزورُ مَن لم يَعرِفِ ؟

لا غَروَ إنْ شَحَّتْ بِغُمضٍ جُفونها عيني وسحَّتْ بالدُّموعِ الدُّرَّفِ

٢- كانت عباداته شاقة ، والتكاليف ثقيلة . أمَّا الآن ؛ فلها طعم جديد في غاية اللذة ، إذ لم تعد تكليفًا ، بل صارت تشريفًا ، حيث يعبد الله تعالى نفسه بنفسه . فالعبادة بالإرادة ليست كالعبادة بالعادة .

وَلِقَلْبِهِ غَسَل (١) .

فَصَارَ كَطِفْلٍ ، وَهُوَ كَهْلٌ وَرَجُل (٢) .

وَلَكِنَّ الحُبَّ عِنْدَهُ أَحْلَى مِنَ العَسَل (٣) .

١- أصل غسل القلب ورد في الحديث المروي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : كَانَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ ، فَفَرَجَ صَدْرِي ، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ، ثُمَّ أَطْبَقَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي ، فَعَرَجَ بِي» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما . فهذا الغسل يحدث لكل ولي تجهيزا له قبل معراجه وهو وراثة نبوية محمدية .

٢- قال سلطان العاشقين :

فحَيَّ على جَمْعي القديمِ ، الَّذي بِهِ ... وَجَدْتُ كُهُولَ الحَيِّ أطفالَ صِبيَةِ
ومِنْ فضلِ ما أسأرْتُ شربُ معاصري ... ومَنْ كانَ قبلي ، فالفضائلُ فَضْلَتي

٣- قيل :

أحببت فيكم كل شيء سادتي ... حتى سلـوت الكل مـن روادي
فذقت شهد الرضا في حال صفوكم ... والحال رق لشامـخ الأطواد
وشموس معرفةٍ سرت في هيكلي ... فحق يقيني مثبتاً إشهادي
في جمعهم مجلىً لكل سريرةٍ ... فالسكر فيهم نشوتي وشهادي
فاقصـد حماهـم طالباً رضاهـم ... فهـم الحيـاة معينها والـزاد

التنزل الثالث والأربعون ومائة

التنزيه والتشبيه

المُحِبُّ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى غَيْرَ مَحْكُومٍ عَلَيهِ بِشَيءٍ .

لِأَنَّ المَحْكُومَ عَلَيْهِ مَحْدُودٌ . وَاللهُ غَيْرُ مَحْدُودٍ .

فَلَا نَحْكُمُ عَلَى اللهِ بِتَنْزِيهٍ (١) .

كَمَا لَا نَحْكُمُ عَلَيْهِ بِتَشْبِيهٍ .

لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِيمٌ .

فَلَا يُعْلَمُ بِعِلْمٍ حَادِثٍ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : فلابد أن تكون لك عين على التنزيه وعين تنظر إلى التشبيه . التشبيه فيه يصف الحق تعالى نفسه بنفس صفات الخلق ، والتنزيه فيه يتنزه الحق عن كل صفات الخلق . فالذات تنزيه ، والأسماء والصفات تشبيه .

وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ حُكْمِ الحَوَادِثِ .

فَإِذَا أَثْبَتْنَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ .

ثُمَّ عَلِمْنَا أَنَّ التَّنْزِيهَ هُوَ حُكْمٌ أَحْدَثْنَاهُ فِي عُقُولِنَا .

فَلَابُدَّ أَنْ نُنَزِّهَ اللهَ عَنْ تَنْزِيهِنَا بَعْدَمَا أَثْبَتْنَاهُ فِي عُقُولِنَا (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : الله تعالى منزه عن التنزيه وعن التشبيه . لأن التشبيه والتنزيه حادثان ، والله تعالى قديم ، فلا يُعلم القديم بالحادث حتى ولو كان تنزيها ! وقال سلطان العاشقين :

قَالَ لِي حُسْنُ كُلِّ شَيءٍ تَجَلَّى   بِي تَمَلَّى فَقُلْتُ قَصْدِي وَرَاكَـا

فالله تعالى من وراء تنزيهك وتشبيهك . قال ابن عطاء الله السكندري ﷺ : مَا أَرَادَتْ هِمَّةُ سَالِكٍ أَنْ تَقِفَ عِنْدَ مَا كُشِفَ لها ، إِلَّا وَنَادَتْهُ هَوَاتِفُ الحَقِيقَةِ : الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ . وَلَا تَبَرَّجَتْ لَهُ ظَوَاهِرُ المَكَوَّنَاتِ ، إِلَّا وَنَادَتْهُ حَقَائِقُهَا : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ {البقرة : ١٠٢} . فكل هذه التجليات التي تتجلى للسالك هي حجب ، لابد أن لايقف معها ، وأن يتجاوزها إلى ما بعدها قَالَ أُنَاسٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ فَقَالَ : «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي =

فَالسَّيْرُ فِي طَرِيقِ الحُبِّ أَنْ يَضَعَ السَّالِكُ قَدَمَهُ .

ثُمَّ يَرْفَعُهُ ، ثُمَّ يَضَعَهُ أَرْقى مِنْهُ .

ثُمَّ يَرْفَعُهُ مَا بَيْنَ تَنْزِيهٍ ، ثُمَّ تَنْزِيهٌ عَنِ التَّنْزِيهِ .

وَنَكْتَشِفُ أَنَّ كُلَّ تنزِيهٍ تَرَفَّعْنَا عَنْهُ قَدْ كَانَ عَيْنَ التَّشْبِيهِ .

وَاللهُ تَعَالَى نَزَّهَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ ، حِينَ عَلِمَ عَجْزَ الخَلْقِ عَنْ تَنْزِيهِهِ .

فَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ المِثْلِ ، وَعَنْ مِثْلِ المِثْلِ ، فَقَالَ :

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ {الشورى : ١١} (١) .

= يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِالله مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ» . فمن حصر ربه في صورة ، في معتقده ، من التشبيه أو التنزيه ، هو من لم يعرف الله تعالى أول مرة ، ولابد أن يأتي له الحق تعالى في الصورة التي اعتقده فيها ذلك المسكين كي يتعرف عليه !

١- قال ابن عربي : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ {الشورى : ١١} ، لأنه تعالى عين كل شيء ، والشيء لا يكون مثلا بعينه وهو عينه !

ثُمَّ قَالَ : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى : ١١} (١) .

فَهُوَ تَعَالَى كُلُّ سَمْعٍ ، وَكُلُّ بَصَرٍ .

فَلَا سَمِيعَ سِوَاهُ ، وَلَا بَصِيرَ سِوَاهُ .

فَشَبَّهَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ .

فَإِنْ قُلْتَ بِالتَّنْزِيهِ كُنْتَ مُقَيِّداً ... وَإِنْ قُلْتَ بِالتَّشْبِيهِ كُنْتَ مُحَدِّدا
وَإِنْ قُلْتَ بِالأَمْرَيْنِ كُنْتَ مُسَدِّداً ... وَكُنْتَ إِمَاماً فِي المَعَارِفِ سَيِّدا

١- قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ : أخبر جلّ جلاله عن نفسه بالنقيضين في الكتاب والسنة : فنزه في موضع بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ {الشورى : ١١} ، وشبه في موضع بقوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى : ١١} ، فتفرّقت خواطر التشبيه ، وتشتت خواطر التنزيه . فإن المنزه على الحقيقة قد قيده وحصره في تنزيهه وأخلى عنه التشبيه ، والمشبه أيضاً قيده وحصره في التشبيه وأخلى عنه التنزيه ، والحق في الجمع بالقول بحكم الطائفتين ، فلا ينزه تنزيهاً يخرج عن التشبيه ، ولا يشبه تشبيهاً يخرج عن التنزيه ، فلا تطلق ولا تقيد لتميزه عن التقييد ، ولو تميز تقيد في إطلاقه ، ولو تقيد في إطلاقه لم يكن هو ، فهو المقيد بما قيد به نفسه من صفات الجلال وهو المطلق بما سمى به نفسه من اسماء الكمال ، وهو الواحد الحق الجليّ الخفيّ ، لا إله إلا هو العليّ العظيم .

فَالتَّنْزِيهُ قَيْدٌ ، وَالتَّشْبِيهُ حَدٌّ .

وَاللهُ تَعَالَى لَا تُقَيِّدُهُ القُيُودُ ، وَلَا تَحُدُّهُ الحُدُودُ .

فَتَنْزِيهُ التَّنْزِيهِ لِلذَّاتِ .

وَالتَّشْبِيهُ لِلتَّجَلِّيَاتِ : مِنْ نُزُولٍ وَضَحِكٍ وَاسْتِهْزَاءٍ وَمَكْرٍ .

وَيَدٍ وَقَدَمٍ وَأَصَابِعٍ وَاسْتِوَاءٍ .

وَلَيْسَ التَّشْبِيهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ .

وَلَكِنَّهُ تَشْبِيهٌ رَمْزِيٌّ .

حَتَّى يَدْخُلَ تَحْتَ فَهْمِ العُقُولِ لَا غَيْرَ (١) .

١- قال الجيلي :

وواظب شهود الحق فيك فإنه ... هو الحق والأنوار فيك سواطع
ورق مقام القلب عن نجم ربه ... إلى قمر الرحمن إذ هو طالع
إلى شمس تحقيق الألوهية رافعاً ... إلى ذاته في العذر إن أنت رافع
فلله خلف الإسم والوصف مظهر ... وعنه عيون العالمين هواجع
وليس ترى الرحمن إلا بعينه ... وذلك حكم في الحقيقة واقع

الميم

الحُبُّ كَعْبَةٌ وَحَرَم (١) .

١- قال الجيلي :

أيا كعبة الآمال وجهك حجتي ... وعمرة نسُكي أني فيك والع
وتجريد نفسي من مخيط صفاتها ... بوصفك إحرامي عن الغير قاطع
كأن صفات منك تدعو إلى العلا ... لذاتي فلبت فاستبانت شواسع
فتركي لطيب النكاح فإن ذا ... صفاتي وذا ذاتي فهن موانع
وإعفاء حلق الرأس ترك رئاستي ... وشرط الهوى أن المتيم خاضع
إذا ترك الحجاج تقليم ظفرهم ... تركت من الأفعال ما أنا صانع
وكنت كآلات وأنت الذي بها ... تصرف بالمقدور ما هو واقع
فهأنا في تطواف كعبة حسنها ... أدور ومعنى الدور أني راجع
ومذ علمت نفسي صفاتك سبعة ... فأعداد تطوافي في حماك سوابع
أقبل خال الحسن في الحجر الذي ... لنا من قديم العهد فيه ودائع
ومعناه أن النفس فيها لطيفة ... بها تقبل الأوصاف والذات شائع
وأستلم الركن اليماني إنه به ... نفس الرحمن والنفس جامع
واختم تطواف الغرام بركعة ... من المحو عما أحدثته الطبائع

آمِنٌ كَأُمٍّ لِأَوْلَادِهَا رَحِم .

حَنَانُهَا بَلْسَم (١) .

الحُبُّ جَبَلٌ أَشَمّ (٢) .

مَلِكٌ مُفَخَّم (٣) .

ذُو حَشَم (٤) .

وَذُو خَدَم .

١- **البلسم** : جنس شجر يسيل من فروعها وسوقها إِذا جرحت عصارة راتنجية تسْتَعْمل فِي الطِّبّ وَهِي من أَشجَار الْبِلَاد الحارة . والمراد أن الحب يشفي أمراض القلوب وجراحها .
كما قال سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ شِفَاءٌ لِكُلِّ دَاء . دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالحُبِّ .

٢- **الشمم** : ارتفاع الأنف . والجبل الأشم : العالي المرتفع .
كما قال الفرزدق في مدح الإمام علي زين العابدين بن الحسين عليهما السلام :

في كفه خيزران ريحه عبق — من كف أروع في عرنينه شمم

٣- **الفخم** : هو العظيم المبجل النبيل الجميل .

٤- **الحشم** : هم خدم الرجل .

سَيْفُهُ لِكُلِّ دَاءٍ حَسَم . وَلَكِنَّ بِلَا أَلَمَ (١) .

وَالحُبُّ لِكُلِّ جِسْمٍ سَقَم (٢) .

١- قال الجيلي :

ففاضت على ذاتي ينابيع و صفها وناهيك صرف الحق تلك الينابع
وطفت طوافاً الافاضة بالحمى وقمت مقاماً للخليل أتابع
فملكت من ملك الغرام فهأنا مليك وسيفي في الصبابة قاطع

وعن سطوة الحب قال سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ مَلِكٌ مَالِك . وَالكَوْنُ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِك . وَفِي الآخِرَةِ يَتَنَحَّى كُلُّ مَالِك . إِلَّا الحُبُّ ؛ فَإِنَّهُ عَالِقٌ : «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» ، يَوْمَ القِيَامَة . الحُبُّ مَلِكٌ عَلَى عَرْش . لَهُ جَيْش . شَدِيدُ البَطْش . ذُو حَمِيَّةٍ وَجَأْش . وَصَوْلَةٍ وَطَيْش . الحُبُّ مَلِك . مُلْكُهُ عَلَى كُلِّ فَلَك . فَيَمْلِكُ كُلَّ مَالِكٍ وَمَا مَلَك . وَفِي كُلِّ قَلْبٍ قَدْ سَلَك . وَبِكُلِّ جَبَّارٍ فَتَك .

٢- قال البوصيري ﷺ :

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ما بَيْنَ مُنْسَجِم منهُ ومضطَرِمِ
لولاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ ولا أرقتَ لذكرِ البانِ والعَلَمِ
فكيفَ تُنْكِرُ حُبًّا بعدَ ما شَهِدَتْ بِهِ عليكَ عدولُ الدَّمْعِ والسَّقَمِ
نعمْ سرى طيفُ من أهوى فأرقني والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذاتِ بالألَمِ
يا لائِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً منِّي إليكَ ولو أنصفتَ لم تلُمِ
مَحَّضْتَنِي النُّصحَ لكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ في صَمَمِ

وَلِكُلِّ جَمَلٍ سَنَم (١) .

وَلِكُلِّ عَابِدٍ صَنَم (٢) .

فَعَلَى كُلِّ قَلْبٍ خَتَم (٣) .

وَعَنْ كُلِّ لَذَّةٍ فَطَم (٤) .

١- **سَنَامُ البَعيرِ والناقةِ** : أعْلَى ظَهْرِها والجمع أَسْنِمَةٌ . وسَنِم سَنَماً فهو سَنِمٌ : عَظُم سَنَامُه . وقد سَنَّمَهُ الكَلأُ وأَسْنَمَه . وهو مخزن غذاء ورصيد للجمل يعيش عليه مدة طويلة . والمراد هنا أن الحب هو رصيد للمحب يعيش عليه .

٢- العابد لا يعرف الحب ، ويعتبره من الأوثان التي يجب تحطيمها ، والذنوب التي يجب التوبة عنها ، فهو لم يذق طعمه ولم يعرف ماهيته .

٣- **الختم** : هو القفل ، الذي لا يسمح بالدخول ولا الخروج ، ولا الزيادة ولا النقصان ، فمن ختم على قلبه بالحب فقد فاز بالمحبوب لا زيادة عليه : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ {الزمر : ٣٦} ، وأمن من السلب فلا نقصان يطرأ عليه ، وكيف لا يأمن وقد قال الحق : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ {يونس : ٦٢} .

٤- **فطم** : فَطَمَتِ الصَّبِيَّ أُمُّهُ تَفْطِمُهُ ، أي : تَقْطَعُهُ عن الرَّضاع . والمحب فطم عن كل لذة لأنه لا يلتذ إلا بقرب محبوبه ولا يحس إلا به ولا يهش إلا له ، فلا يرضيه إلا ما يرضي محبوبه : =

وَعَنِ المَحَارِمَ صَوْم (١) .

وَلِكُلِّ جَبَّارٍ قَسَمَ وَقَصَمَ وَقَضَم (٢) .

وَهُوَ لِكُلِّ عِلْمٍ قَلَم .

وَلِكُلِّ سِرٍّ كَتَم .

وَمِنَ الأَخْلَاقِ هُوَ الكَرَم .

مَنْ أَظْهَرَ الحُبَّ فَلِنَفْسِهِ ظَلَم .

وَجَرَّ عَلَى نَفْسِهِ النَّدَم .

وَكُلُّ الخَلْقِ لَكَ فِيهِ خَصِم .

= سكنتَ قلبي وفيه منك أســـرار | فليَهْنِك الدار بلْ فليهنك الجارُ
ما فيه غيرك من سرٍّ عَلِمْتُ بـه | فانْظُرْ بعينك هل في الدار ديّار
وليلة الهجر إنْ طالتْ وإن قَصُرَتْ | فمؤنسي أملٌ فيه وتذكـار
إنّي لراضٍ بما يرضيك من تلفـي | يا قاتلي ولِمَا تختار أختـار

١- صِيَامِيَ : هُوَ الإِمْسَاكُ عَنْ رُؤيَةِ السِّوَى وَفِطْـرِيَ : أَنِّي نَحْـوَ وَجْهِـكَ رَاكِــعُ

٢- القَضْم : هو الانكسار .

لِعَدَمِ الفَهْم .

فَلْتَتَحَلَّ بِالحِلْم (١) .

وَلْتَطْلُبَ الدَّعْم (٢) .

وَلْتَبْتَعِدَ عَنْ مَوَاطِنِ الذَّمّ .

وَإِلَّا جَزَاؤُكَ الرَّجْمُ ثُمَّ الرَّدْم .

وَمَا عَلَى مَنْ رَجَمَكَ لَوْم (٣) .

١- المحب في كلام سماحة الإمام ﷺ هو الواقف ، لذا فقد قال : الواقف لا يعارض أحداً في شيء ، كلهم عنده معذور ، وهو صامت ، العارف يجيب عن المسألة بجوابين أو أكثر متناقضين ، العالم ليس عنده غير جواب واحد هو الراجح في مذهبه .

٢- **الدعم** : هو الاستعانة وطلب المدد ، كما نص عليه سماحة الإمام ﷺ في موضع سابق فقال : فَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَبَسْمِلِ تَجِدِ الوُجُودَ قَدْ أَفَل . وَسَطَعَتْ أَنْوَارُ شَمْسِ الأَمَل . وَالفَتْحَ قَدْ حَصَل . وَالقَلْبَ قَدْ وَصَلَ فَاتَّصَل .

٣- ضرب سماحة الإمام ﷺ مثلا ننقله هنا باختصار ، فقال : ملكة في قصرها ، يحكي الحاكون ، ويقص القصاصون ، ويتناقل الناس الحكايات عن جمالها وحسنها ، وكذا وكذا .... فإذا أدركتهم العناية الإلهية : =

= فمنهم من تدخله إلى بهو القصر .

ومنهم من تدخله إلى غرفة الاستقبال .

ومنهم إلى أخصِّ غرفةٍ لها : وهي مخدعها .

فكل من رآها من وراء نقابها : فهم مُشاهِدون ، لا مُشاهِدون .

وكل من كلمها ، وباسطته في غرفة دون مخدعها : فهم مُكَلَّمون ، لا مُكلَّمون .

وكل من رأى هذا الجمال وسمع عذوبة صوتها وقف وقفة دهش .

فليس كل من رأى الله ، رأى وجهه .

وكل من رأى وجهه ، فقد رآه .

وكل من جالسته من وراء نقابها : فهم مُجَالَسُون ، ولكن من وراء وراء .

وكل من لم يدخل قصرها : **فهو في الفرق** .

وكل من دخل قصرها ، وجالسها ، وكلمها من وراء نقابها : **فهو في الجمع** .

ثم أنها تتركهم يرجعون إلى دنياهم وأهليهم ومشاغلهم ، وتبعث عليهم من يرقب أفعالهم وكلامهم ، وهذا هو فرق الجمع . فكل من حفظ سرها ، ولم يبح به لأحد ، كان أمينا ، وجمعته عليها مرة أخرى . وكل من أفشى سرها وعرَّف الناس طريقها وأحوالها ، قطعته وظل في الفرق . ولا تزال بمن يحفظ سرها : تجمعه تارة ، وتفرقه تارة ، إلى أن تثق به كل الثقة ، فتدخله مخدعها ، ويحصل بينهما جمع وفناء ، وهذا يسمى **جمع الجمع** . ثم بعد ذلك ؛ إن أرادت منه أن يرجع إلى دنياه ، استغاث بها أن تبقيه في قصرها وحضنها ، فتطمئنه ، وتقول له : اذهب حيث شئت وأنا معك =

إِذِ الحُبُّ أَصْلُهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الكَتْمِ (١) .

= ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ {الحديد : ٤} ، فيرجع حيث تأمره ، ويعمل بما توظفه له ، وتبعث معه من الحرس ؛ مَن يحرسونه ويعصمونه من أذى الخلق ، ويحفظونه بحفظها . وصار في وظيفته ، ولكن صورتها لا تفارق عينيه ، وحبها لا يزايل قلبه ، ويصبح سرها معه ، لا يفشيه لأحد أبدا .

١- قال الحلاج :

اقْتُلُوني يا ثقاتي ... إنّ في قتْلي حياتي
ومماتي في حياتي ... وحياتي في مماتي
أنّ عندي محْو ذاتي ... من أجّل المكرمات
وبقائي في صفاتي ... من قبيح السّيّئات
سَئِمَتْ نفسي حياتي ... في الرسوم الباليات
فاقتلوني واحرقوني ... بعظامي الفانيات
ثم مُرُّوا برفاتي ... في القبور الدارسات
تجدوا سرّ حبيبي ... في طوايا الباقيات

قال عبد الودود بن سعيد الزاهد : قال الحلاج : يخاطب الناس في المسجد :

...اسمعوا ، إن الله أباح لكم دمي فاقتلوني .

فبكى بعض القوم ، فتقدمت من بين الجماعة ،

وقلت: يا شيخ ، كيف نقتل رجلاً يصلي ويصوم ويقرأ القرآن ؟ =

= فقال : يا شيخ ، المعنى الذي به تحقن الدماء خارج عن الصلاة والصوم وقراءة القرآن ، **فاقتلوني تؤجروا وأستريح .**

فبكى القوم ، وذهب ، وتبعته إلى داره .

وقلت : يا شيخ ، ما معنى هذا ؟

قال : ليس في الدنيا للمسلمين شغل أهمّ من قتلي .

فقلت له : كيف الطريق إلى الله تعالى ؟

قال : الطريق بين اثنين ، وليس مع الله أحد .

فقلت : بين !

قال : من لم يقف على إشاراتنا لم ترشده عباراتنا !

أَبداً تَحِنُّ إِلَيكُمُ الأَرواحُ ... وَوِصالُكُم رَيحانُها وَالراحُ
وَقُلوبُ أَهلِ وِدادكم تَشتاقُكُم ... وَإِلى لَذيذ لقائكم تَرتاحُ
وَا رَحمَةً للعاشِقينَ تَكَلَّفوا ... ستر المَحبَّةِ وَالهَوى فَضّاحُ
بِالسرِّ إِن باحوا تُباحُ دِماؤُهم ... وَكَذا دِماءُ العاشِقينَ تُباحُ
وَإِذا هُم كَتَموا تَحَدّث عَنهُم ... عِندَ الوشاةِ المَدمعُ السَفّاحُ
وَبَدَت شَواهِدُ للسّقامِ عَلَيهِمُ ... فيها لِمُشكل آلامهم إِيضاحُ
لا ذَنبَ لِلعُشّاقِ إِن غَلَبَ الهَوى ... كِتمانَهُم فَنما الغَرامُ فَباحوا
سَمَحوا بِأَنفُسِهم وَما بَخِلوا بِها ... لَـمّا دَروا أَنّ السَّماح رَباحُ

المُحِبُّ يُجَافِيهُ النَّوْم (١) .

وَيُصَاحِبُهُ النَّجْم (٢) .

١- **التجافي** : هو البعد . قال تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ {السجدة : ١٦} .

قال سلطان العاشقين :

يا مانِعي طيبَ المَنامِ ومانحي ... ثوبَ السِّقامِ بهِ ووجدي المتلفِ

عَطفاً على رمَقي ، وما أبْقَيْتَ لي ... منْ جِسميَ المُضْنى ، وقلبي المُدنَفِ

فالوَجْدُ باقٍ ، والوِصالُ مُماطِلِي ... والصّبرُ فانٍ واللقاءُ مُسَوّفي

واسألْ نُجومَ اللّيلِ : هل زارَ الكَرَى ... جَفني ؟ وكيفَ يزورُ مَن لم يَعرِفِ ؟

لا غَروَ إنْ شَحَّتْ بِغُمضِ جُفونها ... عيني وسحَّتْ بالدُّموعِ الدُّرَّفِ

٢- **النجم** : قد يكون المراد به نجم السماء الذي ينظر إليه السهران ليلا كناية عن عدم النوم :

وليلٍ أضلَّ الفجرُ فيه طريقَه ... فلم يدرِ لما ضلَّ من أين يَطلُع

سهرتُ به أرعى الكواكبَ والكَرَى ... عَصِيٌّ على الأجفانِ والدمعُ طيّعُ

أودُّ لو ان الطيفَ مَنَّ بزَورَةٍ ... وكيفَ يزورُ الطيفُ مَن ليس يَهجَعُ

جَرَى الدمعُ حتى ليسَ في الجفنِ مَدمَعُ ... وقاسيتُ حتَّى ليس في الصبرِ مَطمَعُ

وما أنا من يبكي ولكنَّه الهَوى ... يريدُ من الأُسدِ الخضوعَ فتخضعُ

فلِلَّه قلبي ما أجلَّ اصطبارَهُ ... وأثبتَهُ والسيفُ بالسيف يُقرَعُ =

يَوْماً بَعْدَهُ يَوْم .

وَلَكِنْ إِنْ طَرَقَ الحُبُّ بَابَكَ فَافْتَحْ وَقُلْ : نَعَم .

وَانْصِتْ لَهُ تَسْمَعْ أَحْلَى نَغَم (١) .

= ولله قلبي ما أقلَّ احتماله ... إذا ما نأى عنه الحبيبُ المودِّعُ

إذا لاحَ لي سيفٌ من الخطبِ رُعتُه ... وإن لاح لي سيفٌ من اللحظِ أجزَعُ

وأقتادُ لَيثَ الغابِ واللَّيثُ مُخدِرٌ ... ويقتادني الظبي الغريرُ فأتبَعُ

وقد يكون المراد بها الشيخ ، كما قال سلطان العاشقين :

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً ... سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ

لها البَدْرُ كَأْسٌ وَهْيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا ... هِلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمُ

١- قيل :

يا صاحِ لَيسَ عَلى المُحبِّ مَلامَةٌ ... إن لاحَ في أُفقِ الوِصالِ صَباحُ

صافاهُمُ فَصَفوا لَهُ فَقُلوبهم ... في نُورِها المِشكاةُ وَالمِصباحُ

وَتَمَتّعوا فَالوَقتُ طابَ لِقُربِكُم ... راقَ الشّراب وَرَقّتِ الأَقداحُ

وَدعاهُمُ داعي الحَقائِقِ دَعوة ... فَغَدوا بِها مُستَأنسِين وَراحوا

رَكِبوا عَلى سنَنِ الوَفا وَدُموعهُم ... بَحرٌ وَشِدّة شَوقِهم مَلّاحُ

وَاللهِ ما طَلَبوا الوُقوفَ بِبابِهِ ... حَتّى دعوا فَأَتاهُم المِفتاحُ =

= لا يَطربونَ بِغَيرِ ذِكر حَبيبِهم   أَبَداً فَكُلُّ زَمانِهِم أَفراحُ
حَضَروا وَقَد غابَت شَواهِدُ ذاتِهِم   فَتَهَتّكوا لَـمّا رَأوه وَصاحوا
أَفناهُم عَنهُم وَقَد كشفَت لَـهُم   حجبُ البقا فَتَلاشتِ الأَرواحُ
فَتَشَبّهوا إِن لَم تَكُونوا مِثلَهُم   إِنَّ التَّشَبّه بِالكِرامِ فَلاحُ
قُم يا نَديم إِلى المدامِ فَهاتها   في كَأسِها قَد دارَتِ الأَقداحُ
مِن كَرمِ أَكرام بدنّ دِيانَةٍ   لا خَمرَة قَد داسَها الفَلّاحُ
هيَ خَمرَةُ الحُبِّ القَديمِ وَمُنتَهى   غَرض النَديم فَنعم ذاكَ الراحُ
وَكَذاكَ نوحٌ في السَّفينة أَسكَرَت   وَلَهُ بِذَلِكَ رَنَّةٌ وَنِياحُ
وَصَبَت إِلى مَلَكوتِهِ الأَرواحُ   وَإِلى لِقاءِ سِواه ما يَرتاحُ
وَكَأَنَّما أَجسامُهُم وَقُلوبهُم   في ضَوئِها المِشكاةُ وَالمِصباحُ
مَن باحَ بَينَهُم بِذِكرِ حَبيبِهِ   دَمهُ حلالٌ لِلسّيوفِ مُباحُ

التنزل الرابع والأربعون ومائة

جنة المعارف

الحُبُّ مِنْ عِلْمِ البَوَاطِنِ ، لَا مِنْ عِلْمِ الظَوَاهِرِ .

وَلِكُلِّ مجَالٍ رِجَالٌ .

وَلِكُلِّ مَقامٍ مَقَالٌ .

وَلِكُلِّ ذِي ذَوْقٍ حَالٌ .

وَهُوَ رِحْلَةٌ يَقْطَعُهَا المُحِبُّ عُرُوجاً مِنْ نَفْسِهِ إِلَى عَقْلِهِ .

وَمِنْ عَقْلِهِ إِلَى خَيَالِهِ . وَمِنْ خَيَالِهِ إِلَى قَلْبِهِ . وَمِنْ قَلْبِهِ إِلَى رُوحِهِ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ هُوَ نُورُ اللهِ السَّارِي بِقَيُّومِيَّةٍ كُلِّ مَخْلُوقٍ . وَرِزْقُهُ الجَارِي لِكُلِّ مَرْزُوقٍ . وَفَتْحِهِ الفَاتِحِ لِكُلِ مُنْغَلِقٍ وَمَغْلُوقٍ . وَهُوَ دَائِماً بِدَايَةٌ جَدِيدَةٌ لِكُلِّ نِهَايَةٍ . وَنَصْرٌ أَكِيدٌ=

= بَعْدَ كُلِّ هَزِيمَةٍ . وَأَمَلٌ لِلْفَوْزِ بِكُلِّ غَايَةٍ . بِهِ تُرْفَعُ جَمِيعُ الحُجُبِ ، وَتُزَالُ كُلُّ السَّتَائِرِ . بَدَايَةً بِالحُجُبِ الجِسْمَانِيَّةِ الظَّلْمَانِيَّةِ . وَنِهَايَةً بِالحُجُبِ الرَّوْحَانِيَّةِ النَّوْرَانِيَّةِ . فَالظُّلْمَةُ حِجَابٌ ، وَالنُّورُ حِجَابٌ . وَاللهُ تَعَالَى مِنْ وَرَاءِ جَمِيعِ الحُجُبِ . فَلَا تَنْحَجِبْ !

ظهر الحق باحتجابه ، فهو الظاهر المحجوب . فهو الباطن للحجاب ، لا لك . وهو الظاهر لك ، وللحجاب . فسبحان من احتجب في ظهوره ، وظهر في حجابه . فلا تشهد عين سواه ، ولا ترتفع الحجب عنه . ولله در من قال :

تَجَلَّيتَ في الأَشياءِ حينَ خَلَقتَها ... فَها هِيَ ميطَت عَنكَ فيها البَراقِعُ

قَطَعتَ الوَرى مِن ذاتِ نَفسِكَ قِطعَةً ... وَلَم تَكُ مَوصولاً وَلا فَصلُ قاطِعُ

وَلَكِنَّها أَحكامُ رُتبَتِكَ اقتَضَت ... أُلوهِيَّةً لِلضِّدِ فيها التَجامُعُ

الحق ليس بمحجوب عنك ، إنما المحجوب أنت عن النظر إليه ، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ، ولو كان له ساتر ، لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر ، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ {الأنعام : ١٨ ، ٦١} . الحق تعالى محال في حقه الحجاب ، فلا يحجبه شيء ، لأنه ظهر بكل شيء ، وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، فلا ظاهر معه ، ولا موجود في الحقيقة سواه ، فهو ليس بمحجوب عنك ، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه ، لاعتقادك الغيرية ، وتعلق قلبك بالأمور الحسية ، فلو تعلق قلبك بطلب المولى ، وأعرضت بالكلية عن رؤية السوى ، لنظرت إلى نور الحق ساطعاً في مظاهر الأكوان ، وصار ما كان محجوباً عنك بالوهم في عداد الشهود والعيان ، ولله در القائل : =

= وما احْتُجِبَتْ إلا برفع حجابها ... ومن عجب أن الظهور تستر

فكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي أظهر كل شيء ؟ .

وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر بكل شيء ؟ .

وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر في كل شيء ؟ .

وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الذي ظهر لكل شيء ؟ .

وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟ .

وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو أظهر من كل شيء ؟ .

وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو الواحد الذي ليس معه شيء ؟ .

وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، وهو أقرب إليك من كل شيء ؟ .

وكيف يُتَصَوَّرُ أن يحجبه شيء ، ولولاه ما كان وجود كل شيء ؟ .

يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم !

أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم ! .

وواظب شهود الحق فيك فإنه ... هو الحق والأنوار فيك سواطع

ورق مقام القلب عن نجم ربه ... إلى قمر الرحمن إذ هو طالع

إلى شمس تحقيق الألوهية رافعاً ... إلى ذاته في العذر إن أنت رافع

فلله خلف الإسم والوصف مظهر ... وعنه عيون العالمين هواجع

وليس ترى الرحمن إلا بعينه ... وذلك حكم في الحقيقة واقع

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ {غافر : ١٥} .

فَالعَرْشُ هُوَ مُنْتَهى الدَّرَجَاتِ .

وَهُوَ سَقْفُ الجَنَّةِ ، حَيْثُ بِدَايَةِ مَقَامَاتِ المُحِبِّينَ (١) .

١- قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**» رواه البخاري في صحيحه .

(يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا في رحمانيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه محقت الآثار بالآثار ، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار)

استواء الحق تعالى على العرش ، إنما هو برحمانيته ، فهو مغمور في رحمانيته الحق ، حتى صار غيبا في رحمانيته ، إذ لا نسبة له معها ، ورحمانية الحق تعالى وصف قائم بذاته ، والصفة لازمة للموصوف ، فإذا غاب العرش وانطوى وجوده في رحمانية الحق ، غابت العوالم أيضا في رحمانيته ، لأنها غابت في وجود العرش ، فلما انطوى وجود العرش في عظمة الحق ورحمانيته ، انطوى وجود العوالم كلها ، لأنها في جوف العرش كحلقة في الأرض ، وهو محيط بها ، كما أحاطت الرحمانية بالعرش ، في عظمة الحق ورحمانيته انطوى وجود الحق العوالم كلها ، لأنه في جوف العرش كحلقة في الأرض ، وهو محيط بها كما أحاطت الرحمانية بالعرش ، فلا نسبة له معها . =

وَالنَّارُ فِيهَا سَبْعُ دَرَكَاتٍ رَئِيسِيَّةٍ .

لِكُلِّ دَرَكٍ بَابٌ .

وَالجَنَّةُ مِثْلُ النَّارِ ، فِيهَا سَبْعُ دَرَجَاتٍ تَحْتَ العَرْشِ .

وَلِكُلِ دَرَجَةٍ بَابٌ .

وَلَهَا دَرَجَةٌ ثَامِنَةٌ مُوَازِيَةٌ لِلْعَرْشِ .

وَبَابُهَا مِنَ العَرْشِ .

وَهِيَ دَرَجَةُ الغَيْبِ المُطْلَقِ ، وَالنُّورِ المُحَقَّقِ ، وَالوَسِيلَةِ العُظْمَى .

= **محقت الآثار بالآثار** : فالآثار الأولى هي العوالم ، والآثار الثانية هو العرش ، فقد امتحقت الأكوان كلها في عظمة العرش ، حتى صارت كالعدم .

ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار : المراد بالأغيار هو العرش وما احتوى عليه من الآثار أو تقول هو كل ما دخل عالم التكوين من العرش إلى الفرش ، أو ما فرض وجوده خارجا عن العرش .

وأفلاك الأنوار : هي أنوار الذات والصفات ، فإذا امتحقت الأغيار ، وهي الآثار ، بأنوار عظمة الذات ، بقيت الأنوار ، وانفرد بالوجود الواحد القهار ، فأنوار الذات والصفات هي أنوار الذات ، وأنوار الذات هي أنوار الصفات .

وَهِيَ جَنَّةُ المَعَارِفِ .

وَهِيَ دَرَجَةٌ مَخْصُوصَةٌ بِالمَقَامِ المُحَمَّدِي بِالأَصَالَةِ .

وَلِلأَكَابِرِ مِنْ أَهْلِ المَحَبَّةِ أَصْحَابِ الإِرْثِ الذَّاتِيِّ العَلِيِّ .

بِالتَّبَعِيَّةِ الحِبِّيَّةِ لِذَاتِ خَيْرِ البَرِيَّةِ (١) .

وَالعُلُوُّ هُنَا هُوَ عُلُوُّ مَكَانَةٍ ، لَا مَكَانٍ .

لِأَنَّ الفَوْقَ هُوَ نِسْبَةٌ عَدَمِيَّةٌ ، لَا وُجُودَ لَهَا إِلَّا بِالنَّظَرِ إِلَى ضِدِّهَا .

﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ ﴾ {محمد : ٣٥} .

١- في روية مسلم في صحيحه قال رسول الله ﷺ : «**سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجنَّةِ ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ**» . وفي رواية الترمذي : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا الوَسِيلَةُ ؟ قَالَ : «**أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الجَنَّةِ لَا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ**»

من هذا الحديث ندرك أن درجة **جنة المعارف** التي يقصدها سماحة الإمام رضي الله عنه هي ما تعرف في الشريعة بـــ (**الوسيلة**) . التي قال عنها سماحة الإمام رضي الله عنه : **الوسيلة :** هي منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لواحد ، فعندما تطلبها له ﷺ ، فإنك تطلبها لنفسك ، لأنه ﷺ أخبر أنك إذا دعوت =

= لأخيك بشيء ، أَمَّنَت الملائكة ، وقالت : ﴿ وَلَكَ بِمِثْلٍ ﴾ .

ومنزل سيدنا محمد ﷺ يوم الزور الأعظم على يمين الرحمن ، من حيث الصورة التي يتجلى فيها على عرشه ، ومنزله يوم القيامة ليس على يمين الرحمن ، لكن بين يدي الحكم العدل ، لتنفيذ الأوامر الإلهية ، والأحكام في العالم ، فالكل عنه يأخذ في ذلك الموطن ، وهو وجه كله ، يرى من جميع جهاته ، وله من كل جانب إعلام عن الله تعالى ، يُفهم عنه ، يرونه لساناً ، ويسمعونه صوتاً وحرفاً ، ومنزلته في الجنان الوسيلة ، التي تتفرع جميع الجنات منها ، وهي أعلى جنة عدن ، دار المقامة ، ولها شعبة في كل جنة من تلك الجنات ، من تلك الشعبة يظهر ﷺ لأهل تلك الجنة ، وهي في كل جنة أعظم منزلة فيها ، وهي منازل كلها ، حسية لا معنوية ، وليست المعنوية إلا منزلته في نفس موجده ، وهو الله تعالى ، وما هذا خاص به ، بل كل منزلة لا تكون إلا في نفس الله ، الذي هو الرحمن ، والمنازل محسوسة ، محصورة ، التي هي جمع منزل ، لا جمع منزلة ، فاعلم ذلك ، فإنه من لباب المعرفة بالله ، تعالى وتقدس في ذاته .

لَا تَرْحَلْ مِنْ كَوْنٍ إِلَى كَوْنٍ ، فَتَكُونَ كَحِمَارِ الرَّحَى يَسِيرُ ، والَّذِي ارْتَحَلَ إِلَيْهِ هُوَ الَّذِي ارْتَحَلَ عَنْهُ ، وَلَكِنْ ارْحَلِ مِنَ الأَكْوَانِ إِلَى الْمُكَوِّنِ : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} .

أهل جنة الزخارف رحلوا من كون الدنيا إلى كون الآخرة .

وأهل جنة المعارف خرجوا عن الأكوان إلى مكون الأكوان .

فلم يبق إلا الله تعالى . لا جنة ولا نار . فني من لم يكن وبقي من لم يزل . كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان . =

وَهَذَا هُوَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ الكَبِيرُ .

= أنتِ أيتها الروح المجردة ، ألست النفخة الإلهية المعظمة ؟ ذات القوة الهائلة ؟
قوة تلك النفخة التي لا تعادلها جميع قوى المخلوقات . كيف ، لا ؟ وأنت النفخة المنسوبة إلى الله القوي المتين . ألم تر إلى الله تعالى ، كيف قيد هذه الروح في سجن الصور من هذه الأجسام الضعيفة ؟ . حتى لا تدعي الألوهية . إذ لو تجردت ، لقالت : أنا ربكم الأعلى !
حتى وهي في الجنة ، فهي في سجن الصور أيضا ، إلا أنها انتقلت من هذا السجن الضيق الصغير المظلم ، إلى السجن الكبير المنير الجميل ، فأنت في السجن على الدوام ، حتى وأنت في الجنة ، فروح واحدة قد حَوَت العالم كله من عرشه إلى فرشه ، وهذا لأهل اليمين أصحاب جنة الزخارف .
أما المقربون ، أهل جنة المعارف ، فهم أهل أدب عال ، تأدبت أرواحهم ، فعرفت الحق لأهله ، فلا تدعي الألوهية ولا الربوبية ، إذ أنها دوما ساجدة في حضرة الحق ، لا ترفع أبدا . فحق لها أن تذوق حلاوة التجريد ، والخروج من سجن الصور .
قال سماحة الإمام ﷺ : الجَنَّةُ يَدْخُلُهَا العَوَامُّ في الآخِرَةِ . وَالمُحِبُّونَ عُجِّلَتْ لَهُمْ جَنَّتُهُم في الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ . الجَنَّةِ المَعْنَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ جَنَّةُ الحُبِّ . وَهِيَ جَنَّةُ ذَاتِكَ أَنْتَ ، لَوْ عَرَفْتَهَا الجَنَّةُ لَانْشَغَلَتْ بِهَا عَنِ التَّنْعِيمِ . وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ {الفجر : ٣٠} . فَأَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ . وَهِيَ جَنَّةُ ذَاتِكَ ، حَيْثُ يَسْكُنُ اللهُ . وَلَمْ تُذْكَر بِهَذَا التَّشْرِيفِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً في القُرْآنِ .
هَنِيئًا لِمَنْ وَصَلَ فَاتَّصَلَ . أَنْتَ الآنَ حَيْثُ لَا أَنْتَ ، بَلْ هُوَ . هُوَ الآنَ حَيْثُ لَا هُوَ ، بَلْ أَنْتَ .

وَلَيْسَ هُوَ عَرْشُ القَضَاءِ فِي المَحْشَرِ (١) .

١- قال سماحة الامام : مَنْ قَالَ أَنَّ للهِ عَرْشاً وَاحِداً ؛ فَقَدْ ضَيَّقَ وَاسِعاً ، وَتَصَوَّرَ مُحَالاً . فَللهِ عُرُوشٌ لَا نِهَايَةَ لَهَا . فَلَهُ سُبْحَانَهُ عَرْشٌ عَلَى الْمَاءِ : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ {هود : ٧} . وَلَهُ عَرْشٌ لِلْقَضَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ {الحاقة : ١٧} . وَلَهُ عَرْشٌ مُحِيطٌ بِالْكَوْنِ ، الذي قال تعالى فيه : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ {يونس : ٣} . وَلَهُ عَرْشٌ فِي قَلْبِ كُلِّ مُحِبٍ قال سماحة الإمام ﷺ : القرآن هو كتاب الله المنزل . بل مُجَدَد الإنزال على قلوب التالين له ، دائماً أبداً . لا يتلوه من يتلوه ، عن تدبر وتفهم ، إلا عن تجدد تنزيل ، من الله الحكيم الحميد . وقلوب التالين له : عروشٌ ، يستوى عليها في نزوله ، إذا نزل ! وذلك إذا نزل القرآن على قلب عبدٍ ، وظهر فيه حكمه ، واستوى على عرشه ، وكان خلقاً لهذا القلب : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ {الشعراء : ١٩٣} ، ﴿ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ {البقرة : ٩٧} ، وإلا فهو منزل على الألسنة فقط ، لا على الأفئدة .

لما سُئل الإمام مالك بن أنس ، رضي الله عنهما ؛ عن الاستواء قال : (الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) .

وَاللهُ مُسْتَوٍ عَلَى كُلِّ عَرْشٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ . اسْتِوَاءً جَلَّ عَنْ كُلِّ وَهْمٍ . وَتَعَاظَمَ عَنْ كُلِّ عِلْمٍ . أَوْ إِدْرَاكٍ ، أَوْ تَعَقُّلٍ ، أَوْ تفكُّرٍ ، أَوْ تَخَيُّلٍ .

وَاللهُ تَعَالَى قَدِ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِ الأَكْوَانِ ، بَاسْمِهِ الرَّحْمَنِ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ =

= {طه : ٥} .

وَاسْتَوَى عَلَى عُرُوشِ قُلُوبِ المُحِبِّينَ بِاسْمِهِ الجَمِيلِ .

وَاسْتَوَى عَلَى عُرُوشِ العَاصِينَ بِاسْمِهِ الغَفُورِ .

وَعَلَى عُرُوشِ قُلُوبِ أَهْلِ الرِّضَى بِاسْمِهِ الله . ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ {المائدة : ١١٩} .

النون

الحُبُّ مَقَامٌ رَفِيعٌ ، وَخُلُقٌ حَسَن (١) .

يُذْهِبُ اللهُ عَنْ صَاحِبِهِ الحَزَن (٢) .

١- وكيف لا يكون مقامه رفيعا ؟ وقد قال فيه سماحة الإمام : الحُبُّ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الحُبُّ : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ {المائدة : ٥٤} وَأَعْظَمُ ثَوَابِهِ الفَوْزُ بِالمَحْبُوبِ .

وكيف لا يكون خلقه حسن ؟ وقد قال سماحة الإمام ﷺ : المحب هو خليفة حبيبه ، وهَبَه محبوبه ذاتا من ذاته ، وصفات من صفاته ، وأسماء من اسمائه ، وكفي بذلك شرفاً لنعمة الخلافة .

٢- وكيف يحزن والله تعالى يقول : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ {يونس : ٦٢} .

الحُزْن والحَزَن ، لغتان ، يقال : أصابه حَزَنٌ شديدٌ ، وحُزْنٌ شديد ، ويقال : حَزَنَني الأمرُ يَحْزُنُني فأنا محزون وأحزنني فأنا مُحْزَنٌ، وهو مُحْزِنٌ ، لغتان أيضاً ، ولا يقال : حازن. وروي عن أبي عمرو : إذا جاء الحَزَنُ منصوباً فتحوه ، وإذا جاء مكسوراً أو مرفوعاً ضَمّوه ، قال الله عز وجل : ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ {يوسف : ٨٤} ، وقال عزَّ اسمه : ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ {التوبة : ٩٢} . وقوله عز وجل : ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ { يوسف : ٨٦} .

وَيجعَلُهُ لِكُلِّ جَمَالٍ يَحِنّ (١) .

وَمِنْ كُلِّ شَوقٍ يَئِنّ (٢) .

وَالحُبُّ قَصْرٌ وَحِصْن (٣) .

١- **الحنان** : هو الرحمة والرزق والبركة ، قال تعالى : ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ {مريم : ١٣} .

٢- **الأنين** : صَوْتٌ بِتَوَجُّعٍ . قَالَ الخَلِيلُ : تَقُولُ : أَنَّ الرَّجُلُ يَئِنُّ أَنِينًا وَأَنَّةً وَأَنًّا ، وَذَلِكَ صَوْتُهُ بِتَوَجُّعٍ .

قيل :

غبتم فما لي في التصبر مطمع ... عظم الجوى واشتدت الأشواق

لا الدار بعدكم كما كانت ولا ... ذاك البهاء بها ولا الإشراق

أشتاقكم وكذا المحب إذا نأى ... عنه أحبه قلبه يشتاق

٣- **القصر** : ليس المراد هنا البناء المعروف والذي هو مسكن كبير محاط بالحدائق ، ولكن المراد هنا بالقصر هو الخصوصية ، وعدم مد البصر إلى ما لا ينبغي ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ {الصافات : ٤٨} . الحصن هو الحماية والملاذ والملجأ .

المراد هنا أنه لما اقتصر نظر السالك على الحق فقط ، وعمي عن كل غير وحادث وكون وكائن ، كان الحق له نعم الحصن المنيع .

قال سماحة الإمام ﷺ : وَخُذْ بِيَدِي المُمْتَدَّةِ إِلَيْكَ . مِنْ بَيْنِ تَلَاطُمِ أَمْوَاجِ البَلَاءِ ، وَأَقْدَارِ القَضَاءِ . فَلَيْسَ لِي رَاحِمٌ سِوَاكَ ، وَرَحِيمٌ إِلَّاكَ . فَأَنْتَ مَأْوَايَ وَمَلَاذِي وَحِصْنِي وَمُعَاذِي .

لِدِمَاءِ المُحِبِّينَ حَقَن (١) .

١- **الحقن** : هو الحبس ، ومن حبس بوله يسمى حاقن ، وقولهم: قد حَقَنَ اللهُ دمَ فلانٍ ، معناه: قد حبسه الله في جلده ، وملأه به . وكل شيء قد ملأت به شيئاً ، أو دسسته فيه : فقد حقنته . ومن ذلك سُميت الحُقْنَةُ حقنة . وحقنت دم فلَان إذا منعت من سفكه بدية أو غيرهَا.

اعلم أن الله تعالى إذا تجلى – بذاته – لعبده ، أفناه عن نفسه ، وكان الله عوضا ، عنه ، له ، فيه ، فخلص هيكله من رق الحدثان ، وفك قيده من قيد الأكوان ، فهو أحدي الذات ، وأحدي الصفات ، لا يعرف الآباء والأمهات ، فمن ذكر الله فقد ذكره ، ومن نظر الله فقد نظره ، وحينئذ أنشد لسان حاله بغريب عجيب مقاله :

خَبَتْنِي فَكَانَتْ فِيَّ عَنِّي نِيَابَةً ... أَجَلْ عِوَضاً بَلْ عَيْنُ مَا أَنَا وَاقِعُ
فَكُنْتُ أَنَا هِيَ وَهْيَ كَانَتْ أَنَا لها ... في وُجُودٍ مُفْرَدٍ مَنْ يُنَازِعُ ؟
وَمَا بَقِيتُ بِهَا فِيهَا وَلا تَاءَ بَيْنَنَا ... وَحَالِي بِهَا مَاضٍ كَذَا وَمُضَارِعُ
وَلَكِنْ رُفِعْتُ النَّفْسَ فَارْتَفَعَ الحِجَا ... وَنُبِّهْتُ مِنْ نَومِي فَمَا أَنَا ضَاجِعُ
وَشَاهَدْتُني حَقًّا بِعَينِ حَقِيقَتِي ... فَلِي فِي جَبِينِ الحُسْنِ تِلْكَ الطَّلائِعُ
جَلَوْتُ جَمَالِي فَاجْتَلَيْتُ مِرآتِي ... لِيُطْبَعَ فِيهَا لِلْكَمَالِ مَطَابِعُ
فَأَوْصَافُهَا وَصْفِي وَذَاتِي ذَاتُها ... وَأَخْلاقُهَا لِي فِي الجَمَالِ مَطَالِعُ
وَإِسْمِي حَقًّا إِسْمُهَا وَاسْمُ ذَاتِها ... لِيَ اسْمٌ وَلِي تِلْكَ النُّعُوتُ تَوَابِعُ

فلمَّا كان الحق عوضا ، عنه ، فيه ، قامت في المسمى إنسانا ؛ لطيفة إلهية . هذه اللطيفة هي إما ذاتية ، وإما صفاتية . فإذا كانت ذاتية ؛ لم يكن ذلك الهيكل الإنساني إلا سيدنا محمداً ﷺ . =

فَكُلُّ مُحِبٍّ إِلَيْهِ رَكَن (١) .

وَفِيهِ سَكَن (٢) .

فَهُوَ لَهُمُ الحِضْن (٣) .

= وإذا كانت صفاتية ؛ فهذه اللطيفة لم تكن إلا الحقيقة المحمدية ، قامت بذلك الهيكل الإنساني لذلك الرسول أو النبي أو الولي . وهو قوله تعالى : ﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ {البقرة : ١٥١} . ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ {التوبة : ١٢٨} . ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ {الشعراء : ٢١٩} . ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ {الحجرات : ٧} .

١- **ركن** : رَكِنَ إلى الدنيا : مال إليها واطمأن . يركَنُ رَكَناً . ورَكَنَ يركُنُ رُكُوناً . والرُّكْنُ : ناحية قوية من جبل أو دار ، والجمع : أركانٌ . ورُكْنُ الرجل : قومه وعدده الذين يعتز بهم . قال عز اسمه حكاية عن لوط : ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ {هود : ٨٠} .

٢- **السُّكونُ** : ذهاب الحركة . سكن ، أي : سكت ... سكنت الريح ، وسكن المطر ، وسكن الغضب . والسَّكَنُ : المنزل ، وهو المَسْكَنُ أيضاً .

قال سماحة الإمام ﷺ : لَا مَكَانَ فِي القَلْبِ إِلَّا لِي . إِنْ سَكَنْتُ قَلْبَ عَبْدٍ ؛ جَعَلْتُهُ قِبْلَةَ الكَوْنِ كُلِّهِ !

فيا لائمي في الحب دعني فإنني جعلت لمن أهواه قلبي مسكنا

٣- **الحِضْن** : مَا دون الإبْطِ إِلَى الكَشْح ، وَمِنْه الاحتضان وَهُوَ احتمالُك الشَّيْء وجعله فِي حِضْنك ، كَمَا تَحْتَضن المرأةُ ولدَها فتحتمله فِي أحد شِقَّيْها . والمُحْتَضَن : الحِضْن . =

وَهُوَ لَهُمُ الوَطَن (١) .

= قال سماحة الإمام ﷺ :

أَلْتَحِفُ بِلِحَافِ السُّكْرِ وَالفَنَاءِ . أُحِسُّ بِحِضْنِ الله يَشْمَلُنِي بِحُبِّهِ وَيُطَوِّقُنِي بِحَنَانِهِ . بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي . وَفِي حِضْنِكَ مَرْقَدِي . اللهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ . وَوَضَعْتُ قَلْبِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، حُبًّا لِدِفْءِ حِضْنِكَ . وَشَوْقًا لِقُبُلَاتِ عَطْفِكَ ، وَاسْتِنْزَالًا لِأَنْوَارِ حُبِّكَ . نَعَمْ ؛ أَشْتَاقُ إِلَى قُبْلَةِ التَّوْحِيدِ . نَعَمْ ؛ أَشْتَاقُ إِلَى حِضْنِ الأَحَدِيَّةِ .

١- **الوَطَنُ** : مَوْطِنُ الإنسان ومَحَلُّهُ . وأوطانُ الأغنام : مَرابِضُها التي تأوي إليها ، ويُقال : أَوْطَنَ فلانٌ أرضَ كذا ، أي : اتّخذها محَلاًّ ومَسْكناً يُقِيمُ بها .

قال سماحة الإمام ﷺ : حِينَ تَعُودُ إِلَى وَطَنِكَ – وَلَا وَطَنٌ لِلْإِنْسَانِ سِوَى الله – هَدَأَ سِرُّكَ ، وَاسْتَرَاحَ خَاطِرُكَ ، وَقَرَّتْ عَيْنُكَ .

لَمْ أَدْرِ مَا غُرْبَةُ الأَوْطَانِ وَهُوَ مَعِي ... وَخَاطِرِي أَيْنَ كُنَّا غَيْرُ مُنْزَعِجِ

قال سلطان العاشقين :

وأيُّ بلادِ الله حَلّتْ بها ، فما ... أراها ، وفي عيني حَلَتْ ، غيرَ مكّةِ
أيُّ مكانٍ ضمَّها حرمٌ كذا ... أرى كلّ دارٍ أوْطَنَت دارَ هِجْرَةِ
وما سكَنَتْهُ فهوَ بيتٌ مُقدَّسٌ ... بقرَّةِ عيني فيهِ أحشايَ قرَّتِ
ومَسجِدِي الأقصَى مساحِبُ بُرْدِهَا ... وطيبي ثَرَى أَرْضٍ ، عليها تمَشَّتِ
مواطنُ أفراحي ومربَى مآربي ... وأطوارُ أوطاري ومأمنُ خِيفتي

فَالْمُحِبُّ عِنْدَ الْمُتَنَطِّعِينَ لُعِنَ كَعَابِدِ وَثَن (١) .

وَلَكِنَّهُ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ مَسْتَحَبٌّ كَشُرْبِ اللبَن .

فَلَا تَكُنْ ذَا طَبْعٍ خَشِن (٢) .

فَالْمُحِبُّ كَيِّسٌ فَطِن (٣) .

١- **المتنطع** : تنطَّعَ يتنطّع ، تَنطُّعًا ، فهو مُتنطِّع ، والمفعول مُتنطَّع فيه . تنطَّع الشَّخصُ في الأمر : غالى فيه وتكلَّف ، والمتنطع : هو الطائش المغرور .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**هَلَكَ الْـمُتَنَطِّعُونَ**» قالَهَا ثَلَاثًا : أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم .

٢- صاحب الطبع الخشن : هو الجاف الغليظ .

٣- **الكَيْسُ** : العقْلُ والفِطْنَةُ والفِقْهُ ، مَصْدَرٌ مِنْ كَاسَ كَيْسًا مِنْ بَابِ بَاعَ . **كَيِّس** : مِثْلُ هَيِّن وَهو اسْمُ فَاعِلٍ من كَاسَ ، وَالْجَمْعُ أَكْيَاسٌ مِثْلُ جَيِّد وَأَجْيَاد .

الفطنة : هِيَ التنبه على المَعْنى ، وضدها الْغَفْلَة ، وَرجل مُغفل لَا فطنة لَهُ ، وَهِي الفطنة والفطانة .

وَيجوز أَن يُقَال إِن الفطنة ابْتِدَاء الْمعرفَة من وَجه غامض فَكل فطنة علم وَلَيْسَ كل علم فطنه .

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ ، حَذِرٌ وَقَّافٌ ، مُتَثَبِّتٌ ، عَالِمٌ وَرِعٌ ، لَا يَعْجَلُ . وَالْمُنَافِقُ هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ حُطَمَةٌ ، لَا يَقِفُ عِنْدَ شُبْهَةٍ ، وَلَا يَنْزِعُ عَنْ كُلِّ ذِي مُحَرَّمٍ ، كَحَاطِبِ لَيْلٍ لَا يُبَالِي مِنْ أَيْنَ كَسَبَ وَفِي مَا أَنْفَقَ**» رواه أبو الشيخ في الأمثال .

الحُبُّ لِلْفِطْرَةِ دِين (١) .

فَقَدِّمْ رُوحَكَ ، وَلَا تَسْتَغْلِ الثَّمَن .

وَفِي سَبِيلِهِ فَلَا تَجْبُن (٢) .

١- الله نور السماوات والأرض ، أي الله تعالى هو الظاهر في المظاهر التي سميت بالسماوات والأرض ، فظهور المظاهر هو الله . فما فطرهم إلا عليه ، ولا فطرهم إلا به ، فبه تميزت الأشياء ، وانفصلت ، وتعينت ، والأشياء في ظهورها الإلهي : لا شيء . فالوجود وجوده . والعبيد عبيده . فهم العبيد من حيث أعيانهم ، وهم الحق من حيث وجودهم ، فما تميز وجودهم من أعيانهم إلا بالفطرة ، التي فصلت بين العين ووجودها .

ظَهَرْتُ بِسِرِّ الحُبِّ فِـي بَدْءِ نَشْأَتِي ... كُلِّي إِلِيك يَـا حَبِيبِي أَسِيرُ بِفِطْرَتِي

٢- قال سلطان العاشقين :

وعِشْ خالياً فالحبُّ راحتُهُ عناً ... وأوّلُـهُ سُقْـمٌ وآخِـرُهُ قَتْـلُ
ولكنْ لديَّ الموتُ فيه صبابةً ... حَياةٌ لَمن أهوَى ، عليّ بها الفَضْلُ
نصحتُكَ علماً بالهوى والَّذي أرَى ... مُخالفتي فاخترْ لنفسكَ ما يحلو
فإنْ شِئتَ أنْ تحيا سَعيداً، فَمُتْ بهِ ... شَهيداً، وإلاّ فالغرامُ لَهُ أهْلُ
فَمَنْ لم يَمُتْ في حُبّهِ لم يَعِشْ بهِ ... ودونَ اجتِناءَ النّحلِ ما جنتِ النّحلُ
تمسّكْ بأذيالِ الهوى واخلعْ الحيا ... وخلِّ سبيلَ النَّاسكينَ وإنْ جلُّوا
وقلْ لقتيلِ الحبِّ وفَّيتَ حقَّهُ ... وللمدَّعي هيهاتَ مالكحلُ الكحلُ

فَلا يَغْمِضْ لَكَ جَفْن . وَلَا تَذُقِ الوَسَن (١) .

إِلَّا وَأَنْتَ فِي جَنَّتِهِ عَلَى غُصْن .

فَهُنَاكَ يَقِفُ الزَّمَن .

فَالحُبُّ جَنَّةُ عَدْن (٢) .

١- **الوَسَنُ** : ثَقْلَةُ النَّوْم . وَسِنَ فلانٌ : أخذه شبه النُّعاس ، وعَلَتْهُ سِنةٌ .

٢- تَمَلَّكتموا عقلي وطرفِي ومسمَعي ... وَرُوحِي وأحشائِي وَكُلِّي بأَجَمعي
وتيّهتُمونِي فِي بديع جَمالِكُم ... وَلَم أدر فِي بَحرَ الهَوَى أَينَ مَوضعي
وأوصَيتُمونِي لا أبوح بسرِّكُم ... فباحَ بِها أُخفِي تفيضُ أَدْمُعِي
ولـمَّا قُضَى صبري وقلَّ تَجلُّدي ... وفارَقَنِي نَومِي وحُرمت مضجعي
أَتَيت لِقاضِي الحُبِّ قُلتُ أحبتِّي ... جَفَونِي وقَالُوا أنت فِي الحُبِّ مدَّعي
وعندي شهودٌ للصَبابةِ والأسا ... يزكُّونَ دعوايَ إذا جئتُ أدَّعي
سُهادي وَوَجدي واكتئابِي ولوعتِي ... وشوقي وسقمي واصفراري وأدمعي
ومن عجبٍ أَنِّي أَحنُّ إِلَيهِم ... وأسأَلُ شوقاً عنهم وهمُ معي
وتبكيهُم عينِي وهُم فِي سوادِها ... ويشكوهم النَّوى وهم بين أضلُعي
فَإِن طَالبونِي فِي حُقوقِ هَواهُم ... فإنِّي فَقِيرٌ لا عليَّ ولا معي
وَإِن سجنونِي فِي سجونِ جفاهُم ... دخَلتُ عليهم بالشفيعِ المُشَفَّع

التنزل الخامس والأربعون ومائة

ما زاغ البصر وما طغى

لَوْ أَرَادَ اللهُ لَكَ أَنْ تَطِيرَ لَأَعْطَاكَ رِيشاً تَطِيرُ بِهِ .

وَلَوْ أَرَادَ لَكَ أَنْ تُحِبَّ لَأَعْطَاكَ قَلْباً تُحِبُّ بِهِ .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ {ق : ٣٧} (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : من لم يشهد التجليات بقلبه ، فإنه ينكرها . فان العقل يقيده ، والقلب لا يتقيد . فهو سريع التقلب في كل حال : (إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء) . فهو يتقلب بتقلب التجليات ، والعقل ليس كذلك . بل العقل ، تقييد ، وهو من العقال . فالقلب هو القوة التي وراء طور العقل . وكل إنسان له عقل ، وما كل إنسان له قلب ، قال تعالى : ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ {ق : ٣٧} . ولله في القلب عينان : عين بصيرة وهو علم اليقين . والثانية عين اليقين . فعين البصيرة ، تنظر بالنور الذي يهدي به وعين اليقين ، تنظر بالنور الذي يهدي إليه : =

القُلُوبُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ .

مَنْ وَهَبَهُ اللهُ قَلْباً فَلَمْ يَسْتَغْرِقْهُ فِي الحُبِّ ؛

فَقَدْ زَاغَ بَصَرُهُ ، وَانْطَمَسَتْ بَصِيرَتُهُ .

وَلَوْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَقَامَكُم فِي مَقَامِ (١) :

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ {النجم : ١٧} (٢) .

= ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ {النور : ٣٥} : وهو نور اليقين . ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ {الحديد : ٢٨} : وهو النور الثانى . فإذا اتصل النور الذي يهدي به ، بالنور الذي يهدي إليه ، عاين الإنسان ملكوت السموات والأرض . فلا تكون معرفة الحق ، من الحق ، إلا بالقلب ، لا بالعقل . ثم يقبلها العقل ، من القلب .

١- المَقامُ والمُقامُ : فقد يكون كلُّ واحدٍ منهما بمعنى **الإقامةِ** ، وقد يكون بمعنى **موضع القيام** ، لأنك إذا جعلته من (قَامَ يَقُومُ) فمفتوح ، وإن جعلته من (أَقَامَ يُقِيمُ) فمضموم ، لأن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم .

٢- مَا أَرَادَتْ هِمَّةُ سَالِكٍ أَنْ تَقِفَ حِينَ كُشِفَ لَهَا ، إِلَّا وَنَادَتْهُ هَوَاتِفُ الحَقِيقَةِ : الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ ، وَلَا تَبَرَّجَتْ لَهُ ظَوَاهِرُ المُكَوَّنَاتِ إِلَّا وَنَادَتْهُ حَقَائِقُهَا : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ {البقرة : ١٠٢} . قال سماحة الإمام ﷺ : الأدب ثلاثة : أدب الروح ، وأدب القلب ، وأدب النفس . =

= أما أدب الروح : بعدم الالتفات لسواه . وأدب القلب : بعدم الالتفات للحظوظ القلبية . وأدب النفس : بعدم الالتفات للحظوظ النفسية .

امْضِ ، وَلَا تُعَقِّبْ . تَكُنْ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْكَ . لَا تَرْجِعْ إِلَى الوَرَاءِ . وَلَا تَسْمَعْ مِنْ خَلْفِكَ النِّدَاءَ . إِذَا وَقَفْتَ بَينَ يَدَيَّ ؛ نَادَاكَ كُلُّ شَيءٍ . فَاحْذَرْ أَنْ تُصْغِيَ إِلَيْهِ بِقَلْبِكَ .

سُبْحَانَ مَنْ عَزَّ مَرَامُهُ . فَهُوَ العَزِيزُ الَّذِي لَا يُدْرَكُ . فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَاصِلٌ . مَهْمَا جَدَّ فِي السَّيْرِ بِنَفْسِهِ . فَلَوْلَا مَا أَفَاضَهُ تَعَالَى عَلَى أَرْوَاحِ أَوْلِيَائِهِ ، مِنْ أَنْوَارٍ وَأَسْرَارٍ ؛ مَا قَصَدَهُ قَاصِدٌ لِعِزَّتِهِ . وَلَكِنَّهُ تَعَالَى طَمَّعَهُم فِي رُؤيَتِهِ ، وَأَغْرَاهُم بِجَمَالِهِ . حَتَّى إِذَا ظَنُّوا أَنَّهُمْ وَصَلُوا ؛ نَادَاهُم مُنَادِي العِزِّ : مَازَالَ المَطْلُوبُ أَمَامَكُم . فَسُبْحَانَهُ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِعِلْمٍ ، وَلَا مَعْرِفَةٍ . وَلَا يُهجَمُ عَلَيْهِ بِذِكْرٍ . وَلَكِنْ مَنْ أَرَادَهُ اجْتَبَاهُ بِلَا سَبَبٍ . فَتَفُوحُ عَلَيهِم رَوَائِحُ التَّحْقِيقِ وَالعِرْفَانِ . وَتَتَبَدَّلُ العُلُومُ بِالعِيَانِ . مَحْمُولُونَ بِيَدِ القُدْرَةِ . حَيْثُ لَا مَكَانَ لِاثْنَينِ فِي حَضْرَتِهِ تَعَالَى . بَلْ هُوَ وَاحِدٌ . إِذَا مَاتَتْ نَفْسُكَ ، رَأَيْتَ رَبَّكَ ! .

انْظُرْ إِلَيَّ . وَلَا تَطْرَفُ عَنِّي إِلَى مُلَاحَظَةِ سِوَايَ . فَلَا تُلَاحِظْ كَوْنِي . حَتَّى وَلَا تَلْحَظْ أَسْمَائِي وَصِفَاتِي . بَلْ : أَنَا أَنَا أَنَا .

قال النفري : قال لي : سميت وليي وليا لأن قلبه يليني ، دون كل شيء ، فهو بيتي الذي فيه أتكلم . انظر إلى قلبك أين وقف ، فهو من أهل ما وقف فيه ، إن لي قلوباً لا تقف في شيء ، ولا يقف فيها شيء ، هي بيتي ، وهي بيني وبين كل واقف من الملك والملكوت ، هي تليني ، وكل واقف يليها ، تلك التي لا تستطيعها العلوم ، ولا تقوم لأنوارها المعارف ، ولا تسعها الأسماء=

لَرَأَيْتُمْ جَمَالَهُ . وَغِبْتُم بِهِ عَنْ أَنْفُسِكُم الَّتِي لَا وُجُودَ لَهَا إِلَّا بِهِ .

فَمَعِيَّتُهُ لَكُم مَعِيَّةٌ أَزَلِيَّةٌ .

وَهُوَ تَعَالَى يَطْلُبُ مِنَّا الاسْتِغْرَاقَ فِي مَعِيَّتِهِ الَّتِي تَقْتَضِي المَكَانَةَ (١) .

= وقال لي : سد باب قلبك الذي يدخل منه سواي ، لأن قلبك بيتي، وقم رقيباً على السد وأقم فيه إلى أن نلتقي ، فبي أقسمت ، وبجلال ثنائي في كرم آلائي حلفت ؛ إن البيوت التي تبنى على السد بيوتي ، وإن أهلها أهلي وأعزتي .

وقال لي : إذا رأيتني في بيتك وحدي فلا تخرج منه ، وإذا رأيتني والسوى ؛ فغط وجهك وقلبك حتى يخرج السوى ، فإنك إن لم تغطها خرجتُ وبقي السوى ، وإذا بقي السوى أخرجك من بيتك إليه ، فلا أنا ، ولا بيت .

وقال لي : إذا رأيتني في بيتك وحدي فهو الحرم الآمن ، يؤمنك من سواي ، وإذا لم ترني في بيتك ؛ فاطلبني في كل شيء ، فإذا رأيتني ؛ فاهجم ، ولا تستأذن .

١- قال الحلاج :

مزجت روحك في روحي	كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني	فإذا أنت أنا في كل حال

قال سماحة الإمام ﷺ : عندما يحصل لعضو استغراق تام في شيء ، تستغرق فيه الأعضاء كلها ، وليس للعقل ولا للقلب ولا للروح ، قدرة على الاستغراق في شيئين : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ =

=مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ {الأحزاب : ٤} . وطبيعة الاستغراق : أن المستغرق لا يعود موجودا ، ولا يبقى له فعل أو حركة . كمن يغدو غارقاً في الماء ، كل فعل يصدر عنه لا يكون فعله ، بل فعل الماء ، أما لو ضرب الماء بيديه ورجليه ، فلا يسمى مستغرقاً . ولو صرخ : آه أنا أغرق ، لما سمي هذا أيضاً استغراقاً .

استبد حب ليلى بالمجنون ، واستغرقه حبها ، حتى إنه لم يعد محتاجاً إلى رؤية ليلى بالعين ، ولا إلى سماع حديثها بالصوت ، لأنه لم يحس بأن ليلى منفصله عنه .

خيالك في عيني واسمك في فمي وذكرك في قلبي إلى أين أذهب

ومن هنا ، قال من قال : (أنا الحق) . ويظن بعض الناس ، أنه ادعاء عظيم . لكن (أنا الحق) على الحقيقة ، تواضع عظيم . لأن من يقول : أنا عبد الحق ، يثبت وجودين اثنين : أحدهما نفسه ، والآخر الله ، أما من يقول : (أنا الحق) فقد نفى نفسه ، كأنه يقول : (أنا عدم) ، وهو الكل ، لا وجود إلا لله ، وأنا – بكُلِّيَّتِي – عدم .

قال سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به :

اعلم أن : للعارف وقتا يطرأ عليه الفناء والإستغراق ، حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده ، ويخرج عن جميع مداركه ووجوده .

لكن تارة يكون ذلك في ذات الحق سبحانه وتعالى : فيتدلى له من قدس اللاهوت – من بعض أسراره – فيضٌ ، يقتضي منه أن يشهد ذاته عين ذات الحق ، لمحقه فيها ، واستهلاكه فيها ، ويصرح في هذا الميدان بقوله : سبحاني ، لا إله إلا أنا وحدي ...إلخ من التسبيحات كقوله : =

= جلَّت عظمتي وتقدس كبريائي . وهو في ذلك معذور ، لأن العقل الذي يميز به الشواهد والعوائد ، ويعطيه تفصيل المراتب - بمعرفة كل بما يستحقه من الصفات - غاب عنه ، وانمحق وتلاشى واضمحل ، وعند فقد هذا العقل وذهابه ، وفيض ذلك السر القدسي عليه ، تكلم بها تكلم به . فالكلام الذي وقع فيه ، خلقه الحق فيه ، نيابة عنه ، فهو يتكلم بلسان الحق ، لا بلسانه ، ومعرباً عن ذات الحق ، لا عن ذاته .

ومن هذا الميدان : **قول أبي يزيد البسطامي : سبحاني ما أعظم شأني . وقول الحلاج : أنا الحق . وما في الجبة إلا الله . وكقول بعضهم : فالأرض أرضي والسماء سمائي . وكقول التستري رضي الله تعالى عنه :**

أنظر أنا شيء عجيب لمن يراني أنا المحب والحبيب ما ثمَّ ثاني

وهذا مما يعطيه الفناء والإستغراق في ذات الحق . وهذا أمر خارج عن المقال ، يُدرَك بالذوق وصفاء الأحوال ، فلا يَعلم حقيقته إلا من ذاقه .

وتارة يكون الإستغراق للعارف والفناء في ذات النبي ﷺ : لغيبته عن ذاته في ذات النبي ﷺ ، فيتدلى له ﷺ ببعض أسراره ، فإذا كُسِيَت ذاته بذلك السر ، فلا يشهد ذاته - إلا ذات النبي ﷺ - ويُعلِمُه ببعض ما اختص به نبيه ﷺ ، من الخصوصيات التي لا مطمع فيها لغيره ﷺ ، فيتكلم بلسان النبي ﷺ نيابة عنه ، ببعض ما اختص الله به نبيه ﷺ ، من الخصوصيات العظام ، ما له به علو وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيين والمرسلين ، فهو يخبر عما أعطى الله نبيه ﷺ ، مخبرا عن نفسه . فمن يسمعه ، يظن أنه ينسبه لنفسه ، وإنما نسبه للنبي ، ﷺ ، لغيبته في ذاته =

= فإذا انفصل عن هذا الفناء والإستغراق ، ورجع لِحِسِه وشاهِدِه ، تبرأ من ذلك ، لعلمه بمرتبته ، وسق هذا المساق في كل ما تسمع من الشيوخ ، مما يقتضي أن لهم شفوفا على مراتب النبيين والمرسلين . فكل ذلك لفنائه في ذات النبي صلى الله عليه وسلم ، مترجما عن مقامه صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى في الحديث القدسي : «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**» المحب قد عادت قطرته إلى بحر الأحدية . فالمحب انتقل من التقييد إلى الإطلاق ، وكمل له الاستغراق ، وعنه يقول سماحة الإمام ﷺ :

الإنسان كقطرة ماء أخذت من البحر ، فما دامت هذه القطرة خارج البحر ، فإن لها كينونة مستقلة ، إلا أنها صغيرة وحقيرة ، ومقيدة بكل قيد ، ومحددة بكل إناء توضع فيه ، فإذا ألقيتها في بحرها مرة أخرى ، فإنها تتكلم بلسان هذا البحر المطلق العظيم ، ولا تستطيع أن تفصلها عنه ، إذ أن ذراتها قد ذابت في ذراته ، وذاتها قد تلاشت في ذاته . وهذا مما يعطيه الفناء والاستغراق في ذات الحق . وهذا أمر خارج عن المقال ، يُدرَك بالذوق وصفاء الأحوال ، فلا يَعلم حقيقته إلا من ذاقه . وصاحبها يكشف له آيات العالم قبل آيات نفسه ، ثم يريه تلك الآيات في نفسه : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ {فصلت : ٥٣} ، جل جلاله ، وآيات العالم هي الدلالات على أنه الحق ، الظاهر في مظاهر أعيان العالم =

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَنْ يُنْقِصَنَا شَيْئاً مِنْ ثَوَابِ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي تَقْتَضِي المَكَانَ :

﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ {محمد : ٣٥} (١) .

فَجَمَعَ اللهُ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ بَيْنَ عُلُوِّ المَكَانِ ، وَعُلُوِّ المَكَانَةِ فِي الجَنَّةِ .

إِذِ الجَنَّةُ هِيَ جَزَاءُ الأَعْمَالِ .

بَلْ هِيَ الأَعْمَالُ الصَالِحَةُ تَجَسَّدَتْ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ .

= وآيات نفسه أن يريه نفسه جامعا لجميع الحقائق في العالم كله ، فالإنسان نفسه عدم محض على الحقيقة ، وأنه قائم بالله . فالله واحد ، وإن اختلفت مظاهر ظهوره . والإنسان واحد ، ولكن يده ما هي رجله . ورأسه ما هي صدره . وعينه ما هي أذنه . ولا لسانه ولا فرجه . وعقله ما هو فكره ، ولا خياله . فهو متنوع متعدد العين ، بالصور المحسوسة والمعنوية . ومع هذا يقال فيه أنه واحد ، ويصدق . ويقال فيه كثير ، ويصدق . فمن حيث أحديته ، نقول رأى نفسه ، بنفسه . ومن حيث كثرته ، نقول رأى بعضه ، ببعضه . فتكلم بلسانه ، وبطش بيده ، وسعى برجليه ، واستنشق بأنفه . وسمع بأذنه ، ونظر بعينه ، وتخيل بخياله ، وعقل بعقله . وما ثم إلا هو .

١- وَتَرَهُ يَتِرهُ تِرَةً : نقصه . قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ {محمد : ٣٥} ، أي لن ينقصكم من ثوابها شيئا .

وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ دَخَلَ الجَنَّةَ أَصَابَ عُلُوَّ المَكَانَةِ .

إِذْ عُلُوُّ المَكَانَةِ اخْتَصَّ اللهُ تَعَالَى بِهِ أَهْلَ مَحَبَّتِهِ .

وَالإِنْسَانُ مَخْلُوقٌ مِنْ أَنْفَاسِ الرَّحْمَنِ .

وَلَا أَعْلَى فِي المَكَانَةِ مِمَّنْ تَحَقَّقَ بِهَذَا المَقَامِ :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ {الإسراء : ٧٠} (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ {الإسراء : ٧٠} . هذه الآية الكريمة خصّت بني آدم بالتكريم والتفضيل ، انظر إلى التوكيد في أول الآية بهذه الكلمة ﴿ وَلَقَدْ ﴾ وفي آخرها بالمفعول المطلق ﴿ تَفْضِيلًا ﴾ حتى تعلم مقدار حب الله تعالى لهذا المخلوق المسمى إنسانًا ، والإنسان مركب من جسد وروح .

أما جسد الإنسان ؛ فخلقه الله تعالى بيديه : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ {ص : ٧٥} . فجمع في خلقه اليدين للتكريم ، أما أجساد جميع المخلوقات من ملائكة ، وجن ، وحيوان ، وطير ، ونبات ، فكلها خلقها الله تعالى بـ " كُنْ " فكانت ، أما الخلق باليدين فيدل على عظيم الإبداع ، وغاية التكريم .

أما روح الإنسان ؛ فهي نفخة الله المقدسة فيك ، قال تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ {ص : ٧٢} =

= فهي ليست روحك ، بل روحه أهداها إليك ، لحبه لك . إذا أحببت أحدًا أهديته هدية على قدر حبك له ، أما أن تهديه روحك ؛ فهذا غاية الحب . أما أرواح جميع المخلوقات ، سوى الإنسان ، فهي أرواح مخلوقة بكلمة "كُن" ، أما الإنسان فروحه منفوخة من روح الله تعالى .

وزكَّى الله تعالى آدم ، ﷺ ، وجعله خليفته في الأرض ، فقال : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ {البقرة : ٣٠} . وخلقه بيده ، فقال : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ {ص : ٧٥} . وسوَّاه ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، فقال : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ {الحجر : ٢٩ ، ص : ٧٢} .

زكَّى الله تعالى عموم بني آدم ، كلهم ، فقال : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ {الإسراء : ٧٠} . وقال تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ {التين : ٤} . فتكريم الإنسان وخلقه في أحسن تقويم ، لأن صورته على صورة الحق ، أو على صورة الرحمن ، كما ورد في الحديثين الصحيحين : قال رسول الله ﷺ : «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» . قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ**» . وحقيقته هي النفخة الإلهية : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ {الحجر : ٢٩ ، ص : ٧٢} . فاستحق الإنسان التكريم ، وأن يكون في أحسن تقويم ، ظاهريًّا وباطنيًّا ، أو صورةً وحقيقةً .

أما قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ﴾ {التين : ٥} . فهو لمن احتجب عن هذه الحقائق ، وعاش كالبهائم ، لا يدري شيئا عنها فسيظل في أسفل سافلين ، حتى يدرك حقيقته يوم الدين ، حينها سيتحسر ويندم على ما فرط في جنب الله ، وما ظلم به نفسه ، بجهله ، وعدم علمه =

= بحقيقته ، فمن عرف نفسه ، فقد عرف ربه !

ومن أهم أسباب حجب الإنسان عن حقيقته الآدميه ، هو عدم التسمية في الأكل والشرب ، والجماع : فلما كان الشيطان قد كفر بظهور الحق تعالى في آدم ، فأبى السجود له ، كذلك فإن مشاركة الشيطان بني آدم في الجماع ، وفي الأكل ، كان هذا الولد الناتج عن هذا الجماع ، وكان هذا النمو الناتج عن هذا الأكل ، أيضا كافر بوجود الحق فيه ! ومن هنا قال عنه الحق : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ {التين : ٥} . فيحتاج هذا المخلوق للتطهير ، كي يستحق قوله تعالى : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ {التين : ٤} ، وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ {الإسراء : ٧٠} . عَنْ أَنَسٍ ، ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ : اللهُ ، اللهُ**» ، فهذا ذكر بالاسم المفرد ، وهو المانع من قيام الساعة ، وإذا قدر الحق قيام الساعة في زمن معين ، توقف الذكر بالاسم المفرد . وَقَالَ النبيُّ ﷺ : «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى الدُّنْيَا لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ**» . واللكع هو من لا فائدة فيه ، من صعاليك الناس ، وهم الرويبضة . وقال ﷺ : «**لُكَعُ بْنُ لُكَعٍ**» وذلك حتى لا يكون لهم آباء صالحين ، يدعون لهم ، فالساعة لا تقوم إلا على شرار أولاد شرار . وَقَالَ النبيُّ ﷺ : «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ**» . فبالجمع بين هذه الأحاديث الصحيحة الثلاثة ، يتضح أن اللكع بن لكع هو أشر من في الأرض ، الذي في زمنه ينقطع الذكر بالاسم المفرد (الله) . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ {الإسراء : ٧٠} ، فمن تكريم الحق لهذا الإنسان أن ذكره يقوم بذكر العالم أجمع ، وذكر العالم أجمع لا يقوم بذكر إنسان واحد ، وذلك لأن الإنسان هو محل نظر الله تعالى من الكون . =

= فما خلق الحق تعالى السماوات والأرض ، والكواكب والنجوم ، والبحار والمحيطات ، والجبال والسهول والوديان ، والدنيا والآخرة ، إلا للإنسان .

الملائكة مقيدة . وكل مخلوق مقيد فهو يبحث عن الله تعالى فلا يجده . وكيف يعرف المقيد المطلق ؟ هذا السيد المكرَّم ، أمين الوحي ، سيدنا جبريل ﵇ صعد برسول الله ﷺ إلى مقام تناهى في العلو والكمال . ولكن عند الاقتراب من الإطلاق ، قال : إنك إن تقدمت اخترقت ، وأنا إن تقدمت احترقت . لأن الله تعالى لم يجعل في الكون إطلاقاً ، سوى ما كان منه نفخة روح ، فيك أيها الإنسان : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ {الإسراء : ٧٠} . فهذه روحك المطلقة وذاتك المقدسة . كل الخلق يبحث عن الله ، ولا يجده . كل شيء يسبح بحمده ، ولا يدركه . وكون الجنة والنار ، مقيدتان ، لا يعرفان الله تعالى ، فهذه نعمة عظيمة ، إذ لو عرفت الجنة الله تعالى ، لانشغلت به عن التنعيم . ولو عرفت النار الله تعالى ، لانشغلت به عن التعذيب . فلا يعرف المطلق ، إلا الروح المطلقة في الإنسان . فأعظم تكريم لهذا الإنسان هو قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ {البقرة : ١١٥} ، فبعد أن يئس كل الخلق من معرفته تعالى – بأي حال – أباح لهذا الإنسان هذه المشاهدة . بل وفي كل ناحية ، يتجه ، يجد الله تعالى أمامه ، ومعه : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ﴾ {الحديد : ٤} . ولما يئس هذا العالم المقيد من معرفة الله تعالى فإنه ينظر إلى هذا الإنسان نظر قدوة حيث فيه رائحة الإطلاق التي يحن إليها . وأمر – تعالى – الملائكة بالسجود للإنسان ، لهذا الإطلاق الذي فيه : ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ {البقرة : ٣٤ ، الأعراف : ١١ ، الإسراء : ٦١ ، الكهف : ٥٠ ، طه : ١١٦} ، فإنه نظر إلى التقييد في الإنسان ، وهو الجسم ، والجسم خلق مقيد ، فقال : =

= ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ {الأعراف : ١٢ ، ص : ٧٦ } ، فحجب بالتقييد عن الإطلاق كما فعل الكفار حيث قالوا : ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ {الفرقان : ٧} . فحجبوا بتجليات رسول الله ﷺ المقيدة ، من أكل وشرب ، عن إطلاق الولاية في ذات الرسول ﷺ : ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ {الشورى : ٩} . فتسمى تعالى بالولي ، وما تسمى بالنبي ولا بالرسول . فرسالة الرسول ، ونبوة النبي ، مقيدة بوجود من يُرسل إليهم ، أما ولاية الرسول والنبي : هي ما بينه وبين ربه ؛ فهي مطلقة . لذا فقد كان له ﷺ وقت مع الله ، لا يسعه فيه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل – فضلا عن باقي الخلق – فلا يسع الرسول ﷺ – في حال التجلي الذاتي عليه – غير ربه!

فَالْكُلُّ فِيكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الْمُكَرَّمُ : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ {الإسراء : ٧٠} . اللهُ فِيكَ . وَالرَّسُولُ فِيكَ . وَالجَنَّةُ فِيكَ . وَالنَّارُ فِيكَ . وَالعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ ، وَمَا حَوى مِنْ فَلَكٍ وَمَلَكٍ .

أجللتك فاستخلفتك ، وعظمتك فاستعبدتك ، وكرمتك فعاينتك ، وأحببتك فابتليتك . **استعبدتك** : فأخص وصف الخلفاء العبودية . **وعاينتك** : يعني نظرت إليك نظر تكريم ، فإذا كنت عبدالله لم يغب عنك الله . **أقبلتُ عليك ، فأمرتُك . وغِرْتُ عليك ، فنهيتُك . وأخلصتُك لِودِّي ، فكَرَّمتُك .**

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ {الإسراء : ٧٠} . فآدم عليه السلام نزل من الله ، وإلى الله ، وبالله ، هبوط خلافة وإمامة .

ميتة الآدمي كلها طاهرة ؛ لعموم قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ {الإسراء : ٧٠} .

الهاء

الحُبُّ وَلَه (١) .

لَيْسَ لَهُ شَبَه .

وَهُوَ لِلْمَقَامَاتِ بِمَنْزِلَةِ الوَجْه (٢) .

مَنْ أَحَبَّ فَقَدْ فَقِه (٣) .

وَلَكِنْ لِقَلْبِهِ أَوَه (٤) .

١- **الوَلَهُ** : ذهابُ العَقل والفُؤاد من فُقْدانِ حبيب . يقال : وَلِهَت تَوْلَهُ وَتَلِهُ ، وهي والهةٌ ووَالِه . وكل أنثى فارقت وَلَدَهَا فهي والِهٌ .

٢- **وجه الشيء** : هو أشرف ما فيه .

٣- قال سلطان العاشقين :

مَنْ لَمْ يُفَقِّهْهُ الغَرَامُ فَجَاهِلٌ ... وَمَنْ لَمْ يُهَذِّبْهُ الهَوَى لَمْ يُهَذَّبِ

وَلَا تَأْخُذُوا عَمَّنْ رَوَى لَكُمُ الهَوَى ... وَلَكِنْ إِذَا شِئْتُم خُذُوا عَنْ مُجَرِّبِ

٤- **الأوه** : هو الأنين .

وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنْهُ فَقَدْ بَلِه (١) .

وَتَفِهَ وَسَفِهَ وَشُوِه (٢) .

وَعَقْلُهُ عَتَه (٣) .

حَيَاةٌ بِلَا حُبٍّ : عَذَابٌ بِلَا فَكَه (٤) .

١- **البلاهة** : الغفلة . فإذا كانت غفلة عن الشر ، كان منها الحديث : «**إِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الجَنَّةِ الْبُلْهُ**» . وإذا كانت غفلة عن الخير فإن الأَبلَه : الرجل الأحمَق الَّذِي لَا تمييزَ لَهُ ، وامرأةٌ بَلْهاء . والمراد هنا هم من لا يفقهون الغرام :

تبالَـهَ قومـي إذ رأونـي مُتَيَّـــماً ... وقالوا بمنْ هذا الفتى مسَّهُ الخبلُ

٢- **تفه** : تَفِهَ الشَّيءُ يَتْفَهُ تَفَهاً فهو تافِهٌ ، أي : قليلٌ خسيسٌ . وتَفِهَ الرَّجلُ يَتْفَهُ تُفُوهاً فهو تافه ، ورجلٌ تافهُ العَقْل : أحمق . **السَّفَهُ والسَّفاهُ والسّفاهةُ** : نقيضُ الحِلْم . وسَفُهَت أحلامُهم . وسَفُهَ الرَّجلُ : صار سفيهاً. وسفه حلمه ، ورأيه ونفسه ، إذا حملها على أمرٍ خطأ . كما في قولُ اللهِ عزّ وجلّ : ﴿**إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ**﴾ {البقرة : ١٣٠} . **الشوه** : هو القبح .

٣- **العته** : هو الجنون .

٤- **الفكه** : هي الفكاهة والمزاح والشيء العجيب الجميل ، والفاكه : هو الناعم كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ﴾ {يس : ٥٥} ، وتشتق منه الفاكهة الجميلة الطعم .

الواو

الحُبُّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا يَحْلُو (١) .

وَمَرَارَتُهُ لِلْقُلُوبِ تَجْلُو (٢) .

فَبِهِ الحَيَاةُ تَغْلُو (٣) .

١- قال سلطان العاشقين :

وتعذيبكمْ عذبٌ لدي وجوركمْ | عليَّ بما يقضي الهوى لكمُ عدل
وصبري صبرٌ عنكمُ وعليكمُ | أرى أبداً عندي مرارتهُ تحلو
أخذتمْ فؤادي وهوَ بعضي فما الَّذي | يَضَرّكُمُ لو كانَ عِندَكمُ الكُل
نأيتمْ فغيرَ الدَّمعِ لمْ أرَ وافياً | سوى زفرةٍ منْ حرِّ نارِ الجوى تغلو

٢- **الجلاء** : هو الانكشاف والذهاب . كالجلاء عن الوطن أي مغادرته . وفي الحديث «**أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي**» أي ذهاب حزني ، وفي حديث الكسوف : «....**فَصَلَّى ﷺ رَكْعَتَيْنِ أَطَالَهُمَا، فَوَافَقَ انْصِرَافُهُ انْجِلَاءَ الشَّمْسِ**» أي ظهور الشمس . **جلاء القلب** : كشف صداه وصقله وذهاب الران عنه .

٣- **الغلو** : **غلي** : غلا السعر يغلو غلاءً ، وغلا الناسُ في الأمر ، أي : جاوزوا حدّه ، كغلوّ اليهود في دينها . ويقال : أغليت الشيء في الشراء ، وغاليت به . والغالي يغلو بالسَّهْم غُلُوًّا ، أي :=

غَيْرُ المُحِبِّينَ عَدُوّ .

أَوْ ذُو طَبْعٍ خَشِنٍ كَبَدْو (١) .

وَقَلْبُهُ حَجَرٌ كَمَرْو (٢) .

وَالحُبُّ يَجْلُو القَلْبَ جَلْو (٣) .

وَيَجْعَلُ صَاحِبَهُ ذَا عَفْو (٤) .

فَهُو نَجَاتُكَ مِنْ كُلِّ قَبْو (٥) .

= ارتفع به في الهواء ، والسّهم نفسه يغلو . والمُغالي بالسَّهْم : الرّافعُ يدَه يريد به أقصى الغاية ، وكلّ مَرْماة منه غَلْوة . والمراد بالحياة تغلو : أي بالحب يرتفع سعرها ويصبح لها قيمة تذكر .

١- **بدا** : أقام بالبادية وهي خلاف الحضر. قال رسول الله ﷺ : «**من بدا جفا**» الجفاء : الغلظة وشدة الطبع ، والفحش في القول والفعل .

٢- (م ر و) : حَجَرٌ أَبْيَض رَقِيقٌ ، وَقَدْ سُمِّيَ بِهَا الجَبَلُ المَعْرُوفُ بـــ (**المَرْوَةُ**) .

٣- **جلاء القلب** : كشف صداه وصقله وذهاب الران عنه .

٤- قال سماحة الإمام ﷺ : مِنْ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ جَبَلَهُم عَلى الرَّحْمَةِ ، أَنَّهُم يَرْحَمُونَ كُلَّ عِبَادِ اللهِ . حَتَّى لَوْ حَكَّمَهُم اللهُ فِي خَلْقِهِ ؛ لأَزَالُوا صِفَةَ العَذَابِ مِنَ العَالَمِ . لِتَمَكُّنِ حُكْمِ الرَّحْمَةِ مِنْ قُلُوبِهِم .

٥- **القبو** : هي بناية تحت الأرض وعادة تستخدم للتخزين .

وَدِفْءٌ كَلِبَاسٍ فَرْو .

فَإِنْ لَبِسْتَهُ فَأَنْتَ مَكْسُوّ (١) .

فَتَرْكُهُ فِي الدِّينِ غُلُوّ (٢) .

إِلَّا إِنْ كَانَ مِنْ قَبِيلِ السَّهْو .

فَإِلَيْهِ فَادْعُو ، وَلَا تَلْهُو .

فَبِهِ تَنْجُو .

فَأَنْتَ مَدْعُو .

وَلَوْ كُنْتَ طِفْلاً يَحْبُو (٣) .

١- **الكسوة** : هي الثوب الذي يلبسه الإنسان . وهو غطاء وزينة . والمراد هنا ما يكسوه الحب من الإنسان فيغطي به عورته وهو قبح الصفات ، وهو التخلية . أو يزين به باطنه بجميل الخصائل وهي التحلية .

٢- **الغلو** : هو التكلف ومجاوزة الحد .

٣- **الحبو** : حبا الصَّبيُّ يَحْبُو قبل أن يَقومَ .

فَادْلِ فِي بِئْرِهِ دَلْواً بَعْدَهُ دَلْو .

فَالحُبُّ يَحْلُو (١) .

وَكُلُّ حَبِيبٍ لِحَبِيبِهِ يَرْجُو .

١- قال الحلاج :

حويتُ بكُلِّي كلّ حُبِّك يا قُدْسي ... تكاشفني حتّى كأنّك في نفسي

أُقلّب قلبي في سواك فلا أرى ... سوى وحشتي منه و منك به أُنْسي

فهأنا في حَبس الحياة مجمَّع ... من الأنس فاقبضْني إليك من الحبْس

التنزل السادس والأربعون ومائة

الله هو الوجود

المُحِبُّ هُوَ خَلِيفَةُ حَبِيبِهِ .

وهَبَهُ مَحْبُوبُهُ ذَاتاً مِنْ ذَاتِهِ ، وَصِفَاتٍ مِنْ صِفَاتِهِ ، وَأَسْمَاءً مِنْ أَسْمَائِهِ (١) .

١- قال الششتري :

انظر أنا شيءٌ عجيب لِمَن رآني ... أنا المُحبُّ والحبيب ما ثَمَّ ثاني
يا قاصِداً عينَ الخَبَر غطّاهُ غَينُكْ ... انظر لذاتِك واعتَبر ما ثَمَّ غيرك
الخُبرُ منكَ والخَبَرْ والسرُّ عندَكْ ... وأنتَ مرآةُ النّظَر عينُ العَيانِ
وفيكَ يُطوى ما انتشَرْ منَ الأواني ... اسمَع كلامي وانتبهْ إن كُنتَ تَفهَمْ
لأنَّ كنزَكَ قد عَرِيْ عَن كلِّ طَلْسَمْ ... مَن هو المُكلِّم والكَليمْ عن طُورِ الإفهامْ
اسمَع نِدائي من قريب بلا أذانِ ... فشمسُ ذاتي لا تغيبْ عنِ العِيانِ
انظُر جمالي شاهِداً في كلِّ إنسانْ ... كالماء يجري نافِذاً في أُسِّ الأغصان
يُسْقى بماءٍ واحدٍ والزَّهرُ ألوانْ ... اسْجُدْ لهيبةِ ذي الجلالِ عندَ التّداني

وَكَفى بِذلِكَ شَرَفاً لِنِعْمَةِ الخِلافَةِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ {الأنعام : ١٦٥} .

﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ {الحديد : ٧} .

فَمَنِ اشْتَغَلَ مُدَّةَ خِلافَتِهِ ؛

بِتَنْفِيذِ حُظُوظِهِ الدَّنِيَّةِ وَشَهَوَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ (١) ،

١- هذه على معنيين :

الأول – من اشتغل عن حقيقته بجثمانيته أو بظاهره عن باطنه . وهذا لا يعنينا هنا .

والثاني – من أعطي التصريف من الأولياء فانشغل به فقد قال عنه الشيخ محيي الدين بن عربي :

لما اجتمع محمد بن قائد الأواني وكان من الأفراد بأبي السعود قال له : يا أبا السعود إن الله قسم المملكة بيني وبينك فلم لا تتصرف فيها كما أتصرف أنا ؟

فقال له أبو السعود : يا ابن قائد ؛ وهبتك سهمي ، نحن تركنا الحق يتصرف لنا ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ {المزمل : ٩} . فامتثل أمر الله .

فقال لي أبو البدر :

قال لي أبو السعود : إني أعطيت التصرف في العالم منذ خمس عشرة سنة من تاريخ قوله ، فتركته وما ظهر عليّ منه شيء .

فَقَدَ أَخَذَ اللهُ عَلَيْهُمْ كُتُباً .

أَحْصَى لَهُم فِيهَا أَعْمَالَهُم .

وَكُفْرَهُم بِهَذِهِ النِّعْمَةِ .

وَأَعَدَّ لَهُم فِي الآخِرَةِ مِيزَانَهُ العَدْلُ .

أَمَّا مَنْ عَرَفَ حَقِيقَتَهُ .

فَعَمِلَ لِـمَا اسْتُخْلِفَ فِيهِ .

فَكَانَ مِنْ الكَامِلِينَ عِلْماً وَعَمَلاً وَذَوْقاً (١) .

١- عن الاستخلاف للكاملين قال سماحة الإمام ﷺ : اذكر لتصل إلى المذكور ، فإذا وصلت إلى المذكور صارت أرضك سماءً ، أتجلي بنوري فيها على من أشاء ، وحتي تصير وجهي الذي أتجلى به ، فمن رآك وما رآني فيك فقد أشرك ، وحتى أقيمك بيني وبين خلقي ، يتوجهون إليك إذا أرادوا أن يتوجهوا إلي ، وحتى أجري أرزاقهم على يديك ، وحتى أقيمك في مخاطبة عبادي بما تشاء ، ترغب من لا يصلحه إلا الترغيب ، وترهب من لا يصلحه إلا الترهيب ، فتحصرهم جميعا في الترغيب والترهيب ، أما أنت فغير راغب ولا راهب ، وما أنت في حال وجودك بأوفي لي بما أنت في عدمك ، ولا في حال طاعتك بأوفي لي من حال معصيتك ، سترت صفتك بنور صفتي =

فَلَا كِتَابَ لَهُ ، وَلَا حِسَابَ .

بَلْ تَشْرِيفٌ وَقُرْبٌ وَحُبٌّ .

وَرِفْعَةُ مَكَانَةٍ إِلَى العَلِيِّ العَظِيمِ .

يَرْفَعُ اللهُ إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَهْلِ مَحَبَّتِهِ .

وَعُلُوُّ اللهِ تَعَالَى عُلُوٌّ لَيْسَ ضِدَّهُ السُّفْلُ .

= حتي صرت أرحم بالعباد من أنفسهم ، استودعتك صفاتي ، استودعتك إرادتي ، استودعتك مشيئتي ، استودعتك حبي ، استودعتك رضاي ، استودعتك خلافتي ، ألست خليفتي ؟

قال سيدي أبو يزيد البسطامي ﷺ :

لَـمَّا أَنْ صِرْتُ إِلَى الحَقِّ ، وَأَقَمْتُ مَعَ الحَقِّ بِالحَقِّ ، أَنْشَأَ لِي جَنَاحَ العِزِّ وَالكِبْرِيَاءِ ، فَطِرْتُ بِجَنَاحِي ، فَلَمْ أَبْلُغْ مُنْتَهَى عِزِّهِ وَكِبْرِيَائِهِ ، فَدَعَوْتُهُ بِالاسْتِغَاثَةِ بِهِ عَنْهُ ، فِيمَا لَا طَاقَةَ لِي بِهِ إِلَّا بِهِ ، فَنَظَرَ إِلَيَّ بِعَيْنِ الجُودِ ، فَقَوَّانِي بِقُوَّتِهِ ، وَزَيَّنَنِي بِتَاجِ كَرَامَتِهِ عَلَى رَأْسِي ، وَأَفْرَدَنِي بِفَرْدَانِيَّتِهِ ، وَوَحَّدَنِي بِوَحْدَانِيَتِهِ ، وَوَصَفَنِي بِصِفَاتِهِ الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ ، ثُمَّ قَالَ لِي : تَوَحَّدْ بِوَحْدَانِيَّتِي ، وَتَفَرَّدْ بِفَرْدَانِيَّتِي ، وَارْفَعْ رَأْسَكَ بِتَاجِ كَرَامَتِي ، وَتَعَزَّزْ بِعِزَّتِي ، وَتَجَبَّرْ بِجَبَرُوتِي ، وَاخْرُجْ بِصِفَاتِي إِلَى خَلْقِي ، أَرَ هَوِيَّتِي فِي هَوِيَّتِكَ ، وَمَنْ رَآكَ رَآنِي ، وَمَنْ قَصَدَكَ قَصَدَنِي ، يَا نُورِي فِي أَرْضِي ، وَزِينَتِي فِي سَمَائِي ، فَقُلْتُ : أَنْتَ عَيْنِي فِي عَيْنِي ، وَعِلْمِي فِي جَهْلِي ، كُنْ أَنْتَ نُورَكَ ، تَرَ بِكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ !

وَلَكِنَّهُ عُلُوٌّ مُطْلَقٌ .

دُونَ الإِضَافَةِ إِلَى مَكَانٍ ، وَلَا مَكَانَةٍ .

فَالإِضَافَةُ تَشْبِيهٌ .

وَنَفْيُ الإِضَافَةِ تَنْزِيهٌ .

وَالتَّنْزِيهُ هُوَ عَيْنُ التَّشْبِيهِ .

وَالتَّشْبِيهُ هُوَ عَيْنُ التَّنْزِيهِ (١) .

١- قال الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه : أخبر جلّ جلاله عن نفسه بالنقيضين في الكتاب والسنة : فنزه في موضع بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ {الشورى : ١١} ، وشبه في موضع بقوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى : ١١} ، فتفرّقت خواطر التشبيه ، وتشتت خواطر التنزيه . فإن المنزه على الحقيقة قد قيده وحصره في تنزيهه وأخلى عنه التشبيه ، والمشبه أيضاً قيده وحصره في التشبيه وأخلى عنه التنزيه ، والحق في الجمع بالقول بحكم الطائفتين ، فلا ينزه تنزيهاً يخرج عن التشبيه ، ولا يشبه تشبيهاً يخرج عن التنزيه ، فلا تطلق ولا تقيد لتميزه عن التقييد ، ولو تميز تقيد في إطلاقه ، ولو تقيد في إطلاقه لم يكن هو ، فهو المقيد بما قيد به نفسه من صفات الجلال وهو المطلق بما سمى به نفسه من أسماء الكمال ، وهو الواحد الحق الجليّ الخفيّ ، لا إله إلا هو العليّ العظيم .

فَالتَّنْزِيهُ قَيْدٌ ، وَالتَّشْبِيهُ حَدٌّ .

وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنْهُمَا .

وَاللهُ – تَعَالَى – هُوَ الوُجُودُ (١) .

أَمَّا مَا تَرَاهُ مِنَ الوُجُودِ ؛

فَهُوَ صُوَرُ المَوْجُودَاتِ .

ظَهَرَتْ بِإِظْهَارِ اللهِ لَـهَا .

حِينَ أَفَاضَ عَلَيْهَا مِنْ نُورِهِ .

١- قال الجيلي :

وَأَطْلِقْ عِنَانَ الحَقِّ فِي كُلِّ مَا تَرَى — فَتِلْكَ تَجَلِّيَّاتُ مَنْ هُوَ صَانِعُ
لَقَدْ خَلَقَ الأَرَضِينَ بِالحَقِّ وَالسَّمَا — كَذَا جَاءَ فِي القُرْآنِ إِنْ أَنْتَ سَامِعُ
وَمَا الحَقُّ إِلَّا اللهُ لَا شَيءَ غَيرِهِ — فَشُمَّ شَذَاهُ فَهُوَ فِي الخَلْقِ ضَائِعُ
وَشَاهِدْهُ حَقًّا مِنْكَ فِيكَ فَإِنَّهُ — هَوِيَّتُكَ الَّتِي بِهَا أَنْتَ وَالِعُ
فَفِي أَيْنَمَا حَقًّا تُوَلُّوا وُجُوهَكُم — فَمَا ثَمَّ إِلَّا اللهُ هَلْ مَنْ يُطَالِعُ ؟

فَاللهُ تَعَالَى هُوَ كُلُّ شَيءٍ مِنْ حَيْثُ وُجُودِهِ (١) .

لَا مِنْ حَيْثُ شَيْئِيَّتِهِ .

لِأَنَّ شَيْئِيَّةَ أَيِّ شَيءٍ هَالِكَةٌ .

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ {القصص : ٨٨} (٢) .

فَاللهُ تَعَالَى هُوَ وُجُودُ الأَشْيَاءِ المُمْسِكُ لَهَا .

وَكُلُّ الأَشْيَاءِ قَائِمَةٌ بِهِ .

١- فالكون كله ظلمة ، وإنما أناره ظهور الحق فيه ، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه ، أو عنده ، أو قبله ، أو بعده ، فقد أعوزه وجود الأنوار ، وحُجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار ، فما حجبك عن الله وجود موجود معه ، إذ لا شيء معه ، ولكن حجبك عنه توهم موجود معه . فمن عرف الحق شهده في كل شيء ، ومن فني به غاب عن كل شيء ، ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئاً . إنما حجب الحق عنك شدة قربه منك ، إنما احتجب بشدة ظهوره ، وخفي عن الأبصار لعظيم نوره . فمن أحبه الحق وهبه ما يرى به تجليه في كل شيء :

أَعَارَتْهُ طَرْفًا يَرَاهَا بِـهِ   فَكَانَ البَصِيرُ لَـهَا طَرْفَهَا

٢- قال سماحة الإمام ﷺ :

الله تعالى هو الوجود الحق ، وما تراه من الأكوان ؛ فإنما هو صور الوجود ، وأنت عين الحق=

فَهُوَ تَعَالَى الْمُتَكَلِّمُ ، وَهُوَ السَّامِعُ .

وَهُوَ البَصِيرُ وَالبَصَرُ وَالمُبْصَرُ إِلَيْهِ .

سُبْحَانَهُ ، لَا يَعْلَمُهُ سِوَاهُ ، وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ .

= فيها ، ولا تزال تمر عليك صورة بعد صورة ، ثم ما تلبث أن تغيب ، حتى إذا تقلبت عليك الأسماء والصفات ، اسمًا بعد اسم ، وصفةً بعد صفة ، وكملت أحوالك ، أصبحت وجه الله ، الذي لا تلحقه تقلبات الأسماء والصفات : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ {القصص : ٨٨} . وأنت وجهه ، كما أشار لذلك المصطفى ﷺ في الحديث الشريف : «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» رواه مسلم في صحيحه . وفي رواية أنه ﷺ قال : «**لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى**» رواه الطبراني والبيهقي . **فما تجلى تعالى بوجهه إلا لك . وما قام بتجلي الوجه إلا الإنسان الكامل .** الوجه هو التجلي الأعظم ، بل هو أعلى تجليات مرتبة الألوهية . والإنسان الكامل الذي كملت صفاته هو التجلي الأعظم في الكون ، إذن فالإنسان الكامل هو محل التجلي بالوجه . بل هو وجه الله ، لمن دونه في المرتبة .

الياء

الحُبُّ رِيّ (١) .

الحُبُّ ضَيٌّ لِكُلِّ حَيّ .

وَالمُحِبُّ دَوْماً بَيْنَ نَشْرٍ وَطَيّ (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : أَمَّا المُحِبُّونَ ؛ فَقَدْ شَرِبُوا بِحَارَ الحُبِّ ، وَمَازَالُوا فِي ظَمَأٍ .

كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد ﷺ : سَكِرْتُ مِنْ كَثْرَةِ مَا شَرِبْتُ مِنْ كَأْسِ مَحَبَّتِهِ . فكتب أبو يزيد في جوابه : سَكِرْتَ وَمَا شَرِبْتَ مِنَ الدُّرَرِ . وَغَيْرُكَ قَدْ شَرِبَ بُحُورَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا رُوِيَ بَعْدُ ، وَلِسَانُهُ مَطْرُوحٌ عَلَى صَدْرِهِ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ ، وَيَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيد ؟

٢- النشر والطي : المراد به الوصل والهجر أو اليأس والرجاء أو العلن والكتمان . قيل :

وهل أخافُ على سرِّ الهوى أحداً ... وقدْ خُلِقْتُ على الأسرارِ مؤتمنا

فدع غرامكَ يطويني وينشرني ... ودعْ عذولي يطوي جنبهُ الضغنا

من كان مثلي لم يحفلْ بمثلهمُ ... ومن أحبَّ استلانَ المركبَ الخشنا

كأنما الحسنُ أمسى فيكَ مجتمعاً ... فأينما نظَرَتْ عيني رأَتْ حسنا

وإن تكنْ للعاشقينَ فما ... يزالُ أمرُ الهوى في ما بيننا فتنا

يا من يعزُّ على نفسي تدلله ... كم ذا أكابدُ فيكَ الذلَّ والوَهَنا

فَأَحْيَاناً غَيِّ . أَوْ عَصِيّ (١) .

وَأَحْيَاناَ بِالطُّهْرِ تَزَيّ (٢) .

وَكَانَ فِي رُقِيّ .

يَا حَبِيبِي عَطْفاَ عَلَي (٣) .

١- الغي : يعني الضلال .

٢- أراني كالآلات وهو محركي | أنا قلم والاقتدار أصابعُ
ولست بجبريٍّ ولكن مشاهد | فعال مريد ما له مَن يدافعُ
فآونة يقضي علي بطاعة | وحينا بها عنه نهتنا الشرائعُ
لذاك تراني كنت أترك أمره | وآتي الذي أُنهاه والجفن دامعُ

٣- قال سلطان العاشقين :

يا مانِعي طيبَ المَنامِ ومانحي | ثوبَ السِّقامِ بهِ ووجدي المتلفِ
عَطفاً على رمَقي ، وما أبْقَيْتَ لي | منْ جِسميَ المُضْنى ، وقلبي المُدنَفِ
فالوَجْدُ باقٍ ، والوِصالُ مُماطِلي | والصّبرُ فانٍ واللقاءُ مُسَوّفي
واسأَلْ نُجومَ اللّيلِ : هل زارَ الكَرَى | جَفني ؟ وكيفَ يزورُ مَن لم يَعرِفِ ؟
لا غَروَ إنْ شَحَّتْ بِغُمضِ جُفونها | عيني وسحَّتْ بالدُّموعِ الدُّرَّفِ

وَانْظُرْ إِلَيّ .

أَيْنَ الشَّجِيُّ مِنَ الخَلِيّ ؟ (١) .

إِنْ وَعَدْتَ فَوَعْدُكُمْ مُطْلٌ وَلَيّ (٢) .

وَإِنَّ رَشَدِي فِيكُمْ ضَلَالٌ وَغيّ .

وَلَكِنْ كُلُّهُ مِنْكُمْ حَسَنٌ لَدَيّ .

١- **الشجي** : هو الذي أهمه الحب .

الخلي : هو الفارغ من الحب .

وكانوا يقولون : **ويل للشجي من الخلي** .

٢- **اللي** : هو الكذب .

إن لم يكُنْ وَصْلٌ لَدَيكَ فَعِدْ بِهِ ... أملي وماطلْ إنْ وعدتَ ولا تفي

فالمطلُ منكَ لديَّ إنْ عزَّ الوفا ... يحلو كوصلٍ منْ حبيبٍ مسعفِ

أهفو لأنفاسِ النَّسيمِ تَعِلَّةً ... ولوجهِ مَنْ نقلتْ شذاهُ تشوُّفي

فلعَلَ نارَ جَوانحي بِهُبوبِها ... أنْ تَنطَفي وأَوَدّ أن لا تنطَفي

يا أهلَ ودِّي أنتمُ أملي ومنْ ... ناداكُمُ يا أهْلَ وُدّي قد كُفي

عُودوا لَمَا كُنتمْ عليهِ منَ الوَفا ... كرماً فإنِّي ذلكَ الخلُّ الوفي

صَوْتُكُم عِنْدِي كَأَنَّهُ الذِّكْرُ يُتلَى عَنْ أُبَيّ (١) .

العَاشِقُونَ مَوْتَى أَوْ كَأَيّ (٢) .

أَبْدَلْتَنِي بَعْدَ القُرْبِ أَيّ (٣) .

١- المراد هنا أبي بن كعب ﷺ حيث شهد له رسول الله ﷺ فقَالَ : «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ الله عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ» رواه ابن ماجة والترمذي وأحمد .

٢- كي تستحق أن تكون عاشقا عد نفسك من الموتى وإلا ما استحققت مرتبة العشق ، قيل :

وعِشْ خالياً فالحبُّ راحتُهُ عناً ... وأوّلُـهُ سُقْـمٌ وآخِـرُهُ قَتْـلُ
ولكنْ لديَّ الموتُ فيه صبابةً ... حَياةٌ لَمن أهوَى ، عليّ بها الفَضْلُ
نصحتُكَ علماً بالهوى والَّذي أرَى ... مُخالفتي فاخترْ لنفسكَ ما يحلو
فإنْ شِئتَ أنْ تحيا سَعيداً، فَمُتْ بِهِ ... شَهيداً، وإلاّ فالغرامُ لَهُ أهْلُ
فَمَنْ لم يَمُتْ في حُبِّهِ لم يَعِشْ بِهِ ... ودونَ اجتِناءَ النّحلِ ما جنتِ النّحلُ
تمسّكْ بأذيالِ الهوى واخلعْ الحيا ... وخلِّ سبيلَ النَّاسكينَ وإنْ جلُّوا
وقلْ لقتيلِ الحبِّ وفَّيتَ حقَّهُ ... وللمدَّعي هيهاتَ مالكحلُ الكحلُ

٣- الأي : هو البعد .

المُحِبُّ نَبِيٌّ أَوْ وَلِيّ (١) .

١- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ اللهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» رواه البخاري في صحيحه . فالولاية والمحبة متلازمان ، فما أحب إلا ولي ، وما حاز الولاية إلا محب . وما ذكر سماحة الإمامة النبوة هنا إلا من حيث ولاية النبي ، وذلك لأن كل نبي ولي وليس العكس .

قال سماحة الإمام : الولاية نعت إلهي : ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ {الشورى : ٩} . والولاية هي الدائرة الكبرى ، والفلك الأعظم . فمِنْ حُكْمِها يتولى الله من شاء من عباده بنبوة ، وقد يتولاه برسالة . فكل رسول لابد أن يكون نبياً ، وكل نبي لابد أن يكون ولياً ، فكل رسول لابد أن يكون ولياً ، فالرسالة خصوص مقام في الولاية . والرسالة في الملائكة دنيا وآخرة ، لأنهم سفراء الحق . والرسالة في البشر لا تكون إلا في الدنيا ، وينقطع حكمها في الآخرة ، والفضل للدائم الباقي . والرسالة حال لا مقام لأنها إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع . فالرسل من كونهم أولياء ، أرفع من كونهم رسلا ، فالولاية هي بساط المشاهدة ، والرسالة هي النزول إلى العالم الأضيق ، ومشاهدة الأضداد ، ومكابدة الأسماء الإلهية القائمة بالفراعنة والجبابرة ، فلا شيء أشد عليهم من مقارعة الأسماء بالأسماء . ولذا كان ﷺ يقول : «**أَعُوذُ بِكَ ، مِنْكَ**» .

فالولاية هي النبوة الكبرى ، ورسول الله ﷺ من كونه ولياً ، أعلى وأشرف من كونه رسولا ، وهو الشخص بعينه ، واختلفت المراتب . لا أن الولي من الناس أرفع من النبي أو الرسول =

= فالولي الذي ليس بنـبي ناقص عن رتبة النبوة ، وإنما النبي من حيث ولايته أتم منه من حيث نبوته . فالولي من أسماء الألوهية ، أما النبوة والرسالة من أسماء العبودية .

﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾ {الشورى : ٩} . فتسمى تعالى بالولي ، وما تسمى بالنبي ولا بالرسول . فرسالة الرسول ، ونبوة النبي ، مقيدة بوجود من يُرسَل إليهم ، أما ولاية الرسول والنبي : هي ما بينه وبين ربه ؛ فهي مطلقة . لذا فقد كان له ﷺ وقت مع الله ، لا يسعه فيه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل – فضلاً عن باقي الخلق – فلا يسع الرسول ﷺ – في حال التجلي الذاتي عليه – غير ربه ! .

قال الله تعالى : ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾ {الشورى : ٩} . يعنى : الإنسان الكامل الذى قال تعالى فيه : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ {يونس : ٦٢} ، لأنه يستحيل الخوف والحزن ، وأمثال ذلك ، على الله ؛ لأن الله هو الولي الحميد : ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ {الشورى : ٩} : أى الولي ؛ فهو حق متصور في صورة خلقية ، أو خلق متحقق بمعاني الإلهية ، فعلى كل حال وتقدير ، وفي كل مقال وتقرير ، هو الجامع لوصفي النقص والكمال ، والساطع في أرض كونه بنور شمس المتعال ، فهو السماء والأرض ، وهو الطول والعرض . **والولاية ، هي سر العناية . لا تُنال بحيلة ، ولا تُدرك بطلب .**

التنزل السابع والأربعون ومائة

تعددت الصفات ، واتحدت الذات

المُحِبُّ يَعْلَمُ أَنْ لَا عَدَم .

جَلَّتْ مَرْتَبَةُ الحُبِّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا عَادِماً .

أَوْ إِعْدَاماً ، أَوْ مُعْدِماً ، أَوْ مَعْدُوماً .

فَلَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ – تَعَالَى – المُعْدِم .

وَإِنَّمَا انْتِقَالٌ مِنْ وُجُودٍ إِلَى وُجُودٍ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ {فاطر : ١٦} : الذهاب ليس بإعدام ، ولكن انتقال من حالٍ إلى حال ، فإن الله تعالى لا يرد شيئاً أوجده إلى العدم أبداً ، فليس من أسمائه المعدم ، بل هو يُوجِد ، ويخلق على الدوام . فالموت ليس عدما أو إعداما ، الموت هو بوابة وهمية يمر من خلالها الإنسان من حالة إلى حالة أعلى منها =

انْتِقَالٌ مِنَ الوُجُودِ العِلْمِيِّ المُتَعَيِّنِ فِي عِلْمِ اللهِ (١) ،

إِلَى الوُجُودِ القَوْلِيِّ بِـ (كُن) .

فَيَظْهَرُ فِي الوُجُودِ العَيْنِيِّ (٢) .

= بدرجة أو درجات ، فالكافر يؤمن ، والمؤمن يشاهد ، ويصبح من أهل الإحسان ، وعلم اليقين يصير عين اليقين . أما العدم فهو عذاب العذاب ، والله تعالى لن يعدم أحداً بعد إيجاده ، لأن اسم المعدم ليس من أسمائه ، فأسماء الرحمة هي الأصل ، وإليها يرجع كل مخلوق .

١- قال رَسُولَ الله ﷺ : «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ ، فَلِذَلِكَ أَقُولُ : جَفَّ القَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللهِ» رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن .

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ {النور : ٣٥} . لما كان علم الله هو نور النور ، فنور الله هو الذي رشه على ظلمة الممكنات ، فوقع الفصل بين الصور ، فيقال هذا ليس هذا ، فالله نور السماوات والأرض ، أي فالله تعالى هو الظاهر في المظاهر التي سميت بالسماوات والأرض ، فظهور المظاهر هو الله . فما فطرهم إلا عليه ، ولا فطرهم إلا به ، فبه تميزت الأشياء ، وانفصلت ، وتعينت ، والأشياء في ظهورها الإلهي : لا شيء . فالوجود وجوده . والعبيد عبيده . فهم العبيد من حيث أعيانهم ، وهم الحق من حيث وجودهم ، فما تميز وجودهم من أعيانهم إلا بالفطرة ، التي فصلت بين العين ووجودها .

٢- عن الوجود القولي بـ (كُن) قال سماحة الإمام ﷺ : ثُمَّ أَخْرَجْتُكَ إلى عَالَمِ الذَّرِّ ، بِسَمْعٍ ، تَسْمَعُ بِهِ : =

فَاللهُ تَعَالَى يَخْلُقُ وُجوداً عَنْ وُجُودٍ .

وَيُثْبِتُ حُبًّا عَنْ قُرْبٍ .

وَاللهُ تَعَالَى – مِنْ حَيْثُ ذَاتِهِ – مُنَزَّهٌ عَنِ الظُّهُورِ ، وَعَنِ البُطُونِ .

وَعَنِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ .

وَمُنَزَّهٌ عَنِ التَّقَيُّدِ ، وَعَنِ الإِطْلَاقِ .

وَمُنَزَّهٌ عَنِ النِّسَبِ .

وَعَنِ التَّنْزِيهِ نَفْسِهِ .

وَلَكِنَّهُ – مِنْ رَحْمَتِهِ بِنَا ، وَحُبِّهِ لَنَا – تَنَزَّلَ لَنَا (١) ؛

= ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ {الأعراف : ١٧٢} . فَلَمَّا شَقَّ سَمْعَكَ حَلَاوَةُ النِّدَاءِ ، أَجَابَتِ الأَرْوَاحُ ، بل أجاب الله تعالى من الأرواح : ﴿بَلَىٰ﴾ {الأعراف : ١٧٢} . ثُمَّ أَخْرَجْتُكَ إِلَى عَالَمِ الأَرْحَامِ ، ثُمَّ إِلَى الدُّنْيَا .

١- الرحمة المقصودة هنا ، ليست فقط غفران الذنوب ، والنجاة من النار ، ودخول الجنة ، ولكن الخروج من كثائف وجودنا ، إلى لطافة وجوده تعالى فينا .قال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ {التغابن : ٣} . فالله تعالى تنزل باسمه الرحمن ، إلى حضرة الإمكان =

= إذ أن صور العالم لا يمكن زوال الحق عنها ، وإلا انعدمت ، فهو تعالى المدبر لذراتها .

وَأَطْلِقْ عِنَانَ الحَقِّ فِي كُلِّ مَا تَرَى ... فَتِلْكَ تَجَلِّيَاتُ مَنْ هُوَ صَانِعُ
لَقَدْ خَلَقَ الأَرَضِينَ بِالحَقِّ وَالسَّمَا ... كَذَا جَاءَ فِي القُرْآنِ إِنْ أَنْتَ سَامِعُ
وَمَا الحَقُّ إِلَّا اللهُ لَا شَيءَ غَيرِهِ ... فَشُمَّ شَذَاهُ فَهُوَ فِي الخَلْقِ ضَائِعُ
وَشَاهِدْهُ حَقًّا مِنْكَ فِيكَ فَإِنَّهُ ... هَوِيَّتُكَ الَّتِي بِهَا أَنْتَ وَالِعُ
فَفِي أَيْنَمَا حَقًّا تُوَلُّوا وُجُوهَكُم ... فَمَا ثَمَّ إِلَّا اللهُ هَلْ مَنْ يُطَالِعُ ؟

وينزل ربنا إلى السماء الدنيا ، وقد كان ولا سماء ، ولا عالم ، هل كان يوصف بالنزول إلى من ؟ أو من أين ؟ ولا أين ؟ ثم أحدث الأشياء ، فحدثت النسب ، فاستوى على العرش ، ونزل إلى السماء ، وأخذ الميزان ، فخفض ورفع ، بذا وردت الأخبار ، والإيمان بها واجب ، والكيف مجهول ، غير معقول ، فهو الواحد الواجد الأحد الماجد ، الذي ليس كمثله شيء . فما نزل إلينا إلا ليأخذنا منا إليه . وما المنازلة إلا مفاعلة بين نزوله إلينا ، وعروجنا إليه . فهو في كل ذلك متعرف إلينا ، مقبل بوجود إحسانه علينا . فإذا قال الحق : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة : ١١٥} . ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ ﴾ : فلا خلق ، فأنت منفي . ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ : أثبتك وأثبت أن لك توجه إلى وجه الله . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ : ثم نفاك مرة أخرى . ثم نفاك البتة في آية أخرى ، وهي قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ ﴾ {الحديد : ٣} . فهنا نفاك بالكلية ، فلا وجود لك في هذا المنظر =

فِي أَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ عَلَى قَدْرِ عُقُولِنَا (١) .

= ولكن تنوعت النسب له تعالى بين ظاهر وباطن وأول وآخر . فهذه كلها نسب حكميه ، وصدق من قال :

تَجَلَّيْتَ فِي الأَشْيَاءِ حِينَ خَلَقْتَهَا ... فَهَا هِيَ مِيطَتْ عَنْكَ فِيهَا البَرَاقِعُ
قَطَعْتَ الوَرَى مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ قِطْعَةً ... وَلَمْ تَكُ مَوْصُولًا وَلَا فَصْلُ قَاطِعُ
وَلَكِنَّهَا أَحْكَامُ رُتْبَتِكَ اقْتَضَتْ ... أُلُوهِيَّةً لِلضِّدِّ فِيهَا التَّجَامُعُ
فَأَنْتَ الوَرَى حَقًّا وَأَنْتَ إِمَامُنَا ... وَإِنَّكَ مَا يَعْلُو وَمَا هُوَ وَاضِعُ
وَمَا الخَلْقُ فِي التِّمْثَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٍ ... وَأَنْتَ بِهَا المَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ
فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ ... وَغَيْرُ آنٍ فِي حُكْمِ دَعَتْهُ الشَّرَائِعُ
وَلَكِنْ بِذَوْبِ الثَّلْجِ يُرْفَعُ حُكْمُهُ ... وَيُوضَعُ حُكْمُ المَاءِ وَالأَمْرُ وَاقِعُ

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ {فصلت : ٥٣} . أي سنريهم وجودنا في كل شيء ، وفي أنفسهم ، حتى يؤمنوا بأنهم عين الحق ، وختم تعالى الآية بأنه على كل شيء شهيد ، أي في كل شيء هو حاضر باطنا وظاهرا .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال رسول الله ﷺ : «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ» . المحجوبون هم الذين لا يعرفون الحق إلا بأسمائه الحسنى المحفوظة وعبادة هؤلاء لأغراضهم =

حَتَّى نَفْهَمَ وَنَعْقِلَ وَنَعْبُدَ .

وَنُحِبُّ وَنَهِيمُ وَنَعْشَقُ .

وَلَا يَزَالُ التَّشْبِيهُ قَاصِراً .

= فمن عبده رغبة ، فهو عبد حظه ، ومستنده الاسم المعطي والمنان والجواد والمنعم . وأما من عبده رهبة ، فهو عبد حظه أيضاً طالباً للخلاص من النار ، ومستنده الاسم الواقي ، لظهور سلطنة الاسم الجبار والمنتقم . وهؤلاء جميعاً عبيـــد أنفســهم ، لا يرون إلا الأسماء اعتقاداً ، لا شهوداً . وهي صفة المحجوب .

يقول تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ {الأعراف : ١٨٠} . مُسمى الخلق : هو أسماء الله الحسنى التي دعا النبي ﷺ بها الله تعالى ، فأسماء الله ليست هي الأسماء الواردة في الكتاب والسنة فقط ، بل هي اسم كل شيء تجلى الله لك فيه ، وعرَّفك بنفسه أنه متجل فيه ، فهو اسم له تعالى في حقك أنت فقط ، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ {طه : (١٠ - ١٤)} . فلم يعلم موسى عليه السلام أن النار هي مظهر لتجلي الله تعالى ، إلا عندما عَرَّفَهُ تعالى بنفسه فيها ! . وهذا لموسى عليه السلام فقط ، وليس للمحيطين به ، حيث كان أهله معه ، فليس لهم هذا التجلي .

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ {الأنعام : ٩١ ، الزمر : ٦٧} (١) .

١- قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ في قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ :
من وصفه ؛ فإنما وصف نفسه ، ولا يعرف منه إلا نفسه ، لأن رب العزة لا يُعَيِّنُه وصف ، ولا يقيده نعت ، ولا يدل على حقيقته اسم خاص ، فإن العزيز هو المنيع الحمى ، ومن يوصل إليه بوجه ما ؛ من وصف أو نعت أو علم أو معرفة ، فليس بمنيع الحمى ، ولذلك عم بقوله :
﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ {الصافات : ١٨٠} .
ولا يعرف قدر الحق إلا من عرف الإنسان الكامل ، الذي خلقه الله على صورته ، وهي الخلافة .

فَإِنْ قُلْتَ بِالتَّنْزِيهِ كُنْتَ مُقَيِّداً وَإِنْ قُلْتَ بِالتَّشْبِيهِ كُنْتَ مُحَدِّدا
وَإِنْ قُلْتَ بِالأَمْرَيْنِ كُنْتَ مُسَدِّداً وَكُنْتَ إِمَاماً فِي المَعَارِفِ سَيِّدا

أخبر جلّ جلاله عن نفسه بالنقيضين في الكتاب والسنة : فنزه في موضع بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ {الشورى : ١١} ، وشبه في موضع بقوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى : ١١} ، فتفرّقت خواطر التشبيه ، وتشتت خواطر التنزيه . فإن المنزه على الحقيقة قد قيده وحصره في تنزيهه وأخلى عنه التشبيه ، والمشبه أيضاً قيده وحصره في التشبيه وأخلى عنه التنزيه ، والحق في الجمع بالقول بحكم الطائفتين ، فلا ينزه تنزيهاً يخرج عن التشبيه ، ولا يشبه تشبيهاً يخرج عن التنزيه ، فلا تطلق ولا تقيد لتميزه عن التقييد ، ولو تميز تقيد في إطلاقه ، ولو تقيد في إطلاقه لم يكن هو ، فهو المقيد بما قيد به نفسه من صفات الجلال وهو المطلق بما سمى به نفسه من اسماء الكمال ، وهو الواحد الحق الجليّ الخفيّ ، لا إله إلا هو العليّ العظيم .

حَتَّى فِي الآخِرَةِ يَظْهَرُ فِي صُوَرٍ .

حَتَّى يَتَعَرَّفَ الخَلْقُ عَلَيْهِ .

وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنِ الصُّوَرِ (١) :

١- قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ :

قيل لي : فإن لم تجدني هنا وجدتني هنا ، وإن احتجبت عنك في جمع تجليت في (آخر) مع أني قد أعلمتك في غير ما موقف من مواقفك ، وأشرت به إليك غير مرة في بعض لطائفك : إني وإن احتجبت فهو تجلٍ لا يعرفه كل عارف ، إلا من أحاط علماً بما أحطتَ به من المعارف . ألا تراني أتجلى لهم في القيامة في غير الصورة التي يعرفونها والعلامة ، فينكرون ربوبيتي ، ومنها يتعوذون ، وبها يتعوذون ، ولكن لا يشعرون ، ولكنهم يقولون لذلك المتجلي : نعوذ بالله منك ، وها نحن لربنا منتظرون ، فحينئذ أخرج عليهم في الصورة التي لديهم ، فيقرون لي بالربوبية ، وعلى أنفسهم بالعبودية ، فهم لعلامتهم عابدون ، وللصورة التي تقررت عندهم مشاهدون ، فمن قال منهم أنه عبدني ، فقوله زور ، وقد باهتني ، وكيف يصح منه ذلك ؟ وعندما تجليت له أنكرني ، فمن قيدني بصورة دون صورة ، فتخيُّلُه عَبَدَ ، وهو الحقيقة الممكنة في قلبه ، المستورة ، فهو يتخيل أنه يعبدني ، وهو يجحدني ، والعارفون ليس في الإمكان خفائي عن أبصارهم ، لأنهم غابوا عن الخلق وعن أسرارهم ، فلا يظهر لهم عندهم سوائي ، ولا يعقلون من الموجودات سوى أسمائي ، فكل شيء ظهر لهم وتجلى ، قالوا : أنت المسبح الأعلى ، فليسوا سواء ، فالناس بين غائب وشاهد ، وكلاهما عندهم شيء واحد !

«فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ،......، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ » (١) .

وَمَا ذَاكَ إِلَّا تَحَبُّباً لِعِبَادِهِ .

وَتَحَنُّناً عَلَيْهِم .

فَهُوَ الحَنَّانُ المَنَّانُ .

١- رَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ :
قَالَ أُنَاسٌ : يَا رَسُولَ الله ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ ؟
فَقَالَ : «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» ؟
قَالُوا : لا يَا رَسُولَ الله .
قَالَ : «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» ؟
قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ الله .
قَالَ : «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِالله مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ» .

فَهُوَ تَعَالَى صَبَغَ كُلَّ مَخْلُوقٍ بِصِبْغَةِ الوُجُودِ .

فَظَهَرَ ، بِـــهِ ، لَـــهُ (١) .

وَهُوَ يُمْسِكُهُ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ .

فَتَعَدَّدَتِ الصُّوَرُ بِتَعَدُّدِ التَّجَلِّيَاتِ وَالصِّفَاتِ (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : لولا وجود الكون لظهر العين ، ولولا الأسماء لبرز المسمى ، ولولا أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها لم يكن لكل شيء في الوجود اسم غير الله :

تجلَّى حبيبي في مرائي جماله ... ففي كل مرءًا للحبيب طلائعُ
فلما تبدَّى حسنه متنوعا ... تسمَّى بأسماء فهن مطالعُ

٢- قال سماحة الإمام ﷺ :

كل تجلٍ ، لابد أن تكون له صفة ، وكل صفة ، لابد أن يكون لها اسم .
فتعددت الأسماء ، لتعدد الصفات ، وتعددت الصفات ، لتعدد التجليات
وتعددت التجليات ، لتعدد التنزلات ، وتعددت التنزلات ، لتعدد الشئون
وتعددت الشئون ، لتعدد مقتضيات الكمال وتعددت مقتضيات الكمال ، لتعدد المراتب
وتعددت المراتب ، لتعدد المظاهر ، وتعددت المظاهر ، لتعدد الأسماء
فدار الأمر وانبهر ، وصار أولًا ما كان آخرًا .
عُرِفَ على قدر ما ظهر ، وجُهِلَ على قدر ما بطن .

وَتَوَحَّدَتِ الذَّاتُ فِي غَيْبِ غَيْبِ الغَيْبِيَّاتِ (١) .

افْتَتَحْنَا أَبْجَدِيَّاتِ الحُبِّ بِالهَمْزَةِ . وَنَخْتِمُهَا بِالأَلِفِ .

١- نسب إلى سيدي احمد التجاني ﷺ أنه قال في بدايته :

ألا ليت شعري هل أفوز بِسَكْرَة ... من الحبّ تُحْيي مِنِّي كلّ رميمة ؟
وهل لِذُرَى الإحسان ترقى عوالمي ؟ ... وهل تتجلّي الذات فيها لفكرة ؟
وهل لي بغيب الغيب بالله غيبة ... تُغَيِّب كلّي عن جميع الخليقة ؟
وهل نفحات القرب فضلا تعمّني ... وقد هدمت منّي رسوم الطبيعة ؟
وهل جذباتٌ بالتجلّي تؤمّني ... فتسلبني عن كلّ كلِّي وجملتي ؟
وهل واردات الوصل منّا تزفّ لي ... لكي أرتقي العلياء من كلّ رتبة ؟
وهل أَرِدَنَّ بحر الشهود فيشتفي ... غليلي بغوصي فيه في كلّ لمحة ؟
وهل تطلعنّ شمس المعارف جهرة ... بباطن قلبي والهدي لي زفّت ؟
وهل أرتقي عرش الحقائق واصلا ... إلى الله محفوظا بكلّ كريمة ؟
وهل صلة التوحيد ألبسها وقد ... تمكّن سرّي من بساط الحقيقة ؟
وهل لي بجمع الجمع بالله وصلة ... وقد طلعت شمس الوصول بقِبلة ؟
وهل وابل العلم اللدنيّ هاطل ... إليّ ويبقى دائما كلّ لحظة ؟
وهل أملي من هذه بالغ المدى ... فَيَا حبّذا أم لا بلوغ لمنيتي ؟
وهل تجمع الأيّام شملي ببغيتي ... ونَيْل مرادي أم أموت بحسرتي ؟

الألف*

* قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ : **(الألف)** ليس من الحروف عند من شم رائحة من الحقائق ، ولكن قد سمته العامة حرفاً ، فإذا قال المحقق إنه حرف ، فإنما يقول ذلك على سبيل التجوّز في العبارة ، ومقام **(الألف)** مقام الجمع ، له من الأسماء اسم الله .. وله مجموع عالم الحروف ومراتبها ، ليس فيها ولا خارجاً عنها . ثم اعلموا أنه لما كان **(الألف)** يسري في مخارج الحروف كلها ، سريان الواحد في مراتب الأعداد كلها ، لهذا سميناه قيوم الحروف ، وله التنزيه بالقبلية وله الاتصال بالبعدية ، فكل شيء يتعلق به ، ولا يتعلق هو بشيء ، فأشبه الواحد ، لأن وجود أعيان الأعداد يتعلق به ، ولا يتعلق الواحد بها ، فيظهرها ، ولا تظهره . وكما أن الواحد لا يتقيد بمرتبة دون غيرها ويخفى عينه أعني اسمه في جميع المراتب كلها ، كذلك **(الألف)** لا يتقيد بمرتبة ، ويخفي اسمه في جميع المراتب فيكون الإسم هناك لـ (الباء والجيم والحاء) وجميع الحروف ، والمعنى لـ **(الألف)** ، مثل (الواحد) .

قال الجيلي ﷺ : **(الألف)** ما بَعُدَ عن النقطة إلا بدرجة واحدة . لأن النقطتين إذا تركبتا صارتا ألفا . فـ **(الألف)** أقرب إلى النقطة ، لأن النقطة لا بُعْدَ لها . فنسبة **(الألف)** ، بين الأحرف كنسبة سيدنا محمد ﷺ ، بين الأنبياء ، والورثة الكمل ، فلهذا قُدِّمَ **(الألف)** ، على سائر الحروف . فافهم وتأمل . و **(الألف)** محل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ {الفتح : ١٠} ، ومن المعلوم أن سيدنا محمدا ، ﷺ ، بويع ، فشهد الله لنفسه ، أنه ما بويع إلا الله ، فكأنه يقول : ما أنت عندما بُويعت =

الحُبُّ صَفَاءٌ وَسَنَا (١) .

وَالمُحِبُّ ذَكَا وزَكَا (٢) .

= محمدا ، إنما أنت الله بايعت ، لأنهم يبايعون الله على الحقيقة . وهذا معنى الخلافة . بسط (**باء**) كل كتابة ، بقدر قائم (**ألفها**) . إذ ظل كل شيء مثله . فرأت نفسها : ظلا لهذا القائم . فعلمت أن قيامها به . إذ لا وجود للظل إلا بالشخص ، فتحقق لها فناؤها ، ونفت وهمية وجودها . لأن الظل فى نفسه ، ليس بشيء موجود تام . إنما هو حيلولة الشخص ، بين الجرم المنير ، والأرض . فوجود الظل لنفسه محال . ولكن لابد من وجوده . فلما تحقق (**الباء**) بهذا القدر من الفناء ، أخذه (**الألف**) إلى نفسه . وأبقاه فى محله . فاندرج (**الألف**) فيه . ولهذا طُولت (**باء**) : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ . لتكون دليلا على (**الألف**) المندرج فيها . فهى فى المعنى خليفة عن (**الألف**) . وفى الصورة مطولة على هيئة (**الألف**) . فحصل لها من (**الألف**) ، الهيئة ، والمعنى . ووقعت فى الكلام محل (**الألف**) . ولا يعرف فى كلام العرب (**باء**) تقوم مقام (**الألف**) ، إلا (**باء**) ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ .

١- **صفاء** : استَصفَيْتُ صَفوةً أي أخَذْتُ صَفْوَ ماءٍ من غديرٍ . يقال: قد صفا ، إذا ذهبت غبرته .

سَنَتِ النارُ تَسْنُو سَنَاءً : عَلاَ ضَوْءُها والسَّنَا مقصورٌ ضَوْءُ النار والبَرق : ﴿ سَنَا بَرۡقِهِۦ ﴾ {النور : ٤٣} .

وَأَيْنَ الصَّفَا هَيْهَاتُ مِنْ عَيْشِ عَاشِقٍ ... وَجَنَّةُ عَدْنٍ بِالمَكَـارِهِ حُفَّتِ

وَمَا ظَفِرَتْ بِالوُدِّ رُوحٌ مُرَاحَةٌ ... وَلَا بِالوَلَا نَفْسٌ صَفَا العَيْشِ وَدَّتِ

٢- **ذكا** : الذَّكْوَة والذَّكا ، مَقْصُور : الجَمْرَة المتلظّية ، وَالجمع الذَّكْو ، واشتقاقه من ذكا النارِ =

وَصَبَا وَصَحَا وَهَوَى (١) .

وَشَرِبَ وَسَقَى (٢) .

= وذَكْوِها . الذكاءُ ممدودٌ : حِدّة القلب . وقد ذَكِيَ الرجل بالكسر يَذْكى ذكاء ، فهو ذكيّ على فعيل . التذكية : الذبح والنحر . يقال : ذكيت الشاة تذكية ، والأسم الذكاة ، والمذبوح ذكي .

واعتزمت السير في هدي القمر سيرة العشاق وذا أذكى السِّيَر

زكا : زكا الرجل زكوّاً : إذا تنعمّ وكان في خصبٍ . زكوت عليه الأمر وزكيته . زكا الزَّرْع إِذا كثر ريعه ، وزكت النَّفَقَة إِذا بورك فِيهَا ، زكا المال يزكو زكاء : إذا زاد ونمى . ويقال : قد زكت النفقة : إذا زادت .

وَبَذْلِيَ نَفْسِي فِي هَوَاكَ صَبَابَةً زَكَاةُ جَمَالٍ مِنْكَ فِي القَلْبِ سَاطِعُ

١- **الصبُّ** : الذي به صبابة ، والصَّبابة : رِقّة الشوق .

وَكَمْ فِي الوَرَى مِثْلِي أَمَاتَتْ صَبَابَةً وَلَوْ نَظَرَتْ عَطْفًــا إِلَيْهِ لَأَحْيَتِ

صحا صحواً : الصَّحْوُ : ذَهاب الغَيْم ، تقول : السّماء صحوٌ ، واليوم يومٌ صحوٌ ، وأَصْحَتِ السّماء فهي مُصْحيةٌ ويومٌ مُصْحٍ . والصّحوُ : ذَهابُ السُّكر .

الهوى : الحب .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ مُحِيطٌ وَاسِعٌ ، وَبَحْرٌ عَمِيقٌ . وَالمُحِبُّ يُرِيدُ أَنْ يَأْخُذَهُ كُلَّهُ فِي كَأْسٍ وَاحِدَةٍ . كَأْسُكَ صَغِيرٌ مَهْمَا اتَّسَعَ . وَحَوْلُكَ ضَعِيفٌ وَلَوِ اجْتَمَع . وَاللهُ يَسْقِي المُحِبِّينَ مِنْ بَحْرِهِ . كُلًّا عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ ، وَاتِّسَاعِ مَعْرِفَتِهِ . رَشْفَةً رَشْفَةً ، وَقُبْلَةً قُبْلَةً .

وَرَوَى وَارْتَوَى (١) .

وَعَلَا وَسَمَا (٢) .

وَشَجَا وَشَدَا (٣) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : يَرْتَوِي العُلَمَاءُ بِالْعِلْمِ . وَالعَارِفُونَ بِالمَعْرِفَةِ . وَهُمْ (أي المحبون) لَا يَرْتَوونَ أَبَدًا . كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد ﷺ : سَكِرْتُ مِنْ كَثْرَةِ مَا شَرِبْتُ مِنْ كَأْسِ مَحَبَّتِهِ . فكتب أبو يزيد في جوابه : سَكِرْتَ وَمَا شَرِبْتَ مِنَ الدُّرَرِ . وَغَيْرُكَ قَدْ شَرِبَ بُحُورَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا رُوِيَ بَعْدُ ، وَلِسَانُهُ مَطْرُوحٌ عَلَى صَدْرِهِ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ ، وَيَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيد ؟

٢- العلو : العُلُوُّ لله سبحانَه وتَعَالَى عن كلِّ شيء ، فهو أعلى وأعظم مما يُثْنَى عليه ، والعلو : أصل البناء . ومنه العَلاءُ والعُلُوّ ، فالعَلاءُ الرِّفْعَةُ ، والعُلُوُّ العظمة والتجبّر . يقال : علا مَلِكٌ في الأرض ، أي : طغَى وتعظّم . قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ {القصص : ٤} . ورجلٌ عالي الكعب ، أي : شريف . وتقول لكلّ شيء علا : علا يَعْلو علوا ، وتقول في الرِّفعة والشرف : عَلِيَ يَعْلى عَلاءً . والعَلْياء : رأسُ كلّ جبَلٍ مُشْرِف .

(سَمَوَ) السِّينُ وَالْمِيمُ وَالْوَاوُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْعُلُوِّ. يُقَالُ سَمَوْتُ، إِذَا عَلَوْتَ. وَسَمَا بَصَرُهُ: عَلَا.

قال سماحة الإمام ﷺ : فَلْتَسْمُوا الرُّوحُ ، وَتُحَلِّقُ إِلَى حَيْثُ لَا مُنْتَهَى .

وقال لسان حال سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به :

لِكُلِّ عَصْرٍ وَاحِدٌ يَسْمُـوا بِـهِ ... وَأَنَا لِكُلِّ العَصْرِ ذَاكَ الوَاحِدُ

٣- **الشجو** : الحْزن . وَمِنْه قَالَت الشُّعَرَاء : أشجاك الرّبع وَقيل : بَكَى شجوه . وَيُقَال : شجوت =

وَبَاعَ وَشَرَى (١) .

وَرَأَى وَرَنَا (٢) .

=الرجل أشجوه شجوا اذا أحزنته وأشجيته : أغصصته . وَيُقَال مِنْهُمَا : شجى يشجى شجا .

الشَّدْوُ : إنشاد الْبَيْت أَو الْبَيْتَيْنِ من الشّعْر يمدّ بِهِ الرجل صوتَه كالغناء شَدا يشدو شَدْواً .

تلذ لي الألام إذا أنت مسقمي — وإن تمتحني فهي عندي صنائع
مقام الهوى عندي مقامي فكننته — وغُيِّبت عن كوني فعشقي جامع
غرامي غرام لا يقاس بغيره — ودون هيامي للمحبين مانع
فؤادي والتبريح للروح لازم — وسقمي والألام للجسم تابع
وبصري و أشجاني وشوقي ولوعتي — لجوهر ذاتي في الغرام طبائع
وشوقي نار والهوى فهو الهوى — وتربي والماء ذلتي والمدامع
يلوم الورى نفسي لفرط جنونها — وليس بأذني للملامة سامع
ومذ أودعت أحشائي حبك إنني — لسهم قسي النائبات مواقع

١- فَهِمْتُ بِهَـــا لَمَّا فَهِمْتُ رُمُوزَهَا — فَبِعْتُ لَهَا رُوحِـي وَكُلِّي بِجُمْلَتِي
قَالَتْ : تَبِيعُ الرُّوحَ وَهْـــيَ عَزِيزَةٌ — تُنَازِعُ فِيهَا كُـــلَّ وَقْتٍ وَلَحْظَةٍ ؟
إِنْ رُمْتَ بَيْعَ الرُّوحِ بَيْعًا مُحَقَّقًا — كُنْ صَابِراً لِلْحُكْمِ وَارْضَى بِبَلْوَتِي

٢- الرُّنُوّ : مصدر رَنا يرنو رُنُوّاً ، وَهُوَ إدامة النّظر .

وَسَخَى وَسَبَا (١) .

وَخَفَى وَبَدَا (٢) .

وَرَاحَ وَأَتَى .

وَرَضِيَ وَأَبَى (٣) .

١- **السَّخاءُ** : الجود ، ورجل سَخيٌّ ، وسَخَا يَسْخُو سخاءً ، وسَخُوَ يَسْخُو سَخَاوةً ، وسَخِيَ يَسْخَى سَخيً . وسَخَّيْتُ نفسي وبنَفسي عن الشيء إذا تركته ولم تُنازِعُك نفسك إليه .

سبَا : السَبْيُ والسِباءُ : الأَسْرُ . وقد سَبَيْتُ العدوّ سَبْياً وسِباءً ، إذا أسرتَه . واسْتَبَيْتُهُ مثله . والمرأة تَسْبي قلب الرجل .

قال سماحة الإمام ﷺ : سباهم الله تعالى من أول نظرة حب نظرها إليهم ، فسكرت أرواحهم بجماله . فمن أول نظرة إليك ، سباني جمالك المطلق ، الظاهر بأوصاف جلت عن الحسن نفسه ، وتسامت عن الجمال وقدسه ، فدعاني حسنك الكامل إلى حبك ، فلبيته ، حتى تمكن من نفسي .

٢- **بدو** : بَدَا الشيءُ يَبْدُو بَدْواً وبُدُواً أي ظهر .

أَبَرْقٌ بدا من جانِبِ الغَورِ لامعُ	**أم ارتَفَعتْ عن وجه ليلى البراقِعُ**
نعم اسفرت ليلى فصار بوجهها	**نهارا به نور المحاسن ساطع**

٣- أَبى فلانٌ يأَبى إِباءً ، ترك الطّاعةَ ، ومالَ إلى المعْصِيةِ ، ومنه من يأبى الذل أي يرفض الهوان .

وَجَنَى وَحَنَى (١) .

وَمَاتَ وَحَيَا (٢) .

وَدَعَا ، وَدَنَا (٣) .

وَنَشَرَ ، وَطَوَى (٤) .

١- **الجَنَى** : الرُّطبُ والعسلُ ، وكلُّ ثمرةٍ تُجتنى فهو جَنىً ، مقصور . والاجتِناء : أخذك إياه ، وهو جنىً ما دام طرياً . قال : إنَّك لا تَجني من الشَّوك العنب .

حنى : الحنو هو الانحناء والميل . حنت الأُم على وَلَدهَا حنوا إِذا عطفت عَلَيْهِ .

فهم نصب عيني ظاهرا حيث سروا ... ولي أبدا ميل إليهم وإن مَلُّوا

لهم أبدا مني حُنُوٌّ وإن جفوا ... وهم في فؤادي باطنا أينما حَلُّوا

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : الحُبُّ حَيَاةُ القُلُوبِ وَغِذَاؤُهَا . قَلْبٌ لَا يَعْرِفُهُ الحُبُّ قَلْبٌ مَيِّتٌ . الحُبُّ يَخْتَارُ القُلُوبَ التي تَسْتَحِقُّ أنْ يَنْزِلَ فِيهَا . فَطَهِّرُوا قُلُوبَكُم لِلْحُبِّ .

٣- قال سماحة الإمام ﷺ : كُنْتُ مُنَعَّمًا بِرَاحَةِ الغَفْلَة وَالجَهْلِ . مُتَلَذِّذًا في الدُّنْيَا بِقَلِيلِ العِبَادَةِ . حَتَّى دَعَانِي دَاعِي الجَمَالِ . وَنَادَانِي مُنَادِي الحُسْنِ . وَانْكَشَفَتْ تَجَلِّيَاتِ الوِصَالِ .

دنا : الدنو : القرب .

أَضْحَى التّنائي بَديلاً عنْ تَدانِينَا ... وَنَابَ عَنْ طيبِ لُقْيانَا تجافينَا

٤- **النشر والطي** : المراد به الوصل والهجر أو اليأس والرجاء أو العلن والكتمان .

وَعَتَى ، وَعَصَى ، وَغَوَى (١).

وَغَزَا ، وَعَلَا (٢) .

وَفَشَا ، وَغَنَا (٣) .

وَقَسَا ، وَقَصَا ، وَقَلَا (٤) .

وَكَفَى ، وَكَسَى .

١- **عتى** : تجاوز الحد . عصى : لم يطع الأمر والنهي . غوى : ضل .

٢- **غزا** : دخل بدون اسئذان أو هاجم . علا : انتصر .

٣- **فشو** : فشا الشَّيءُ يفشو فُشُوّا إذا ظهر وانتشر ، وهو عامٌّ في كلِّ شيءٍ ، ومنه : إفشاءُ السرِّ إظهاره . وتفشَّى بهم المرضُ ، وتفشاهم المرضُ : ظهر وانتشر فيهم .

غنا : الغَنِيُّ هُوَ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحدٍ فِي شيءٍ وكلُّ أَحَدٍ مُحْتاجٌ إِلَيْهِ .

٤- **القَسْوة**: الصلابة في كل شيء، وقَسَا يَقْسُو فهو قاسٍ، وليلة قاسيةٌ : شديدة الظلمة.

قصا : كلُّ شَيْء تَنحَّى عَن شَيْء فقد قَصا يقصو قُصُوّاً فَهُوَ قاصٍ . والقاصية مِن النَّاس وَمن المَوَاضِع : مَا تَنحَّى .

قَلا : بغض . إذا فتحت القاف مدت فتكون : قَلا ، وإذا كسرت القاف قصرت فتكون : قِلى .

وما الصّدّ إلا الـودّ ما لم يكنْ قِلًى ... وأصعبُ شيءٍ غيرَ إعراضكمْ سهلُ

وَهَجَا وَكَوَى (١) .

وَهُنَاكَ وَهُنَا (٢) .

١- هجو : هجا يَهجو هجاءً : هو الوقيعة في الأشعار . والهجاء ، ممدود : تَهْجِيةُ الحروف ، تقول : تَهَجَّأْتُ وتهجيتُ .

٢- أي هم معه تعالى وهو معهم . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ {الحديد : ٤} .

وصفهم أبو يزيد ﷺ ، بقوله : إذا طابت نفس الرجل بقلبه ، وطرب قلبه بحسن ظنه بربه ، وصح ظنه بإرادته ، واتصلت إرادته بمشيئة خالقه ، فشاء بمشيئة الله ، ونظر بموافقة الله ، وترفع قلبه برفعة الله ، وتحركت نفسه بقدرة الله ، وصار – حيثما شاء هذا العبد – بمشيئة الله تعالى ، ونزل حيث شاء الله في كل مكان ، علما وقدرة . فهذا العبد كان معه في كل مكان ، ولا يخلو عنه مكان . فإذا كان هذا العبد مع الله ، فلا يخلو عنه مكان . نفس الرجل متصل بقلبه ، وقلبه متصل بظنه ، وظنه متصل بإرادته ، وإرادته بمشيئة الله تعالى . قال الله تعالى : «**أنا عند ظن عبدي بي**» فإذا كان الله عند ظن العبد – إذا ظن – فكأن العبد حيثما كان الله ، كما أن الله لا يخلو عن العبد – حيث كان العبد – كذلك العبد لا يخلو عن الله ، بالله ، حيثما كان الله ، والله لا يخلو من مكان دون مكان . فإذا صح حسن ظن العبد بالله ، وقع ظنه بربه ، وقلبه بظنه ، ونفسه بقلبه ، فصار من حيث شاء إلى حيث شاء ، بمشيئة الله ، ويأتيه كل شيء ، وهو على مكانه بلا عناء ، يأتيه المشرق والمغرب كله ، فكلما ظن بمكان ، فالمكان يحضره ، وهو لا يحضر المكان ، إذ هو لا يزول ، وثم لا يزول ، إذ هو مع من لم يزل ، ولا يزال ، إذ هو من هو لم يزل ، ولا يزال . فافهم ذلك . تتبعه الأشياء ، ولا يتبع شيئا ، إنما الأشياء كلها كائن من الله .

وَرَكِبَ ، وَطَارَ ، وَمَشَى (١) .

١- هذه ثلاث حالات للسالك طبقا ليقينه ، فالركوب فيه اعتماد على الأسباب والطيران التوكل على مسبب الأسباب والمشي بين ذاك وذاك .

قال سماحة الإمام : ﴿ **أوقفني في البحر ، فرأيت المراكب تغرق ، والألواح تسلم ، ثم غرقت الألواح** ﴾ . فالمراكب هي ما يتخذ طلباً للنجاة ، وهي في السلوك العبادة ، فمن عوَّل عليها هلك ، لأن غرق المراكب هو هلاك الراكب ، فالسلامة هي موهبة وليست عن تكسب ، وإذا كانت الجنة ، وهي كون من الأكوان لن يدخلها أحد بعمله ، فما ظنك بحضرة ليس للكون فيها مدخل . أما راكب الألواح فهو أقرب إلى السلامة ، لأنه لم يعتمد على الأسباب اعتماداً كلياً ، لأن الألواح أسباب ضعيفة ، فكأن راكبها اعتمد على المسبب الحق ، لا عليها ، وإن تلبس ظاهراً بها . ثم غرقت تلك الأسباب أيضـاً . فالسلامة في السلوك إليه تعالى ، يكون به ، لا بالأسباب ، وإن كان ضعيفها أقرب إلى السلامة من قويها . فالسالك لا يترك العبادة ، ولكن يترك اعتبارها من قلبه ، لأن في ذكرها منة على الله تعالى ، فضرر الإعتماد على الأسباب في طريق الوهاب واضح جلي .

﴿ **لا يسلم من ركب** ﴾ : أي لا يسلم من اعتمد في طريقه على سبب . والتوكل عندي سبب ، وإن أوهم غير ذلك ، وهو من مقامات العوام ، لأن النفس لها فيه حظ ، فإن الموكل للشيء كفاعله ، فمن رأى نفسه متوكلاً فما توكل ، بل يترك نفسه لله يفعل ما يشاء .

لما رأيتك لا تحصل باحتيال أو بكسب ، ألقيت نفسي في الرياح وقلت أنى تسر بي ، أنا في عنان إرادة المحبوب أجري لا محالة ، إما إلى محض الهوى طوعا وإما للضلالة =

وَرَقِيَ ، وَوَعَى (١) .

= ﴿ **خاطر من ألقى نفسه ولم يركب** ﴾ : وهذا هو تارك السبب بنفسه ، لا بربه ، فيكون أيضاً متسبباً .

﴿ **هلك من ركب وما خاطر** ﴾ : المخاطرة أسلم ، إذ الاعتماد فيها على المسبب أظهر .

﴿ **في المخاطرة جزء من النجاة** ﴾ : فالمخاطرة حال المحبين ، وفيها الاعتماد على الله ، والرضى بما يبدي ، وإن كان يرى فيها نفسه ، أما الاعتماد على الأسباب فهي حالة العوام ، وحالة المحبين أشرف ، وإن لم تكن فيها النجاة كلها ، لأنه بنفسه ألقى نفسه ، لا بربه ، أما حال العارفين ، فإنه يلقي نفسه بربه بعد التجلي .

١- رقي : رَقِي يَرْقَى رُقِيّاً : صعد وارتقى . والمِرْقاة : الواحدة من المَراقِي في الجبل والدرجة ، وتقول : هذا جبل لا مَرْقَى فيه ولا مُرْتَقَى . وما زال فلان يَتَرَقَّى به الأمر حتى بلغ غايته . ورَقَى الراقي يَرْقي رُقْيَةً ورَقْياً إذا عوذ ونفث في عوذته، وصاحبه رَقّاءٌ وراقٍ، والمَرْقِيُّ مُسْتَرْقًى.

رقيت إلى السبع الطباق معظما … وتسعى بك الأملاك وهي تمجد
مقاماً عليًّا قد بلغت فلم يكن … لغيرك بل أسنى مقامك أزيد

قال سماحة الإمام ﷺ : السَّيْرُ فِي طَرِيقِ الحُبِّ أَنْ يَضَعَ السَّالِكُ قَدَمَهُ . ثُمَّ يَرْفَعُهُ ، ثُمَّ يَضَعَهُ أَرْقَى مِنْهُ .

وعى : وعى الْعلم يعيه وعيا . وَفِي التَّنْزِيل : ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ {الحاقة : ١٢} . وأوعى الْمَتَاع يوعيه إيعاء إِذا جمعه فِي وعَاء . وَفِي التَّنْزِيل : ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ {المعارج : ١٨} .

عَنِ السيدةِ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ ﷺ سأل رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**» .

وَأَبْكَى ، وَبَكَى .

وَسَعِدَ ، وَهَنَا (١).

وَكُلُّ أَضْدَادِ الصِّفَاتِ قَدْ حَوَى (٢) .

١- وأصبحت من وجدي وشوقي ولوعتي أعلل قلبي بالمسرة والهنا
ومُطْلِقٌ دمعي مُرْسَلٌ فوق وجنتي ونَمَّ بأسراري وباح وأعلنا

٢- قيل :

علمتم بأني مغرم بكم صب ودمعي سيلا فوق خدي ينصب
واني مولوه الفؤاد بحبكم فعذبتموني والعذاب بكم عذب
وألفتم بين السهاد وناظري وقاطعتموني لا رسول ولا كتب
أسامر طول الليل فيكم مدامعي فلا دمعتي ترقى ولا زفرتي تخبو
خذوا بالتجني كيف شئتم فأنتم لكم أبدا في أمري الوهب والسلب
على كل طور من جفاكم عرفتكم أحبة قلبي لا ملال ولا عتب
صدودكم وصل وسخطكم رضا وقهركم لطف ومنعكم وهب
ومحنتكم منح وجفوتكم وفا وجودكم عدل وبعدكم قرب
متى سهرت عيني لغير هواكم وأرقها في غير معناكم حزب
وسالت لمحبوب سواكم دموعها فلا برحت عيني ادمعها سكب
لكم في فؤادي منزل مترفع لقد ضربت من دون سدرته الحجب

وَلَيْسَ لَهُ مِنْ حُبِّهِ دَوَا (١) .

١- قال الحلاج :

يا من به علقت روحي فقد تلفت — وجدا فصرت رهينا تحت أهوائي
أبكي على شجني من فرقتي وطني — طوعا ويُسعدني بالنوح أعدائي
أدنو فيبعدني خوفي فيقلقني — شوقٌ تمكن في مكنون أحشائي
فكيف أصنع في حبٍّ كلفتُ بهِ — مولاي قد ملَّ من سقمي أطبائي
قالوا تداوى به منه فقلت لهم — يا قوم هل يتداوى الداءُ بالداءِ ؟
حُبِّي لمولاي أضناني وأسقمني — فكيف أشكو إلى مولاي مولآئي
إني لأرمقهُ والقلب يعرفه — فما يترجم عنه غير إيمائي
يا ويح روحي من روحي فوا أسفي — عليَّ مني فإني أصل بلوائي
كأنني غَرِيقٌ تبدو أنامله — نعوشا وهو في بحرٍ من الماءِ
وليس يعلم ما لاقيتُ من أحد — إلا الذي حلَّ مني في سويدائي
ذاك العليم بما لاقيت من دنف — وفي مشيئتهِ موتي وإحيائي

ثانيا

النزلات الحديثة

بسم الله الرحمن الرحيم

بَعْضُ التَّنْبِيهَاتِ :

١- قَوْلُ : (أُتْحِفُكُم) : هُوَ إِجَازَةٌ مَعَ الحُبِّ .

٢- المُسَلْسَلاتُ ؛ مِثْلَ مُسَلْسَلِ الأَوَّلِيَّةِ ، وَالنُّورِ ، وَالمُصَافَحَةِ ، وَالمُشَابَكَةِ ، لَابُدَّ فِيهَا مِنْ لِقَاءِ الطَّالِبِ بِأُسْتَاذِهِ ، فَلَا تُرْوَى بِإِجَازَةِ الأَبْنَاءِ وَالأَحْفَادِ .

٣- أَمَّا كُتُبُ الحَدِيثِ بِمَا فِيهَا ، فَيَجُوزُ رِوَايَتُهَا عَنْ طَرِيقِ الإِجَازَةِ لِلأَوْلَادِ وَالأَحْفَادِ ، كَمُسَلْسَلِ البَعِيرِ .

٤- مَعْرِفَةُ سَنَدِ الحَدِيثِ فِيهِ بَرَكَةٌ كَبِيرَةٌ ، يَكْفِيكَ شَرَفاً أَنْ يَكُونَ اسْمُكَ ضِمْنَ سِلْسِلَةٍ مِنَ العُلَمَاءِ ، فَإِذَا أُجزْتَ بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ ؛ انْتَقَلْتَ مِنْ دَرَجَةِ العَامَّةِ إِلَى دَرَجَةِ أَهْلِ الحَدِيثِ الَّذِينَ دَعَا لَهُم رَسُولُ الله ﷺ ، فَقَالَ : «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي ، فَحَفِظَهَا ، فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**» (١) .

١- بهذا اللفظ رواه الشافعي في مسنده وأبو نعيم في الحلية والخطيب البغدادي واستدلوا منه على =

٥- كُلُّ مَنْ قَبِلَ عَنَّا إِجَازَةً فِي مُسَلْسَلٍ أَوْ حَدِيثٍ ، فَلَهُ أَنْ يُجِيزَ بِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَحْبَابِهِ ، قَالَ ﷺ : «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**» (١) .

= عدم جواز الرواية بالمعنى . وبلفظ ليس فيه عبارة : «**كَمَا سَمِعَهَا**» رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد والدارمي وأبو يعلى والطبراني .

١- رواه البخاري في صحيحه .

التنزل الثامن والأربعون ومائة

زاوية الحب

الحُبُّ هُوَ الَّذِي يُقَدِّسُ الزَّمَانَ وَالمَكَانَ (١) .

فَالمَكَانُ الَّذِي يَشْهَدُ قِصَّةَ حُبٍّ وَاحِدَةٍ هُوَ مَكَانٌ مُقَدَّسٌ .

وَكَذَا الزَّمَانُ .

فَمَا قُدِّسَتِ الجَنَّةُ إِلَّا لِشُهُودِهَا أَوَّلَ قِصَّةِ حُبٍّ

لِآدَمَ وَحَوَّاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

وَزَاوِيَتُنَا المُبَارَكَةُ هُوَ المَكَانُ وَالزَّمَانُ ،

١- قال سماحة الإمام ﷺ : المحبون ؛ الأَمَاكِنُ تَحْضُرُهُم ، وَهُم لَا يَحْضُرُونَ المَكَانَ . الأَزْمَانُ لَا تَحْصُرُهُم ، وَهُم يَحْصُرُونَ الزَّمَانَ . لَا يَخْلُو مِنْهُم مَكَانٌ ، وَلَا يَفْرُغُ مِنْهُم زَمَانٌ . إِذْ لَا زَمَانَ لَهُم ، وَلَا مَكَانَ ، وَلَا صَبَاحَ لَهُم ، وَلَا مَسَاءَ .

الَّذِي تَتَابَعَتْ وَتَوَاتَرَتْ فِيهِ قِصَصُ الحُبِّ (١) .

حَتَّى إِنَّكَ حِينَ تَدْخُلُهَا تَجِدُ مَعَانِيَ الحُبِّ .

وَقَدْ تَجَسَّدَتْ فِي كُلِّ عُمَّارِهَا ، وَجَمِيعِ أَرْكَانِهَا .

فَهِيَ لَا تَتَّسِعُ إِلَّا لِلْمُحِبِّينَ المَحْبُوبِينَ .

١- ذروة قصص الحب الإلهي هو الفتح الأكبر وهو الفوز بالمحبوب . كما قال سماحة الإمام ﷺ :

الحُبُّ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الحُبُّ : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ {المائدة : ٥٤} . وَأَعْظَمُ ثَوَابِهِ الفَوْزُ بِالمَحْبُوبِ .

وعن ارتباط الفتح بالمكان الذي حدث فيه ، قال عنه سماحة الإمام ﷺ : فَإِذَا بَلَغَ المِيقَاتَ المَكَانِيَّ ، وَلَوْ تَحْتَ شَجَرَةٍ . وَوَافَقَ ذَلِكَ المِيقَاتَ الزَّمَانِيَّ . وَقَعَ القُرْبُ ، وَتَمَّ الفَتْحُ . وَتوالَتِ البَوَارِقُ وَالشَّوَارِقُ . وَفَاضَتِ الأَنْوَارُ ، وَانْشَرَحَ الصَّدْرُ . وَانْفَتَحَتْ أَبْوَابُ القَلْبِ ، وَاتَّصَلَ بِالرُّوحِ المُقَدَّسَةِ .

ومن الغريب أن يرتبط الفتح على القلوب بأماكن معينة ، فمنهم من يُفتَح عليه بمكان ، دون غيره . يقول أحد العارفين : مررت بمسجد ، فقلت أصلي فيه ركعتين ، فوجدت قلبي ، فمكثت فيه سنتين .

وقال أحدهم : مررت – وأنا في طريقي إلى بيت الله الحرام – بشاب يصلي تحت سَمُرَةٍ في الصحراء . فقلتُ : هلا ذهبتَ إلى بيت الله الحرام ؟ فقال : كنت ذاهبا إليه منذ عشر سنين ، ومررت ، فصليت تحت هذه السمرة ، فوجدت قلبي ، فمكثت تحتها حتى أفقده .

أَمَّا غَيْرُهُم ؛ فَإِنَّهَا تَضِيقُ عَلَيْهِم إِذْ رِيَاحُ الحُبِّ خَانِقَةٌ لَهُم .

فَمَنْ دَخَلَهَا بِالحُبِّ نَالَ مُرَادَهُ ، وَوَصَلَ فَاتَّصَلَ .

وَمَنْ دَخَلَهَا بِالبُغْضِ ضَاعَ زَمَانَهُ ، وَانْقَطَعَ وَانْفَصَلَ (١) .

كُلُّ مُحِبٍّ يَدْخُلُ الزَّاوِيَةَ هُوَ نَفَسٌ مِنْ أَنْفَاسِ المَحَبَّةِ .

وَحَلَقَةٌ مِنْ حَلَقَاتِ سَنَدِ الحُبِّ المُتَّصِلِ .

حَتَّى إِذَا انْتَهَتِ الحَيَاةُ بِالأَنْفَاسِ . وَبَدَأَتِ الحَيَاةُ بِاللهِ (٢) .

١- هذه سُنَّةُ الله تعالى في الأماكن الطاهرة ، التي يحل فيها رسول الله ﷺ ، أنها تنفي عن نفسها الخبث ، ورسول الله ﷺ يحضر معنا الوظيفة في الزاوية كما قال سيدي أحمد التجاني ﷺ ، فمن هنا تأخذ الزاوية حكم طَيْبَةَ التي تنفي عن نفسها الخبث ، فقد ورد عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ في قوله تعالى : ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ {النساء : ٨٨} ، قال : رَجَعَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أُحُدٍ ، وَكَانَ النَّاسُ فِيهِمْ فِرْقَتَيْنِ : فَرِيقٌ يَقُولُ : اقْتُلْهُمْ ، وَفَرِيقٌ يَقُولُ : لا ، فَنَزَلَتْ : ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ {النساء : ٨٨} ، وَقَالَ : «**إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِي الخَبَثَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ**» .

٢- **الأنفاس** : هي روائح القرب الإلهي ، فلما تنسمت مشامُّ العارفين عُرفَ هذه الأنفاس ، وتوفرت الدواعي منهم إلى طلب محقق ثابت القَدَم في ذلك المقام ، ينبئهم بما في طي ذلك المقام الأقدس =

ادَّخَرَ اللهُ لِلْمُحِبِّينَ أَنْفَاسَ حُبِّهِم .

يَرَوْنَــهُ بِهَا فِي الجَنَّةِ .

وَمَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ أَنْفَاسُ مَحَبَّةٍ ؛ فَلَا حَظَّ لَهُ فِي رُؤْيَةِ المَحْبُوبِ .

فَفِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ الَّتِي يَلْفِظُ الإِنْسَانُ آخِرَ نَفَسٍ لَهُ فِي الدُّنْيَا ؛

فَيُظَنُّ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ .

= وما جاءت به هذه الأنفاس من الأسرار والعلوم ، بعد البحث بالهمم والتعرض لنفحات الكرم ، عرفوا بشخصٍ إلهيٍّ عنده السر الذي يطلبونه ، والعلم الذي يريدون تحصيله ، وأقامه الحق فيهم قطباً يدور عليه فلكهم ، **وهو سماحة الإمام صلاح الدين التجاني ، رضي الله عنه وأرضاه وعنا به .**

قال سماحة الإمام : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ {الحجر : ٢٩ ، ص : ٧٢} . فَالرُّوحُ رُوحُكَ ، وَالأَنْفَاسُ أَنْفَاسُكَ . أَعْشَقُ أَنْفَاسَكَ . قَالَ ﷺ : «**إِنِّي أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ**» . أَنْفَاسُكَ الَّتِي لَمْ تَتَسِعْ لَهَا أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ . مَا وَسِعَهَا إِلَّا رُوحُكَ فِيَّ . وَذَلِكَ وُسْعَ مَعْرِفَةٍ ، لَا وُسْعَ إِحَاطَةٍ . وَحُبِّي لَكَ لَا تَسَعُهُ أَرْضٌ وَلَا سَمَاءٌ . وَإِنَّمَا يَسَعُهُ حُضْنُكَ الرَّؤُوفُ ، الرَّحِيمُ ، الوَدُودُ ، الحَنَّانُ ، المَنَّانُ ، الجَمِيلُ . حِيْنَمَا تَهُبُّ عَلَى رُوحِي أَنْفَاسُكَ الهَادِئَةُ . وَتَبْدَأُ أَوْتَارُ قَلْبِي تَعْزِفُ أَلْحَانَ الحُبِّ . فَتَهْتَزُّ ذَرَّاتُ عَوَالِمِي طَرَبًا وَوَجْدًا . ثُمَّ تَسْكُنُ بِالوُجُودِ فِي أَحْضَانِ القُرْبِ .

فالسكون بالوجود في أحضان القرب هو المراد بـــ (الحياة بالله) .

وَإِذَا بِحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ تَقُومُ بِهِ .

حَيَاةٌ بِلَا أَنْفَاسٍ .

وَلَكِنْ حَيَاةٌ بِاللهِ .

لَا تَحْتَاجُ إِلَى أَنْفَاسٍ .

بَلْ حَيَاةٌ سَرْمَدِيَّةٌ أَبَدَ الآبِدِينَ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قد انتهت في حقه الدورة الخلقية الكبرى ، وذاب ثلج بشريته ، ورجع ثلج خلقيته إلى ماء حقيته ، غارقا في بحر الأحدية ، على ما أوضحناه بفصيح العبارة ، وغامض الإشارة ، في غير ما موضع من هذا الكتاب .

سند حديث المحبة

سَأُتْحِفُكُم بِأَعْلَى سَنَدٍ فِي حَدِيثِ المَحَبَّةِ المَشْهُورِ :

١- فَعَنْ مُحَدِّثِ مِصْرَ العَارِفُ بِاللهِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ الحَافِظِ التِّجَانِيِّ ، وَقَالَ لِي :
﴿**إِنِّي أُحِبُّكَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ** ﴾ .

٢- عَنِ الشَّيْخِ أَلْفَا هَاشِمِ المَدَنِيِّ مُحَدِّثِ الحَرَمَيْنِ ، وَقَالَ لَهُ : ﴿ **إِنِّي أُحِبُّكَ فَقُلْ** :.......

٣- عَنِ الشَّيْخِ صَالِحِ الفُلَّانِيِّ ، وَقَالَ لَهُ :......

٤- عَنِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَّةَ الفُلَّانِيِّ .

٥- عَنِ الشَّرِيفِ الوَاوْلَاتِي .

٦- عَنِ الحَافِظِ عَبْدِ الرَّؤُوفِ المَنَاوِي .

٧- عَنِ الإِمَامِ الشَّعْرَانِيِّ .

٨- عَنِ الحَافِظِ السَّيُوطِيِّ .

٩- عَنِ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرِ العَسْقَلَانِيِّ .

١٠- عَنِ التَّنُّوخِيِّ .

١١- عَنْ أَحْمَدِ بْنِ أَبِي طَالِبِ الحَجَّارِ .

١٢- عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ الهَمَدَانِيِّ .

١٣- عَنِ الحَافِظِ أَبِي طَاهِرِ السَّلَفِيِّ .

١٤- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الكَرِيمِ .

١٥- عَنْ عِيسَى بْنِ شَاذَانَ القَصَّارِ .

١٦- عَنْ أَحْمَدِ النَّجَّادِ .

١٧- عَنِ الحَافِظِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا .

١٨- عَنِ الحَسَنِ الجَرَوِيِّ .

١٩- عَنْ عَمْرِو التِّنِّيسِيِّ .

٢٠- عَنِ الحَكَمِ بْنِ عَبْدَةِ

٢١- عَنْ حَيْوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ .

٢٢- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ .

٢٣- عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ .

٢٤- عَنِ الصُّنَابِحِيِّ .

٢٥- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﵁ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ :

﴿إِنِّي أُحِبُّكَ فَقُلْ :

اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ﴾ (١)

فَبَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلاً فَقَطْ .

وَهُوَ أَعْلَى مَا وَقَعَ فِي الدُّنْيَا فِي **سَـــنَدِ الْمَحَبَّةِ** .

وَقَدْ أَجَزْتُ فِيهِ أَهْلَ مَحَبَّتِي ، وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَوَاحِدَةً وَاحِدَةً .

خَالِدًا تَالِدًا إِلَى يَوْمِ لِقَاءِ اللهِ تَعَالَى عَلَى مَحَبَّتِهِ .

فَاللهُ تَعَالَى لَا يَقْطَعُ سَنَدَ مَحَبَّتِهِ . وَلَا يُدْخِلُ أَهْلَهُ إِلَّا أَعْلَى عِلِّيِّينَ .

آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

١- هذا الحديث رواه أبو داود في سننه قائلاً : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ يَزِيدَ =

= المُقْرِئُ ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ ، يَقُولُ : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ ، عَنْ الصُّنَابِحِيِّ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ ، وَقَالَ : «**يَا مُعَاذُ ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**» ، فَقَالَ : «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» ، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

ورواه النسائي قائلا : أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ حَيْوَةَ يُحَدِّثُ ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ ، عَنْ الصُّنَابِحِيِّ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : «**إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ**» ، فَقُلْتُ : وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ : رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» .

ورواه أحمد في مسنده قائلاً : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ ، حَدَّثَنِي عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ ، عَنْ الصُّنَابِحِيِّ ، عَنْ مُعَاذٍ قَالَ : لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : «**يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**» . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، وَأَنَا وَاللهِ أُحِبُّكَ . قَالَ : «**فَإِنِّي أُوصِيكَ بِكَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ فِي كُلِّ صَلَاةٍ : اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» .

ورواه الحاكم في مستدركه قائلا : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَيُّوبَ الطُّوسِيُّ ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي مَسَرَّةَ ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ الْمُقْرِئُ ، ثنا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ التُّجِيبِيَّ ، يَقُولُ : حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ ، عَنِ الصُّنَابِحِيِّ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِي يَوْمًا ، ثُمَّ قَالَ : «**يَا مُعَاذُ ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**» فَقَالَ مُعَاذٌ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ ، وَأَنَا وَاللهِ أُحِبُّكَ ، فَقَالَ : «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ** : =

= **اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» ، قَالَ : وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ ، وَأَوْصَى الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ ، وَأَوْصَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ . قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ . وتعليق من تلخيص الذهبي : على شرطهما .

ورواه البيهقي في شعب الإيمان قائلاً : أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ السِّمْسَارُ ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ النَّجَّادُ الْفَقِيهُ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا ، حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَرَوِيُّ ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدَةَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدَةَ ، حَدَّثَنِي حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ ، عَنِ الصُّنَابِحِيِّ ، عَنْ مُعَاذٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنِّي أُحِبُّكَ ، فَقُلِ : اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى شُكْرِكَ وَذِكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**» . وَقَالَ الصُّنَابِحِيُّ : قَالَ لِي : مُعَاذٌ : إِنِّي أُحِبُّكَ ، فَقُلْ هَذَا الدُّعَاءَ . قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ : قَالَ لِي الصُّنَابِحِيُّ : وَأَنَا أُحِبُّكَ فَقُلْ . قَالَ عُقْبَةُ : قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ : وَأَنَا أُحِبُّكَ ، فَقُلْ ، قَالَ : حَيْوَةُ : قَالَ لِي عُقْبَةُ : وَأَنَا أُحِبُّكَ ، فَقُلْ . قَالَ أَبُو عَبْدَةَ : قَالَ لِي حَيْوَةُ : وَأَنَا أُحِبُّكَ ، فَقُلْ . قَالَ : عَمْرٌو : قَالَ لِي أَبُو عَبْدَةَ : وَأَنَا أُحِبُّكَ ، فَقُلْ . قَالَ عَبْدُ اللهِ : قَالَ لِيَ الْحَسَنُ : وَأَنَا أُحِبُّكَ ، فَقُلْ . قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا : وَأَنَا أُحِبُّكُمْ ، فَقُولُوا . قَالَ لَنَا أَبُو بَكْرٍ النَّجَّادُ : وَأَنَا أُحِبُّكُمْ ، فَقُولُوا . قَالَ لَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ : وَأَنَا أُحِبُّكُمْ فَقُولُوا ، قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ : وَأَنَا أُحِبُّكُمْ فَقُولُوا ، قال زَاهِرٌ : وَأَنَا أُحِبُّكُمْ فَقُولُوا . قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ : وَرَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ الْمُقْرِئِ ، عَنْ حَيْوَةَ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُسَلْسِلْه .

والملاحظ أنه قد اتحدت كل هذه الروايات مع رواية سماحة الإمام عن حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ ، عن عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ ، عن أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ ، عَنْ الصُّنَابِحِيّ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ ، عن رسول الله ﷺ .

التنزل التاسع والأربعون ومائة

باب الرحمة

قَالَ تَعَالَى : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ {الأنعام : ٧٣} .

هَذَا غَيْبٌ ضِدُّهُ الشَّهَادَةُ .

وَشَهَادَةٌ ضِدُّهَا الغَيْبُ .

فَهُوَ غَيْبٌ لِأُنَاسٍ ، وَشَهَادَةٌ لِأُنَاسٍ .

وَهَذَا غَيْبٌ نِسْبِيٌّ ؛ لِأَنَّهُ شَهَادَةٌ فِي حَقِّ آخَرِينَ (١) .

---

١ - **قال سماحة الإمام ﷺ : الغيب على ثلاث مراتب :** غيب نسبي . غيب مطلق . غيب محض .

الغيب النسبي : هو الغيب الذي ضده الشهادة ، وتستطيع أن تفهمه بعقلك . ولكن الله تعالى ستر منه بعض المعلومات على بعض الناس ، وجعلها غيبًا وهذه نعمةٌ عظيمةٌ : فلو علمت أنك تموت مثلًا بعد عشرين عامًا ، لَتَنَغَّصَ عليك حالُكَ ، ولكن هناك من أولياء الله تعالى =

= من يعلم من الله تعالى موعده ، أي موعد لقائه بالله تعالى ، بل إن بعضهم يرتب مراسم جنازته ، ومَن يغسله ، ومَن يصلي عليه ، ومن يدفنه ، وأين يُدفَن .

- وهناك غيب نسبي مكاني ؛ فمن يكون في مصر ، فأمريكا بالنسبة له غيب .
- وهناك غيب نسبي زماني ؛ فالكهرباء قبل اختراعها كانت موجودة ، ولكنها ظلت غيبا إلى أن أذن الله تعالى بظهورها للوجود .
- وهناك غيب نسبي في العوالم المتوازية ؛ فالجنة والنار موجودتان ، ولكنهما غيبًا عنَّا ، ولكنهما شهادة لرسول الله ﷺ ، والنار الآن شهادة لمن دخلها ، ممن مات كافرًا ، والجنة شهادة الآن للشهداء .

٢- الغيب المطلق : وهو الغيب الذي ليس ضده الشهادة ، فهو غيب لا ضد له ، وهو يُدرَك بالروح ، وهو يتعلق بالإلهيات وعلوم الروح ، وهو المقصود من قوله تعالى : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ {الجن : (٢٦ – ٢٧)} . والرسول المقصود هنا ؛ هو رسـول الله ﷺ ووَرثته من أكابر الأولياء . بل إنه تتفاوت فيه نسبة اطلاع الورثة على هذا الغيب . فمثلًا قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾ {الأعراف : ١٧٢} . هذا من الغيب الذي يؤمن به عامة المؤمنين ، الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ {البقرة : ٣} . ولكن ورثة رسول الله ﷺ لهم في الاطلاع على هذا الغيب ثلاث مراتب :

- **مرتبة المشاهدة** : وهي الاطلاع على موقف ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ جملة وليست تفصيلا .

فَمَا شَهِدَهُ العَالَمُ مِنَ العَالَمِ ، قُلْنَا أَنَّهُ شَهَادَةٌ .

وَمَا غَابَ مِنَ العَالَمِ عَنِ العَالَمِ ، قُلْنَا أَنَّهُ غَيْبٌ .

وَالكُلُّ عِنْدَ اللهِ شَهَادَةٌ . إِذْ يَسْتَحِيلُ الغَيْبُ فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى .

إِذْ كَيْفَ يَغِيبُ عَنْهُ شَيءٌ ، وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ ، وَمُشَيِّؤُهُ ؟ (١) .

– **مرتبة المكاشفة** : وهي الاطلاع على موقف ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ بكل تفاصيله ودقائقه .

– **مرتبة المنازلة** : وهي أن يعيش الولي نفسه موقف ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾

ويشارك فيه كأنه يحدث في التو واللحظة ، أي يرى نفسه مرة عين آدم ﷺ ، ويرى نفسه مرة عين ذرية آدم ﷺ ، ويرى نفسه أخرى عين أصلابهم . بل إن في هؤلاء الورثة من يرى نفسه أنه هو عين الحق الذي يستشهد هذه الذرية ، فتتوالى عليه الأدوار والمشاهد ، كما لو كان مشتركًا في فيلم ، يرى نفسه مرَّةً البطل ، ومرَّةً البطلة ، ومرَّةً الكومبارس ، ومرَّةً هو المؤلف ، ومرَّةً المخرج ، ومرَّةً يكون هو الاستوديو والديكور !

(ملحوظة : ذكر سماحة الإمام أن هذا الغيب المطلق قد يُعَدُّ غيباً نسبيا ، لأنه معلوم للبعض وغير معلوم للآخرين) .

الغيب المحض : وهو الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ، ولا يعلمه سواه ، وهي علوم وراء طور العقل والروح .

١ – قال سماحة الإمام ﷺ : كل مراتب الغيب التي ذكرناها ، هي عند الله سبحانه وتعالى شهادة . =

وَهُنَاكَ غَيْبٌ مَحْضٌ .

وَهُوَ الغَيْبُ الَّذِي غَيَّبَهُ اللهُ عَنِ الكَوْنِ .

فَلَا يَكُونُ شَهَادَةٌ لِأَحَدٍ سِوَى اللهِ أَبَداً .

فَمَرْتَبَتُهُ بَاطِنَةٌ عَنِ الجَمِيعِ .

وَهُوَ المَذْكُورُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ {الجن : ٢٦} .

وَهُوَ غَيْبٌ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونُ شَهَادَةً بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ (١) .

= بل : لا غيب عنده ، ولا شهادة : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة : ١١٥} .

بل : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ {الحديد : ٣} .

بل : «كَانَ اللهُ ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» . وهو الآن على ما عليه كان .

١- ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ : (أحداً) في هذه الآية مختلفة عن (أحد) في الآية : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ {الإخلاص : ١} . فالمراد في الآية الأولى (أحدا) النكرة ، وهي عبارة عن أحدية كل إنسان ، لأن كل إنسان له أحدية مختلفة عن أحدية غيره . =

= قال سماحة الإمام ﷺ : أَحَدِيَّةُ الله تَعَالَى تَنْدَرِجُ تَحْتَهَا أَحَدِيَّةُ كُلِّ أَحَدٍ ، وَكُلُّ أَحَدٍ لَهُ أَحَدِيَّةٌ قَائِمَةٌ بِهِ ، مَخْصُوصَةٌ بِمَرْتَبَتِهِ ، تَخْتَلِفُ عَنْ كُلِّ أَحَدِيَّاتِ غَيْرِهِ .

فإذا اندرجت أحديتك بأحديته تعالى صرت تتكلم بلسان (الأحد) .

عن هذا الاندراج قال سماحة الإمام ﷺ : الإنسان كقطرة ماء أُخذت من بحرها ، فمادامت هذه القطرة خارج البحر ، فإن لها كينونة مستقلة ، إلا أنها صغيرة وتافهة ، مقيدة بكل قيد ، ومحددة بكل إناء توضع فيه ، ومتلونة بكل لون تظهر به ، فإذا ألقيناها في بحرها مرة أخرى ، فإنها تتكلم بلسان هذا البحر المطلق العظيم ، ولا تستطيع تمييزها عنه ، إذ أن ذراتها قد ذابت في ذراته ، وذاتها قد تلاشت في ذاته . فهو يتكلم بلسان الحق ، لا بلسانه ، ومعرباً عن ذات الحق ، لا عن ذاته .

ومن هذا الميدان :

قول أبي يزيد البسطامي : سبحاني ما أعظم شأني .

وقول الحلاج : أنا الحق . وما في الجبة إلا الله .

وكقول بعضهم : فالأرض أرضي والسماء سمائي .

وكقول التستري رضي الله تعالى عنه :

انظر أنا شيء عجيب لمن يراني   أنا المحب والحبيب ما ثمَّ ثاني

وهذا مما يعطيه الفناء والاستغراق في ذات الحق . وهذا أمر خارج عن المقال ، يُدرَك بالذوق وصفاء الأحوال ، فلا يَعلم حقيقته إلا من ذاقه . وصاحبها يكشف له آيات العالم قبل آيات نفسه ، ثم يريه تلك الآيات في نفسه : =

= ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ {فصلت : ٥٣} ، جل جلاله ، وآيات العالم هي الدلالات على أنه الحق ، الظاهر في مظاهر أعيان العالم ، وآيات نفسه أن يريه نفسه جامعا لجميع الحقائق في العالم كله ، فالإنسان نفسه عدم محض على الحقيقة ، وأنه قائم بالله .

❋ فالله واحد ، وإن اختلفت مظاهر ظهوره ❋

❋ والإنسان واحد ، ولكن يده ما هي رجله ❋

❋ ورأسه ما هي صدره . وعينه ما هي أذنه ❋

❋ ولا لسانه ولا فرجه . وعقله ما هو فكره ، ولا خياله ❋

❋ فهو متنوع متعدد العين ، بالصور المحسوسة والمعنوية ❋

❋ ومع هذا يقال فيه أنه واحد ، ويصدق ❋

❋ ويقال فيه كثير ، ويصدق ❋

❋ فمن حيث أحديته ، نقول رأى نفسه ، بنفسه ❋

❋ ومن حيث كثرته ، نقول رأى بعضه ، ببعضه ❋

❋ فتكلم بلسانه ، وبطش بيده ، وسعى برجليه ، واستنشق بأنفه ❋

❋ وسمع بأذنه ، ونظر بعينه ، وتخيل بخياله ، وعقل بعقله ❋

❋ وما ثم إلا هو ❋ =

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ {الحديد : ٣} .

الآخِرُ يَتَضَمَّنُ مَا فِي الأَوَّلِ .

وَالظَّاهِرُ يَتَضَمَّنُ مَا فِي الآخِرِ وَالأَوَّلِ .

وَالبَاطِنُ يَتَضَمَّنُ الظَّاهِرَ وَالآخِرَ وَالأَوَّلَ .

فَالبَاطِنُ حَاكِمٌ عَلَى الجَمِيعِ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ {البقرة : ٣} (١) .

= وعن ذاته قال سماحة الإمام ﷺ : غِبْتُ عَنْ نَفْسِي بِرَبِّي . وَفَنِيتُ عَنْ جَمِيعِ الأَكْوَانِ ، وَالأَمَاكِنِ ، وَالأَزْمَانِ . وَأَصْبَحْتُ أَدُورُ فِي دَائِرَةٍ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ . ثُمَّ فَنِيتُ عَنْ فَنَائِي ، حَيْثُ لَا بِدَايَةَ وَلَا نِهَايَةَ . وَرَجَعَتْ قَطْرَتِي إِلَى بَحْرِهَا . ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} . وَأَنْشَأَنِي رَبِّي خَلْقًا آخَرَ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ . فَصَارَتْ هَٰذِهِ القَطْرَةُ الصَّغِيرَةُ تَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ بَحْرِهَا .

عالم الغيب والشهادة ، أو عالم الملك والملكوت : هو لأصحاب التجلي الأسمائي والصفاتي .

أما عالم الغيب ، أو عالم الجبروت : فهو لأصحاب التجلي الذاتي ، وهو لرسول الله ﷺ بالأصالة ولخلفاؤه من ورثته بالتبعية .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : المُحِبُّونَ يَرَوْنَ اللهَ تَعَالَى ظَاهِرًا ، مَا غَابَ أَبَدًا ، وَيَرَوْنَ الكَوْنَ كُلَّهُ غَيْبًا مَا ظَهَرَ أَبَدًا . فَمَا نَصَّبَ اللهُ الكَائِنَاتِ إِلَّا لِيُرَى فِيهَا . فَظَاهِرُ الأَمْرِ خَلْقٌ ، وَبَاطِنُهُ حَقٌّ .

فالكون كله ظلمة ، وإنما أناره ظهور الحق فيه ، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه ؛ أو عنده =

قَالَ تَعَالَى :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ {المجادلة : ١١} .

قَدَّمَ الإِيمَانَ عَلَى العِلْمِ .

لِأَنَّ العِلْمَ – وَإِنْ كَانَ لَهُ الشَّرَفُ التَّامُّ –

وَلَكِنْ لَا يُعْطِي السَّعَادَةَ فِي القُرْبِ الإِلَهِيِّ إِلَّا بِالإِيمَانِ .

فَنُورُ الإِيمَانِ أَشْرَفُ بِكَثِيرٍ مِنْ نُورِ العِلْمِ الَّذِي لَا إِيمَانَ مَعَهُ (١) .

= أو قبله ، أو بعده ، فقد أعوزه وجود الأنوار ، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار . فني من لم يكن فني من لم يكن وبقي من لم يزل ، فالأكوان مثبتة بإثباته ، ممحوة بأحدية ذاته ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ {الحديد : ٣} .

١- قال سماحة الإمام ﷺ عن مراتب الكشف :

مرتبة الاحتجاب بلا كشف ، للكفار : حجبت بصائرهم كأبصارهم .

مرتبة الكشف مع الاحتجاب ، للمؤمنين : كشف عن بصائرهم الحجب ، فنظروا إلى ربهم بنور الإيمان ، وأغشيت أبصارهم فحرموا النظر بنور العيان .

مرتبة الكشف بلا احتجاب ، للموقنين : كشف عن أبصارهم كعين بصائرهم .

فَكَفَى بِالعِلْمِ جَهْلًا لِـمَنْ لَا إِيمَانَ لَهُ .

وَكَفَى بِالإِيمَانِ عِلْماً لِـمَنْ آمَنَ بِهِ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَاللهُ قَرِيبٌ مِنَ الجَمِيعِ .

وَيَزِيدُ ذَلِكَ (القُرْبُ) حَتَّى يَكُونَ (أَقْرَبَ) .

سَاعَةَ الانْتِقَالِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ .

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ {ق : ١٦} .

وَذَلِكَ تَفَضُّلٌ كَبِيرٌ مِنَ اللهِ .

إِذْ مَا أَحْوَجَ العَبْدَ إِلَى رَبِّهِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ .

وَمَا خَصَّ سَعِيداً فِي ذَلِكَ القُرْبِ مِنْ شَقِيٍّ .

حَيْثُ تَنْكَشِفُ لِلْعَبْدِ حَقِيقَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ {الحديد : ٤} .

غَيْرَ أَنَّ الَّذِينَ بَقِيَتْ لَهُم أَنْفَاسٌ مِنَ الحَاضِرِينَ ؛

لَا يُبْصِرُونَ مَعِيَّةَ الحَقِّ فِي أَيْنِيَّةِ هَذَا العَبْدِ المُحْتَضَرِ .

فَإِنَّهُم فِي حِجَابٍ عَنْ ذِلِكَ :

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ {الواقعة : ٨٥} .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ {الحشر : ٢} .

وَالاعْتِبَارُ هُوَ : الجَوَازُ مِنْ أَيْنٍ إِلَى أَيْنٍ .

وَالانْتِقَالُ مِنْ عَيْنٍ إِلَى عَيْنٍ .

وَمِنْ كَوْنٍ إِلَى كَوْنٍ .

وَمِنْ بَصَرٍ إِلَى بَصِيرَةٍ .

وَمِنْ صُوَرٍ إِلَى مَعَانِي .

وَمِنْ أَشْبَاحٍ إِلَى أَرْوَاحٍ (١) .

١- القرب والمعية يدركهما الولي في هذه الحياة الدنيا ، ولا يدركهما غيره إلا عند الموت ، حين يقول الحق له : ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ {ق : ٢٢} . =

الآلَامُ عَوَارِضُ ، وَاللَّذَّاتُ ثَوَابِتُ .

وَالبَاطِنُ لَهُ الحُكْمُ .

﴿ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ ﴾ {الحديد : ١٣} .

= يظل المفتوح عليه يدرك قربا بعده قرب ومعية بعدها معية حتى يوقن أنه هو هو ، وأنه ليس ثم هناك غير البتة .

قال سماحة الإمام ﷺ : أَيُّهَا الإِنْسَانُ المُكَرَّمُ ... ادَّخَرْتُ مَعْرِفَتِي لَكَ وَحْدَكَ . وَأَبَحْتُكَ سَاحَاتِ العِرْفَانِ ، وَلَكِنَّكَ زَهِدْتَ فِيهَا . إِذَنْ دَعْنِي أَتَعَرَّفُ أَنَا إِلَيكَ ، لِتَعْرِفَنِي . سَأَتَعَرَّفُ إِلَيْكَ فِي كُلِّ شَيءٍ . فِي المَطْعُومَاتِ والمَحْسُوسَاتِ والمَشْرُوبَاتِ والمَشْمُومَاتِ . سَأَتَعَرَّفُ إِلَيْكَ فِي الأَلْوَانِ ، وفِي النِّسَاءِ وفِي الرِّجَالِ . سَأَتَعَرَّفُ إِلَيْكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ . سَأَتَعَرَّفُ إِلَيْكَ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالطُّيُورِ وَالحَيَوَانَاتِ . سَأَتَعَرَّفُ إِلَيْكَ فِي الصِّحَةِ وَالمَرَضِ . سَتَعْرِفُنِي ، سَتَعْرِفُنِي . فَإِنْ لَمْ تَعْرِفْنِي ؛ عَرَّفْتُكَ بِنَفْسِي عِنْدَ المَوْتِ . فَإِنْ أَنْكَرْتَنِي ؛ عَرَّفْتُكَ بِنَفْسِي فِي القِيَامَةِ . فَإِنْ أَنْكَرْتَنِي ؛ عَرَّفْتُكَ بِنَفْسِي فِي الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ . فَإِنْ لَمْ تَعْرِفْنِي ؛ عَرَّفْتُكَ بِنَفْسِي ، فِي نَفْسِي ، لِنَفْسِي . وَيَوْمَهَا لَنْ تُنْكِرَنِي أَبَدًا !

الواهب لم يمت ، وهو أقرب إليكم من حبل الوريد . والفيض الإلهي ، والمبشرات ما سُدَّ بابها . والطريق واضحة ، والباب مفتوح ، والعمل مشروع . والله يهرول لتلقي من أتى إليه يسعى .

فمن كان معك بهذه المثابة من القرب مع دعواك العلم بذلك والإيمان به . لِمَ تترك الأخذ عنه ؟ والحديث معه ؟ وتأخذ عن غيره ؟ ولا تأخذ عنه ؟ **فتكون حديث عهد بربك** .

وَلَمْ يَقُلْ ظَاهِرُهُ فِيهِ العَذَابُ .

بَلْ قَالَ : ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ {الحديد : ١٣} .

أَيْ مِنْ نَاحِيَتِهِ .

وَمَا عِنْدَ الله بَابٌ يَفْتَحُ إِلَّا أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ (١) .

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ {فاطر : ٢} .

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ {القمر : ١١} .

هُوَ أَيْضاً بَابُ رَحْمَةٍ لِنَجَاةِ المُؤمِنِينَ .

وَبَابُ رَحْمَةٍ لِلْكُفَّارِ ، حَتَّى يَتَخَلَّصُوا مِنْ أَشْبَاحِهِمُ الَّتِي كَفَرُوا فِيهَا .

فَلَا يَزْدَادُوا كُفْراً عَلَى كُفْرِهِم .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : وَهَؤُلَاءِ (أي المحبون) يَبْسُطُونَ رَحْمَةَ الله عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ ؛ طَائِعِهِم ، وَعَاصِيهِم . وَيَوْمَ القِيَامَةِ ؛ حَيْثُ يَصِلُ الغَضَبُ إِلَى قِمَّتِهِ ؛ فَإِنَّ الأَنْبِيَاءِ يَقُولُونَ : إِنَّ اللهَ قَدْ غَضِبَ اليَومَ غَضَبًا ، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ ، وَلَا بَعْدَهُ ، مِثْلَهُ ، أَبَدًا . ثُمَّ يَزُولُ الغَضَبُ بِشَفَاعَةِ الحَبِيبِ . وَتَثْبُتُ الرَّحْمَةُ ، وَتَعُمُّ المَغْفِرَةُ .

وَقَالَ ﷺ : «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ غَفَرَهُ» (١) .

وقال ﷺ : «إِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ» (٢) .

وقال ﷺ : «إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» (٣) .

وَاللهُ تَعَالَى قَدْ قَطَعَ عَهْداً عَلَى نَفْسِهِ .

أَنْ يَحْشُرَ كُلَّ حَبِيبٍ مَعَ حَبِيبِهِ (٤) .

وَأَنْ يُرِيَ كُلَّ مُؤَمِّلٍ مَا أَمَّلَ .

١- رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح .

٢- رواه مسلم في صحيحه .

٣- رواه الطبراني وابن حبان وابن أبي شيبة والبغوي .

٤- قال سماحة الإمام ﷺ : أَيُّهَا الحُبُّ نَحْنُ المُتَعَبِّدُونَ بِكَ إِلَيْكَ . فَانْظُرْ بِكَ إِلَيْنَا ، وَمُنَّ بِكَ عَلَيْنَا . إِنْ زَلَّتْ أَقْدَامُنَا ؛ مَنْ لَنَا سِوَاكَ نَتَشَفَّعُ بِهِ ؟ وَأَنْتَ سُلْطَانُ يَوْمِ القِيَامَةِ . «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» ، يَوْمَ القِيَامَةِ . هُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ لِلَّذِينَ يُنْكِرُونَ القِيَامَةِ . وَهُوَ يَوْمُ اللِقَاءِ وَالتَّلَاقِ لِأَهْلِ الحُبِّ وَالوِدَادِ . التَّلَاقِ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ العُشَّاقِ .

سند النور

سَأُتْحِفُكُم بِسَنَدِ النُّــورِ :

١- وَضَعَ أَبِي الشَّرِيفُ **مَحْمُودُ** فَمَهُ فِي أُذُنِي اليُمْنَى ، وَقَالَ :

﴿جَعَلَكَ اللهُ نُوراً يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ﴾

وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ مِنْ عُلَمَاءِ السَّنَدِ الرَّاسِخِينَ .

٢- وَأَخْبَرَنِي أَنَّ وَالِدَهُ الشَّرِيفَ **أَبَا طَالِبٍ** فَعَلَ مَعَهُ ذَلِكَ ، وَكَانَ مِنَ العُلَمَاءِ الأَكَابِرِ .

٣- وَهُوَ عَنِ الوَجِيهِ عَبْدِ اللهِ السُّكَّرِي ، وَفَعَلَ مَعَهُ ذَلِكَ .

٤- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّكَّرِي .

٥- عَنِ الرَّحْمَتِي .

٦- عَنِ الجَنِينِي .

٧- عَنْ أَبِي الأَسْرَارِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ العِجِيمِي .

٨- عَنِ الشَّيْخِ عَلِي الأَجْهُورِي .

٩- عَنِ الشَّمْسِ الرَّمْلِي .

١٠- عَنِ القَاضِي زَكَرِيَا الأَنْصَارِي .

١١- عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الفُرَات .

١٢- عَنِ ابْنِ جَمَاعَة .

١٣- عَنِ ابْنِ الزُّبَيْر .

١٤- عَنِ ابْنِ خَلِيل .

١٥- عَنِ ابْنِ زَرْقُون .

١٦- عَنِ الخَوْلَانِي .

١٧- عَنِ الطَّمْلَنْكِي .

١٨- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرِ بْنِ يَحْيَى بنِ يَحْيَى .

١٩- عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى .

٢٠- عَنِ الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَس .

٢١- عَنْ رَبِيعَــــةَ .

٢٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ :

جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَهُ فِي أُذُنِي اليُمْنَى وَقَالَ :

﴿ جَعَلَكَ اللهُ نُـورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ ﴾ (١)

وَأَنَا أَضَعُ فَمِي فِي أُذُنِ كُلِّ أَحْبَابِي اليُمْنَى ، وَأَدْعُو لَهُم فَرْداً فَرْداً :

جَعَلَكُمُ اللهُ نُوراً يُسْتَضَاءُ بِهِ فِي المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ

كَمَا نُقِلَ ذَلِكَ لَنَا بِأَعْلَى سَنَدٍ مُتَّصِلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِيـهِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ رَجُلاً .

وَقَدْ أَجَزْتُكُم جَمِيعاً بِهِ .

١- هذا الحديث من الأحاديث النادرة جداً ولم أجده فيما لدي من مراجع إلا في كتاب : فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للشيخ : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني قال فيه : ومن أغرب ما في الثبت المذكور من المسلسلات ما سياقه هكذا ، ولم أره لغيره على كثرة ما رأيت : المسلسل بقول : ﴿**جعلك الله نورا يستضاء بك في المشارق والمغارب**﴾ في الأذن اليمنى ، أقول جعل شيخنا الشبراوي فمه في أذني اليمنى ، وقال لي : =

= جعلك ... ، ثم قال : جعل الكنكسي فمه في أذني اليمنى ، وقال لي : جعلك ... ، ثم قال : جعل عبد القادر الفاسي فمه في أذني اليمنى ، وقال : ...، وهكذا فعل معه عم أبيه العارف ، وهو القصار ، وهو الجنوي ، وهو سقين ، وهو القاضي زكريا ، وهو عبد الرحيم بن الفرات ، وهو ابن جماعة ، وهو ابن الزبير ، وهو ابن خليل ، وهو ابن زرقون ، وهو الخولاني ، وهو الطلمنكي ، وهو عبيد الله بن عمر بن يحيى بن يحيى ، وهو يحيى بن يحيى ، وهو مالك ، وهو ربيعة ، وهو أنس ، وهو قال :جعل النبي ﷺ فمه في أذني اليمنى وقال لي : ﴿ **جَعَلَكَ اللهُ نُوراً يُسْتَضَاءُ بِكَ فِي المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ** ﴾ .

وعلى هذا فسند سماحة الإمام التقى مع سند الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني من أول القاضي زكريا الأنصاري وحتى سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين .

التنزل الخمسون ومائة

رضا الحبيب

لِكُلِّ مُحِبٍّ رَبٌّ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : أنت ما تعرف من ربك إلا قدر ما تعرف من روحك ، وكل موجود ما له من الله إلا ربه خاصة ، إذ يستحيل أن يكون له الكل ، وكل نفس مطمئنة قيل لها : ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ {الفجر : ٢٨} ، فما أمرها أن ترجع إلا إلى ربها الذي دعاها ، فعرفته من الكل ، ولم تنظر إلى رب غيره . وفي يوم القيامة : «**يَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتْبَعُونَهُ**» . من هنا قال من قال : أما أنا ، فعرفته ، وما بقى إلا أن يعرفني . وذلك أن لكل معتقد ربا في قلبه ، أوجده ، فاعتقده ، وهم أصحاب العلامة يوم القيامة ، فما اعتقدوا إلا ما نحتوا ، ولذلك لما تجلى لهم ، في غير صورة ما اعتقدوه ، بهتوا ، وأنكروا ، فهم عرفوا ما اعتقدوا ، والذي اعتقدوه ما عرفهم . لأنهم أوجدوه في عقولهم وضمائرهم ، والمصنوع لا يعرف الصانع . فما في أحد من الله شيء ، وما في أحد من سوى نفسه شيء ، فأي صاحب كشف شاهد في كشفه شيئا ، فتلك صورة نفسه ، لا غير . فمن شجرة نفسه جنى ثمرة عقله ، فأنت صورته . وهو روحك .

وَرَبُّ كُلِّ مُحِبٍّ عَلَى قَدْرِ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ حُبٍّ .

وَجَنَّةُ كُلِّ مُحِبٍّ فِي قَلْبِهِ عَلَى قَدْرِ رِضَاهُ عَنْ حَبِيبِهِ .

إِذْ رِضَاهُ عَنْ حَبِيبِهِ هُوَ عَيْنُ رِضَى حَبِيبِهِ عَنْهُ :

﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ {المائدة : ١١٩} .

﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ {الفجر : ٢٨} .

﴿ رَاضِيَةً ﴾ : أَيْ عَنِ الله . ﴿ مَّرْضِيَّةً ﴾ : أَيْ مِنْهُ .

فَجَنَّةُ الرِّضَى هِيَ أَعْظَمُ الجِنَانِ عَلَى الإِطْلَاقِ :

﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ {التوبة : ٧٢} (١) .

١- في بيان الرضوان قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى ؛ بعد ذكر الجنة وما فيها : ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ {التوبة : ٧٢} . إذا دخلت قصراً عظيماً لأميرة جميلة ، فإنك تنبهر بما فى القصر ، من التحف والسجاد والأثاث وجمال البناء ، فإذا رأيت وجه الأميرة انشغلت بجماله عن كل ما فى القصر ، ولكنك لا تدرى كيف يكون استقبالها لك ، فإذا ضحكت لك وتباسطت معك ، كان هذا منها دليلًا على رضاها عنك . فالقصر هو الجنة بما فيها من مأكل ومشرب ونساء ، ثم النظر =

= إلى وجه الله فيها أكبر منها ، ثم رضا الله تعالى أكبر وأكبر ، إذ هو غاية ما يصل إليه عبد فى الجنة . أهل الرضا يستوي عندهم المدح والذم ، لشهودهم أن كُلًّا من الله تعالى ، وإذا كان يوم القيامة وقفوا بين الجنة والنار ، ما تحركت همتهم إلى أحدهما ، رضًا بحكم الله تعالى ، وعلمًا بأن كُلًّا مسبحٌ لله تعالى . قال الشيخ أبو يزيد البسطامي ﷺ : من استوى عنده المنع والعطـــاء ، والذم والثناء ، طلبته الجنة ، واشتاقت إليه . وخافت من نوره النار ، واستعاذت منه . ولو عُرج بذلك العبد أعلى عليين ، ثم أسكنه الدرك الأسفل من النار ، لكان شكره ، ذلك الشكر ، الذي كان في أعلى عليين !

ولما علم أصحاب رسول الله ﷺ أن رضا الله تبارك وتعالى في البلاء ، استعذبوا البلاء . فجاهدوا في سبيل الله غير مكترثين بالقتل ، وإذهاب المهج ، وتقطيع الأجسام . ولما قال رسول الله ﷺ : «حُمَّى لَيْلَةٍ كَفَّارَةُ سَنَةٍ» . سَأَلَ زيد بن ثَابت ربه عز وَجل أَن لَا يزَال محموما فَلم تكن تُفَارِقهُ حَتَّى مَاتَ رَحمَه الله ، وَسَأَلَ ذَلِك طَائِفَة من الْأَنْصَار ، فَكَانَت الْحمى لَا تزايلهم .

قال تعالى : ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ {آل عمران : (١٦٢ – ١٦٣)} . قال تعالى هنا : ﴿ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ ﴾ ولم يقل : ﴿لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ {الأنفال : ٤} . كما قاله في موضع آخر . وذلك لأن المقصود هنا أنه تعالى جعلهم أعيان الدرجات ، لأنهم عين الكمال الذاتي ، فهم درجات الكمال الذاتي ، ولهم أيضًا درجات بالكمال العرضي ، فأهل الرضى قد نالوا الكمال الذاتي والعرضي ، أما غيرهم فكمالهم عرضي فقط . والدرجة هي الرتبة ومنه سُمِّي السلم دَرَجًا ، لأنه يطوي رتبة بعد رتبة . =

= قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ {الزمر : ١٠} . فعند درجة الصابرين ينتهي النعيم بالحسنات ، إذ أن عطاءهم منها قد أصبح مطلقًا بغير حساب . الحسنات والسيئات بين مالك ورضوان . أما أهل الرضا فقد أصبحوا هم الدرجات نفسها ، التي ينعم الله تعالى بها الجنة . فإلى درجة الصابرين ؛ ينعمهم الله بالجنة . أما أهل الرضا ؛ فيدخلهم الله الجنة ، لينعم بهم الجنة . وإذا أراد الله تعالى أن ينعمهم ؛ فإنه ينعمهم بنفسه ، لا بجنة ، ولا غيرها . فهؤلاء قد انتقلوا من النعيم بواسطة ، إلى النعيم بلا واسطة ، لأنهم أصبحوا هم النعيم نفسه . وهذا الرضا ؛ يقابله من الله تعالى الرضوان .

والرضوان هو أكبر من الجنة نفسها ، كما ذكره تعالى في قوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ {التوبة : ٧٢} . أي هذا الرضوان أكبر من جنات عدن نفسها ، وذيل الله تعالى هذه الآية ، بأن وصف هذا الرضوان منه ، بأنه هو الفوز العظيم . فأهل الرضوان حصلوا كل شيء . وغيرهم حصَّل بعض الشيء . **فالصابرون** ؛ أصحاب أحوال : فقد يصبر ، وقد لا يصبر . والأحوال من حضرة الأسماء والصفات برزت ، وهي حضرة الأضداد : أي الخافض الرافع ، المعز المذل ، الرحيم القهار ، فهؤلاء عطاؤهم أسمائي وصفاتي . **أما الرضا** ؛ فإنه مقام ثابت ، عطاؤهم من حضرة الذات المقدسة ، التي لها الثبوت .

﴿ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ {آل عمران : ١٦٣} : هذه الآية ؛ تعني أن أهل الرضا لم يخرجوا من عندية الله أبدًا ، فهم مشاهدون له على الدوام ، إذ لا يتصور الرضى =

فَلْيَرْضَ كُلُّ حَبِيبٍ عَنْ حَبِيبِهِ .

وَالرِّضَى لَا يَظْهَرُ إِلَّا بِالابْتِلَاءِ لِأَهْلِ الاجْتِبَاءِ (١) .

إِذْ بِدُونِهِ لَا يَتَمَيَّزُ الصَّادِقُ مِنَ الأَدْعِيَاءِ (٢) .

= من أحد في المصائب ، إلا إذا كان مشاهدًا لمن ابتلاه ! **فهؤلاء القوم أنهوا دورتهم الخلقية ، فلم يبرحوا عندية الله تعالى . فلا حشر لهم ولا نشر ، ولا دنيا لهم ، حتى تكون لهم آخرة . فعنديتهم ثابتة ، وهؤلاء هم ضنائن الله تعالى . اصطنعهم لنفسه ، فلا يبرحون حدائق قُدْسِه .**

١- قال سماحة الإمام ﷺ : وَأَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مُحِبٌّ مَحْبُوبٌ . فَمِنْ حَيْثُ أَنَّكَ مُحِبٌّ ، ابْتَلَاكَ . لِيَخْتَبِرَ صِحَّةَ دَعْوَاكَ فِي هَوَاكَ ، لِتَنَالَ رِضَاهُ . وَمِنْ حَيْثُ أَنَّكَ مَحْبُوبٌ ، أَهْدَاكَ وَأَعْطَاكَ . وَمَنَحَكَ وَاصْطَفَاكَ ، لِيَنَالَ رِضَاكَ ! فَمَا مِنْ بَلَاءٍ يَقَعُ فِي الكَوْنِ إِلَّا مِنْ حَضْرَةِ مَحَبَّتِكَ لَهُ . وَمَا مِنْ مِنَّةٍ ، أَوْ نِعْمَةٍ ، أَوْ عَطِيَّةٍ ، أَوْ مِنْحَةٍ ، إِلَّا مِنْ حَضْرَةِ حُبِّهِ لَكَ فَالَّلهُمَّ بِحَقِّ حُبِّكَ لِخَلْقِكَ ، ارْفَعْ عَنْهُم ابْتِلَاءَ دَعْوَاهُم لِحُبِّكَ . وَسَكِّنْ قُلُوبَهُم بِنَعِيمِ قُرْبِكَ .

٢- عن بلاء الله تعالى للمحبين ؛ قال سماحة الإمام ﷺ :

يغار الله عليهم من البلاء أن يشعروا به ، فيبتليهم فى المرة الواحدة ، بما لو صب على الجبال لتصدعت ، ولكنه يسقيهم خمور العشق قبلها ، فتمر عليهم المصائب والبلايا وهم لا يشعرون ، يعيشون بأجسامهم فى دنيا الناس ، وقلوبهم هائمة فى عالم النور ، كلامهم حب . وأكلهم حب . وشربهم حب . وحياتهم حب . من لا يعرف مصطلحهم يشك فيهم ، ويتهمهم فى دينهم ، وهم يعذرون الخلق الذين تربوا على موائد الجمود فى الدين . ودينهم هو دين الحب .

وَلَكِنْ نَسْأَلُكَ يَا اللهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ أَنْ تَرْضَى عَنَّا .

رِضًى مَشْمُولاً بِرَحْمَتِكَ ، مَأْنُوساً بِأُنْسِكَ ، مَحْفُوفاً بِعَفْوِكَ .

سند حديث الأولية

أُتْحِفُكُمُ الآنَ بِـ ﴿ سَنَدِ حَدِيثِ الرَّحْمَةِ العَامَّـةِ ﴾

الَّتِي هِيَ مِنْ اسْمِهِ الرَّحْمَنِ :

وَيُسَمَّى : ﴿ حَدِيثُ الأَوَّلِيَّـةِ ﴾

لِأَنَّهُ أَوَّلُ حَدِيثٍ يَسْمَعُهُ طَالِبُ العِلْمِ مِنْ أُسْتَاذِهِ .

لِأَنَّ الرَّحْمَةَ مُقَدَّمَةٌ عَلَى العِلْمِ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ {الكهف : ٦٥}

فَقَدَّمَ الرَّحْمَةَ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : مِنْ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ جَبَلَهُم عَلى الرَّحْمَةِ ، أَنَّهُم يَرْحَمُونَ كُلَّ عِبَادِ الله . حَتَّى لَوْ حَكَّمَهُم اللهُ في خَلْقِهِ ؛ لَأَزَالُوا صِفَةَ العَذَابِ مِنَ العَالَمِ . لِتَمَكُّنِ حُكْمِ الرَّحْمَةِ مِنْ قُلُوبِهِم . يَرْحَمُونَ جَمِيعَ الخَلْقِ بِرَحْمَةِ اللهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ . حَتَّى أَنَّهَا وَسِعَتْ غَضَبَ اللهِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ شَيْئًا .

حَدَّثَنِي بِهِ :

١- المُعَمَّرُ فَوْقَ المَائَةِ العَلَامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَيْخٍ الحَبَشِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْهُ .

٢- عَنْ أَبِي اليُسْرِ فَالِحِ الظَّاهِرِي المَدَنِي ، وَهُوَ أَوَّلُ .

٣- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السَّنُّوسِيِّ الخَطَّابِيِّ المَدَنِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ .

٤- عَنِ المُعَمَّرِ عَبْدِ العَزِيزِ الحَبَشِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ .

٥- عَنْ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرِ العَسْقَلَانِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ .

٦- عَنِ التَّنُّوخِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ .

٧- عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ اليَدْيَانْجِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ .

٨- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الهَيْثَمِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ .

٩- عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ الأَخْضَرِ ، وَهُوَ أَوَّلُ .

١٠- عَنْ عَبْدِ المَلِكِ الكَرُّوخِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ .

١١- عَنْ عَبْدِ الجَبَّارِ المَرْوزِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ .

١٢- عَنِ الإِمَامِ أَبِي عِيسَى التِّرْمِذِيِّ ، وَهُوَ أَوَّلُ .

١٣- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي عُمَرَ ، وَهُوَ أَوَّلُ .

١٤- عَنْ سُفْيَانِ بْنِ عُيَيْنَة ، وَهُوَ أَوَّلُ (١) .

١٥- عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارِ .

١٦- عَنْ أَبِي قَابُوسِ مَوْلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ .

١٧- عَنْ مَوْلَاهُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :

﴿الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ تَعَالَى ،

ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ (٢) .

وَهَذَا أَعْلَى سَـنَدٍ عَلَى وَجْـهِ الأَرْضِ .

حَيْثُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً .

وَقَدْ أَجَزْتُ بِهِ كُلَّ أَحْبَابِي فِي شَرْقِ الأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا .

١- **ملحوظة** : سـفيان بن عيينة هو آخر من يقول وهو أول حديث سمعته .

٢- رواه أبو داود والترمـذي وقال حسن صحيح والبيهقي وابن أبي شيبة وكلهم يلتقون مع السند الذي أورده سماحة الإمام من أول سفيان بن عيينة حتى رسول الله ﷺ .

التنزل الحادي والخمسون ومائة

جنة الله

أَنْتَ عَبْدٌ .

وَبِلَا أَنْتَ رَبٌّ .

فَأَنْتَ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ .

وَبِلَا أَنْتَ البَحْرُ نَفْسُهُ (١) .

١- البحر في مصطلح السادة : هو الإطلاق ، وهو الأحدية ؟

فالأكوان مثبتة بإثباته ممحوة بأحدية ذاته . فكان شرط رجوعك لبحر الأحدية هو فناؤك !

يقول سماحة الإمام ﷺ : الإنسان كقطرة ماء أخذت من البحر ، فما دامت هذه القطرة خارج البحر ، فإن لها كينونة مستقلة ، إلا أنها صغيرة وحقيرة ، ومقيدة بكل قيد ، ومحددة بكل إناء توضع فيه ، فإذا ألقيتها في بحرها مرة أخرى ، فإنها تتكلم بلسان هذا البحر المطلق العظيم ، ولا تستطيع أن تفصلها عنه ، إذ أن ذراتها قد ذابت في ذراته ، وذاتها قد تلاشت في ذاته =

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الحَقُّ ، لَمْ يَبْقَ كَائِنٌ .

فَلَا ثَمَّ مَوْصُولٌ ، وَمَا ثَمَّ بَائِنٌ (١) .

= فهو يتكلم بلسان الحق ، لا بلسانه ، ومعرباً عن ذات الحق ، لا عن ذاته .

فهو جمع الحبيب على حبيبه .

أو إن شئت قلت : هو جمع المخلوق على خالقه .

أو إن شئت قلت : فناء المخلوق في خالقه .

أو إن شئت قلت : ظهور الحق في الخلق .

أو إن شئت قلت : انتهاء الدورة الخلقية الكبرى ، ورجوع قطرة الخلقية إلى بحر أحدية الحقية .

١- يحكي سماحة الإمام ﷺ عن سفره هو ، فيقول :

غِبْتُ عَنْ نَفْسِي بِرَبِّي .

وَفَنِيتُ عَنْ جَمِيعِ الأَكْوَانِ ، وَالأَمَاكِنِ ، وَالأَزْمَانِ .

وَأَصْبَحْتُ أَدُورُ فِي دَائِرَةٍ مِنَ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ .

ثُمَّ فَنِيتُ عَنْ فَنَائِي .

حَيْثُ لَا بِدَايَةَ وَلَا نِهَايَةَ .

وَرَجَعَتْ قَطْرَتِي إِلَى بَحْرِهَا . ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} .

وَأَنْشَأَنِي رَبِّي خَلْقًا آخَرَ لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ .

فَصَارَتْ هَذِهِ القَطْرَةُ الصَّغِيرَةُ تَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ بَحْرِهَا .

جَنَّةُ الأَعْمَالِ دَرَجَاتٌ وحَسَنَاتٌ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ :

- فمن الناس من يعتقد أن الله تعالى عادل ، وأنه سيأتي يوم القيامة بصفات الجلال ، ويضع الميزان ، ويعطي على الحسنة عشراً ، وإذا ثقلت الحسنات أدخله الجنة ، وإذا ثقلت السيئات أدخله النار ، فيأتي يوم القيامة ، فيرى ربه كذلك .
- ومنهم من يعتقد أن الله تعالى سيحاسبه ، بالفضل .
- ومنهم من يعتقد أن الله تعالى سيحاسبه بالفضل العظيم .
- وكل هؤلاء ينتظر ربه يوم القيامة على وجل منه وخوف .
- ومنهم من يعتقد في ربه الرحمة والرأفة ، وينتظر ظهوره ليتعلق بحنانه ورأفته .
- ومنهم من لا ينتظر أصلاً ، وهم أهل مقام التوحيد . إذ إن الله تعالى معهم ، وهم لا يرون أنفسهم إلا عدمًا . فلا يرون إلا الله تعالى في جميع أحوالهم . فلا يرون في الكون إلا الرب . ولا يرون العبد .

والناس جميعًا يرون العبد ، ولا يرون الرب . فإذا كانوا يوم القيامة : رأوا العبد والرب . أما أهل التوحيد فلا انتظار لهم ، ولا يرون إلا الرب فقط . فظنك بالله هو الذي يقيم لك الحساب ، ويضع لك الميزان ، وعليه تكون كيفية حسابك يوم القيامة .

فدخول الجنة برحمة الله تعالى ، والنزول في منازلها على حسب الأعمال ، والخلود فيها يكون بنية من فيها . ولكن الله تعالى يعطي أيضا درجات اختصاص ، وهذه الدرجات ليس لها أي معيار إلا المشيئة : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ {آل عمران : ٧٤} ، فهنا محض فضل ، ومناسب لعظمته تعالى ، بطلاقة المشيئة ، وبدون أي قيد .

أَمَّا جَنَّةُ اللهِ ؛ فَهِيَ فِي ذَاتِكَ أَنْتَ :

﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ {الفجر : ٣٠} (١) .

بِدَاخِلِكَ جَنَّةٌ . لَوْ عَرِفْتَهَا الجَنَّةُ ، لَانْشَغَلْتَ بِهَا عَنِ التَّنْعِيمِ .

وَتَزْعُمُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ   وَفِيكَ انْطَوَى العَالَمُ الأَكْبَرُ (٢)

١- قال سماحة الإمام ﷺ : الجَنَّةُ يَدْخُلُهَا العَوَامُّ في الآخِرَةِ . وَالمُحِبُّونَ عُجِّلَتْ لَهُمْ جَنَّتُهُم في الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ . الجَنَّةِ المَعْنَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ جَنَّةُ الحُبِّ . وَهِيَ جَنَّةُ ذَاتِكَ أَنْتَ ، لَوْ عَرِفْتَهَا الجَنَّةُ لَانْشَغَلْتَ بِهَا عَنِ التَّنْعِيمِ . وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ {الفجر : ٣٠} . فَأَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ . وَهِيَ جَنَّةُ ذَاتِكَ ، حَيْثُ يَسْكُنُ اللهُ . وَلَمْ تُذْكَر بِهَذَا التَّشْرِيفِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً في القُرْآنِ .
هَنِيئًا لِـمَنْ وَصَلَ فَاتَّصَلَ . أَنْتَ الآنَ حَيْثُ لَا أَنْتَ ، بَلْ هُوَ . هُوَ الآنَ حَيْثُ لَا هُوَ ، بَلْ أَنْتَ .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : الْكُلُّ فِيكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الْمُكَرَّمُ : ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ {الإسراء : ٧٠} . اللهُ فِيكَ . وَالرَّسُولُ فِيكَ . وَالجَنَّةُ فِيكَ . وَالنَّارُ فِيكَ . وَالعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ ، وَمَا حَوَى مِنْ فَلَكٍ وَمَلَكٍ . كُنْتُ أَظُنُّ الأَمْرَ خَارِجًا عَنِّي . حَتَّى رَأَيْتُهُ مِنِّي إِلَيَّ .

قال تعالى : ﴿بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ {الجمعة : ٢} . ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ {آل عمران : ١٦٤} . فَكَلِمَةُ ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ ، أو ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ ، تَعْنِي أَنَّ الأَمْرَ مِنَّا إِلَيْنَا . اللهُ فِينَا ، وَالرَّسُولُ مِنَّا . وَالجَنَّةُ فِينَا ، وَالسَّمَوَاتُ فِينَا ، وَالكَوْنُ كُلُّهُ فِينَا .

سند حديث البعير

سَأُتْحِفُكُم بِأَعْلَى سَنَدٍ عَلَى الإِطْلَاقِ .

وَهُوَ : ﴿ حَدِيثُ البَعِيــرِ ﴾ .

أَرْوِيهُ عَالِياً عَنْ :

١- العَلَّامَةِ أَحْمَدِ بْنِ صَالِحِ السِّوِيدِي ، بِاسْتِجَازَةِ جَدِّي العَلَّامَةِ أَبِي طَالِبٍ مِنْهُ لِأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ .

٢- عَنِ الحَافِظِ مُرْتَضَى الزُّبَيْدِيِّ ، بِاسْتِجَازَةِ جَدِّ العَلَّامَةِ أَحْمَدَ مِنَ الحَافِظِ مُرْتَضَى لَهُ وَلِأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ .

٣- عَنِ المُعَمَّرِ العَلَّامَةِ ابْنِ سِنَّةَ الفُلَّانِي .

٤- عَنِ الشَّرِيفِ العَلْقَمِيِّ .

٥- عَنِ الحَافِظِ السَّيُوطِيِّ .

٦- عَنِ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرِ العَسْقَلَانِيِّ .

٧- عَنِ الصَّلَاحِ بْنِ أَبِي عُمَرَ .

٨- عَنِ الفَخْرِ بْنِ البُخَارِيِّ .

٩- عَنِ الْمُعِزِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الهَرَوِيِّ .

١٠- عَنْ تَمِيمِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الجِرْجَانِيِّ .

١١- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الكَنْجَرُودِيِّ .

١٢- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حِمْدَانِ .

١٣- عَنِ الحَافِظِ أَبِي يَعْلَى .

١٤- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَكَّارِ .

١٥- عَنْ عِكْرِمَةِ بْنِ عَمَّارِ .

١٦- عَنِ الهِرْمَاسِ بْنِ زِيَادٍ ﷺ قَالَ :

﴿رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الأَضْحَى يَخْطُبُ عَلَى بَعِيرِهِ﴾ (١)

١- هذا الحديث رواه أبو يعلى في معجمه بنفس هذا الإسناد من أول أبو يعلى حدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ بَكَّارٍ بِالْبَصْرَةِ ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ ، عَنِ الْهِرْمَاسِ بْنِ زِيَادٍ ﷺ .

كما أورده ابن الجزري في عواليه والعراقي في العشاريات مسلسلاً بسند يتقابل مع سند =

فَبَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ سِتَّةَ عَشْرَ رَجُلاً .

وَيَا حَظَّ البَعِيـــــرِ .

= سماحة الإمام من أول الهروي ولكن سندهما ليس فيه حمدان بين الكنجرودي وأبو يعلى فسألت عنه سماحة الإمام فقال أن سندنا أصح لأنهما اعتمدا على المعاصرة ولم يعتمدا الاتصال مثلنا . وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء بسند يلتقي مع سند سماحة الإمام من أول الهروي .

التنزل الثاني والخمسون ومائة

رب الأرباب

فِي مِرْآةِ المَعْبُودِ ظَهَرَتْ صُورَةُ كُلِّ مَوْجُودٍ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ» . وهو تعالى صانع العالم وموجده ، وأوجده على صورته ، فالعالم كله في غاية الجمال ، ما فيه شيء من القبح ، بل قد جمع الله له الحسن والجمال كلـه . فالعالم كله جماله ذاتي ، وحسنه عين نفسه ، إذ صنعه صانعه عليه ، ولهذا هام فيه العارفون ، وتحقق بمحبته المتحققون ، لأنهم ما رأوا فيه إلا صورة الحق سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه الجميل والجمال ، فإنه تعالى ما كثَّر لنا الآيات في العالم ، وفي أنفسنا ، إلا لنصرف نظرنا إليه ، ذِكراً وفكراً وعقلاً ، وإيماناً وعلماً ، وسمعاً وبصراً ، ونُهىً ولُبًّا . وما خلقنا إلا لنعبده ونعرفه ، وما أحالنا في ذلك على شيء إلا على النظر في العالم ، لجعله عين الآيات والدلالات على العلم به ، مشاهدة وعقلا .

قال رسول الله ﷺ : «المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ» قد يكون المراد بالمؤمن الأول : الحق تعالى ، لأن المؤمن من أسمائه تعالى والمراد بالمؤمن الثاني : العبد . فالحق تبارك وتعالى ، مرآة عبده =

= أو أن يكون المراد بالمؤمن الأول : العبد ، وبالمؤمن الثاني : الحق . فيكون العبد مرآة الحق تعالى . **إذ في الحقيقة إنه تعالى : مرآتك ، وأنت مرآته** .

فمن حيث كونك مرآته ، يرى هو صورته فيك ، فتكون أنت عنده عين ذاته وصفاتك وأسماؤك ، عين أسمائه وصفاته . وجميع ما صدر منك ، عين ما صدر منه . وبهذا الاعتبار قال سبحانه وتعالى : ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾ {النساء : ٨٠} . وقال : ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَى**﴾ {الأنفال : ١٧} . ومن ثم قال ﷺ : «**خلق الله آدم على صورته**» .

ومن حيث كون الحق مرآة لك ، ترى أنت ذاتك متجلية بأسمائه وصفاته . بل تتحقق أن ذاتك هي عين المعبر عنه بذاته . فأنت هو ، وهو أنت . ولاتزال تتحقق صورتك في مرآة كماله حتى تتجلى ذاتك بجميع مالها من تلك المحاسن الظاهرة ، في تلك المرآة المشهودة على التمام والكمال .

ولما كان التجلي على قدر صفاء المرآة وصقلها ، وعلى قدر قابلية المتلقي ، ولما كانت أصفى مرآة هي مرآة رسول الله ﷺ ، وأكبر قابلية هي قابليته ﷺ ، لذا اختص ﷺ بالتجلي الذاتي ، وما سواه ليس له إلا التجلي الأسمائي والصفاتي .

فرسول الله ﷺ هو المرآة التي ظهرت فيها الذات المقدسة ، في أكمل تجلٍ يتجلاه تعالى على مخلوق . فارجع بقطرتك إلى بحره ﷺ ، فتفنى في رسول الله ﷺ ، فتستقبل بقابلية بحره ﷺ ، وليس بقابلية قطرتك ، فيتحقق له هذا المقام ، وتحظى بتجلي الله الذاتي .

من نظر في المرآة لا يرى جِرم المرآة ، ولكن يرى صورة الواقف أمامها ، ويجهد نفسه أن يرى جرم المرآة ، فلا يستطيع . فمن نظر إلى رسول الله ﷺ – الذي هو المرآة – فإنه لا يرى رسول الله ﷺ =

فَيَرَى الْمُؤمِنُ صُورَةَ إِيمَانِهِ .

وَيَرَى الكَافِرُ صُورَةَ كُفْرَانِهِ .

وَيَرَى العَارِفُ صُورَةَ عِرْفَانِهِ .

وَالعَالِمُ صُورَةَ عِلْمِهِ (١) .

= ولكن يرى التجلي الإلهي فيه ، ومن رأى رسول الله ﷺ ، ولم يرى الله تعالى فيه ، فإن مرآة قلبه تحتاج أن تصقل . فرسول الله ﷺ ليس واسطة بين الله وبين خلقه ، ولكنه ﷺ مرآة صافية ، يرى الخلق فيها ربهم ، ولا يرون سواه فيها ، حتى أنهم لا يرون رسول الله ﷺ ، لأن أحدا لا يرى جرم المرآة عند ظهور الصورة فيها .

أما تجلي الأسماء والصفات ؛ فيتجلى الله تعالى بها على جميع خلقه ، وله تعالى الظهور في أي صورة شاء منها ، فالأسماء والصفات لها التعدد . وهذا فارق كبير بين أن تقول : إن الله تعالى تجلى على ذات أحد ، وبين أن تقول : إن الله تعالى حَلَّ بذاته في ذات أحد من خلقه .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : كُلُّ الخَلْقِ عَابِدٌ طَائِعٌ : الْمُحِبُّ - بِحُبِّهِ - طَائِعٌ بِرُوحِهِ وَالعَارِفُ - بِمَعْرِفَتِهِ - عَابِدٌ بِبَصِيرَتِهِ . وَالعَالِمُ - بِعِلْمِهِ - مُتَنَسِّكٌ بِعَقْلِهِ وَبَصَرِهِ . وَالعَاصِي - بِمَعْصِيَتِهِ - طَائِعٌ لِقَدَرِهِ ، وَإِرَادَتِهِ ، وَمَشِيئَتِهِ . وَإِنْ عَصَى لِأَمْرِهِ . وَالذَّاكِرُ - بِذِكْرِهِ - طَائِعٌ . وَالنَّاسِي - بِنِسْيَانِهِ - طَائِعٌ . جَلَّتْ عَظَمَتُكَ أَنْ يَعْصَاكَ عَاصٍ . أَوْ يَنْسَاكَ نَاسٍ . ذَكَرَكَ النَّاسِي بِنِسْيَانِهِ . وَأَطَاعَكَ العَاصِي بِعِصْيَانِهِ .

فَاللهُ تَعَالَى – وَإِنْ كَانَ مُنَزَّهاً عَنْ مُشَابَهَةِ كُلِّ شَيءٍ –

إِلَّا أَنَّهُ يَظْهَرُ بِصُورَةِ كُلِّ شَيءٍ .

فَيَظْهَرُ لِلْعُلَمَاءِ بِصُورَةِ عِلْمِهِم .

وَلِلْعَارِفِينَ بِصُورَةِ مَعْرِفَتِهِم .

وَلِلْجُهَّالِ بِصُورَةِ جَهْلِهِم .

فَرَبُّ الجَاهِلِ لَيْسَ هُوَ رَبُّ العَالِمِ .

وَرَبُّ العَالِمِ لَيْسَ هُوَ رَبُّ السَّالِكِ .

وَرَبُّ السَّالِكِ لَيْسَ هُوَ رَبُّ الوَاصِلِ .

وَرَبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ هُوَ رَبُّ الأَرْبَابِ (١) .

فَاتَّبِعُوهُ وَأَطِيعُوهُ وَأَحِبُّوهُ تَنَالُوا رِضَـــاهُ .

١- قال سماحة الإمام رضي الله عنه : قال تعالى : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾ {النساء : ٣٦} ، ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ {البقرة : ٣٠} . ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ {البقرة : ١٤٧} . ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ =

= ﴿رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ {النجم : ٤٢} . موضع الشاهد في هذه الآيات ، هو (**كاف**) الخطاب في (**ربك**) والمراد هنا هو **رب سيدنا محمد** ﷺ .

قال تعالى : ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ {آل عمران : ٤١} . موضع الشاهد في هذه الآية ، هو (**كاف**) الخطاب في (**ربك**) ، والمراد هنا **هو رب سيدنا عيسى** عليه السلام .

قال تعالى : ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ {البقرة : ٦١} . موضع الشاهد في هذه الآية ، هو (**كاف**) الخطاب في (**ربك**) ، والمراد هنا **هو رب سيدنا موسى** عليه السلام .

وهنا يثور سؤال : هل الأرباب مختلفة ؟ هل ليس رب سيدنا محمد ﷺ كرب غيره من الرسل والنبيين ؟ وهل رب الرسل والنبيين هو رب عامة المؤمنين ؟ وهل رب المؤمنين هو رب الكافرين ؟

قال تعالى : ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴾ {البقرة : ١٣٩} . وصح عنه ﷺ أنه قال في الحديث : «**رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ**» . فالله تعالى واحدٌ ، وإنما الرب المتخيَّل في معتقدات المخلوقين متعدد . وهذا ما تطلق عليه الطائفة : (**إله المعتقدات**) ، أو (**الإله المجعول**) ، أو (**الحق الاعتقادي**) ، أو (**الحق المُعْتَقَد في القلب**) .

وصح عنه ﷺ أنه قال : «...**فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا . فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا ، عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتْبَعُونَهُ**» . ومن هنا تعرف إن كل عاقل له في ذات الله مقالة . =

= إنما عبد كل عابد ما صوره له عقله ، والعقل يصور على قدر علمه ، فكلما ازداد الإنسان علماً بالله تعالى كلما ارتقى معبوده . فالجاهل يعبد إلهاً ، والعالم يعبد إلهاً ، وما بين الإلهين كما بين العلم والجهل . وإن لله عباداً عملوا على إيمانهم ، وصدقوا الله في أحوالهم ، ففتح الله أعين بصائرهم وتجلَّى لهم في سرائرهم ، فعرفوه على الشهود ، وكانوا في معرفتهم تلك على بصيرة ، وبينة ، بشاهد منهم : وهو الرسول المبعوث إليهم . وهؤلاء هم جل أصحاب رسول الله ﷺ . قال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ {الحجر : ٩٩} . أي اعبد ربك المنعوت في الشرع ، حتى يأتيك اليقين ، فينكشف الغطاء ، ويحتد البصر ، فترى ما رأى ﷺ ، وتسمع ما سمع ﷺ ، فتلحق به في درجته ﷺ ، من غير نبوة تشريع ، بل وراثة محققة ، لِنَفْسٍ مُصَدِّقَةٍ مُتَّبِعَةٍ .

فلما قال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ {الحجر : ٩٩} . فإن (الكاف) في (ربك) هي سيدنا محمد ﷺ . أي اعبد رب محمد ﷺ . وما ذكر رب محمد ﷺ هنا سُدًى ، وإنما قاصدًا بذكره أن تعبده بشرعه ، لأنه الصراط المستقيم الموصل إلى كشف الغطاء . ومن هنا قال باب مدينة العلم أمير المؤمنين الإمام علي كرم الله وجهه : (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا) . لأن النبي ﷺ قال فيه : «**عَلِيٌّ مِنِّي ، وَأَنَا مِنْهُ**» .

وفي الحديث السابق عنه ﷺ أنه قال : «...**فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِالله مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا . فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا ، عَرَفْنَاهُ . فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ . فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ . فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَيَتْبَعُونَهُ**» . فقد أثبت هذا الحديث أنه تعالى له تجلٍ في الصور ، وأثبت أن في مخيلة كل شخص صورة لربه ، لا يعرفه إلا بها =

= وأنه إذا رآه تعالى في الآخرة في غير هذه الصورة ، التي اعتقده فيها في الدنيا ، فلن يعرفه ، وسينكره ، حتى يتجلى الله تعالى له في الصورة التي اعتقده عليها ، وعرفه فيها .

وخلاصة القول : أنك تعبد الآن إلهًا غير الذي كنت تعبد وأنت صغير ، غير الذي تعبد قبل سلوكك طريق الحق ، وكلما ازداد علمك بالله كلما ارتقى تصورك في الله ، كلما أحسست أنك تعبد إلهًا جديدًا .

فما أسرع تبدل الآلهة عند العارفين ، وذلك لسرعة تنقلهم في مقامات المعرفة بالله . وذلك حتى يصلوا إلى (رب محمد) والذي هو (رب الأرباب) .

سند السنة المطهرة

من طريق سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه

الْيَوْمَ أُتْحِفُكُم بِسَنَدٍ عَظِيمٍ .

نَرْوِي بِهِ جَمِيعَ كُتُبِ السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ .

عَنْ طَرِيقِ سَيِّدِي أَحْمَدِ التِّجَانِيِّ رضي الله عنه .

وَلَكِنِّي سَأَصِلُهُ الْيَوْمَ إِلَى الْبُخَارِيِّ :

فَنَرْوِي عَالِياً عَنْ :

١- العَلَّامَةِ الْمُعَمَّرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَيْخٍ الحَبَشِيِّ .

٢- عَنْ أَبِي الْيُسْرِ فَالِحٍ الظَّاهِرِيِّ الْمَدَنِيِّ .

٣- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السَّنُّوسِيِّ الخَطَّابِيِّ .

٤- عَنِ القُطْبِ سَيِّدِي أَحْمَدِ التِّجَانِيِّ رضي الله عنه .

٥- عَنِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مَحْمُودٍ الكُرْدِيِّ .

٦- عَنِ الدُّمْيَاطِيِّ .

٧- عَنِ العَجِيمِيِّ .

٨- عَنْ عَلِيٍّ الأَجْهُورِيِّ .

٩- عَنِ الشَّمْسِ الرَّمْلِيِّ .

١٠- عَنِ الشَّيْخِ زَكَرِيَا الأَنْصَارِيِّ .

١١- عَنِ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرِ العَسْقَلَانِيِّ .

١٢- عَنِ التَّنُوخِيِّ .

١٣- عَنِ الحَجَّارِ .

١٤- عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ .

١٥- عَنْ أَبِي الوَقْتِ الدَّاوُدِيِّ .

١٦- عَنِ السَّرْخَسِيِّ .

١٧- عَنِ الفِرَبْـــرِيِّ .

١٨- عَنِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيِّ .

وَهَذَا السَّنَدِ هُوَ فِي مُنْتَهَى النُّورِ وَالجَمَالِ .

لِتَشَرُّفِهِ بِسَيِّدِي أَحْمَدِ التِّجَانِيِّ ﷺ .

وَهُوَ سَنَدٌ عَالٍ عَظِيمُ الأَنْوَارِ .

أَمَّا مِنْ حَيْثُ الرِّوَايَاتِ ؛ فَأَنَا أَرْوِي البُخَارِيِّ بِسَنَدٍ بَيْنِي فِيهِ وَبَيْنَ البُخَارِيِّ إِثْنَى عَشَرَ رَجُلاً .

وَكَذَا أَرْوِيهُ عَالِياً وَبَيْنِي وَبَيْنَ البُخَارِيِّ فِيهِ عَشْرُ رِجَالٍ .

أُتْحِفُكُم بِهِمَا لَاحِقاً .

التنزل الثالث والخمسون ومائة

وجود النقص هو عين الكمال

لَا يَتَّصِلُ بِالحَقِّ شَيءٌ إِذَا نَظَرْتَ بِعَينِ البَصَرِ .

كَمَا لَا يَنْفَصِلُ عَنْهُ شَيءٌ إِذَا نَظَرْتَ بِعَيْنِ البَصِيرَةِ (١) .

فَهُوَ تَعَالَى مُشَيِّءُ الأَشْيَاءَ . وَبِهِ قَامَتِ الأَشْيَاءُ .

١- تَجَلَّيْتَ فِي الأَشْيَاءِ حِينَ خَلَقْتَهَا ... فَهَا هِيَ مِيطَتْ عَنْكَ فِيهَا البَرَاقِعُ
قَطَعْتَ الوَرَى مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ قِطْعَةً ... وَلَمْ تَكُ مَوْصُولًا وَلَا فَصْلُ قَاطِعُ
وَلَكِنَّهَا أَحْكَامُ رُتْبَتِكَ اقْتَضَتْ ... أُلُوهِيَّةً لِلضِّدِّ فِيهَا التَّجَامُعُ
فَأَنْتَ الوَرَى حَقًّا وَأَنْتَ إِمَامُنَا ... وَإِنَّكَ مَا يَعْلُو وَمَا هُوَ وَاضِعُ
وَمَا الخَلْقُ فِي التِّمْثَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٍ ... وَأَنْتَ بِهَا المَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ
فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ ... وَغَيْرُ آنٍ فِي حُكْمِ دَعَتْهُ الشَّرَائِعُ
وَلَكِنْ بِذَوْبِ الثَّلْجِ يُرْفَعُ حُكْمُهُ ... وَيُوضَعُ حُكْمُ المَاءِ وَالأَمْرُ وَاقِعُ

ثَمَّ تَنَــزَّلَ تَعَالَى حَتَّى أَنْزَلَ نَفْسَهُ مَعَ الأَشْيَاءِ .

فَقَالَ ﷺ : «لاَ شَيْءَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ» (١) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

قال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ {التغابن : ٣} . فالله تعالى تنزل باسمه الرحمن ، إلى حضرة الإمكان إذ أن صور العالم لا يمكن زوال الحق عنها ، وإلا انعدمت ، فهو تعالى المدبر لذراتها .

وينزل ربنا إلى السماء الدنيا ، وقد كان ولا سماء ، ولا عالم ، هل كان يوصف بالنزول إلى من ؟ أو من أين ؟ ولا أين ؟ ثم أحدث الأشياء ، فحدثت النسب ، فاستوى على العرش ، ونزل إلى السماء ، وأخذ الميزان ، فخفض ورفع ، بذا وردت الأخبار ، والإيمان بها واجب ، والكيف مجهول ، غير معقول ، فهو الواحد الواجد الأحد الماجد ، الذي ليس كمثله شيء . فما نزل إلينا إلا ليأخذنا منا إليه . وما المنازلة إلا مفاعلة بين نزوله إلينا ، وعروجنا إليه . فهو في كل ذلك متعرف إلينا ، مقبل بوجود إحسانه علينا . فإذا قال الحق : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة : ١١٥} . ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ : فلا خلق ، فأنت منفي . ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ : أثبتك وأثبت أن لك توجه إلى وجه الله . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ : ثم نفاك مرة أخرى . ثم نفاك البتة في آية أخرى ، وهي قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ {الحديد : ٣} . فهنا نفاك بالكلية ، فلا وجود لك في هذا المنظر ، ولكن تنوعت النسب له تعالى بين ظاهر وباطن وأول وآخر . فهذه كلها نسب حكميه ، قال تعالى : =

وَوُجُودُ النَّقْصِ هُوَ عَيْنُ الكَمالِ .

إِذْ لَوْ لَمْ يُوجَدْ نَقْصٌ ، لَنَقُصَ مِنَ الكَمالِ وُجُودُ النَّقْصِ .

وَالنَّقْصُ هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى الكَمالِ (١) .

= ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ {فصلت : ٥٣} . أي سنريهم وجودنا في كل شيء ، وفي أنفسهم ، حتى يؤمنوا بأنهم عين الحق ، وختم تعالى الآية بأنه على كل شيء شهيد ، أي في كل شيء هو حاضر باطنا وظاهرا .

١- وكل قبيح إن نسبت لحسنه ... أتتك معانى الحسن فيه تسارع
ولا تحسبن الحسن ينسب وحده ... إليه البها والقبح بالذات راجع
يكمل نقصان القبيح جماله ... وما ثم نقصان وما ثم يانع
ويرفع مقدار الوضيع جلاله ... إذا لاح فهو للوضيع رافع
فلا تحتجب عنه لشين بصورة ... مخلفا حجاب العين للنور لامع
وأطلق عنان الحق في كل ما ترى ... فتلك تجليات من هو صانع
لقد خلق الأراضين بالحق والسما ... كذا جاء في القرآن إن أنت سامع
وما الحق إلا الله لا شيء غيره ... فشم شذاه فهو في الخلق ضائع
وشاهده حقا منك فيك فإنه ... هويتك اللتى بها أنت والع
ففى أينما حقا تولوا وجوهكم ... فما ثم إلا الله هل من يطالع =

فَالمَرَضُ دَلِيلٌ عَلَى الصِّحَّةِ .

وَالجَهْلُ دَلِيلٌ عَلَى العِلْمِ .

وَالضَّعْفُ دَلِيلٌ عَلَى القُوَّةِ (١) .

= قال سماحة الإمام ﷺ : فَإِذَا جَاءَ وَقْتُكَ ، وَارْتَفَعَ حِجَابُكَ ؛ فَتَرَى المَوْجُودَاتِ - الَّتِي كُنْتَ تَحْسَبُهَا خَالِيَةً مِنْ وُجُودِ اللهِ - عَامِرَةً بِهِ . وَبَعْدَ أَنْ كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الانْتِقَاصِ ؛ تَرَاهَا الآنَ بِعَيْنِ التَّعْظِيمِ . فَاللهُ تَعَالَى مَا خَلَقَ شَيْئًا وَهُوَ عِنْدَهُ هَيِنٌ . إِذْ لَوْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَينِ الهَوَانِ لَـمَا خَلَقَهُ . وَالمُحِبُّ يَعْلَمُ أَنَّ وُجُودَ النَّقْصِ فِي الكَوْنِ كَمَالٌ . إِذْ لَوْلَا وُجُودُ النَّقْصِ ؛ لَنَقُصَ مِنَ الكَوْنِ صِفَةُ النَّقْصِ . فَإِذَا رَأَى صِفَةَ نَقْصٍ فِي الكَوْنِ ؛ يَعْلَمُ أَنَّهَا مِنَ الوَجْهِ الَّذِي لِلْخَلْقِ . وَلَيْسَ مِنَ الوَجْهِ الَّذِي لله .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : الجَمِيعُ خَلْقُهُ وَعَبِيدُهُ . وَلَا فَخْرَ لِلأَعْلَى مِنْهُم عَلَى الأَدْنَى . إِذْ لَوْلَا الأَدْنَى ، مَا ظَهَرَ فَضْلُ الأَعْلَى . أَلَمْ تَرَ إِلَى سَيِّدِ الكَوْنِ ﷺ يقول : «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَلَا فَخْرَ**» . فَالأَدْنَى مُفْتَقِرٌ فِي كَمَالِهِ إِلَى الأَعْلَى . وَالأَعْلَى مُفْتَقِرٌ فِي ظُهُورِ فَضْلِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَه . فَلَوْلَا الجَهْلُ ، مَا ظَهَرَ فَضْلُ العِلْمِ . وَلَوْلَا الذُّلُّ ، مَا بَانَ شَرَفُ العِزِّ . وَلَوْلَا شَقَاءُ المَرِيضِ وَالفَقِيرِ ، مَا وَضَحَ نَعِيمُ الصَّحِيحِ وَالغَنِيِّ .

قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ {فاطر : ١٥} ، وكذلك الأعلى هو الله تعالى : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ {الأعلى : ١} ، فهو الأعلى ونحن الأدنى . فظهور مظاهر كمالاته تعالى ، تحتاج ظهور مظاهر نقصنا نحن : قال سماحة الإمام ﷺ : أوجدنا الله تعالى =

فَاللهُ تَعَالَى أَحَدِيٌّ بِالذَّاتِ ، مُتَعَدِّدٌ بِالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ (١) .

= بهذه الأسماء ، وغذانا بها . ثم كنا نحن قوتاً لهذه الأسماء . تتقوت علينا ، وتظهر أحكامها فينا وإلا ارتفع حكمها . فكيف يكون رحيماً ، بغير خلق يرحمه . وكيف يكون رزاقاً ، بغير خلق يرزقه . فلولا وجود المخلوقات ، لارتفع حكم الأسماء . فكنا كمن يزرع القمح ، ويمده من مجهوده وعمله ، ثم يتغذى عليه بعد ذلك . فاسم **الرزاق** مثلا من جملة المرزوقين . وهو أول من تغذى بما رزق . فأول ما رزق نفسه ، ثم رزق الأسماء التي تتعلق بالرزق .

لَا فَرْقَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ خَيَالِكُم ... إِنْ غَابَ غِبْتُ وَإِنْ حَضَرْتُم أَحْضَرُ

اثْنَانِ نَحْنُ وَفِي الحَقِيقَةِ وَاحِدٌ ... لَكِنْ أَنَا الأَدْنَى وَأَنْتَ الأَكْبَرُ

١- قال تعالى : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ {الإسراء : ٢٠} ولا يتجلى بوصف مرتين ، ولا يظهر في صورة لاثنين ، ولا يرد منه – بمعنى واحد – كلمتان . بل لكل تجل منه صورة ، ولكل عبد – عند ظهوره له – صفة ، وعن كل نظرة كلام ، وبكل كلمة إفهام ، ولا نهاية لتجليه ، ولا غاية لأوصافه ، ولا نفاد لكلمه .

قال سماحة الإمام ﷺ : **كل تجلٍ ، لابد أن تكون له صفة ، وكل صفة ، لابد أن يكون لها اسم** . فتعددت الأسماء ، لتعدد الصفات ، وتعددت الصفات ، لتعدد التجليات ، وتعددت التجليات ، لتعدد التنزلات ، وتعددت التنزلات ، لتعدد الشئون ، وتعددت الشئون ، لتعدد مقتضيات الكمال ، وتعددت مقتضيات الكمال ، لتعدد المراتب ، وتعددت المراتب ، لتعدد المظاهر ، وتعددت المظاهر ، لتعدد الأسماء ، **فدار الأمر وانبهر ، وصار أولًا ما كان آخرًا . عُرِفَ على قدر ما ظهر ، وجُهِلَ على قدر ما بطن .**

أعلى سند إلى البخاري

أُتْحِفُكُم بِأَعْلَى سَنَدٍ إِلَى البُخَارِي .

بَيْنِي وَبَيْنَ البُخَارِيِّ فِيـــهِ عَشْرُ رِجَالٍ .

وَالبُخَارِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثَلَاثَـةَ رِجَالٍ فِي أَقْصَرِ سَلَاسِلِهِ .

وَتُسَمَّى : ﴿**ثُلَاثِيَّاتُ البُخَارِيِّ**﴾ .

فَيَكُونُ بَيْنَنَا وَبَينَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلاً بِالبُخَارِيِّ .

وَهُوَ أَعْلَى مَا وَقَعَ لَنَـا .

١- عَنِ المُعَمَّرِ الشَّيخ أَحْمَدَ بْنِ مَنْلَا صَالِحِ السَّوِيدِيِّ البَغْدَادِيِّ بِإِجَازَتِهِ **لجدِّي الشَّرِيفِ العَلَّامَةِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ التِّجَانِيِّ لِأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ** .

٢- عَنْ نَادِرَةِ الزَّمَانِ الحَافِظِ مُرْتَضَى الزَّبِيدِيِّ الحَسَنِيِّ بِإِجَازَتِهِ لجدِّ الشَّيْخِ أَحْمَدِ لِأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ .

٣- عَنِ المُعَمَّرِ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَّةَ الفُلَّانِيِّ المَالِكِيِّ .

٤- عَنْ الشَّيْخ أَحْمَدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ العَجِلِ اليَمَنِيِّ .

٥- عَنِ القُطْبِ النَّهْرَوَالِيِّ .

٦- عَنِ الشَّيْخ أَحْمَدِ بْنِ أَبِي الفَتْحِ الطَّاوُسِيِّ .

٧- عَنِ المُعَمَّرِ بَابَا يُوسُفِ الهَرَوِيِّ .

٨- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شَاذْبُخْتِ الفَارِسِيِّ الفَرْغَانِيِّ .

٩- عَنْ يَحْيَى بْنِ شَاهَانَ الخَتْلَانِيِّ .

١٠- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يوسُفِ الفِرَبْرِيِّ .

١١- عَنِ الإِمَامِ الحَافِظِ الحُجَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ البُخَارِيِّ .

وَمِنْ ثُلَاثِيَّاتِ البُخَارِيِّ ؛ يَقُولُ البُخَارِيُّ (١) :

١- **فوائد تتعلق بثلاثيات البخاري :**

الأولى : الإسناد الثلاثي إسناد عال ، والعلو في الإسناد مرغوب فيه عند المحدثين ، لكونه أقرب إلى الصحة وقلة الخطأ ، لأنه ما من راو من رجال السند إلا والخطأ جائز عليه ، فكلما كثرت الوسائط وطال السند كثرت مظان تجويز الخطأ .

الثانية : عدد الأحاديث الثلاثية في صحيح البخاري اثنان وعشرون حديثا ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه مرفوعا : من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار . قال : وهذا الحديث أول ثلاثي وقع في البخاري ، وليس فيه أعلى من الثلاثيات . وقد أفردت فبلغت أكثر من عشرين حديثا انتهى . وقال في كشف الظنون : ووقع له اثنان وعشرون حديثا ثلاثيات الإسناد ، وقال المباركفوري في مقدمة تحفة الأحوذي : وأما في صحيح البخاري فاثنان وعشرون ثلاثيا قد أفردها العلماء بالتأليف كعلي القاري الهروي وغيره انتهى . وهذه العدة إنما هي بالأحاديث المكررة ، وبإسقاط التكرار تكون ستة عشر حديثا وقد طبعت ثلاثيات البخاري مفردة ومشروحة .

الثالثة : عدد **الصحابة** الذي روى البخاري من طريقهم الأحاديث الثلاثية ثلاثة : الأول سلمة بن الأكوع ﷺ ، له منها سبعة عشر حديثا ، والثاني أنس بن مالك ﷺ له منها أربعة أحاديث ، والثالث عبد الله ابن بسر ﷺ ، له منها حديث واحد . أما **شيوخه** الذين روى عنهم هذه الثلاثيات فعدتهم خمسة وهم : مكي بن إبراهيم ، وأبو عاصم النبيل ، وعصام بن خالد ، ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، وخلاد بن يحي ، وهم من أتباع التابعين . =

حَدَّثَنَا مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ عَنْ سَلَمَةَ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :

﴿ مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ﴾ (١)

صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

تَحَمَّلُوا يَا عِبَادَ اللهِ ، وَبَلِّغُوا .

= وأما شيوخ شيوخه فيها فعدتهم أربعة وهم : يزيد بن أبى عبيد ، وحميد الطويل ، وحريز بن عثمان ، وعيسى بن طهمان ، وهم من التابعين .

١- هذا الحديث من هذا الوجه تفرد به البخاري ونقله عنه آخرون منهم البغوي وابن عساكر .

التنزل الرابع والخمسون ومائة

الولاية والنبوة والرسالة

الكَوْنُ حُرُوفٌ (١) .

وَكُمَّلُ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ كَلِمَاتٌ (٢) .

١- عن **الحروف** قال سماحة الإمام ﷺ : كل ما سوى البارئ تعالى فهو حرف ، لأن له صورة : إما حسية ، وإما معنوية . فالمخلوقات حروف ، والعقول حروف ، والحرف هو كل ما سوى الحق . فكل ما سوى الله تعالى حرف ، ويدل على محروف .

٢- عن **الكلمات** قال سماحة الإمام ﷺ : كَلِمَاتُهُ التَّامَّاتُ : هُمْ أَهْلُ مَحَبَّتِهِ وَوِلاَيَتِهِ .

فـ (كلمات الله) هي مخلوقاته تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ {لقمان : ٢٧} . و(كلمة الله العليا) و (كلمة الله التامة) هي أعلى المخلوقات وهو الإنسان الكامل ، وهو رسول الله ﷺ ، أو خليفة رسول الله ﷺ في كل زمان ومكان . رُوي عن الإمام علي كرم الله وجهه أنه قال : (**أنا الم ذلك الكتاب ، أنا كهيعص ، أنا القرآن الناطق ، أنا كلمة الله العليا**) . وقال في موضع آخر : =

﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ ﴾ {التحريم : ١٢} .

﴿ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ {الأعراف : ١٥٨} .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ {النساء : ١٧١} (١) .

= (إني الكلمة التامة ، والآية الباقية والحجة البالغة) ومن هنا قال الشيخ محيي الدين بن عربي في مقدمة كتابه : (فصوص الحكم) : ﴿الحَمْدُ للهِ مُنَزِّلِ الحِكَمِ عَلَى قُلُوبِ الكَلِمِ﴾ و (الكلم) هنا جمع كلمة ، وهم الكلمات التامات ، وهم الأنبياء وكمل الأولياء .

١- قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ : كلمات الله جمع كلمة وهي أعيان الكائنات قال تعالى : ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ {النساء : ١٧١} . وهو عين عيسى ، لم يلق إليها غير ذلك ، ولا علمت غير ذلك ، فلو كانت الكلمة الإلهية قولاً من الله ، وكلاماً لها مثل كلامه لموسى ﵇ لسُرَّت ، ولم تقل : ﴿ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ {مريم : ٢٣} . فلم تكن الكلمة الإلهية التي ألقيت إليها إلا عين عيسى روح الله وكلمته وهو عبده ، فنطق عيسى ببراءة أمه في غير الحالة المعتادة ، ليكون آية ، فكان نطقه كلام الله في نفس الرحمن ، فنفس الله عن أمه بذلك ما كان أصابها من كلام أهلها ، بما نسبوها إليه مما طهرها الله عنه .

فَالْكَلِمَةُ فِيهَا مَعْنًى زَائِدٌ عَنِ الحَرْفِ (١) .

الرَّسُولُ : لَهُ الرِّسَالَةُ ، وَالنُّبُوَّةُ ، وَالوِلَايَةُ ، وَالإِيمَانُ .

وَالنَّبِيُّ : لَهُ النُّبُوَّةُ ، وَالوِلَايَةُ ، وَالإِيمَانُ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ :

خَزَائِنُ اللهِ الكَلَامُ . نَعِيمُهُ كَلَامٌ ، وَعَذَابُهُ كَلَامٌ .

الكَوْنُ كُلُّهُ حُرُوفُ كَلِمَاتِكَ .

كُلُّ الكَلَامِ مَيِّتٌ . وَأَنْتَ تَنْفُخُ الرُّوحَ فِي أَيِّ كَلِمَةٍ شِئْتَ .

جَعَلْتُكَ خَلِيفَتِي ؛ فَجَعَلْتُكَ مُتَكَلِّمًا بِكَلَامٍ هُوَ كَلَامِي :

﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ {الذاريات : ٢٣} . فَالنُّطْقُ أَحَقُّ الحَقِّ .

فَاللهُ يَنْطِقُ بِمَا يَشَاءُ مِنْ كَلَامِهِ ، عَلَى أَلْسِنَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ .

قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ : بعد نظم الحروف وضم بعضها إلى بعض فتكون كلمة عند ذلك من الكلم . انظر إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ {الحجر : ٢٩ ، ص : ٧٢} ، وهو ورود الحركات على هذه الحروف بعد تسويتها ، فتقوم نشأة أخرى تسمى كلمة ، كما يسمى الشخص الواحد منا إنساناً ، فكهذا انتشأ عالم الكلمات والألفاظ من عالم الحروف ، فالحروف للكلمات موادّ ، كالماء والتراب والنار والهواء لإقامة نشأة أجسامنا ، ثم نفخ الروح الأمري فكان إنساناً .

وَالوَلِيُّ : لَهُ الوِلَايَةُ ، وَالإِيمَانُ .

فَهُنَاكَ وِلَايَةُ إِيمَانٍ .

وَوِلَايَةِ إِيمَانٍ وَنُبُوَّةٍ .

وَوِلَايَةُ إِيمَانٍ وَنُبُوَّةٍ وَرِسَالَةٍ .

وَكُلُّ دَرَجَةٍ كَلِمَةٌ (١) .

١- عن درجات الولاية والنبوة والرسالة ، قال سماحة الإمام قدس الله سره :

هناك فرقٌ بين الولاية والنبوة والرسالة :

الولاية : هي المعارفُ التي يتحقق بها الإنسانُ بينه وبين ربه .
الصالحون لهم ولاية ، والأنبياء لهم ولاية ، والرسل لهم ولاية . لكن ولاية النبي أعلى من ولاية الصالحين . وولاية الرسول أعلى من ولاية النبي . وولاية أولي العزم من الرسل أعلى من ولاية الرسل . وولاية رسول الله ﷺ أسمى وأرقى من كل ولاية .

والنبوة : هي أن يوحي الله إلى رجل بشرع يتعبده به في خاصة نفسه . ولكن ولايته أعظم من نبوته . إذ الولاية هي الأسرار والمعارف بينه وبين ربه ، ولكن النبوة هي ظاهر الشرع الذي سيعبد به ربه .

والرسالة : هي أن يوحي الله تعالى إلى رجل بشرع ، ويرسله إلى الناس يأمرهم به . =

= الرسول ما عنده من علم الرسولية إلا قدر ما تحتاج إليه أمته ، لا أكثر ولا أقل .

- الرسول جمع بين الرسالة والنبوة والولاية .
- والنبي جمع بين النبوة والولاية .
- والعارفون انفردوا بالولاية .

فإذا رأيت الرسول أو النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع الظاهر ، فذلك من حيث هو ولي وعارف . مثال ذلك ؛ قول رسول الله ﷺ : «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وَلَا فَخْرَ**» . وقوله ﷺ : «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**» . وقوله ﷺ : «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**» . عَن أَبِي رَزِينٍ ، رضي الله عنه ، قَالَ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ ؟ . قَالَ : «**كَانَ فِي عَمَاءٍ ، مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ ، وَمَا ثَمَّ خَلْقٌ ، عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ**» .

- فتفاضل الرسل بحسب تفاضل المرسل إليهم .
- وتفاضل الأنبياء بحسب استعدادهم في المعرفة والنبوة .
- وتفاضل الأولياء بحسب اتساع استعدادهم في التلقي .

يتولى الله تعالى الرسل ، ويفضل بعضهم على بعض : ﴿**تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ**﴾ {البقرة : ٢٥٣} . ويتولى تعالى الأنبياء ، ويفضل بعضهم على بعض : ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾ {الإسراء : ٥٥} . ويتولى الله تعالى الخلق ، ويفضل بعضهم على بعض : =

= ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ {النحل : ٧١} . والرزق منه روحاني وهو رزق العارفين ، ومنه علمي للعلماء ، ومنه حسي كالغذاء والمال لكل الخلق .

ورد في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**» . والخلفاء الكثيرون هم الأولياء ، فالولاية لا تنقطع أبدًا . أما النبوة والرسالة فقد انقطعتا بانتقال رسول الله ﷺ .

سمى الله تعالى نفسه بالولي ، ولم يتسم بالنبي ولا بالرسول : ﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ ﴾ {الشورى : ٩} .

قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾ {الأحزاب : ٤٠} . وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ ، فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ**» . وذلك معناه أنه لن يأتي بعده من يرسله الله بشرع جديد ؛ لا في نفسه فيصير نبيًّا ، ولا للناس فيصير رسولًا . حتى عيسى ﷺ حين ينزل في آخر الزمان ، سينزل بصفته وليًّا ، لا بصفته رسولًا أو نبيًّا . ولذلك سيقدم المهدي ليؤصل هذا المفهوم . وسيحكم بشرع رسول الله ﷺ في نفسه وللناس . مع العلم بأن ولاية عيسى ﷺ أعلى من ولاية المهدي ، إلا أن عيسى ﷺ نظر إلى أن المهدي هو القائم مقام رسول الله ﷺ . أما الصلاة التي تلت هذه الصلاة ؛ فقد كان المهدي قد انتقل بين الصلاتين ، فخلصت الإمامة والخلافة لسيدنا عيسى ﷺ .

أبقى الله تعالى للناس من أمة رسول الله ﷺ الولاية التي لا تشريع فيها .

وأبقى لهم من الرسالة والنبوة ؛ مستويين :

أولًا – الوراثة المحمدية من قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ =

= أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾ {النساء : ١٠٥} وهي الحكم بالبصيرة ، وهو للأولياء ، كما ورد في الحديث عَنْ وَابِصَةَ الْأَسَدِيِّ ، ﷺ ، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لَا أَدَعَ شَيْئًا مِنَ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَفْتُونَهُ ، فَجَعَلْتُ أَتَخَطَّاهُمْ ، فَقَالُوا : إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقُلْتُ : دَعُونِي فَأَدْنُو مِنْهُ ، فَإِنَّهُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَدْنُوَ مِنْه ُ، قَالَ : «**دَعُوا وَابِصَةَ ، ادْنُ يَا وَابِصَةُ**» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، قَالَ : فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : «**يَا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ أَمْ تَسْأَلُنِي؟**» قُلْتُ : لَا ، بَلْ أَخْبِرْنِي ، فَقَالَ : «**جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ**» فَقَالَ : نَعَمْ ، فَجَمَعَ أَنَامِلَهُ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِنَّ فِي صَدْرِي ، وَيَقُولُ : «**يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ، وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، «**الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ**» . ولتستفت قلبك ، وجب أن تكون من المحدَّثين ، كما بين رسول الله ﷺ في الحديث الشريف الصحيح : «**قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ**» .

ثانيًا – التشريع في الاجتهاد في ثبوت الأحكام ، واستنباط الدليل ، وهي وراثة سليمانية من قوله تعالى : ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ ﴾ {الأنبياء : ٧٩} . فأعطيت هذه الأمة رتبة سليمان عليه السلام ، فأبقى لهم الوراثة في التشريع ، فقال : «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**» . وقال : «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**» . فالشرع أباح للعلماء أن يسنوا . والشرع أثاب على الاجتهاد ، سواءًا كان خطأً أم صوابًا ، بعد استفراغ =

العَالَمُ كُلُّهُ حَقٌّ ، لِأَنَّهُ مَا بَرَزَ إِلَّا عَنِ الحَقِّ (١) .

وَالخِلَافُ أَكْبَرُ وَهْمٍ ، إِذْ لَا خِلَافَ .

وَلَكِنَّ النَّاسَ تَوَهَّمُوا وُجُودَهُ وَاصْطَنَعُوهُ .

= المجهود ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ ، فَاجْتَهَدَ ، فَأَصَابَ ، فَلَهُ أَجْرَانِ . وَإِذَا حَكَمَ ، فَاجْتَهَدَ ، فَأَخْطَأَ ، فَلَهُ أَجْرٌ» .

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ : الولاية هي سِرُّ العناية ، لا تُنال بحيلة ، ولا تُدرك بطلب .

الله تعالى يتولى الأولياءَ ، فيرفعهم من العلم بهم إلى العلم به .

١- قال سماحة الإمام ﷺ :

رَأَيْتُ الحَقَّ فِي الأَعْيَانِ حَقًّا ... وَفِي الأَسْمَا فَلَمْ أَرَهُ سِوَائِي
وَلَسْتُ بِحَاكِمٍ فِي ذَاكَ وَحْدِي ... فَهَذَا حُكْمُهُ فِي كُلِّ رَائِي
وَعِنْدَ المُثْبِتِينَ خِلَافُ هَذَا ... هُوَ الرَّائِي وَنَحْنُ لَهُ المَرَائِي

ولله در من قال :

فَقُلْ لِّلْحَقِّ : إِنَّ الحَقَّ مَا هُو ... سِوَاهُ فَهْوَ حَقٌّ فِي الحَقِيقَةِ
فَلَمْ أَنْظُرْ بِعَيْنِي غَيْرَ عَيْنِي ... فَعَيْنُ الحَقِّ أَعْيَانُ الخَلِيقَةِ

الحق : هويته الحق . وظاهره الخلق . قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ {البقرة : ١١٥} . فأثبت المشرق والمغرب ، وأثبتك ، ثم أعلمك =

= باضمحلال الكل بظهور وجهه تعالى ، وذكَّرك بصفته التي استوجبت ذلك بأنه تعالى واسع عليم . اسمه الحق . قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ {الحج : ٦ ، ٦٢ . لقمان : ٣٠} . ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ {النور: ٢٥} .

الحق هو المخلوق به ، فخَلْقُ كل شيءٍ حَقُّهُ . قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ {الحجر : ٨٥} .

فالحق المنزِّل . والحق التنزيل . والحق المنزَّل . قال تعالى : ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ {الإسراء : ١٠٥} . ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ {البقرة : ١١٩} .

الحق طلب الحقوق . فبالحق يطلب الحق . ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ {الكهف : ٢٩} .

والحق من الله ، من حيث هو ربنا . ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ {يونس : ٣٢} . فالحق الوجود . والضلال الحيرة في النسبة .

ومن صُرِف عن الحق ، إلى أين يذهب ؟ . ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ {التكوير : (٢٦ – ٢٧)} . أي أصحاب العلامات والدلائل . فالحق ، هويته هي الظاهرة في المظهر الذي به كانت رتبة الربوبية . فإن أعطى فهو الآخذ ، وإن أخذ فهو المعطي . فمن عرفه ، عرف الحق .

قال تعالى : ﴿ نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ {محمد : ٢} . فالواو رابط . والجملة الإسمية من المبتدأ والخبر في : ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ في محل نصب حال لسيدنا محمد ﷺ ، لأن الجمل بعد المعارف أحوال . وسيدنا محمد هو أقرب موصوف . أي حالة كونه ﷺ الحق . وفي الحديث الصحيح : =

= ﴿**ومحمد حق**﴾ ، أفرد نفسه هنا في هذا الحديث رغم أن بقية الحديث فيها : ﴿**والنبيون حق**﴾ لأنه ﷺ مخصوص بالتجلي الذاتي ، وهم – سلام الله عليهم – لهم التجلي الصفاتي والأسمائي . ثم دلنا في بقية الحديث أن الحق هو الله تعالى . وأن باقي المخلوقات خلقت من الحقيقة المحمدية المخصوصة بهذا التجلي الذاتي قائلا : ﴿**اللَّهُمَّ لَكَ الحمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحمْدُ ، أَنْتَ الحقُّ ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالجنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ**﴾ . في لفظ البخاري في الصحيح : **أنت الحق** : لفظة (حق) معرفة بـ (ال) لأنه تعالى الظاهر . **والجنة حق ، والنار حق** ، ... : لفظة (حق) منكرة لأنه هنا الباطن .

قال تعالى : ﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**﴾ {الحديد : ٣} . وقال تعالى : ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ {البقرة : ١١٥} . ويؤيد ما ذهبنا إليه ، قوله تعالى : ﴿**قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ {يونس : ١٠٨} . وفي تفسير القرطبي "الحق" : أي القرآن . وقيل : الرسول ﷺ . وقال تعالى : ﴿**فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ**﴾ {الأنعام : ٥} . وفي تفسير القرطبي : "بالحق" : يعني بالقرآن ، وقيل : بسيدنا محمد ﷺ .

وعندنا أن القرآن هو سيدنا محمد ﷺ ؛ لأنه كان قرآنا يمشي على الأرض ، بدليل قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خُلُقِهِ ﷺ ، فقالت : ﴿**كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ**﴾ .

قال تعالى : ﴿**وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ**﴾ {الحجر : ٨٥} . فقصر الخلق على الحق ، بأسلوب القصر : (ما ... إلا) . ﴿**إِلَّا بِٱلْحَقِّ**﴾ : يعني برسول الله ﷺ ، حين شفع =

= في المخلوقات إلى الله تعالى ، أن يخرجها من العدم إلى الوجود ، فكساه الله تعالى من صفاته وأسمائه وأفعاله ، وقال له : اخرج عليهم : فمن رآك رآني ، فصح عنه ﷺ أنه قال : ﴿**مَنْ رَآنِي ؛ فَقَدْ رَأَى الحقَّ**﴾ ، وفي رواية أخرى : ﴿**مَنْ رَآنِي ؛ فَقَدْ رَآنِي الحقَّ**﴾ . ومن سمعك فقد سمعني . قال تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ {التوبة : ٦} . وبديهي أنه سيسمع كلام الله من سيدنا محمد ﷺ ، فمن سمع سيدنا محمد ﷺ فقد سمع الله . ومن أطاعك فقد أطاعني ، قال تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ {النساء : ٨٠} . ومن بايعك فقد بايعني ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ {الفتح : ١٠} . وجعل يده تعالى ، عين يد سيدنا محمد ﷺ ، في البيعة ، فقال : ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ {الفتح : ١٠} . وفي الظاهر كانت يد سيدنا محمد ﷺ هي التي فوق أيديهم . وهذا الحق تسميه الطائفة بـ (الحق المخلوق به) ، ويُسمى بالروح المحمدي ، ويسمى بالحقيقة المحمدية : قال جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ : سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله تعالى ، فقال : ﴿**هُوَ نُورُ نَبِيِّكَ يَا جَابِرُ**﴾ .

قال تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾ {الحديد : (١-٥)} . وتوضيح ذلك هو أنه تعالى : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ {الحديد : ٣} . فسمى لنا نفسه أولاً . فبدؤه أولية الحق ، وهي نسبة =

= لأن مرجع الموجودات في جودها إلى الحق ، فلا بد أن تكون نسبة الأولية له . فبدؤه : نسبة الأولية له . ونسبة الأولية له ، لا تكون إلا في المظاهر . فظهور الحقيقة المحمدية ؛ هو أول مظهر عن الله . وهو الواحدية التي ظهرت عن الأحدية . والواحدية هي الألف . والألف داخلة في كل حروف الهجاء . فظهر كل الخلق عن الحقيقة المحمدية . قال الله تعالى : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ {الحديد : ١} . ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ فهو المسبَّح . ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من حيث أعيانهم . ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ وهو العزيز المنيع الحمى من هويته ، الحكيم بمن ينبغي أن يسبَّح له . الضمير يعود على [الله] ، من : ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ {الحديد : ٢} . ولهذا يسبحه أهلها ، لأنهم مقهورون محصورون في قبضة السموات والأرض . ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ يحيي العين ، ويميت الوصف . فالعين لها الدوام من حيث حييت ، والصفات تتوالى عليها ، فيميت الصفة بزوالها عن هذه العين ، ويأتي بأخرى . ﴿وَهُوَ﴾ الضمير يعود على الله . ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي شيئية الأعيان الثابتة ، يقول : إنها تحت الاقتدار الإلهي . ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ {الحديد : ٣} . الضمير يعود على الله من (لله) . والأول خبر الضمير الذي هو المبتدأ ، وهو في موضع الصفة لله . ومسمى الله إنما هو من حيث المرتبة ، وأول مظهر ظهر هو الحقيقة المحمدية . والعين ما كانت مظهراً إلا بظهور الحق فيها ، فهي أول . والكلام في الظاهر في المظهر ، لأن به تميَّز . فالأول هو الله ، وسيدنا محمد ﷺ حجاب عليه ، ومِجَنٌّ لتوالي الصفات عليه . =

= ولما كانت الأعيان كلها – من كونها مظاهر – نسبتها إلى الألوهية نسبة واحدة – من حيث ما هي مظاهر – تسمى الله بـ (الآخر) . فهو الآخر آخرية الأجناس ، لا آخرية الأشخاص . وهو الأول بأولية الأجناس ، وأولية الأشخاص ، لأنه ما أوجد إلا عيناً واحدة ، وهو (نور نبيك) . كيفما شئت سميته . ولما كان العالم له الظهور والبطون – من حيث ما هو مظاهر – كان هو سبحانه الظاهر لنسبة ما ظهر منه ، والباطن لنسبة ما بطن منه . ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ شيئية الأعيان ، وشيئية الوجود ، من حيث أجناسه وأنواعه وأشخاصه . فقد تبين أن بدأه عين وجود سيدنا محمد . وهو الحق المخلوق به السماوات والأرض .

قال تعالى : ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ {يونس : ٣٢} . وليس بعد الحق إلا الخلق والضلال والحيرة . فبالخلق ظهر حكم الضلال .

فَعَيْنُ وُجُودِ الحَقِّ نُورٌ مُحَقَّقٌ ... وَعَيْنُ وُجُودِ الخَلْقِ ظِلٌّ لَهُ تَبَعُ

فالحق عين الوجود . والخلق قَيَّدَهُ بالإطلاق . فالخلق قيده مقيد ، فلا حكم إلا له وبه . والحق الحاكم ، لا يحكم إلا بالحق . فحق الحق ؛ عين الخلق : ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ {يونس : ٣٢} . والأمر كما قلناه . وماسُمِّيَ الحق خلقاً إلا بما يخلق منه . فالخلق جديد ، وفيه حقيقة اختلاق ، لأنك تنظر إليه من وجه ، فتقول : هو خلق وهو في نفسه لا حق ولا غير حق . فإطلاق الحق عليه ، أو الخلق ، كأنه اختلاق ، فغلب عليه هذا الحكم ، فسُمِّيَ خلقاً . وانفرد الحق باسم الحق ، إذ كان له وجوب الوجود بنفسه . وكان للخلق وجوب الوجود به ، لا أقول بغيره ، فإن الغير ما له عين هنا ، وإن كان له حكم ، كالنسب ، لا عين لها ، ولها الحكم . =

= فبالحق خلق السماء والأرض . وبالحق نزل القرآن ، ومن الحق نزل ، وللحق نزل . ففي الخلق تاه الخلق ، لأنه ليل سُلِخ منه النهار ، فإذا هم مظلمون ، حيارى ، ما لهم من نور يهتدون به ، كما جعل الله النجوم لمن يهتدي بها في ظلمات البر والبحر ، وهو نظر العامَّةِ .

والخواص في ظلمات لا يبصرون : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ {البقرة : ١٧١} . تارة يقولون : نحن نحن ، وهو هو . وتارة يقولون : هو نحن ، ونحن هو ، وتارة يقولون : لا نحن نحن مخلصون ، ولا هو هو مخلص . ثم صدق الله هؤلاء الخواص في حيرتهم ، بقوله تعالى لأخص خلقه علماً ومعرفة : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ {الأنفال : ١٧} . فنفى عين ما أثبت ، فما أثبت وما نفى . فأين العامة من هذا الخطاب ؟ فالعلم بالله حيرة ، والعلم بالخلق حيرة . وقد حجر النظر في ذاته ، وأطلقه في خلقه . فالهداية في النظر ، لا في الخلق ، لأنه الهادي ، وقد هدى . والعمى في النظر في الحق ، فإنه قد حجر ، وجعله سبيل الردى . وهذا خطاب خاطب به العقلاء ، ما خاطب به أهل الجمع والوجود . فما نظر قط أهل الخصوص في اكتساب علم به ولا معلوم ، وإنما جعل لهم أن يهيئوا محَالَّهم ، ويطهروا قلوبهم : ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ {المائدة : ٥٢} . لأنهم عاينوا ما وصلوا إليه بالفتح الإلهي ، والأمر عين ما انفصلوا عنه ، فما زادهم إلا إيماناً بالحيرة ، وتسليماً لحكمها . ومن هذه الحضرة قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ {الأنبياء : ١٨} . أثبت أن الباطل شيء ، قَذَفَ بالحق عليه ، فدمغه ، فإذا الباطل زاهق . ولا يزهق إلا ما له عين . وما نتخيل أن له عيناً ؛ فلا بدَّ له من رتبة وجودية ، خيالاً كانت =

= أو غير خيال ، وقد اعتنى بها على كل حال . ثم أنه من أعظم الحيرة في الحق ؛ أن الحق له الوجود الصرف ، فله الثبوت ، وصور التجلي حق بلا شك . ما من صورة يتجلى فيها ؛ إلا ذهبت ما لها رجوع ولا تكرار ، وليس الزهوق سوى عين الذاهب ، فأين تذهبون . فهل في الحق باطل ؟ . أو ما هو الباطل ؟ . وما أذهب الصورة إلا قذف الصورة الأخرى ، وهي تذهب ذهاب أختها . فهي من حيث ورودها حق ، ومن حيث زهوقها باطل . فهي الدامغة المدموغة . فصدق من نفى رؤية الحق ، فإن الحق لا يذهب . فإنه إن كانت الصور صورنا ، فما رأينا إلا أنفسنا ، ونحن ليس بباطل ، وقد زهقنا بنا ، فنحن الحق ، لأن الله بنا قذف علينا ، فما أتى علينا إلا منا . فالله بالحق قاذف ، والعبد للحكم الإلهي واقف . فلا تعتمد على من له الزهوق ، فإنه ما يحصل بيدك منه شيء . ولا تعتمد إلا عليك ، فإن مرجعك إليك . وإلى الله ترجعون ، كما ترجع الأمور .

فمن هنا قال من قال ، من رجال الله : أنا الله . فاعذروه .

فإن الإنسان بحكم ما تجلى له ، ما هو بحكم عينه ، وما تجلى له غير عينه .

فسلم ، واستسلم ، فالأمر كما شرحته .

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ {الأنعام : ١٤٩} .

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ {النحل : ٩} .

سند حديث الحكمة

سَأُتْحِفُكُمُ اليَوْمَ بِحَدِيثِ الحِكْمَةِ .

مُسَلْسَلاً بِأَعْلَى سَنَدٍ عَلَى الإِطْلَاقِ .

أَنَا شَخْصِيًّا أَتَعَجَّبُ مِنْ هَذَا السَّنَدِ .

حَتَّى أَنِّي رَاجَعْتُهُ مِرَاراً وَتِكْرَاراً ، فَوَجَدْتُهُ صَحِيحاً .

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ ﴾ { المائدة : ٥٤ ، الحديد : ٢١ ، الجمعة : ٤ } .

فَخُذُوهُ هَنِيئًـــا مَرِيئًـــا ، وَكُونُوا مِنَ الشَّاكِرِينَ .

فَنَرْوِيهِ عَالِياً :

١- عَنْ أَحْمَدِ بْنِ صَالِحِ السِّوِيدِي البَغْدَادِيِّ بِإِجَازَتِهِ لِجَدِّي الشَّرِيفِ العَلَّامَةِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ التِّجَانِيِّ ، لِأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ .

٢- عَنْ نَادِرَةِ الزَّمَانِ الحَافِظِ مُرْتَضَى الزَّبِيدِيِّ الحَسَنِيِّ ، بِإِجَازَتِهِ لِجَدِّ الشَّيْخِ أَحْمَدِ بْنِ صَالِحِ السِّوِيدِيِّ ، لِأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ .

٣- عَنِ المُعَمَّرِ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَّةَ الفُلَّانِيِّ المَالِكِيِّ .

٤- عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ العَجِلِ اليَمَنِيِّ .

٥- عَنِ القُطْبِ النَّهْرَوَالِيِّ .

٦- عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدِ بْنِ أَبِي الفَتْحِ الطَّاوُوسِيِّ .

٧- عَنِ المُعَمَّرِ بَابَا يُوسُفِ الهَرَوِيِّ .

٨- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شَاذْبُخْتِ الفَارِسِيِّ الفِرْغَانِيِّ .

٩- عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ العِيدِ .

١٠- عَنِ المُعَمَّرِ عُثْمَانَ بْنِ الخَطَّابِ .

١١- عَنِ الإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :

﴿ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤمِنِ ، حَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا ﴾ (١)

وَبِنَفْسِ السَّنَدِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ :

﴿ إِذَا أَعْرَضَ اللهُ عَنِ العَبْدِ أَوْرَثَهُ الإِنْكَارَ عَلَى أَهْلِ الدِّيَانَاتِ ﴾ (٢)

صَدَقَ رَسُولُ الله ﷺ . وَلَا يُوجَدُ أَعْلَى وَلَا أَقْرَبَ مِنْ هَذَا السَّنَدِ اليَوْمَ .

١- **الحكمة** : هي العلم بالأشياء على ما هي عليه .

ضالّة المؤمن : أي بمنزلة الضّالّة التي هو ناشد لها وساعٍ في طلبها .

هذا الحديث رواه أيضاً عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مسلسلاً الشيخ الكتاني في فهرس الفهارس بسند يلتقي مع سند سماحة الإمام عند محمد بن شاذبخت إلى الإمام علي . كما رواه كل من الخطيب البغدادي وابن عساكر في تاريخيهما وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . كما رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : «**الكَلِمَةُ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا**» . كما رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى وابن عساكر في تاريخه عن سعيد بن أبي بردة رضي الله عنه بلفظ : «**الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، يَأْخُذُهَا حَيْثُ وَجَدَهَا**» . كما رواه الشهاب القضاعي وابن عساكر في تاريخه عن زيد بن أسلم رضي الله عنه بلفظ : «**الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، حَيْثُمَا وَجَدَ الْمُؤْمِنُ ضَالَّتَهُ فَلْيَجْمَعْهَا إِلَيْهِ**» .

٢- هذا الحديث أورده الكتاني في فهرس الفهارس مسلسلا بسند يلتقي مع سند سماحة الإمام عند المعمر عثمان بن الخطاب عن الإمام علي كرم الله وجهه .

التنزل الخامس والخمسون ومائة

هو روح العالم

حِينَ سَخَّرَ اللهُ لَكَ الأَسْبَابَ ؛

جَعَلَ بَعْضَهَا فِي يَدِكَ . وَبَعْضَهَا فِي يَدِهِ ، رَحْمَةً بِكَ .

إِذْ لَوْ جَعَلَهَا كُلَّهَا فِي يَدِكَ لأَشْقَاكَ بِهَا .

وَلَمَا اسْتَطَعْتَ العَيْشَ ، وَلَا النَّوْمَ ، وَلَا الرَّاحَةَ .

وَلَشَقَيْتَ بِقَيُّومِيَّتِكَ لِلأَشْيَاءِ .

مَنْ يُحَرِّكُ الأَفْلَاكَ وَالأَمْلاكَ وَالذَّرَّاتِ ؟

وَالهَوَاءَ وَالأَمْطَارَ وَالرِّيَاحَ وَالسَّحَابَ ؟

وَالأَسْمَاكَ وَالطُّيُورَ وَالحَيَوَانَ وَالحَشَرَاتِ ؟

كُلُّهَا بِيَدِ الله .

مَنْ يُحَرِّكُ القُلُوبَ ؟

وَيَهْضِمُ الطَّعَامَ ؟

وَيُغَذِّي الخَلَايَا ؟

وَيُصَرِّفُ الذَّرَّاتِ ؟

كُلُّهَا بِيَدِ الله .

كُلُّهَا لَا تَتَحَمَّلُهَا بَشَرِيَّتُكَ .

لَابُدَّ مِنْ تَدْبِيرِ الرُّبُوبِيَّةِ .

بَلْ لَا وُجُودَ إِلَّا وُجُودُهُ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : **حقيقة الأمر** : أن الله تعالى عين الهادي والمضل . فهو المتجلي في الصورة المحمدية ، بالهداية ، لحصول السعادة لأهل اليمين . وهو المتجلي في الصورة الإبليسية بالغواية ، لحصول الشقاوة لأهل الشمال . وهو المتجلي في صور أهل السعادة ، وصور أهل=

= الشقاوة . كما أنه المتجلي في الهداية والغواية نفسها . ولهذا وسعت رحمته كل شيء . لأنه حقيقة كل شيء . فلا وجود لشيء إلا بوجوده سبحانه وتعالى . فهو حقيقة كل موجود !

وما حجبك عن الله وجود موجود معه ، إذ لا شيء معه ، ولكن حجبك عنه توهم موجود معه ، فالحق تعالى ظاهر ، ونوره للبصائر باهر ، إنما حجبه مقتضى اسمه الحكيم ، واسمه القاهر ، فمن قهاريته تعالى أن احتجب بلا حجاب . وأيضا قوالب العبودية حجبت مظاهر أنوار الربوبية ، ووجود الحكمة ستر ظهور القدرة ، وقال بعض العارفين : الحق تعالى منزه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة ، ومع ذلك لا يخلو منه أين ولا مكان ، ولا كم ولا كيف ، ولا جسم ولا جوهر ولا عرض ، لأنه للطفه سار في كل شيء ، ولنوريته ظاهر في كل شيء ، ولإطلاقه وإحاطته متكيف بكل كيف ، غير متقيد بشيء ، ومن لم يذق هذا ولم يشهده فهو أعمى البصيرة ، محروم عن مشاهدة الحق :

هو الحق المحيط بكل شيء ... هو الرحمن ذو العرش المجيد
هو النور المبين بغير شك ... هو الرب المحجب في العبيد
هو المشهود في الإشهاد يبدو ... فيخفيه الشهود عن الشهيد
هو العين العيان لكل غيب ... هو المقصود من بيت القصيد
جميع العالمين له ظلال ... سجود في القريب وفي العبيد

وقال الشيخ عبد السلام بن مشيش ، مخاطبا لوارثه الشيخ أبي الحسن الشاذلي ، رضي الله عنهما =

= في وصية له :

حدد بصر الإيمان تجد الله تعالى في كل شيء .

وعند كل شيء ، وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء .

وفوق كل شيء ، وتحت كل شيء ، وقريبا من كل شيء ، ومحيطا بكل شيء .

بقرب هو وصفه ، وبحيطة هي نعته .

وعُد عن الظرفية والحدود ، وعن الأماكن والجهات .

وعن الصحبة والقرب في المسافات ، وعن الدور بالمخلوقات .

وامحق الكل بوصفه : الأول والآخر والظاهر والباطن .

وهو ، هو ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان .

وأما قوله : وهو الآن على ما عليه كان ، وإن لم يرد في الحديث الصحيح ، فهو في نفسه صحيح ، إذ لا وجود في الحقيقة للأشياء معه تعالى ، وإنما هي كالخيال ، ووجود الظلال ، فلا تنسخ أحديته ، ولا ترفع فردانيته ، وبالجملة فمن غلب عليه شهود الأحدية ، وكوشف بسر الوحدانية ، واستغرق في الحقيقة العيانية ، انقطع عن الشعور بنفسه ، وغاب عن السوى بالكلية ، وإن رُدَّ إلى الشعور به ، رآه قائما به .

من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محـال

وقال آخر :

فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن ... فما ثم موصول وما ثم بائن

وَلَا إِمْدَادَ إِلَّا مِنْ بَحْرِ جُودِهِ (١) .

العَالَمُ صُورَتُهُ ، وَهُوَ رُوحُ العَالَمِ .

وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ الصُّوَرِ (٢) .

١- قال سماحة الإمام : لَا حَيَاةَ لِمُحِبٍّ إِلَّا بِحَبِيبِهِ . وَلَا قَوَامَ لِعَاشِقٍ إِلَّا بِمَعْشُوقِهِ .

قيل :

ما دُمتُ بينَ يَدَيكمْ فالهَنا مَدَدِي — والبسْطُ حَالِي والأفرَاحُ طَوْعُ يَدِي
أنتمْ حياتِي فإنْ شاهَدْتكُمْ حَضرَتْ — وإن حُجِبْتُمْ تغيبُ الرُّوحُ عَنْ جَسَدِي
لا غَيَّبَ اللهُ عَني وَجهَكمْ أبداً — حَتَّى يَطِيبَ بِكُمْ عَيْشِي إلي الأبَدِ
أَنَا الفقيرُ إليكُمْ والغَنِيُّ بكُمْ — فليسَ لِي بَعدَكُمْ حِرْصٌ عَلَى أحَدِ
يا عِزَّةً ظهرَتْ فِي رَحْمَةٍ نُشِرَتْ — عَلَى القُلُوبِ بِسِرِّ الوَجْدِ والرَّشَدِ
وَافَيْتُ حَضْرَتَكُمْ أَرْجُو مَرَاحِمَكمْ — مُعَوَّداً بِوَفَا مَعْنَاكُمُ الصَّمَدِي
أَنْتُمْ وُجُودِي وَمَوجودِي ووَاجِدُهُ — لا أعْدَمَ اللهُ أَهْلَ الوَجْدِ مِنْ مَدَدِي

٢- ولله در من قال :

تَجَلَّيتَ فِي الأَشياءِ حِينَ خَلَقتَها — فَهَا هِيَ مِيطَت عَنكَ فيها البَرَاقِعُ
قَطَعتَ الوَرى مِن ذاتِ نَفسِكَ قِطعَةً — وَلَم تَكُ مَوصولاً وَلا فَصلُ قاطِعُ
وَلَكِنَّها أَحكامُ رُتبَتِكَ اقتضَت — أُلوهِيَّةً لِلضِّدِ فيها التَجامُعُ

ثلاثة أحاديث بسند واحد

وَإِلَيْكُم تُحْفَةٌ جَدِيدَةٌ ، وَهدِيَّةٌ مَجِيدَةٌ ، بِسَـنَدٍ مُتَّصِلٍ ، بِأَعْلَى مَا وَصَلَ .

فَأَقُولُ :

١- عَنْ مُسْنِدِ الدُّنْيَا الشَّيْخِ أَلْفَا هَاشِمِ المَدَنِيِّ ؛ بِإِجَازَتِهِ لِجَدِّنَا المُعَمَّرِ فَوْقَ المَائَةِ : الشَيْخِ نُـورِ الدِّينِ الشَّرِيفِ أَبِي طَالِبِ بْنِ الشَّرِيفِ عَبْدِ اللهِ التِّجَانِيِّ ، إِجَازَةً لِأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ .

٢- عَنِ الشَّيْخِ المُعَمَّرِ الرَّحَّالَةِ صَالِحِ الفُلَّانِيِّ .

٣- عَنِ المُعَمَّرِ العَلَّامَةِ عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَّةَ الفُلَّانِيِّ .

٤- عَنِ الشَّرِيفِ الوَاوُلَاتِي .

٥- عَنِ الحَافِظِ عَبْدِ الرَّؤُوفِ المَنَاوِيِّ .

٦- عَنِ الإِمَامِ الشَّعْرَانِيِّ .

٧- عَنِ الحَافِظِ السَّيُوطِيِّ .

٨- عَنْ مُسنِدِ الدُّنْيَا مُحَمَّدِ بْنِ مُقْبِلِ الحَلَبِيِّ .

٩- عَنِ الصَّلاحِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَمْرٍو المَقْدِسِيِّ .

١٠- عَنِ العَلَّامَةِ ابْنِ أَحْمَدِ المَقْدِسِيِّ .

١١- عَنْ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ القَاسِمِ الصَّيْدَلَانِيِّ .

١٢- عَنْ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ الجَزْدَانِيَّةِ .

١٣- عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ .

١٤- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَيُّوبَ الطَّبْرَانِيِّ فِي مُعْجَمِهِ الصَّغِيرِ .

١٥- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ القَصَّاصِ .

١٦- عَنْ دِينَارِ بْنِ عَبْدِ اللهِ .

١٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ . أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :

«مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ» (١) .

١- هذا الحديث رواه الترمذي (وقال : حديث حسن) وأحمد والطبراني (وقال الهيثمي : إسناده حسن) وأبو يعلى وهناد في الزهد عن أبي سعيد الخدري ﷺ . وأحمد والبزار والطبراني وأبو الشيخ والشهاب القضاعي والبيهقي عن النعمان بن بشير ﷺ . والضياء المقدسي في المختارة =

وَقَالَ :

﴿طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ،

وَمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي ،

وَمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي﴾ (١)

= وابن أبي الدنيا والطبراني عن أسامة بن عمير ﷺ . والديلمي في مسند الفردوس عن جابر ﷺ .
وبلفظ : «لَا يَشْكُرُ اللهَ ، مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» رواه أبو داود والترمذي والطيالسي وأحمد والبخاري في الأدب والبزار وابن حبان وأبو نعيم والبيهقي عن أبي هريرة .

١- هذا الحديث أورده الحافظ السيوطي مسلسلاً بنفس الإسناد في عشارياته ، كما أورده الحافظ العراقي في عشارياته مسلسلاً بسند آخر يلتقي مع هذا السند من أول أُمِّ إِبْرَاهِيم فَاطِمَةِ بِنْتِ عَبْدِ الله الجَزْدَانِيَّةِ .
كما رواه بهذا اللفظ أبو طاهر ، والواسطي في تاريخ واسط ، وابن عساكر في تاريخه ، وابن نقطة في إكمال الإكمال ، الذهبي في سير أعلام النبلاء ، وأورده كذلك الهيثمي في مجمع الزوائد حديث رقم ١٦٤٢١ عن أنس بن مالك ﷺ . وبهذا اللفظ رواه الحاكم والطبراني عن عبدالله بن بسر ﷺ .

وَقَالَ :

﴿مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ؛
كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ ،
وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ﴾ (١)

صَدَقَ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

فَهَؤُلَاءِ ثَلَاثَــةُ أَحَادِيثٍ بِأَعْلَى سَنَدٍ نَعْلَمُهُ الْيَوْمَ .

١- ملحوظة : سند سماحة الإمام ﷺ في هذا الحديث من الأسانيد النادرة لأن جميع طرق الحديث الأخرى عن أنس ﷺ كانت تتضمن خراش مولى أنس وهو ضعيف .

هذا الحديث أورده السيوطي في عشارياته مسلسلاً بسند فيه : عَن مُحَمَّدُ بْنُ مُقْبِلٍ ، عَنِ الصَّلاحِ ابْنِ أَبِي عُمَرَ ، عَنِ الْفَخْرِ بْنِ الْبُخَارِيِّ ، عَنِ الْحَافِظِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الأَخْضَرِ ، أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ ، ثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّرِيفِينِيُّ ، ثَنَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ الْكَتَّانِيُّ ، ثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَدَوِيُّ ، ثَنَا خِرَاشٌ ، عَنْ أَنسٍ ﷺ .

كما رواه الثقفي في عروس الأجزاء وابن الملقن في المقنع وابن عدي في الكامل في الضعفاء عَنْ خِرَاشٍ ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ .

التنزل السادس والخمسون ومائة

الخلق كله خيال وظلال

قَالَ تَعَالَى : ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ {الرعد : ٣٩} .

فَاللَّوْحُ المَحْفُوظُ هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ ضِمْنِ المَخْلُوقَاتِ (١) .

١- أول مخلوق هو القلم ، وثاني مخلوق هو اللوح ، وكتب القلم في اللوح بيد القدرة ما يكون حتى قيام الساعة ، كما هو مثبت فيما يلي :

روى أبو داود والترمذي والطيالسي والبزار والطبراني والبيهقي عَن عُبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ أنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، يَقُولُ : «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ قَالَ : رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**» يا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : «**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**» .

وروى الفريابي في القدر والبيهقي في القضاء والقدر عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ : «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ، وَمَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبِ الْقَدَرَ ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ رُفِعَ بُخَارُ الْمَاءِ، فَتَفَتَّقَتْ مِنْهُ السَّمَوَاتُ =

= ثُمَّ خلقَ النُّونَ ، فتَحرَّكَ النُّونُ فَمادَتِ الْأَرْضُ ، فَأُثْبِتَتْ بِالْجِبَالِ ، فَإِنَّهَا لَتَفْخَرُ عَلَيْهَا» .

وروى البخاري في صحيحه عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ، فَقَالَ : «**اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ**» ، قَالُوا : قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا ، مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَقَالَ : «**اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ**» ، قَالُوا : قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ الله ، قَالُوا : جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ ؟ قَالَ : «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**» . وهذا الذكر الذي ذُكِر في هذا الحديث فسره لفظ هذا الحديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل : **كَانَ اللهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ ذِكْرَ كُلِّ شَيْءٍ**» .

وروى ابن بطة العكبري في الإبانة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ . فَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ ، فَكَانَ خَلَقَ الْقَلَمَ وَاللَّوْحِ بِقَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا كُونَا ، فَقَوْلُهُ : قَبْلَ خَلْقِهِ ، وَمَا فِي اللَّوْحِ كَلامُهُ ، وَإِنَّمَا مَا فِي اللَّوْحِ مِنَ الْقُرْآنِ الْخَطُّ وَالْكِتَابُ ، فَأَمَّا كَلامُ الله عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾﴾ {عبس : (١٣ – ١٤)} ، وَإِنَّمَا كُرِّمَتْ وَرُفِعَتْ وَطُهِّرَتْ لِأَنَّهَا لِكَلَامِ الله اسْتُوْدِعَتْ» .

قال الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عن شيخنا وعنه : العقل الأول الذي هو أول مبدع خلق ، وهو القلم الأعلى ولم يكن ثم محدث سواه ، وكان مؤثراً فيه بما أحدث الله فيه من انبعاث اللوح المحفوظ عنه كانبعاث حواء من آدم في عالم الأجرام ، ليكون ذلك اللوح موضعاً ومحلاً لما يكتب فيه هذا القلم الأعلى الإلهي ، وتخطيط الحروف الموضوعة للدلالة على ما جعلها =

= الحق تعالى أدلة عليه .... فكان بين القلم واللوح نكاح معنوي معقول ، وأثر حسي مشهود ، وكان ما أودع في اللوح من الأثر مثل الماء الدافق الحاصل في رحم الأنثى ، وما ظهر من تلك الكتابة من المعاني المودعة في تلك الحروف الجرمية ، بمنزلة أرواح الأولاد المودعة في أجسامهم .

عن اللوح المحفوظ قال سماحة الإمام ﷺ :

فاطر السماوات والأرض ، كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ، ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة . والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته ، تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال ، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ، ثم يغض بصره ، يرى صورة السماء والأرض في خياله ، حتى كأنه ينظر إليها ، ولو انعدمت السماء والأرض ، وبقى هو في نفسه ، لوجد صورة السماء والأرض في نفسه ، كأنه يشاهدهما ، وهو ينظر إليهما . ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب ، فيحصل فيه حقائق الأشياء .

والحاصل في القلب ، موافق للحاصل في الخيال . والحاصل في الخيال ، موافق للعالم الموجود حولنا . والعالم الموجود حولنا ، موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ . فكما أن المهندس إذا أراد أن يعبر عن الشجرة – بالرسم على الورق – فإنه يرسمها نقطة ، فهي على الورق نقطة ، وفي الحقيقة شجرة ، فكذلك اللوح ، فيه : اللبن ، معناه العلم . والقيد ، معناه الدين . فالقلب، يتصور أن يحصل فيه ، حقيقة العالم وصورته ، تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ مباشرة . كما أن العين ، يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس ، تارة من النظر إليها ، وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ، ويحكي صورتها . فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين =

فَيَدْخُلُهُ المَحْوُ وَالإِثْبَاتُ .

أَمَّا عِلْمُ اللهِ الأَزَلِيُّ فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مَحْوٌ وَلَا تَغْيِيرٌ وَلَا تَبْدِيلٌ .

بَلْ كُلُّهُ إِثْبَاتٌ وَإِحْكَامٌ (١) .

= اللوح المحفوظ ، رأى الأشياء فيه ، وتفجر إليه العلم منه ، فاستغنى عن الاقتباس من الحواس ، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض ، ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات ، كان ذلك حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ ، و كما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس ، لا يكون ناظرا إلى نفس الشمس ، **فإن للقلب بابان ، أو عينان :**

- **عين مفتوحة إلى عالم الملكوت ، وهو اللوح المحفوظ ، وتسمى عين البصيرة .**
- **وعين مفتوحة إلى الحواس الخمس ، المتمسكة بعالم الملك والشهادة .**

وعالم الملك والشهادة أيضا ، يحاكي عالم الملكوت ، نوعا من المحاكاة ، وهو الفرق بين علوم الأنبياء والأولياء ، وبين علوم العلماء والحكماء : فعلوم الأنبياء والأولياء ، تأتي من داخل القلب ، من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت ، وهو علم موهوب . وعلوم العلماء والحكماء ، تأتي من أبواب الحواس ، المفتوحة إلى عالم الملك ، وهو علم مكتسب . فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم ، واجتلابها إلى القلب . والأولياء يعملون في جلاء مرآة قلوبهم ، وتطهيرها وتصفيتها فقط ، فتنطبع فيها علوم اللوح المحفوظ بغير تعب .

١- هناك ما كتب بالقلم الأعلى في اللوح المحفوظ وهو ثابت لا يتغير ولا يلحقه المحو والإثبات ، ومن هنا سمي باللوح المحفوظ ، أي المحفوظ من التغيير . =

= وإنما هناك ما تكتبه الأقلام في **ألواح المحو والإثبات** ، وهي غير **اللوح المحفوظ** . قال ﷺ عن نفسه على طريق التمدح ، لكونه جاء بحرف الغاية وهو «**حَتَّى**» فذكر أنه «**ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ**» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وهو قوله تعالى : ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الإسراء : ١} . فالضمير في ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ يعود على سيدنا محمد ﷺ ، فإنه عُرِجَ به فرأى الآيات ، وسمع صريف الأقلام ، فوصل إلى سماع أصوات الأقلام وهي تجري بما يحدث الله في العالم من الأحكام ، وهذه الأقلام رتبتها دون رتبة القلم الأعلى ، ودون اللوح المحفوظ ، فإن الذي كتبه القلم الأعلى لا يتبدل ، وسمي اللوح بالمحفوظ من المحو فلا يُمحى ما كتب فيه ، وهذه الأقلام تكتب في ألواح المحو والإثبات ، وهو قوله تعالى : ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ {الرعد : ٣٩} . ومن هذه الألواح تتنزل الشرائع والصحف والكتب على الرسل صلوات الله عليهم وسلامه ، ولهذا يدخل في الشرائع النسخ ، ويدخل في الشرع الواحد النسخ في الحكم ، وهو عبارة عن انتهاء مدة الحكم ، لا على البدء فإن ذلك يستحيل على الله ، وإلى هنا كان يتردد ﷺ في شأن الصلوات الخمسين بين موسى عليه السلام وبين ربه ، إلى هذا الحد كان منتهاه ، فيمحو الله عن أمة رسول الله ﷺ ما شاء من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الألواح ، إلى أن أثبت منها هذه الخمسة ، وأثبت لمصليها أجر الخمسين ، وأوحي إليه أنه لا يبدَّل القول لديه ، فما رجع بعد ذلك من موسى عليه السلام في شأن هذا الأمر ، ومن هذه الكتابة : ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ {الأنعام : ٢} . ومن هذه الألواح وصف نفسه سبحانه بأنه تعالى يتردد : «**وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**» رواه البخاري في صحيحه ، فهو تعالى يتردد في نفسه في قبضه نسمة المؤمن بالموت ، وهو قد قضى عليه ، =

= ومن هذه الحقيقة الإلهية التي كنى عنها بالتردد الإلهي ، يكون سريانها في التردد الكوني في الأمور ، والحيرة فيها ، وهو إذا وجد الإنسان أن نفسه تتردد في فعل أمر ما هل يفعله أو لا يفعله ؟ وما تزال على تلك الحال حتى يكون أحد الأمور التي ترددت فيها ، فيكون ، ويقع ذلك الأمر الواحد ، ويزول التردد ، فذلك الأمر الواقع هو الذي ثبت في اللوح من تلك الأمور المتردد فيها ، وذلك أن القلم الكاتب في لوح المحو يكتب أمراً ما ، وهو زمان الخاطر الذي يخطر للعبد فيه فعل ذلك الأمر ، ثم تمحى تلك الكتابة ، يمحوها الله ، فيزول ذلك الخاطر من ذلك الشخص ، لأنه ما ثم رقيقة من هذا اللوح تمتد إلى نفس هذا الشخص في عالم الغيب ، فإن الرقائق إلى النفوس من هذه الألواح ، تحدث بحدوث الكتابة ، وتنقطع بمحوها ، فإذا أبصر القلم موضعها من اللوح ممحواً ، كتب غيرها ، مما يتعلق بذلك الأمر من الفعل أو الترك ، فيمتد من تلك الكتابة رقيقة إلى نفس ذلك الشخص الذي كتب هذا من أجله ، فيخطر لهذا الشخص ذلك الخاطر الذي هو نقيض الأول ، فإن أراد الحق إثباته ؛ لم يمحه ، فإذا ثبت بقيت رقيقة متعلقة بقلب هذا الشخص وثبتت ، فيفعل ذلك الشخص ذلك الأمر أو يتركه ، بحسب ما ثبت في اللوح ، فإذا فعله ، أو ثبت على تركه ، وانقضى فعله ، محاه الحق من كونه محكوماً بفعله ، وأثبته صورة عمل حسن أو قبيح على قدر ما يكون ، ثم إن القلم يكتب أمراً آخر . هكذا الأمر دائماً ، وهذه الأقلام هذه مرتبتها ، والموكل بالمحو ملك كريم على الله تعالى ، هو الذي يمحو على حسب ما يأمر به الحق تعالى والإملاء على ذلك الملك ، والأقلام من الصفة الإلهية التي كنى عنها في الوحي المنزل على رسوله بالتردد ، ولولا هذه الحقيقة الإلهية ما اختلف =

وَالكَوْنُ كُلُّهُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا اللهُ تَعَالَى .

يُنَعِّمُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ ذَاتَهُ بِذَاتِهِ .

فِي حَضْرَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ .

= أمران في العالم ، ولا حار أحد في أمر ولا تردد فيه ، وكانت الأمور كلها حتماً مقضياً ، كما أن هذا التردد الذي يجده الناس في نفوسهم حتم مقضي وجوده فيهم ، إذ كان العالم محفوظ بالحقائق ، وعدد هذه الأقلام التي يجري على حكم كتابتها الليل والنهار ثلاثمائة قلم وستون قلماً على عدد درج الفلك .

أمَّا القلم الأعلى ؛ فأثبت في اللوح المحفوظ كل شيء يجري من هذه الأقلام ، من محو وإثبات ، ففي اللوح المحفوظ إثبات المحو في هذه الألواح ، وإثبات الإثبات ، ومحو الإثبات عند وقوع الحكم وإنشاء أمر آخر ، فهو لوح مقدس عن المحو ، فهو الذي يمده القلم الإلهي باختلاف الأمور وعواقبها ، مفصلة مسطرة بتقدير العزيز العليم ، ولقلوب الأولياء من طريق الكشف الإلهي الحقيقي في التمثيل من هذه الأقلام كشف صحيح ، كما مثلت الجنة لرسول الله ﷺ في عرض الحائط ، وإنما قلنا أن ذلك الممثل حقيقة – مع كونه ممثلاً – لقول رسول الله ﷺ : أرأيتموني حين تقدمت أردت أن أقطف منها قطفاً ، لو أخرجته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا . ولما مثلت له النار تأخر عن قبلته ، لئلا يصيبه من لهبها ، ورأى فيها ابن لحي وصاحب المحجن وصاحبة الهرة ، وكان ذلك في صلاة كسوف الشمس . وقد قال ﷺ أن الله في قبلة المصلي ، وقد رأى الجنة والنار في قبلته ، كما أن الحائط في قبلته .

وَالخَلْقُ كُلُّهُ خَيَالٌ وَظِلَالٌ لِتَجَلِّيَاتِ الكَمَالِ الإِلَهِيِّ (١) .

وَهَذَا وَاللهِ نِعْمَ النَّسَبِ ، وَغَايَةُ الإِرَبِ .

فَكُلُّنَا عَنْهُ صَدَرْنَا : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ {النساء : ٧٨} .

وَكُلُّنَا إِلَيْهِ مَرْجِعُنَا : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ {البقرة : ٢٤٥} .

وَهُوَ تَعَالَى قَدْ ظَهَرَ لَنَا فِي كُلِّ ظَاهِرٍ مِن اسْمِهِ الظَّاهِرِ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ {الحجر : ٨٥} ، فمثل العالم : مثل الثلج ، والحق سبحانه وتعالى الماء الذى هو أصل هذا الثلج ، فاسم تلك الثلجه على ذلك المنعقد : معار . واسم المائية عليه : حقيقة ، قال الجيلي :

تَجَلَّيْتَ فِي الأَشْيَاءِ حِينَ خَلَقْتَهَا ... فَهَا هِيَ مِيطَتْ عَنْكَ فِيهَا البَرَاقِعُ
قَطَعْتَ الوَرَى مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ قِطْعَةً ... وَلَمْ تَكُ مَوْصُولًا وَلَا فَصْلُ قَاطِعُ
وَلَكِنَّهَا أَحْكَامُ رُتْبَتِكَ اقْتَضَتْ ... أَلُوهِيَّةً لِلضِّدِّ فِيهَا التَّجَامُعُ
فَأَنْتَ الوَرَى حَقًّا وَأَنْتَ إِمَامُنَا ... وَإِنَّكَ مَا يَعْلُو وَمَا هُوَ وَاضِعُ
وَمَا الخَلْقُ فِي التِّمْثَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٍ ... وَأَنْتَ بِهَا المَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ
فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ ... وَغَيْرُ آنٍ فِي حُكْمٍ دَعَتْهُ الشَّرَائِعُ
وَلَكِنْ بِذَوْبِ الثَّلْجِ يُرْفَعُ حُكْمُهُ ... وَيُوضَعُ حُكْمُ المَاءِ وَالأَمْرُ وَاقِعُ

وَلَكِنَّهُ تَنَزَّهَ حَتَّى عَنِ التَّنْزِيهِ نَفْسِهِ بِاسْمِهِ البَاطِنِ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : العقل ، جاء بنصف معرفة الله ، وهو التنزيه ، وسلب أحكام كثيرة عنه تعالى ، وجاء الشارع يخبر عن الله ، بثبوت ما سلب عنه بالعقل بدلالته ، فجاء بالأمرين في آية واحدة : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تنزيه . ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى : ١١} تشبيه . وهذا غاية الكمال الإلهي . وخاطب الحواس والخيال بالتنزيه ، فحارت الحواس والخيال ، وخاطب العقول بالتشبيه ، فحارت العقول ، فعلا جل جلاله عن إدراك العقول والخيال ، وانفرد سبحانه بالحيرة في الكمال .

فلم يعلمه سواه ، ولا شاهده غيره .

فلم يحيطوا به علما ، ولا رأوا له عينا .

ما هي إلا آثار تُشْهَد وجناب يُقصد .

ورتبة تُحمد ، وإله منزه ، ومشبه يُعبد .

هذا هو الكمال الإلهي !

وبقى الإنسان متوسط الحال ، في حيرته بين تشبيه وتنزيه .

فبالإنسان كمل العالم ، وما كمل الإنسان بالعالم .

ولما انحصرت في الإنسان حقائق العالم ، بما هو إنسان ، لم يتميز عن العالم بصغر حجمه خاصة ، وبقيت له رتبة كماله ، فجميع الموجودات قبلت كمالها ، والإنسان انقسم إلى قسمين :

- قسم لم يقبل كماله .
- وقسم قبل الكمال ، فظهرت فيه الحضرة الإلهية بكمالها ، وجميع أسمائها ، فأقام هذا القسم =

وَكُلُّ ذِي اعْتِقَادٍ مُصِيبٌ .

لِتَحَقُّقِهِ بِظُهُورِ اللهِ فِي مُعْتَقَدِهِ (١) .

= خليفة وكساه حلة الحيرة فيه ، فنظرت الملائكة إلى نشأة جسده فقالت ما قالت ، فلما أخبرهم تعالى بحقائقه ، وما أودع فيه ، حارت فيه الملائكة فقالت : ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ {البقرة : ٣٢} . والحائر ، لا علم له ، فأعطاه علم الأسماء الإلهية ، التي لم تسبحه الملائكة بها ، ولا قدسته . وغدا يحمده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمحامد لا يعلمها الآن ، فإن محامد الله بحسب ما تطلبها المواطن والنشآت ، فأعطت نشأة آدم ومن أشبهه من أولاده ، الأهلية للخلافة في العالم ، فظهر بأسماء الحق على كثرة تقابلها ، وحكم بالحق والعدل ، والله هو الحق والعدل .

١- قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ : (حقيق على الخلق أن لا يعبدوا إلا ما اعتقدوه من الحق ، فما عُبِدَ إلا مخلوق ، ولهذا توجهت عليه الحقوق : ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ {البقرة : ٤٠} . فالكل من عندكم ، والدليل : (الله أكبر) إلى (تحوله في الصور) فلولا تحقق العلامة في يوم القيامة ، ما عرف أحد علامة . فيوم النشور هو المعروف المنكور . كل معتقد مخالف من خالفه ، وموافق من وافقه . فما ثم إلا عابد وثن . وهو الحافظ له . والمؤتمن . فانظر ، ما أعجب هذا الأمر ، وما أوضح هذا السرّ ، كيف عاد المحفوظ حافظاً ، وأضحى لمعتقد غيره لافظاً ، وهو هو لا غيره ، وقد جهل أمره ، فوقع التبري ، وحصل التعرّي ، وتجرّد اللابس وعتب السايس فهو الفقير البائس) اهـ . ثم علق ﷺ على ذلك المصطلح في كتاب الفصوص له قائلا : (فإله المعتقدات تأخذه الحدود ، وهو الإله الذي وسعه قلب عبده ، فإن الإله المطلق لا يسعه شيء ، لأنه عين الأشياء ، وعين نفسه . والشيء : لا يقال فيه يسع نفسه ، ولا يسعها .

وَلَكِنَّهُ مُخْطِئٌ ، لِأَنَّهُ حَصَرَ رَبَّهُ فِي هَذَا الاعْتِقَادِ دُونَ سِوَاهُ .

وَهَذَا حَصْرٌ وَتَحْدِيدٌ يَتَنَزَّهُ عَنْهُ جَلَالُ اسْمِهِ الوَاسِعِ .

فَنُقِرُّ كُلَّ عَابِدٍ عَلَى مَعْبُودِهِ (١) .

وَلَا نُقِرُّهُ عَلَى تَحْدِيدِهِ وَتَضْيِيقِهِ .

فَنَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى فِي كُلِّ مَظْهَرٍ ، وَفِي كُلِّ صُورَةٍ .

وَنُنَزِّهُهُ فِي نَفْسِ الوَقْتِ عَنْ كُلِّ صُورَةٍ وَتَصَوُّرٍ وَفَهْمٍ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : فَالْمُحِبُّ يُسَلِّمُ لِكُلِّ ذِي اعْتِقَادٍ بِاعْتِقَادِهِ . أَمَّا هُوَ ، فَيَعْرِفُ اللهَ فِي كُلِّ صُورَةٍ تَجَلَّي لَهُ فِيهَا . أَوْ تَجَلَّى فِيهَا لِغَيْرِهِ .

عَقَدَ الخَلَائِقُ فِي الإِلَهِ عَقَائِدًا ... وَأَنَا شَهِدْتُ جَمِيعَ مَا اعْتَقَدُوهُ

قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن دينه إلى ديني دان
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجَّهتْ ... ركائبه فالحب ديني وإيماني

إِذْ كُلُّ فَهْمٍ لَنَا فَهُوَ مَحْكُومٌ .

وَالمَحْكُومُ مَحْصُورٌ وَمُقَيَّدٌ .

وَاللهُ تَعَالَى جَلَّ عَنْ الحَصْرِ وَالتَّقْيِيدِ ، وَحَتَّى عَنِ التَّنْزِيهِ (١) .

فَتَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ ؛ وَمَهْمَا تَجَلَّى لَكَ الحَقُّ فِي صُورَةٍ عَرَفْتَهُ .

أَمَّا الكُفْرُ فَهُوَ أَنْ تَحْصِرَ اللهَ تَعَالَى فِي صُورَةٍ مَحْسُوسَةٍ أَوْ مُتَخَيَّلَةٍ .

دُونَ صُورَةٍ أُخْرَى (٢) .

١- وإياك والتنزيه فهو مقيد ... وإياك والتشبيه فهو مخادع
وشبهه في تنزيه سبحات وجه ... ونزهه في تشبيه ما هو ضارع
وقل هو ذا بل غيره وهو غير ما ... عرفت وعين العلم فالحق شائع
ولا تك محجوباً برؤية حسه ... عن الذات أنت الذات أنت المجامع

٢- قَالَ أُنَاسٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ فَقَالَ : «هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : «هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ» قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ =

= وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ» . فمن حصر ربه في صورة ، في معتقده ، من التشبيه أو التنزيه ، هو من لم يعرف الله تعالى أول مرة ، ولابد أن يأتي له الحق تعالى في الصورة التي اعتقده فيها ذلك المسكين كي يتعرف عليه !

أما المُحِبُّونَ وَجَدُوا كُلَّ سَبَبٍ يُوَصِّلُ إِلَى سَبَبٍ . وَكُلُّ سَبَبٍ يُوَصِّلُ إِلَى رَبٍّ . غَيْرَ الرَّبِّ الَّذِي يُوَصِّلُ إِلَيْهِ السَّبَبُ الآخَرُ . فَأَلْقَوا بِأَنْفُسِهِم فِي العُبُودِيَةِ . فَخَلَعُوا الأَرْبَابَ ، وَقَطَعُوا الأَسْبَابَ . حَتَّى رَأَوا رَبَّهُمُ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ رَبٍّ . فَعَرَفُوهُ وَعَرَفَهُم ، وَأَحَبُّوهُ وَأَحَبَّهُمُ . رَبُّ المُتَّقِينَ ، لَيْسَ هُوَ رَبُّ المُحِبِّينَ . رَبُّ المُحِبِّينَ ، لَيْسَ هُوَ رَبَّ المَحْبُوبِينَ . لَوْ تَجَلَّى رَبُّ المَحْبُوبِينَ لِلْمُحِبِّينَ لَكَفَرُوا . وَلَوْ تَجَلَّى رَبُّ المُحِبِّينَ لِلْمُتَّقِينَ لأَنْكَرُوا .

سند حديث القسم على الله

أُتحِفُكُم بِتُحْفَةٍ نَادِرَةِ الوُجُودِ ، مِنْ كَلَامِ سَيِّدِ الوُجُودِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ مِنْ حَضْرَةِ الجُودِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً بِغَيْرِ حُدُودٍ .

فَنَرْوِي بِالسَّنَدِ المُتَّصِلِ :

١- عَنِ المُعَمَّرِ الرَّحَّالَةِ ، سُلْطَانِ العُلَمَاءِ : عَبْدِ الهَادِي بْنِ العَرَبِي العَوَّادِ ، **بِإِجَازَتِهِ لِجَدِّنَا نُورِ الدِّينِ أَبِي طَالِبٍ ، لَهُ وَلِأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ .**

٢- عَنِ العَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السَّنُّوسِيِّ .

٣- عَنِ الشَّرِيفِ الوَاوْلَاتِي .

٤- عَنِ الشَّرِيفِ عَبْدِ العَزِيزِ الحَبَشِيِّ ، وَقَدْ عَمَّرَ كَثِيراً .

٥- عَنِ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرِ العَسْقَلَانِيِّ .

٦- عَنِ التَّنُّوخِيِّ .

٧- عَنِ الحَجَّارِ .

٨- عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ .

٩- عَنْ أَبِي الوَقْتِ الدَّاوُدِيِّ .

١٠- عَنِ السَّرْخَسِيِّ .

١١- عَنِ الفَرَبْــرِيِّ

١٢- عَنْ سُلْطَانِ الْمُحَدِّثِينَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيِّ .

١٣- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيِّ ، وَهُوَ حَفِيــدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ .

١٤- عَنْ حُمَيْدِ بْنِ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ .

١٥- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :

﴿إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ﴾ (١) .

صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

وَهَذَا أَعْلَى سَنَدٍ وَقَعَ فِي الدُّنْيَا ، بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

١- هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه في المطبوع بنفس سند سماحة الإمام . حيث قال : =

وَكُلُّ مَنِ اتَّصَلَ سَنَدَهُ فِي هَذَا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ ،

فَقَدْ أَبـرَّ اللهُ لَهُ قَسَمُهُ ، إِذَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ .

= حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُمَيْدٌ ، أَنَّ أَنَسًا ، حَدَّثَهُمْ : أَنَّ الرُّبَيِّعَ وَهِيَ ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ ، فَطَلَبُوا الأَرْشَ ، وَطَلَبُوا العَفْوَ ، فَأَبَوْا ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَمَرَهُمْ بِالقِصَاصِ ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ : أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللهِ ، لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ، لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا ، فَقَالَ : «**يَا أَنَسُ كِتَابُ اللهِ القِصَاصُ**» ، فَرَضِيَ القَوْمُ وَعَفَوْا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**» .

وبنفس واقعة هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه من طريق آخر قال : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ .

وبنفس واقعة هذا الحديث رواه أيضا كل من النسائي وابن ماجة وأحمد وعبد بن حميد وأبو عوانة وابن حبان والطبراني وابن منده

وبواقعة مختلفة ولكن نفس نص الحديث عن رسول الله ﷺ رواه أبو نعيم عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قال : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الشَّامِيُّ قَالَ : ثنا عُمَرُ بْنُ سَلَمَةَ الْغِفَارِيُّ ، قَالَ : ثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا قَالَتْ : عَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي غِفَارٍ فَوَجَدَهُ مَحْمُومًا وَلَهُ ضَجِيجٌ مِنْ شِدَّةِ مَا يَجِدُ مِنَ الْحُمَّى ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ**» فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**اللهُمَّ أَعْطِهِ مَا تَمَنَّى**» فَقَالَ : هَاهْ . فَشَهِقَ فَمَاتَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**» .

وَهَذِهِ بُشْرَى عَظِيمَةُ القَدْرِ .

فَاللَّهُمَّ إِنَّا نُقْسِمُ بِكَ عَلَيكَ .

وَنَتَوَسَّلُ بِكَ إِلَيْكَ .

أَنْ تَشْمَلَنَا بِأُنْسِ رِضَاكَ ، وَنَعِيمِ حُبِّكَ ،

وَوَاسِعِ عَفْوِكَ ، وَعَظِيمِ رَحْمَتِكَ .

نَحْنُ وَكُلُّ مَنْ نُحِبُّ .

آمِينَ يَارَبِّ العَالَمِينَ .

التنزل السابع والخمسون ومائة

لا يفتح الباب إلا بصحبة الأحباب

مِنْ لَمْ يُصَدِّقِ الأَوْلَياءَ ؛ فَهُوَ عَبْدٌ جاهِلٌ بِرَبِّهِ (١) .

حَتَّى وَإِنْ قُطِّعَ إِرَباً إِرَباً فِي عِبادَتِهِ .

وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيَهُ .

١- قال سلطان العاشقين :

أَلا إنَّ دِيني فَاعْلَمُوهُ هُوَ الهَوى ... وَموتي شَهيدا في الصَبابَةِ مَذهَبي
وَمن لَم يُفَقِّهْهُ الغَرامُ فَجاهِلٌ ... وَمن لَم يُهذبه الهَوى لَم يُهَذَّبِ
سلوا عَن فُنون الحُبّ مني فَإِنَّ لي ... يَدا فيهِ بِالتَجريبِ لا بِالمُؤَدِّبِ
وَلا تَأخُذوا عَمَّن رَوى لَكُم الهَوى ... وَلكن إذا شِئتُم خُذوا عَن مُجَرِّبِ
وَإِنّيَ مِنْ قَومٍ إِذَا عَشِقُوا رَأَوا ... هَلاكَهُم في العِشق أَعظَم مَأرب

فَهُوَ عَبْدٌ مَحْجُوبٌ بِالطَّاعَةِ (١) .

كَمَا أَنَّ الْمُذْنِبَ مَحْجُوبٌ بِالذُّنُوبِ .

وَالكَافِرَ مَحْجُوبٌ بِالكُفْرِ .

وَالْمُشْرِكَ مَحْجُوبٌ بِالشِّرْكِ .

١- قال سلطان العاشقين :

هُوَ الحُبّ فاسلمْ بالحشا ما الهَوَى سَهْلُ ... فَما اختارَهُ مُضْنًى بهِ، ولهُ عَقْلُ
وعِشْ خالياً فالحبُّ راحتُهُ عناً ... وأوّلُهُ سُقْمٌ وآخِرُهُ قَتْلُ
ولكنْ لديَّ الموتُ فيه صبابةً ... حَياةٌ لَمن أهوَى عليّ بها الفَضْلُ
نصحتُكَ علماً بالهوى والّذي أرَى ... مُخالفتي فاخترْ لنفسكَ ما يحلو
فإنْ شِئتَ أنْ تحيا سَعيداً فَمُتْ بهِ ... شَهيداً وإلا فالغرامُ لَهُ أهْلُ
فَمَنْ لم يَمُتْ في حُبّهِ لم يَعِشْ بهِ ... ودونَ اجتِناءَ النّحلِ ما جنتِ النّحلُ
تمسّكْ بأذيالِ الهوى واخلعْ الحيا ... وخلِّ سبيلَ النَّاسكينَ وإنْ جلُّوا
وقلْ لقتيلِ الحبِّ وفَّيتَ حقَّهُ ... وللمدَّعي هيهاتَ ما الكَحْلُ الكُحْلُ
تعرّضَ قومٌ للغرامِ وأعرضوا ... بجانبهمْ عنْ صحّتي فيهِ واعتلُّوا
رَضُوا بالأماني وَابتُلوا بحُظوظِهِم ... وخاضوا بحارَ الحبّ دعوَى فما ابتلّوا

وَالْمُنَافِقُ مَحْجُوبٌ بِالنِّفَاقِ .

فَلَا يَرْتَفِعُ الحِجَابُ ، وَلَا يُفْتَحُ البَابُ ، إِلَّا بِصُحْبَةِ الأَحْبَابِ (١) .

لَوْ قَامَ بِكَ التَّصْدِيقُ بِمَا يَتَحَقَّقُ بِهِ أَهْلُ الطَّرِيقِ ، فَأَنْتَ صِدِّيقٌ (٢) .

١- قال الشيخ أبو مدين الغوث ﷺ :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا ... هم السلاطين والسادات والأمرا
فاصحبهموا وتأدب في مجالسهم ... وخل حظك مهما قدموك ورا
وقل عبيدكموا أولى بصفحكموا ... فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقرا
هم بالتفضل أولى وهو شيمتهم ... فلا تخف دركا منهم ولا ضررا
أحبهُمْ وأداريهُمْ وأوثرهُمْ ... بمهجتي وخصوصا منهم نفرا
قوم كرام السجايا حيث ما جلسوا ... يبقى المكان على آثارهم عطرا
هم أهل ودي وأحبابي الذين همو ... ممن يجر ذيول العز مفتخرا
لا زال شملي بهم في الله مجتمعا ... وذنبنا فيه مغفورا ومغتفرا
ثم الصلاة على المختار سيدنا ... محمد خير من أوفى ومن نذرا

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : من صدق بكلام الأولياء ؛ فهو معهم ، لأن : «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ» . فإن قام بك التصديق ، بما يتحقق به أهل الطريق ، فأنت وَلِيٌّ صديق .

وَمَنْ لَمْ يَحْتَرِمْ أَصْحَابَ الوَقْتِ ، فَقَدِ اسْتَوْجَبَ المَقْتَ .

ومن آذى ولياً ولو بسوء الظن فقد آذنه الله بالحرب :

﴿مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ﴾

وَانْظُرْ إِلَى كَلْبِ أَصْحَابِ الكَهْفِ ، لَـمَّا أَحَبَّهُم ، وَصَدَقَهُم ، وَاتَّبَعَهُم .

ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى مَعَهُم أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي القُرْآنِ .

وَلَمْ تَضُرَّهُ صِفَةُ الكَلْبِيَّةِ (١) .

١- المقصود هنا هم المعترضين من السالكين والأولياء والعارفين على أكابر الأولياء الصديقين ، وليس المراد بالمعترضين الوهابيه والسلفيه والخوارج كلاب النار ، فهؤلاء هم أقل من أن يذكروا في هذا الكتاب !

قال سماحة الإمام ﷺ : ﴿ صاحب العلم إذا رأى صاحب المعرفة آمن ببداياته ، وكفر بنهاياته ، وصاحب المعرفة إذا رآى من رآني كفر ببداياته ، ونهاياته ، وصاحب الرؤية يؤمن ببداية كل شيء ، ويؤمن بنهاية كل شيء ، فلا كفران عنده ﴾ فمبادئ المعرفة هي العمل الصالح ، وهو من العلم . أما نهايات صاحب المعرفة فما هي في طور العلم . أما صاحب المعرفة فيكفر ببدايات صاحب الرؤية ونهاياته ، وذلك لأن صاحب المعرفة له رسم باق ، أما صاحب الرؤية فلا رسم له البتة ، بل هو فانٍ . أما صاحب الرؤية فيؤمن ببدايات كل شيء ونهايات كل شيء ، فليس عليه سترة حجاب =

= **قال سماحة الإمام ﷺ : ﴿ العارف يشك في الواقف ، والواقف لا يشك في العارف ﴾** فالعارف إذا رآى أحوال الواقف أو سمع أقواله ، وجد فيها ما يعرفه وما لا يعرفه ، لقصوره عنه ، فيواقعه الشك فيه ، ويرتاب في أنه عارف أم ليس بعارف . بعكس الواقف ، فلا يجهل شيئاً من أحوال العارف ولا من أقواله ، لإحاطته بمقام المعرفة .

قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ {يونس : ٣٩} .

قال الشيخ الشعراني في ترجمة الشيخ القرشي ﷺ أن أصحابه قالوا له يوماً : لم لا تحدثنا بشيء من الحقائق ؟ فقال لهم : كم أصحابي اليوم ؟ قالوا : ستمائة رجل . فقال : استخلصوا منهم مائة ، ثم استخلصوا من المائة عشرين ، ثم استخلصوا من العشرين أربعة ، فقال الشيخ القرشي ﷺ : لو تكلمت بكلمة من الحقائق على رءوس الأشهاد ، لكان أول من يفتي بقتلي هؤلاء الأربعة !

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾ {الليل : (٥ – ٧)} .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ ﴾ ، أيّ بَذَلَ جهده من الكونين ، وتبرّأ من الدارين لمشاهدة الله ووصاله . ﴿ وَٱتَّقَىٰ ﴾ مِنْ رؤية الأعراض والأغيار ، والنظر إلى غيرالله . ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ بِكَشْفِ جماله وجلاله للعارفين ، وقربه من الموحّدين ، ويرى ما أعدّ الله له في الأزل بوصوله إليه ، ولا يجري على قلبه خاطر الشك أصلا ، ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ ، نسهّل له طريق الوصول إليه ، ونرفع عنه الكلفة والتعب في العبودية .

وأقل درجة الطالب لهذا العلم الشريف ؛ أن يُصَدِّق بأنّ ما يتحقق به أهل طريق الله المتبعون اتّباعا كاملا في الظاهر والباطن حق ، وإنْ لم يَذُقْه ، وإذا وَجَد من نفسه التصديق الجازم بذلك =

= كان منهم في مشرب من مشاربهم ، وكان على بيّنة من ربّه ، ولا بدّ بتلك البيّنة يصدقهم ويوافقهم وإنْ لم يشعر به ، فالمُؤهّلون للانتفاع بنتائج الأذواق الصّحيحة ، وعلوم المكاشفات الصريحة ، هم المُحِبّون للمُحِقّين من أهل الله وخاصته ، والمؤمنون بهم وبأحوالهم مِن أهل القلوب المنوّرة ، والفكرة السليمة ، والعقول الوافرة ، الذين يَدْعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ، ويستمعون القول فيتّبعون أحسنه بصفاء الطويه وحسن إصغاء ، بعد تطهّرهم مِن صِفتيْ الجدال والنزاع ونحوهما ، متعرِّضين لنفحات جود الحقّ ، مراقبين له ، منتظرين ما يبرز لهم من جنابه العزيز على يَدِ مَن وصل مِن أيّ رتبة من مراتب أسمائه ، متلقّين بحسن الأدب . فمثل هذا المؤمن الصحيح الإيمان والفطرة ، الصافي المحلّ ، يشعر بصحّة ما يسمع مِن وراء سترٍ رقيق اقتضاه حكم الطبع ، وبقية الشواغل والعوائق المستجمة في المحلّ ، والعائقة له عن كمال الاستجلاء عن الشعور المذكور . فهو مستعدّ للكشف ، مؤهَّل للتّلقّي ، منتفع بما يسمع ، مُرْتَقٍ بِنُورِ الإيمان إلى مقام العيان . كما قال أبو يزيد رحمه الله : إذا رأيتم من يؤمن بكلام أهل هذه الطريقة ، ويسلّم لهم ما يتحققون به ، فقولوا له يدعو لكم فإنه مجاب الدعوة ، وكيف لا يكون مجاب الدعوة والمسلم في بحبوحة الحضرة لكنه لايعرف أنه فيها لجهله . إذا حَسُنَ عندك علمُ الأسرار وقَبِلْتَه وآمنت به فأبشر ، فإنك على كشف منه ضرورة وأنت لاتدري ؟ إذْ لا يسكن الصدرُ إلاّ بما يقطع بِصِحَّتِه ، وليس للعقل هنا مدخل ، أيِّ لأنه فوق ظهوره من حيث الفكر .

قال الحلاج :

مزجت روحك في روحي ... كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني ... فإذا أنت أنا في كل حال =

= قال سماحة الإمام ﷺ : عندما يحصل لعضو استغراق تام في شيء ، تستغرق فيه الأعضاء كلها ، وليس للعقل ولا للقلب ولا للروح ، قدرة على الاستغراق في شيئين : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ {الأحزاب : ٤} . وطبيعة الاستغراق : أن المستغرق لا يعود موجودا ، ولا يبقى له فعل أو حركة . كمن يغدو غارقاً في الماء ، كل فعل يصدر عنه لا يكون فعله ، بل فعل الماء ، أما لو ضرب الماء بيديه ورجليه ، فلا يسمى مستغرقاً . ولو صرخ : آه أنا أغرق ، لما سمي هذا أيضاً استغراقاً . استبد حب ليلى بالمجنون ، واستغرقه حبها ، حتى إنه لم يعد محتاجاً إلى رؤية ليلى بالعين ، ولا إلى سماع حديثها بالصوت ، لأنه لم يحس بأن ليلى منفصله عنه .

خيالك في عيني واسمك في فمي وذكرك في قلبي إلى أين أذهب

ومن هنا ، قال من قال : (أنا الحق) . ويظن بعض الناس ، أنه ادعاء عظيم . لكن (أنا الحق) على الحقيقة ، تواضع عظيم . لأن من يقول : أنا عبد الحق ، يثبت وجودين اثنين : أحدهما نفسه ، والآخر الله ، أما من يقول : (أنا الحق) فقد نفى نفسه ، كأنه يقول : (أنا عدم) ، وهو الكل ، لا وجود إلا لله ، وأنا – بكُلّيّتي – عدم .

قال سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به : اعلم أن : للعارف وقتا يطرأ عليه الفناء والاستغراق ، حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده ، ويخرج عن جميع مداركه ووجوده .

لكن تارة يكون ذلك في ذات الحق سبحانه وتعالى : فيتدلى له من قدس اللاهوت – من بعض أسراره – فيضٌ ، يقتضي منه أن يشهد ذاته عين ذات الحق ، لمحقه فيها ، واستهلاكه فيها ، ويصرح في هذا الميدان بقوله : سبحاني ، لا إله إلا أنا وحدي ...إلخ من التسبيحات كقوله : =

= جلَّت عظمتي وتقدس كبريائي . وهو في ذلك معذور ، لأن العقل الذي يميز به الشواهد والعوائد ، ويعطيه تفصيل المراتب - بمعرفة كل بما يستحقه من الصفات - غاب عنه ، وانمحق وتلاشى واضمحل ، وعند فقد هذا العقل وذهابه ، وفيض ذلك السر القدسي عليه ، تكلم بما تكلم به . فالكلام الذي وقع فيه ، خلقه الحق فيه ، نيابة عنه ، فهو يتكلم بلسان الحق ، لا بلسانه ، ومعرباً عن ذات الحق ، لا عن ذاته .

ومن هذا الميدان : **قول أبي يزيد البسطامي : سبحاني ما أعظم شأني . وقول الحلاج : أنا الحق . وما في الجبة إلا الله . وكقول بعضهم : فالأرض أرضي والسماء سمائي . وكقول التستري رضي الله تعالى عنه :**

أنظر أنا شيء عجيب لمن يراني أنا المحب والحبيب ما ثمَّ ثاني

وهذا مما يعطيه الفناء والاستغراق في ذات الحق . وهذا أمر خارج عن المقال ، يُدرَك بالذوق وصفاء الأحوال ، فلا يَعلم حقيقته إلا من ذاقه .

وتارة يكون الاستغراق للعارف والفناء في ذات النبي ﷺ : لغيبته عن ذاته في ذات النبي ﷺ ، فيتدلى له ﷺ ببعض أسراره ، فإذا كُسِيَت ذاته بذلك السر ، فلا يشهد ذاته - إلا ذات النبي ﷺ - ويُعلِمُه ببعض ما اختص به نبيه ﷺ ، من الخصوصيات التي لا مطمع فيها لغيره ﷺ ، فيتكلم بلسان النبي ﷺ نيابة عنه ، ببعض ما اختص الله به نبيه ﷺ ، من الخصوصيات العظام ، ما له به علو وشرف وشفوف على مراتب جميع النبيين والمرسلين ، فهو يخبر عما أعطى الله نبيه ﷺ ، مخبرا عن نفسه . فمن يسمعه ، يظن أنه ينسبه لنفسه ، وإنما نسبه للنبي ، ﷺ ، لغيبته في ذاته =

= فإذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق ، ورجع لِحِسِه وشاهِدِه ، تبرأ من ذلك ، لعلمه بمرتبته ، وسق هذا المساق في كل ما تسمع من الشيوخ ، مما يقتضي أن لهم شفوفا على مراتب النبيين والمرسلين . فكل ذلك لفنائه في ذات النبي ﷺ ، مترجما عن مقامه ﷺ .

قال تعالى في الحديث القدسي : «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**» المحب قد عادت قطرته إلى بحر الأحدية .

فالمحب انتقل من التقييد إلى الإطلاق ، وكمل له الاستغراق ، وعنه يقول سماحة الإمام ﷺ :

الإنسان كقطرة ماء أخذت من البحر ، فما دامت هذه القطرة خارج البحر ، فإن لها كينونة مستقلة ، إلا أنها صغيرة وحقيرة ، ومقيدة بكل قيد ، ومحددة بكل إناء توضع فيه ، فإذا ألقيتها في بحرها مرة أخرى ، فإنها تتكلم بلسان هذا البحر المطلق العظيم ، ولا تستطيع أن تفصلها عنه ، إذ أن ذراتها قد ذابت في ذراته ، وذاتها قد تلاشت في ذاته . وهذا مما يعطيه الفناء والاستغراق في ذات الحق . وهذا أمر خارج عن المقال ، يُدرَك بالذوق وصفاء الأحوال ، فلا يَعلم حقيقته إلا من ذاقه . وصاحبها يكشف له آيات العالم قبل آيات نفسه ، ثم يريه تلك الآيات في نفسه : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ {فصلت : ٥٣} ، جل جلاله ، وآيات العالم هي الدلالات على أنه الحق ، الظاهر في مظاهر أعيان العالم وآيات نفسه أن يريه نفسه جامعا لجميع الحقائق في العالم كله ، فالإنسان نفسه عدم محض على =

= الحقيقة ، وأنه قائم بالله . فالله واحد ، وإن اختلفت مظاهر ظهوره . والإنسان واحد ، ولكن يده ما هي رجله . ورأسه ما هي صدره . وعينه ما هي أذنه . ولا لسانه ولا فرجه . وعقله ما هو فكره ، ولا خياله . فهو متنوع متعدد العين ، بالصور المحسوسة والمعنوية . ومع هذا يقال فيه أنه واحد ، ويصدق . ويقال فيه كثير ، ويصدق . فمن حيث أحديته ، نقول رأى نفسه ، بنفسه . ومن حيث كثرته ، نقول رأى بعضه ، ببعضه . فتكلم بلسانه ، وبطش بيده ، وسعى برجليه ، واستنشق بأنفه . وسمع بأذنه ، ونظر بعينه ، وتخيل بخياله ، وعقل بعقله . وما ثم إلا هو .

سند حديث الفداء

إِلَيْكُم تُحْفَةٌ نَادِرَةٌ ، وَبِشَــارَةٌ عَظِيمَـــةٌ ، وَهُوَ : (حَدِيثُ الفِــدَاءِ)

فَأَقُولُ :

١- عَنْ مُسْنِدِ الحَرَمَيْنِ العَلَّامَةِ أَلْفَا هَاشِمِ المَدَنِيِّ ، إِجَازَةً لِجَدِّنَـا المُعَمَّرِ نُورِ الدِّينِ أَبِي طَالِبِ ، إِجَازَةً لَهُ وَلِأَبْنَائِهِ وَأَحْفَادِهِ .

٢- عَنِ الشَّيْخِ صَالِحِ الفُلَّانِيِّ .

٣- عَنِ المُعَمَّرِ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَّةَ الفُلَّانِيِّ .

٤- عَنِ الشَّرِيفِ الوَاوْلَاتِيِّ .

٥- عَنِ ابْنِ أُرْكُمَاشِ .

٦- عَنِ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرِ العَسْقَلَانِيِّ .

٧- عَنِ ابْنِ أَبِي المَجْدِ الدِّمَشْقِيِّ .

٨- عَنِ الحَجَّارِ ، وَكَانَ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ . يَقُولُ عَنْهُ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ : كَانَ أُعْجُوبَةَ زَمَانِهِ ، حَافِظًا ثِقَةً ، وَهُوَ مِنْ شُيُوخِ الذَّهَبِيِّ .

٩- عَنْ أَنْجَبِ بْنِ أَبِي السَّعَادَاتِ .

١٠- عَنْ طَاهِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ المَقْدِسِيِّ .

١١- عَنْ أَبِي مَنْصُورٍ القَزْوِينِيِّ .

١٢- عَنِ القَاسِمِ بْنِ المُنْذِرِ الخَطِيبِ .

١٣- عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَلَمَةَ القَطَّانِيِّ .

١٤- عَنِ الإِمَامِ ابْنِ مَاجَةَ القَزْوِينِيِّ .

١٥- عَنْ جُبَّارَةَ بْنِ المُغَلِّسِ .

١٦- عَنْ كَثِيرِ بْنِ سُلَيمٍ .

١٧- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، عَذَابُهَا بِأَيْدِيهَا ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دُفِعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ فَيُقَالُ : هَذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ ﴾ (١)

يَعْنِي عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا بِالحُرُوبِ وَالأَمْرَاضِ .

اللَّهُمَّ عَافِنَا فَلَا تُعَذِّبْنَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ .

بِبَرَكَةِ رَسُولِكَ العَظِيمِ وَأَوْلِيَائِهِ الوَارِثِينَ .

فَنَحْنُ لَهُم مُصَدِّقُونَ .

وَعَلَى حُبِّهِم قَائِمُونَ .

---

١ - بهذا اللفظ رواه ابن ماجة عن أنس بن مالك ﷺ .

ورواه مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، دَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا ، فَيَقُولُ : هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ**» .

ورواه أحمد ونعيم بن حماد في الفتن وعبد بن حميد والبزار والروياني والطبراني والبيهقي وأبو يعلى عَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **هَذِهِ الْأُمَّةُ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، عَذَابُهَا** =

= بِأَيْدِيهَا ، وَيُؤْخَذُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ ، فَيُعْطَاهُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ ، فَيُقَالُ : هَذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ» .

ورواه نعيم بن حماد في الفتن عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، لَا عَذَابَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الزَّلَازِلُ وَالْبَلَاءُ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَعْطَى اللهُ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، فَيُقَالُ : هَذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ» . فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله ، فَأَيْنَ الْقِصَاصُ ؟ فَسَكَتَ .

التنزل الثامن والخمسون ومائة

الكل منه وعنده وإليه

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ {البقرة : ١١٥} .

فَمَعَ أَنَّهُ ظَاهِرٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

فَهُوَ بَاطِنٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ (١) .

١- قال الحق : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ {البقرة : ١١٥} . ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ : فلا خلق ، فأنت منفي . ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ : أثبتك وأثبت أن لك توجه إلى وجه الله . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ : ثم نفاك مرة أخرى . ثم نفاك البتة في آية أخرى ، وهي قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ {الحديد : ٣} . فهنا نفاك بالكلية ، فلا وجود لك في هذا المنظر ، ولكن تنوعت النسب له تعالى بين ظاهر وباطن وأول وآخر . فهذه كلها نسب حكميه ، وصدق من قال : =

فَشَطْرُ المَسْجِدِ الحَرَامِ هُوَ بَعْضُ مَرَاتِبِ وَجْهِ الحَقِّ .

فَلَا تَقُلْ إِنَّهُ فِي شَطْرِ المَسْجِدِ الحَرَامِ فَقَطْ دُونَ غَيْرِهِ .

لِأَنَّهُ أَظْهَرُ مَا يَكُونُ فِي وَجْهِ الإِنْسَانِ .

فَحَيْثُ وَلَّى الوَجْهَ ، كَانَ اللهُ ظَاهِراً فِي ذَلِكَ الوَجْهِ :

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ .....فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ {البقرة : ١٥٠} .

فَهُوَ الظَّاهِرُ لَنَا فِي أَيْنِيَّةِ كُلِّ وِجْهَةٍ ، مِنِ اسْمِهِ الظَّاهِرِ (١) .

= تَجَلَّيْتَ فِي الأَشْيَاءِ حِينَ خَلَقْتَهَا ... فَهَا هِيَ مِيطَتْ عَنْكَ فِيهَا البَرَاقِعُ
قَطَعْتَ الوَرَى مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ قِطْعَةً ... وَلَمْ تَكُ مَوْصُولًا وَلَا فَصْلُ قَاطِعُ
وَلَكِنَّهَا أَحْكَامُ رُتْبَتِكَ اقْتَضَتْ ... أُلُوهِيَّةً لِلضِّدِّ فِيهَا التَّجَامُعُ
فَأَنْتَ الوَرَى حَقًّا وَأَنْتَ إِمَامُنَا ... وَإِنَّكَ مَا يَعْلُو وَمَا هُوَ وَاضِعُ
وَمَا الخَلْقُ فِي التِّمْثَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٍ ... وَأَنْتَ بِهَا المَاءُ الَّذِي هُوَ نَابِعُ
فَمَا الثَّلْجُ فِي تَحْقِيقِنَا غَيْرُ مَائِهِ ... وَغَيْرُ آنٍ فِي حُكْمٍ دَعَتْهُ الشَّرَائِعُ
وَلَكِنْ بِذَوْبِ الثَّلْجِ يُرْفَعُ حُكْمُهُ ... وَيُوضَعُ حُكْمُ المَاءِ وَالأَمْرُ وَاقِعُ

١- قال سماحة الإمام ﷺ : جَعَلْتَنِي دَائِمًا هَائِمًا عَلَى وَجْهِي ، حَيْثُ لَا جِهَةَ . إِذْ أَنَّكَ لَا تَتَقَيَّدُ بِجِهَةٍ : =

وَهُوَ البَاطِنُ عَنَّا تَنْزِيهاً عَنْ كُلِّ شَيءٍ .

حَتَّى عَنِ التَّنْزِيهِ نَفْسِهِ ، مِنِ اسْمِهِ البَاطِنِ .

= ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ {البقرة : ١١٥} . فَتَتَجَلَّى لِقَلْبِي فِي أَيِّ مَقْصِدٍ قَصَدْتُ . وَعَلَى أَيِّ حَالَةٍ كُنْتُ . ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ {الحديد : ٤} . فَمَا أَجْمَلَكَ مِنْ حَبِيبٍ . وَمَا أَرْحَمَكَ مِنْ قَرِيبٍ . انْظُرُوا لِوَجْهِ مَنْ تُحِبُّونَ ، وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً . مَرَّةً وَاحِدَةً تَكْفِي . فَنَظْرَةُ حُبٍّ وَاحِدَةٍ إِلَى وَجْهِ الحَبِيبِ ، فِيهَا النَّجَاةُ وَالخُلُودُ وَالدَّوَامُ . ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ {القصص : ٨٨} . انْظُرُوا إِلَى الوَجْهِ ، الوَجْهُ يَكْفِي . الوَجْهُ أَصْفَى ، وَأَنْقَى ، وَأَبْقَى ، وَأَحْلَى ، وَأَعْلَى .

لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَآنِي ، رَأَى وَجْهِي . وَكُلُّ مَنْ رَأَى وَجْهِي رَآنِي . نَظْرَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ وَتَنْتَقِلُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . وَتَرْتَفِعُ الحُجُبُ وَالسُّتُورُ . حَبِيبُكَ هُوَ الَّذِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَى وَجْهِهِ نَظْرَةً وَاحِدَةً : زَالَ عَنْكَ النَّصَبُ وَالوَصَبُ . وَانْشَرَحَ صَدْرُكَ ، وَذَهَبَ التَّعَبُ . وَأَحْسَسْتَ بِالرِّضَى يَغْمُرُ رُوحَكَ . وَنَشْوَى الحُبِّ تَمْلَأُ قَلْبَكَ . بِمَا فِيهَا مِنْ رَجَاءٍ ، وَأُنْسٍ ، وَبَسْطٍ . وَتَجَلٍّ بِلَا اسْتِتَارٍ . وَبَقَاءٍ بِلَا فَنَاءٍ . وَإِعْزَازٍ بِلَا إِذْلَالٍ . وَرَفْعٍ بِلَا خَفْضٍ . وَغِنًى بِلَا فَقْرٍ . وَعَطَاءٍ بِلَا مَنْعٍ . وَحَيَاةٍ بِلَا مَوْتٍ . وَنَفْعٍ بِلَا ضَرٍّ .

ما تجلى تعالى بوجهه إلا لك . وما قام بتجلي الوجه إلا الإنسان الكامل . الوجه هو التجلي الأعظم . بل هو أعلى تجليات مرتبة الألوهية . ليس كل من رآني رأى وجهي ، ومن رأى وجهي فقد رآني . والإنسان الكامل الذي كملت صفاته هو التجلي الأعظم في الكون . إذن فالإنسان الكامل هو محل التجلي بالوجه . بل هو وجه الله ، لمن دونه في المرتبة .

فَحَصْرُ اللهِ تَعَالَى فِي شَيْءٍ ، دُونَ غَيْرِهِ ، كُفْرٌ وَضَلَالٌ .

وَلَكِنْ تَعْتَقِدُ ظُهُورِهِ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ .

وَتَعْبُدُهُ فِي المَظْهَرِ الَّذِي أَمَرَكَ الشَّرْعُ أَنْ تَعْبُدَهُ فِيهِ (١) .

فَتَتَجِهُ نَحْوَ الكَعْبَةِ ، وَيَقُولُ لَكَ : إِنَّهَا بَيْتُهُ .

وَتُقَبِّلُ الحَجَرَ ، وَيَقُولُ لَكَ : إِنَّهُ يَمِينُهُ .

وَتُحِبُّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ ، وَيَقُولُ لَكَ : إِنَّهُ رَسُولُهُ .

وَتُحِبُّ أَوْلِيَاءَ اللهِ ، وَيَقُولُ لَكَ : إِنَّهُ يُحِبُّهُم .

١- قال سماحة الإمام رضي الله عنه : ظَهَرَ لِكُلِّ عَابِدٍ فِي مَظْهَرِ مَعْبُودِهِ . فَظَهَرَ لِعَابِدِ الحَجَرِ فِي مَظْهَرِ الحَجَرِ . وَلِعَابِدِ الشَّجَرِ فِي مَظْهَرِ الشَّجَرِ . وَلِعَابِدِ البَشَرِ فِي مَظْهَرِ البَشَرِ . فَاللهُ هُوَ ﴿الظَّاهِرُ﴾ : يَعْنِي لَا ظَاهِرَ سِوَاهُ . فَمَا عَبَدَ عَابِدٌ فِي الحَقِيقَةِ إِلَّا اللهَ . حَتَّى قَالَ : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ {الإسراء : ٢٣} . يَعْنِي : قَضَى فِي قَدِيمِ أَزَلِهِ أَنَّهُ لَا يَعْبُدُ عَابِدٌ إِلَّا مَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ مَظْهَرٍ إِلَهِيٍّ . وَلَكِنَّ مَنْ عَبَدَ اللهَ عَلَى الحَقِيقَةِ ؛ فَقَدْ عَبَدَهُ دُونَ مَا حِجَابٍ مِنَ المَظَاهِرِ . فَذَاكَ عَبْدٌ خَالِصٌ مُخْلَصٌ . أَمَّا مَنْ عَبَدَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ مَظْهَرٍ ؛ فَقَدِ انْحَجَبَ بِالمَظْهَرِ عَنِ الظَّاهِرِ . فَحِجَابُهُ بِقَدْرِ مَا انْحَجَبَ بِهِ . فَظُهُورُهُ المُطْلَقُ هُوَ مَعْبُودُ أَهْلِ الإِيمَانِ . وَظُهُورُهُ بِمَعْنًى خَاصٍّ هُوَ مَعْبُودُ أَهْلِ الكُفْرَانِ .

وَتُحِبُّ الخَلْقَ أَجْمَعَ ، وَيَقُولُ لَكَ : إِنَّهُم عِبَادِي .

وَهُوَ - تَعَالَى - ظَهَرَ لَكَ فِيهِم فِي حَضْرَةِ ظُهُورِهِ .

بِتَجَلِّي وُجُودِهِ ، وَانْكِشَافِ نُـورِهِ .

فَالْكُلُّ مِنْهُ ، وَعِنْدَهُ ، وَإِلَيْـهِ (١) .

١- فَظُهُورُ اللهِ تَعَالَى فِي المَظَاهِرِ هُوَ السِّرُّ . هُوَ الحُبُّ ، وَهُوَ المَحْبُوبُ ، وَهُوَ المُحِبُّ . وَمَا ثَمَّ سِوَاهُ ، وَمَا ثَمَّ غَيْرٌ . فَهو الجَمِيلُ المُتَجَلِّي فِي كُلِّ وَجْهٍ . وَالمَطْلُوبُ مِنْ كُلِّ آيَةٍ . وَالمَنْظُورُ إِلَيْهِ بِكُلِّ عَيْنٍ . وَالمَعْبُودُ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ . وَالمَحْبُوبُ فِي عَينِ كُلِّ مُحِبٍّ :

قال الجيلي :

تجلى حبيبي في مرائي جماله ... ففي كل مرأى للحبيب طلائعُ

فلما تبدَّى حسنه متنوعاً ... تسمَّى بأسماء فَهُنَّ مطالعُ

فأوصافه والاسم والأثر الذي ... هو الكون عين الذات والله جامعُ

فما ثم من شيء غير الله في الورى ... وما ثم مسموعٌ وما ثم سامعُ

وفي فيه من روحي نفخت كناية ... هل الروح إلا عينه يا منازعُ ؟

تجليت في الأشياء حين خلقتها ... فها هي ميطت عنك فيها البراقعُ

قطعت الورى من ذات نفسك قطعة ... ولم تك موصولا ولا فصل قاطع

فأنت الورى حقا وأنت إمامنا ... وإنك ما يعلو وما هو واضع

فَالْمُؤمِنُونَ : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ {القمر : ٥٥} .

وَالكُفَّارُ : ﴿ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ {السجدة : ١٢} .

فَالجَمِيعُ عِنْدَهُ ، مَا بَرِحُوا عِنْدِيَّتِهِ (١) .

أَمَّا اللهُ تَعَالَى ؛ فَهُو ظَاهِرٌ لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ . أَزَلاً وَأَبَداً .

دُونَ الحَاجَةِ لِخَلْقِهِ (٢) .

١- فالمؤمنون عند الله . والكفار عند الله . ولكن لا يعلم أحدٌ أنه لم يبرح عندية الله أحدٌ إلا أهل الرضا . قال سماحة الإمام : ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ {آل عمران : ١٦٣} : هذه الكلمة ؛ تعني أن أهل الرضا لم يخرجوا من عندية الله أبدًا ، فهم مشاهدون له على الدوام ، إذ لا يتصور الرضا من أحد في المصائب ، إلا إذا كان مشاهدًا لمن ابتلاه ! فهؤلاء القوم أنهوا دورتهم الخلقية ، فلم يبرحوا عندية الله تعالى . فلا حشر لهم ولا نشر ، ولا دنيا لهم ، حتى تكون لهم آخرة . فعنديتهم ثابتة ، وهؤلاء هم ضنائن الله تعالى . اصطنعهم لنفسه ، فلا يبرحون حدائق قُدْسِه .

٢- هذا على سبيل المجاز ، والحقيقة أن الخلق ليس غير الحق . كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان . قال سماحة الإمام : أَنَا الظَّاهِرُ بِكَ ، وَفِيكَ ، وَلَكَ ، أَنَا الظَّاهِرُ فِي كُلِّ ظَاهِرٍ ، أَنَا الظَّاهِرُ فِي المَظَاهِرِ . أَنَا الظَّاهِرُ فِي كُلِّ مَفْهُومٍ ، البَاطِنُ عَنْ كُلِّ الفُهُومِ . الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ الجَنَّةُ وَالنَّارُ ، كُلُّهَا حِجَابٌ . إِنَّكَ إِنْ رَأَيْتَ غَيْرِي ؛ لَمْ تَرَنِ . =

= فهو تعالى خالق معنى الخلق ، عرض على جوهر ، هو حقيقة ذلك الجوهر ، ولا عرض يعتريه ، رازق معنى الرزق . تنزله في مرتبة سماها خلقًا ، ليوفي بها حكم مرتبة أخرى ، على ما تطلبه الحكمة ، أو يقتضيه حكم تقديراته . مجهولٌ ، في حقيقة غيب كنت كنزًا لم أُعرَف ، بعد تعرفه إلى خلقه ، بما عَرَّفَ من تعريفاته ، جعل لاسم الخلق مجالاً من ذاته ، لا يتعداه . ورسم لاسم الحق حكما من ذاته ، لا يفيدك سواه . وحكم الألوهة ، جمعهما . فلم يك مرمى لغيره ، وراء الله . لألوهيته ، المحيطة بأحديته . ولأحديته السلطنة على ألوهيته ، فى ترتيباته . تعرف إلى كل موجود ، بحسب المرتبة التي أبرزه فيها ، من عينه . وما عرفه إلا نفسه ، في جماله وزينته ، من جميع مكوناته . فسبحان الذي تجلى بذاته ، لذاته ، فأظهر آدم ، واستخلفه على مظاهر أسمائه المنعوتة بالعالم ، وأجمل فيه جميع الحقائق ، وأبهم . ليكون صورة اسمه الجامع العزيز الأكرم ، وحامل أسرار العليم الأعلم ، فيدل ، به ، عليه ، فيُعْلَم .

سند حديث السلام

والبشرى والباقيات الصالحات

هَأَنَا أُتْحِفُكُم بِحَدِيثِ السَّلامِ وَالبُشْرَى وَالبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ مَعًا .

بِأَعْلَى سَنَدٍ إِلَى خَلِيلِ الرَّحْمَنِ : سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام .

إِذْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ تِسْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا .

حَيْثُ يُحَدِّثُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام بِلَا وَاسِطَةٍ .

فَنَرْوِي عَالِياً :

١- عَنِ المُعَمَّرِ العَلَّامَةِ عَبْدِ الهَادِي بْنِ العَرَبِي العَوَّادِ بِإِجَازَتِهِ لِجَدِّنَا نُورِ الدِّينِ أَبِي طَالِب التِّجَانِيِّ ، إِجَازَةً لَهُ وَلِأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ .

٢- عَنِ الشَّرِيفِ المُسْنِدِ الشَّيخ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِي السَّنُّوسِيِّ .

٣- عَنِ الشَّرِيفِ المُعَمَّرِ عَبْدِ العَزِيزِ الحَبَشِيِّ .

٤- عَنِ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرِ العَسْقَلَانِيِّ .

٥- عَنِ التَّنُّوخِيِّ .

٦- عَنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ اليَدْيَانْجِيِّ .

٧- عَنْ أَبِي مَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الهَيْثَمِيِّ .

٨- عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ مَحْمُودِ بْنِ الأَخْضَرِ .

٩- عَنْ أَبِي الفَتْحِ عَبْدِ المَلِكِ الكَرُوخِيِّ .

١٠- عَنْ عَبْدِ الجَبَّارِ المَرُوزِيِّ .

١١- عَنِ الإِمَامِ أَبِي عِيسَى التِّرْمِذِيِّ .

١٢- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي زِيَادٍ .

١٣- عَن سَيَّارِ بْنِ حَاتِمٍ .

١٤- عَنْ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ زِيَادٍ .

١٥- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقِ .

١٦- عَنِ القَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

١٧- عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ .

١٨- عَنْ أبيه عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودِ ﷺ .

١٩- أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ :

﴿ لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ لله وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ ﴾ (١)

١- في المطبوع هذا الحديث رواه الترمذي بنفس سند سماحة الإمام (وقال : حسن غريب) . =

وَهَذَا الحَدِيثُ مِنْ رِوَايَةِ الأَكْبَرُ عَنِ الأَكَابِرِ .

حَيْثُ يُحَدِّثُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ الأَعْظَمُ مَقَاماً عَنْ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام .

وَنَحْنُ نَقُولُ :

وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

قَدْ قَبِلْنَا بُشْرَاكَ العَظِيمَةَ بِكُلِّ احْتِرامٍ .

وَجَزَى اللهُ عَنَّا رَسُولَهُ ﷺ خَيْرَ الجَزَاءِ .

= كذا رواه الطبراني والشجري في أماليه وابن أبي حاتم والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد بسند يلتقي مع هذا السند عند سَيَّارِ بْنِ حَاتِمٍ ، قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه .

التنزل التاسع والخمسون ومائة

أهل الإحسان

إِذَا انْقَضَى يَوْمُ الدُّنْيَا .

وَبَعْدَهُ انْقَضَى يَوْمُ القِيَامَةِ .

وَبَدَأَ يَوْمُ الخُلُودِ .

وَيَئِسَ أَهْلُ النَّارِ مِنَ الخُرُوجِ .

وَقَالَتِ النَّارُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟

فَيَضَعُ الرَّحْمَنُ فِيهَا قَدَمَهُ .

وَيَقُولُ لَهَا : قَطْ .

فَتَقُولُ : قَطْ قَطْ .

وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ (١) .

١- روى الترمذي وحسَّنه وابن خزيمة في التوحيد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ العَالَمِينَ ، فَيَقُولُ : أَلَا يَتْبَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، فَيُمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلِيبُهُ ، وَلِصَاحِبِ التَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ ، وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ ، فَيَتْبَعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، وَيَبْقَى المُسْلِمُونَ فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ العَالَمِينَ ، فَيَقُولُ : أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِالله مِنْكَ نَعُوذُ بِاللهَّ مِنْكَ ، اللهُ رَبُّنَا ، وَهَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ ، ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيَقُولُ : أَلَا تَتَّبِعُونَ النَّاسَ؟ فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِالله مِنْكَ ، نَعُوذُ بِالله مِنْكَ ، اللهُ رَبُّنَا ، وَهَذَا مَكَانُنَا حَتَّى نَرَى رَبَّنَا وَهُوَ يَأْمُرُهُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ» قَالُوا : وَهَلْ نَرَاهُ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : «وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ» ؟ قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ تِلْكَ السَّاعَةَ ، ثُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطَّلِعُ فَيُعَرِّفُهُمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِعُونِي ، فَيَقُومُ المُسْلِمُونَ وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ ، فَيَمُرُّونَ عَلَيْهِ مِثْلَ جِيَادِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ ، وَقَوْلُهُمْ عَلَيْهِ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَيَبْقَى أَهْلُ النَّارِ ، فَيُطْرَحُ مِنْهُمْ فِيهَا فَوْجٌ ، ثُمَّ يُقَالُ : ﴿هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ {ق : ٣٠} ، ثُمَّ يُطْرَحُ فِيهَا فَوْجٌ ، فَيُقَالُ : ﴿هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ {ق : ٣٠} ، حَتَّى إِذَا أُوعِبُوا فِيهَا ، وَضَعَ الرَّحْمَنُ قَدَمَهُ فِيهَا ، وَأَزْوَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ قَالَ : قَطْ ، قَالَتْ : قَطْ قَطْ ، فَإِذَا أَدْخَلَ اللهُ أَهْلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ ، وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، قَالَ : أُتِيَ بِالمَوْتِ مُلَبَّبًا ، فَيُوقَفُ عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ ، =

بَعْدَ أَنْ يُضْرَبَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ أَهْلِ الجَنَّةِ بِسُورٍ .

بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ (١) .

= ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ يَرْجُونَ الشَّفَاعَةَ ، فَيُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ : قَدْ عَرَفْنَاهُ ، هُوَ المَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِنَا ، فَيُضْجَعُ فَيُذْبَحُ ذَبْحًا عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ» .

١- قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ {الحديد : ١٣} .

قال سماحة الإمام ﷺ في تعليقه عليها : الخَيْرُ وَالنُّورُ كُلُّهُ فِي الدُّنْيَا . كُلُّ مَنْ فَارَقَهَا ؛ تَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا ، لِيَحْمِلَ مِنْهَا . ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ ﴾ . أَيْ إِلَى الدُّنْيَا : ﴿ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا ﴾ {الحديد : ١٣} . ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ ﴾ {الحديد : ١٣} . فَهَذَا السُّورُ هُوَ البَرْزَخُ المَضْرُوبُ بَيْنَ صِفَاتِ الجَمَالِ وَصِفَاتِ الجَلَالِ . وَلَكِن رَحْمَةُ اللهِ سَبَقَتْ ، وَمَغْفِرَتَهُ عَمَّتْ . فَلَمْ يَجْعَلِ السُّورَ مُصْمَتاً . بَلْ جَعَلَ فِي السُّورِ بَاباً مَفْتُوحاً إِلَى الرَّحْمَةِ . ﴿ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ ﴾ : أَلَمْ تَرَ أَنَّ (بَاءَ) ﴿ بَابٌ ﴾ قَدْ تَبِعَتْهَا (بَاءُ) ﴿ بَاطِنُهُۥ ﴾ فِي الآيَةِ ؟ حَتَّى لَا يُقَنِّطَ خَلْقَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، حَتَّى وَهُم عَلَى الصِّرَاطِ . فَتَحَ لِلْهَالِكِينَ بَاباً مُتَّصِلاً بِرَحْمَتِهِ . وَالمُرُورُ مِنْ هَذَا البَابِ يَكُونُ فِي اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ . مِنَ العَذَابِ إِلَى الرَّحْمَةِ ، إِذْ أَنَّ العَكْسَ لَا يُعْقَل .

فَأَهْلُ النَّارِ فِي ظَوَاهِرِهِم مُعَذَّبُونَ جَسَداً .

وَإِنَّمَا فِي بَاطِنِ الأَمْرِ ؛ فَإِنَّ أَرْوَاحَهُم مُنَعَّمَةٌ بِرَحْمَةِ مَعْرِفَةِ الحَقِّ (١) .

بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَحْجُوبِينَ بِالكُفْرِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا .

وَرَفْعُ حِجَابِ الكُفْرِ لَهُ لَذَّةٌ عَظِيمَةٌ لِلرُّوحِ .

تَفُوقُ لَذَّاتِ الجَسَدِ (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : جهنم مكان للعبادة ، ومسجد للكافرين حيث يتذكرون الحق فيها ، فهم يذكرون الله فيها ليلاً ونهاراً . ومثل هؤلاء إذا دخلوا الجنة ، غفلوا عن ذكر الله . لأنهم في الدنيا ، إذا كانوا في حال رخاء ، نسوا الله تعالى . وإذا كانوا في حال ألم ، ذكروا . فكذا حالهم في الآخرة . فأهل النار – في النار – أسعد منهم في الدنيا . كالفرق بين من يجلس في المسجد ، ومن يجلس في السوق .

٢- قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ {ق : ٢٢} .

قال سماحة الإمام ﷺ : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ ﴾ في كشف الغطاء : رفع الضرر ، واحتداد البصر . فينتقل أهل الكشف ، من العين ، إلى الحق . وينتقل العالِم ، من العلم إلى العين . وما سواهما ، ينتقل من العمى إلى الإبصار . وهذا إذا كانت هذه الآية في حق الميت . أما إن كانت في حق المحتضر ، قبل خروجه من الدنيا ، فما قبض أحد من مؤمن ولا مشرك ، إلا على كشف =

= حين يقبض ، فيميل إلى الحق عند ذلك ، والحق : التوحيد والإيمان . فمن حصل له هذا اليقين قبل الاحتضار ، فمقطوع بسعادته واتصالها . ومن لم يشاهد ذلك ، فما حضره الموت ، ولا يكون ذلك احتضاراً ، فمن آمن قبل ذلك الاحتضار بنفس واحد ، أو تاب ، نفعه . وحاله عند قبض روحه ، حال من لاذنب له . ومن حصل ذلك له عند الاحتضار ، فهو في المشيئة ، وإن كان المآل إلى السعادة ، ولكن بعد المرور بالشدائد : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ألا ترى إلى قوله في المحتضر : ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ، ولم يقل عقلك . **فكل ما أنت فيه من الدنيا : إنما هو رؤيا .**

فرحة المؤمن بالموت ولذته به ، اجتمعت فيها كل لذة ، لذةٌ تعم الجسد والروح معا . **لذة كشف الحجاب ، قال رسول الله ﷺ** : «**الموت تحفة المؤمن**» صدق رسول الله ﷺ .

قال تعالى : ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ {ق : ١٩} ، للموت سكرات للطائعين ، وغمرات للعاصين : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ {الأنعام : ٩٣} ، أرأيت السكران كيف ينتشي ويفرح ؟ ، أرأيت الغمران كيف يغيب ويهذي ؟ . تلك السكرة التي تأتي بالحق تعالى ، وتجمعك به ، فتشاهده كما تشاهد القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ {الواقعة : ٨٥} ، فالله قريب وأقرب : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ {البقرة : ١٨٦} ، وهو عند الموت أقرب ، فلنا بهذه الآية حق الجوار ، وللجار حق مشروع على جاره ، وهو كرم الحق تعالى وفضله ، فهو تعالى قريب : بنزوله من العرش إلى السماء الدنيا ، نزول تجلٍ ، وهو تعالى أقرب من حبل الوريد إلى كل شقي وسعيد . =

= أنتِ أيتها الروح المجردة ، ألست النفخة الإلهية المعظمة ؟ ذات القوة الهائلة ؟ قوة تلك النفخة التي لا تعادلها جميع قوى المخلوقات . كيف ، لا ؟ وأنت النفخة المنسوبة إلى الله القوي المتين . ألم تر إلى الله تعالى ، كيف قيد هذه الروح في سجن الصور من هذه الأجسام الضعيفة ؟ . حتى لا تدعي الألوهية . إذ لو تجردت ، لقالت : أنا ربكم الأعلى !

حتى وهي في الجنة ، فهي في سجن الصور أيضا ، إلا أنها انتقلت من هذا السجن الضيق الصغير المظلم ، إلى السجن الكبير المنير الجميل ، فأنت في السجن على الدوام ، حتى وأنت في الجنة ، فروح واحدة قد حَوَت العالم كله من عرشه إلى فرشه ، وهذا لأهل اليمين أصحاب جنة الزخارف .
أما المقربون ، أهل جنة المعارف ، فهم أهل أدب عال ، تأدبت أرواحهم ، فعرفت الحق لأهله ، فلا تدعي الألوهية ولا الربوبية ، إذ أنها دوما ساجدة في حضرة الحق ، لا ترفع أبدا . فحق لها أن تذوق حلاوة التجريد ، والخروج من سجن الصور . ومما رحم الله به عباده ، أن جعل بين الأجسام وأرواحها حجابا كثيفا ، **فإذا حان الأجل ، وجاء الملك ليسحب هذا الحجاب ، ويرفع ذلك الغطاء ، رأيت مشهدك** : فترى من روحك الجنة ونعيمها ، وحورها وطعامها وأنهارها ، إن كنت من أصحاب اليمين . أو ترى جمال وجه الله تعالى ، وأنواره وتجلياته ، إن كنت من المقربين، وهذا كله من حضرة الجمال ظهر . أما أصحاب الشمال ، فيتجلى الله عليهم من حضرة الجلال ، فيرون من الأهوال ما تذوب له الجبال . أما أهل الإيمان – إلا أنهم من أصحاب الزلات – فتشدد عليهم سكرات الموت . وذلك أن الملك يسحب الحجاب شيئا قليلا فيرى من أنوار ربه ، ثم يعيده ، فينحجب عنه هذا الجمال ، فيعاني من الألم المعنوي ، ما لو صُبَّ على الجبال ، لأذابها . =

وَهُمْ خَالِدُونَ فِي هَذَا الحَالِ فِي النَّارِ .

لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا (١) .

= أما أهل الإيمان الخالص ، فيرفع الحجاب شيئا ، فتشرق الأنوار ، ثم يرفعه شيئا آخر ، فتزداد الأنوار شيئا فشيئا ، والملك يرفع الحجاب رويدا رويدا ، وكل مرة يغيب العبد فيها بأنوار ربه ، تسمى سكرة ، حتى يستقر عند ربه : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} ، ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ {القيامة : ١٢} . أما أهل الكفر والفسوق والعصيان ، فيرفع الملك عنهم الحجاب مرة واحدة ، فلا يجدون أنفسهم إلا وهم أمام غضبه وعذابه ، وعقابه وأهواله مرة واحدة ، ويتجلى الله تعالى عليهم بأسماء القهر والعز ، فالحجاب في حقهم رحمة .

١- **قال سماحة الإمام** ﷺ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ {النجم : ٣٢} ، الكل طامع ، والمطموع فيه واسع . أترى هذه السعة تضيق عن شيء ؟ وهي لم تضق عن الممكنات ؟ إذ كانت في الشر المحض ، وهو العدم . فكيف تضيق عن الممكنات ؟ إذ هي في الخير المحض ، وهو الوجود . وهي في كل موطن بحسب ذلك الموطن ، فأثرها في النار ، غير أثرها في الجنة : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} ، والغضب شيء وسعته الرحمة ، وحصرته ، وحكمت عليه ، فلا يتصرف إلا بحكمها ، فترسله إذا شاءت ، وتمسكه إذا شاءت ، فمآل الكل إلى الرحمة ، وإن تخلل الأمر آلام وعذاب ، وعلل وأمراض ، فإنما هي أعراض عرضت . ولسعة الرحمة موطن ، تظهر فيه بصورتها ، ولها موطن تظهر فيه بحكمها ، فعند إقامة الحدود ، تظهر الرحمة بحكمها ، ثم يكون الحد كفارة لصاحبه . ومن العباد من يبسط رحمة الله على عباد الله ، طائعهم وعاصيهم =

أَمَّا أَهْلُ الجِنَانِ ؛ فَمُنَعَّمَةٌ أَجْسَامُهُم بِالحَرِيرِ وَالقُصُورِ ، وَالحُورِ الحِسَانِ مِنْ حَضْرَةِ الحَنَّانِ المَنَّانِ .

أَمَّا مَنْ يَرَى اللهَ مِنْهُم ؛

فَهُوَ المُنَعَّمُ رُوحاً وَجَسَداً :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ {القيامة : (٢٢ – ٢٣)} .

= ومنهم من يريد إزالة رحمة الله عن بعض العباد ، ويحجر رحمته تعالى ، التي وسعت كل شيء . وصاحب هذه الصفة ، لولا أن سبقت رحمة الله غضبه، لما نالته رحمة أبدا ، ألم تر أن الله تعالى يقول : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ {البقرة : ١٦٢} ، أي في النار ، ولم يقل خالدين فيه : أي في العذاب ، فهم خالدون في النار ، لا في العذاب ، فهم في النار خالدون ، وفي العذاب إلى أمد الجزاء الوفاق. وأهل الجنة ينعمون إلى أمد الجزاء الوفاق ، ثم ينتقلون إلى نعيم المنن الإلهية ، التي لم ترتبط بأعمال . إن صاحب النفس – وإن شقيَ بدخول النار – فهو كمن يشقى هنا بأمراض البدن ، وهو غير مؤثر في شرف النفس ، فهي منفوخة من الروح المضافة إلى الله تعالى بطريق التشريف ، أما رأيته ﷺ : **قام لجنازة يهودي فسئل فقال** : «**أليست نفسا**» ؟ . ولو دام غضب الله ، لدام الشقاء ، وقد انتهى الغضب في يوم العرض الأكبر ، وأمر تعالى بإقامة الحدود ، فأقيمت ، وإذا أقيمت زال الغضب ، فلم يبق إلا الرضا ، وهو الرحمة التي وسعت كل شيء .

وَهُمْ أَهْلُ الإِحْسَانِ فِي الدُّنْيَا ، دُونَ غَيْرِهِم (١) .

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ {يونس : ٢٦} .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : فهذا الإنسان الكامل الذي لا يرى إلا الرب ، ولا يرى العبد أبدا ، ولا يرى نفسه أبدا ، فيعيش بالله ولله ، ويأنس في قبره بالله ، لا بعمله ، ويحشر إلى الله ، لا إلى الجنة . وينعمه الله بنفسه ، لا بغيره . وفرق كبير بين من ينعمه الله بنفسه ، وبين من ينعمه بغيره ، كنسبة الله إلى خلقه ، فهو تعالى لا ينعمهم بالنعيم . إذ النعيم حجاب ، والعذاب حجاب ، والقرب حجاب ، والبعد حجاب . فالله تعالى ينعم بما به يعذب ويؤنس بما به يوحش ، ويبسط بما به يقبض ، ويضل بما به يهدي : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ {البقرة : ٢٦} .

والعذاب لا يعرف الله ، ولو عرفه لانشغل به عن التعذيب . والنعيم لا يعرف الله ، إذ لو عرفه لانشغل به عن التنعيم . فلا يعرف الله عبد خوف ، ولا عبد أمن ، ولا عبد إخلاص ، ولا عبد علم ، ولا عبد عمل ، ولا عبد معرفة ، ولا عبد قرب ، ولا عبد بعد . ولا يعرفه تعالى إلا عبدالله : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ {الجن : ١٩} . فهي لرسول الله ﷺ على الأصالة ، وللأفراد من أمته بالتبعية . ويحشره إليه ، وفيه . لا تحت ظل عرش ، ولا تحت ظل أي خلق آخر . بل العرش وحملته هم الذين يستظلون بظله . خرج عن علمه ، فخرج عن المحاسبة . وخرج عن عمله ، فخرج عن مطالبته بالإخلاص . خرجوا عن الكون إلى المكون . وعن الذكر إلى المذكور خرجوا عن التقييد إلى الإطلاق . وخرجوا من الإطلاق إلى الله الذى جل عن الإطلاق كما جل عن التقييد . خرجوا عن رؤية نفوسهم إلى الفناء فى الله . وخرجوا من الفناء إلى فناء الفناء . =

= خرجوا من التوحيد إلى الأحدية ، ومن الشفعية إلى الوترية . خرجوا عن البعد إلى القرب ، ومن القرب إلى الذات . دخلوا قبورهم بغير نظر إلى علم ولا عمل ، ولا رجاء ولا خوف ، ولا إخلاص ولا حب . فدخلوها وحدهم ، فرأوا الله وحده . فاستأنسوا تحت الأرض ، بما استأنسوا به فوق الأرض . فمن قام هذا المقام ؛ شرب من عين الحياة ، لا من جريان العين . فعاش بالحقيقة . فلا يموت بالحجاب في الدنيا ، ولا في الآخرة .

سند حديث الزيادة

هَأَنَا ذَا أُتْحِفُكُم بـ ﴿حديث الزيــادة﴾ :

١- عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مَنْلَا صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ السَّـوِيدِيِّ البَغْـدَادِيِّ **بِإِجَازَتِـهِ لِجَدِّنَا العَلَّامَـةِ نُـورِ الدِّينِ أَبِي طَالِبٍ ، إِجَـازَةً لَهُ وَلِأَبْنَائِهِ وَأَحْفَادِهِ** .

٢- عَنِ الحَافِظِ مُرْتَضَى الزَّبِيـدِيِّ بِإِجَازَتِهِ لِجَدِّ العَلَّامَـةِ أَحْمَـدِ السَّـوِيدِيِّ ، إِجَازَةً لَهُ وَلِأَبْنَائِـهِ وَأَحْفَـادِهِ .

٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ سِنَّةَ الفُلَّانِيِّ .

٤- عَنِ الحَافِظِ مُحَمَّدِ عَبْدِ اللهِ الإِدْرِيسِيِّ الوَاوْلَاتِيِّ .

٥- عَنِ ابْنِ أُرْكُمَـــاشٍ .

٦- عَنِ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ .

٧- عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الشَّادِي .

٨- عَنْ أَبِي الفَضْلِ المَقْدِسِيِّ .

٩- عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الهَاشِمِيِّ .

١٠- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ .

١١- عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللهِ الشَّيْبَانِيِّ .

١٢- عَنِ الإِمَامِ مُسْلِمِ بْنِ الحَجَّاجِ .

١٣- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ .

١٤- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ .

١٥- عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ .

١٦- عَنْ ثَابِتٍ البَنَانِيِّ .

١٧- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى .

١٨- عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :

﴿الحُسْنَى : الجَنَّةُ ،

وَالزِّيَـادَةُ : النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ (١)

فَاللَّهُمَّ ارْزُقْنَا وَجَمِيعَ أَهْلِ هَذَا السَّنَدِ المُبَارَكِ ؛ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الكَرِيمِ . وَمَتِّعْ أَرْوَاحَنَا بِأَنْوَارِ ذَلِكَ التَّجَلِّي العَظِيمِ .

١- بهذا اللفظ رواه ابن راهويه والدارقطني في الرؤية والكلاباذي في أصول الاعتقاد عن أبي موسى ﷺ . والدارقطني في الرؤية والكلاباذي في أصول الاعتقاد وابن بطة العكبري في الإبانة عن أنس ﷺ . والدارقطني في الرؤية عن أبي بكر الصديق ﷺ . والكلاباذي في أصول الاعتقاد والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس ﷺ . والكلاباذي في أصول الاعتقاد عن سعيد بن المسيب والدارمي والدارقطني في الرؤية عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى ﷺ . والحارث ابن أبي أسامة عن ابن عمر ﷺ . وابن خزيمة عن قتادة . والكلاباذي في أصول الاعتقاد عن الحسن البصري .
وفي صحيح مسلم المطبوع قال : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ ثَابِتٍ البُنَانِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ {يونس : ٢٦} ، قَالَ : «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا ، قَالُوا : أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلْنَا الجَنَّةَ ؟ قَالُوا : بَلَى ، فَيُكْشَفُ الحِجَابُ ، قَالَ : فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ**» .

التنزل الستون ومائة

مراتب اليقين

لَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْبٌ ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِيمَانٌ .

فَعَامَّةُ الخَلْقِ ؛ إِيمَانُهُم عَنْ غَيْبٍ (١) .

وَالخَاصَّةُ ؛ إِيمَانُهُم عَنْ مُشَاهَدَةٍ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ {البقرة : ٣} : الغيب إما في الزمان وإما في المكان ، فمن آمن بالغيب صار الغيب شهادة والمستقبل حاضرًا .

لا غيب عند الله ، والكل عنده شهادة . وما غاب من الكون عن الكون فهو الغيب . ووجود الشيء شيء ؛ وإدراكه شيء آخر ، فكثير من الأشياء نؤمن بوجودها وآثارها ، وإن لم تكن داخلة تحت الحواس . وإذا آمنت بالغيب ؛ انقلب الغيب شهادة . فإن كان غيبًا عن الحواس ؛ فقد انقلب شهادة في القلوب والأرواح . فلابد من التصديق ثم التحقيق ، وموجب الأمرين التوفيق .

وَخَاصَّةُ الخَاصَّةِ ؛ إِيمَانُهُم عَنْ مُكَاشَـفَةٍ .

خُلاَصَّةُ خَاصَّةِ الخَاصَّةِ ؛ فَإِيمَانُهُم عَنْ مُنَازَلَةٍ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ {النساء : ١٣٦} (١) .

فَيَا مَنْ آمَنْتُم عَنْ غَيْبٍ ، آمِنُوا عَنْ مُشَاهَدَةٍ .

وَيَا مَنْ آمَنْتُم عَنْ مُشَاهَدَةٍ ، آمِنُوا عَنْ مُكَاشَفَةٍ .

وَيَا مَنْ آمَنْتُم عَنْ مُكَاشَفَةٍ ، آمِنُوا عَنْ مُنَـازَلَةٍ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ : هذا الأمر له وجهات : يا أيها الذين آمنوا يوم (ألست بربكم) ، آمنوا برسول الله ﷺ . أي يا أيها الذين آمنوا من أهل الكتاب ، عن قول رسلهم ، أو عن الكتب السابقة ، آمنوا برسول الله ﷺ ، عن قول رسول الله ﷺ ، أو عن قوله تعالى في القرآن .

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله غيبا ، كعامة المؤمنين ، اسعوا أن تؤمنوا به مشاهدة ، لتكونوا من خاصتهم ، ويا من آمنتم عن مشاهدة ، آمنوا عن مكاشفة ، ويا من آمنتم عن مكاشفة ، آمنوا عن منازلة ، فإيمان الشهادة هذا له درجات :

المشاهدة ، وهو الاطلاع على موقف من الغيب جملة .

والمكاشفة ، وهو الاطلاع على موقف من الغيب إجمالا وتفصيلا . =

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ {يوسف : ١٠٦} (١) .

= **والمنازلة** ، وهو أن يعيش هذا الموقف إذ أنه نازل فيه .

فمن آمن غيبا بقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ {المائدة : ١٥} . وهؤلاء هم عامة المؤمنين .

ثم يمن الله تعالى على هذا العبد ، فيشاهد أن رسول الله ﷺ ، هو النور الذي ظهر به الكتاب .

ثم يمن الله تعالى على هذا العبد ، فيكاشف بأن رسول الله ﷺ ، هو عين نور الكتاب .

ثم يمن الله تعالى عليه ، فينزله منازلة سريان نوره تعالى ، فيه ﷺ كله ، ثم سريان نوره ﷺ بدوره في كل شيء . وهذا العبد يجد نفسه تارة يتحدث بلسان رسول الله ﷺ الذي سرى فيه نور الحق ، وتارة بلسان رسول الله ﷺ الذي سرى نوره في كل شيء ، وتارة بلسان الأشياء التي سرى فيها نور رسول الله ﷺ ، وتارة بلسان الحق الذي سرى نوره في رسول الله ﷺ ، وتارة بلسان أحدية هذا النور ، بلا منظومة الثلاثية : من ممد بالنور ، وممدود بالنور ، وعين ذلك النور : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ {الإخلاص : (١ – ٤)} . هناك من يرى هذه المشاهدات والمكاشفات والمنازلات في الرؤيا في المنام ، ومنهم من يراها في اليقظة .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ {يوسف : ١٠٦} . فهؤلاء ما نزع الله تعالى عنهم ربقة الإيمان ، رغم أنه وصفهم بأنهم مشركون ، فهذا شرك معفيٌّ عنه لعموم بلواه ، ولا ينجو منه إلا من حققه الله تعالى بتوحيد الأفعال ، كما في قوله : =

فَإِيمَانُ أَهْلِ الغَيْبِ شِرْكٌ بِالنِّسْبَةِ لِإِيمَانِ أَهْلِ الْمُشَاهَدَةِ .

وَإِيمَانُ أَهْلِ الْمُشَاهَدَةِ شِرْكٌ بِالنِّسْبَةِ لِإِيمَانِ أَهْلِ الْمُكَاشَفَةِ .

وَإِيمَانُ أَهْلِ الْمُكَاشَفَةِ شِرْكٌ بِالنِّسْبَةِ لِإِيمَانِ أَهْلِ الْمُنَازَلَةِ (١) .

= ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ {الصافات : ٩٦} ، فآمن أنه لا فاعل على الحقيقة سوى الله تعالى .

ولله در الجيلي ، رضي الله عنه ، حيث قال :

أَرَاني كَالآلاتِ وَهُوَ مُحَرِّكِي ... أَنَا قَلَمٌ وَالاقْتِدَارُ أَصَابِعُ

وَلَسْتُ بِجَبْرِيٍّ وَلَكِنْ مُشَاهِدٌ ... فِعَالَ مُرِيدٍ مَا لَهُ مَنْ يُدَافِعُ

وورد عن الإمام علي كرم الله وجهه أنه قال : (**ما رأيت شيئًا ؛ إلّا ورأيت الله قبله ، وبعده ، ومعه ، وفيه**) .

قال الشيخ عبد السلام بن مشيش للشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما : يا أبا الحسن : (حدد بصر الإيمان ، تجد الله في كل شيء ، وعند كل شيء ، ومع كل شيء ، وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، وفوق كل شيء ، وتحت كل شيء ، وقريباً من كل شيء ، ومحيطاً بكل شيء ، بقرب هو وصفه ، وبحيطة هي نعته ، وعُد عن الظرفية والحدود ، وعن الأماكن والجهات ، وعن الصحبة والقرب بالمسافات ، وعن الدور بالمخلوقات ، وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو هو هو ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان) .

١ - **قال سماحة الإمام رضي الله عنه : ﴿ صاحب العلم إذا رأى صاحب المعرفة آمن ببداياته ، وكفر بنهاياته** =

وَاللهُ تَعَالَى لَيْسَ ذَلِكَ كُلُّهُ ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ .

وَتَنَزَّهَ تَعَالَى أَنْ تُدْرِكَهُ العُقُولُ وَالأَوْهَامُ .

أَوْ تَعْرِفَ كُنْهَهُ وَمَاهِيَّتَهُ الأَفْكَارُ وَالأَوْهَامُ .

فَكُلُّ مَا اعْتَقَدَهُ الْمُعْتَقِدُونَ ، فَاللهُ أَمَرَ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ تَنَزَّهَ عَنْهُ .

وَقَبِلَهُ مِنْ خَلْقِهِ رَحْمَةً بِهِم .

فَكُلُّ مُعْتَقِدٍ مُصِيبٌ . وَكُلُّ مُصِيبٍ مَأْجُورٌ .

= وصاحب المعرفة إذا رآى من رآني كفر ببداياته ، ونهاياته ، وصاحب الرؤية يؤمن ببداية كل شيء ويؤمن بنهاية كل شيء ، فلا كفران عنده ﴾ فمبادئ المعرفة هي العمل الصالح ، وهو من العلم . أما نهايات صاحب المعرفة فما هي في طور العلم . أما صاحب المعرفة فيكفر ببدايات صاحب الرؤية ونهاياته ، وذلك لأن صاحب المعرفة له رسم باق ، أما صاحب الرؤية فلا رسم له البتة ، بل هو فانٍ . أما صاحب الرؤية فيؤمن ببدايات كل شيء ونهايات كل شيء ، فليس عليه سترة حجاب . قال سماحة الإمام ﷺ : ﴿ العارف يشك في الواقف ، والواقف لا يشك في العارف ﴾ فالعارف إذا رآى أحوال الواقف أو سمع أقواله ، وجد فيها ما يعرفه وما لا يعرفه ، لقصوره عنه ، فيواقعه الشك فيه ، ويرتاب في أنه عارف أم ليس بعارف . بعكس الواقف ، فلا يجهل شيئاً من أحوال العارف ولا من أقواله ، لإحاطته بمقام المعرفة .

الإِيمَانُ بِالغَيْبِ ؛ هُوَ عِلْمُ اليَقِينِ .

وَبِالمُكَاشَفَةِ وَالمُشَاهَدَةِ ؛ عَيْنُ اليَقِينِ .

وَبِالمُنَازَلَةِ ؛ حَقُّ اليَقِينِ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ {الأعراف : ١٧٢} . هذا من الغيب الذي يؤمن به عامة المؤمنين ، الذين وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ {البقرة : ٣} . ولكن ورثة رسول الله ﷺ لهم في الاطلاع على هذا الغيب ثلاث مراتب :

مرتبة المشاهدة : وهي الاطلاع على موقف ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ جملة وليست تفصيلا .

مرتبة المكاشفة : وهي الاطلاع على موقف ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ بكل تفاصيله ودقائقه .

مرتبة المنازلة : وهي أن يعيش الولي نفسه موقف ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾

ويشارك فيه كأنه يحدث في التو واللحظة ، أي يرى نفسه مرة عين آدم عليه السلام ، ويرى نفسه مرة عين ذرية آدم عليه السلام ، ويرى نفسه أخرى عين أصلابهم . بل إن في هؤلاء الورثة من يرى نفسه أنه هو عين الحق الذي يستشهد هذه الذرية ، يأخذ عليهم العهد : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ {الفتح : ١٠} . فتتوالى عليه الأدوار والمشاهد ، كما لو كان مشتركًا في فيلم ، يرى نفسه مرَّةً البطل ، ومرَّةً البطلة ، ومرَّةً الكومبارس ، ومرَّةً هو المؤلف ، =

وَإِيمَانُ أَهْلِ الْمُنَازَلَةِ هُوَ غَيْبٌ لِأَهْلِ الْمُشَاهَدَةِ .

وَإِيمَانُ أَهْلِ الْمُشَاهَدَةِ هُوَ غَيْبٌ لِأَهْلِ الْمُكَاشَفَةِ .

وَإِيمَانُ أَهْلِ الْمُكَاشَفَةِ هُوَ غَيْبٌ لِعَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَجَلَّ اللهُ تَعَالَى عَنْ أَنْ يَكُونَ مَشْهُوداً ، بَلْ هُوَ الشَّاهِدُ .

أَوْ يَكُونَ مَعْلُومًا ، بَلْ هُوَ العَالِمُ وَالعَلِيمُ .

أَوْ مُحَاطاً بِهِ ، بَلْ هُوَ الْمُحِيطُ .

أَوْ يَكُونَ غَائِباً ، بَلْ أَنْتَ الغَائِبُ فِي أَنْوَارِهِ (١) .

= ومرَّةً المخرج ، ومرَّةً يكون هو الاستوديو والديكور !

فالمحبون هَزَمُوا جُيُوشَ الأَسْرَارِ بِجَحَافِلِ الأَنْوَارِ . فَمَا مِنْ بَحْرٍ إِلَّا رَكِبُوهُ . وَبِعِلْمٍ لَدُنِّيٍّ سَخَّرُوهُ . وَمَا مِنْ مَقَامٍ إِلَّا قَطَعُوهُ . وَبِالتَّسْلِيمِ وَصَلُوهُ . فَآمَنُوا بِالغَيْبِ كَالعَوَام . ثُمَّ مُشَاهَدَةً : حَيْثُ شَاهَدُوا مَا كَانَ غَيْبًا ، شَاهَدُوهُ مُجْمَلاً . ثُمَّ كَشْفًا : فَعَايَنُوهُ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً . ثُمَّ مُنَازَلَةً : حَيْثُ نَزَلُوهُ ، وَفَنَوا فِيهِ ، وَصَارُوا هُمْ عَيْنُ المَقَامِ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : تَوَحَّدَ المَشْهَدُ عِنْدَ المُحِبِّينَ . السَّمَاءُ وَالأَرْض ، الجَنَّةُ وَالنَّارُ ، الفَرْضُ وَالنَّفْلُ . وَجَمِيعُ شُغْلِهِم وَحَيَاتِهِم ، وَدُنْيَاهُم وَآخِرَتِهِم ، قَدِ اجْتَمَعَتْ فِي قِبْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِحْرَابٍ وَاحِدٍ . هِيَ عَيْنُ مَحْبُوبِهِم . فَهُم فِي صَلَاةٍ دَائِمَةٍ ، لِدَوَامِ رُؤْيَةِ مَشْهُودِهِم . لِأَنَّهُم أَيْنَمَا تَوَلَّوا =

فَمَنْ شَاهَدَ اللهَ تَعَالَى بِاللهِ ، فَقَدْ شَاهَدَ .

وَمَنْ شَاهَدَهُ بِنَفْسِهِ ، فَمَا شَاهَدَ (١) .

فَأَهْلُ الإِيمَانِ بِعِلْمِ اليَقِينِ إِذَا أَذْنَبُوا ، طُولِبُوا بِالتَّوْبَـةِ .

وَأَهْلُ عَيْنِ اليَقِينِ طُولِبُوا بِالإِنَابَـةِ .

وَأَهْلُ حَقِّ اليَقِينِ قَامَ الكَوْنُ كُلُّهُ يَعْتَذِرُ عَنْهُم ، وَإِنْ لَمْ يَعْتَذِرُوا .

حَتَّى تَسْتَغْفِرَ لَهُمُ النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا .

= لَمْ يَجِدُوا إِلَّا وَجْهَ اللهِ قُبَالَةَ أَرْوَاحِهِم . بِمَا لَا تَسَعُهُ العِبَارَةُ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الإِشَارَةُ . فَهُم لَا يَرَوْنَ خَلْقًا . بَلِ الكَوْنُ عِنْدَهُم غَيْبٌ . وَاللهُ وَحْدَهُ هُوَ الشَّهَادَةُ . فَقَدْ تَمَكَّنَ وُصُولُهُم . وَتَحَقَّقَ مُرَادُهُم . فَهَنِيئًا لَهُم .

١- قيل :

ومخطوبة الحسن محجوبة   فلا تألفن سوى إلفها
إذا ما تجلت على عاشق   وأهدت إليه شذى عرفها
تغيب الصفات وتفنى الذوات   مما أبرز الحسن من حسنها
وإن رام عاشقها نظرة   ولم يستطع لِعُلا وصفها
أعارته طرفاً رآها به   فكان البصير لها طرفها

وَحَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ (١) .

١- إشارة إلى الحديث الوارد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُم ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا ، وَحَتَّى الحُوتَ ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَاسِ الخَيْرَ﴾ رواه الترمذي وقال : حسن صحيح . كما رواه تمام في فوائده وابن شاهين في فضائل الأعمال وابن عساكر في تاريخه .

سند حديث الحب العظيم

لآل البيت الكرام

هَأَنَا ذَا أُتْحِفُكُم بِحَدِيثِ : (الحُبِّ العَظِيمِ لِآلِ البَيْتِ الكِرَامِ) .

مُسَلْسَلاً إِلَى خَيْرِ الأَنَامِ .

عَلَيهِم جَمِيعاً أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ .

١- فَعَنِ العَلَّامَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ الحَافِظِ التِّجَانِيِّ .

٢- عَنْ مُحَدِّثِ المَغْرِبِ سَيِّدِي مُحَمَّد عَبْدِ الحَيِّ الكِتَّانِيِّ .

٣- عَنِ العَلَّامَةِ عَبْدِ الهَادِي بْنِ العَرَبِي العَوَّادِ .

٤- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السَّنُّوسِيِّ .

٥- عَنِ المُعَمَّرِ عَبْدِ العَزِيزِ الحَبَشِيِّ .

٦- عَنِ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرِ العَسْقَلَانِيِّ .

٧- عَنِ التَّنُوخِيِّ .

٨- عَنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ اليَدْيَانْجِي .

٩- عَنْ أَبِي مَنْصُور مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الهَيْثَمِيِّ .

١٠- عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ مَحْمُودِ بْنِ الأَخْضَرِ .

١١- عَنْ أَبِي الفَتْحِ عَبْدِ المَلِكِ الكَرُوخِيِّ .

١٢- عَنْ عَبْدِ الجَبَّارِ المَرُوزِيِّ .

١٣- عَنِ الإِمَامِ أَبِي عِيسَى التِّرْمِذِيِّ .

١٤- عَنْ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ الجَهْضَمِيِّ .

١٥- عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ .

١٦- عَنْ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ .

١٧- عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ .

١٨- عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ .

١٩- عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ .

٢٠- عَنْ أَبِيهِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ .

٢١- عَنْ أَبِيهِ الإِمَامِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ .

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِ حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامِ ، فَقَالَ :

﴿مَنْ أَحَبَّنِي ،

وَأَحَبَّ هَذَيْنِ ، وَأَبَاهُمَا ، وَأُمَّهُمَا ،

كَانَ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ (١)

١- رواه الترمذي وأحمد والآجري في الشريعة والطبراني والضياء المقدسي في المختارة والفاداني في الأحاديث المسلسلة كلهم بسند يلتقي مع سند سماحة الإمام عند نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ الجَهْضَمِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ . إلا الإمام أحمد في مسنده وهو الذي أخذ مباشرة عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ .

صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي - وَكُلَّ مَنْ أَخَذَ عَنِّي هَذَا السَّنَدِ - مِنْ عُشَّاقِ آلِ بَيْتِ الْمُصْطَفَى ﷺ .

التنزل الحادي والستون ومائة

ما ثمَّ غير الله

قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ {يونس : ١٠١} .

ثُمَّ يَقُولُ : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ {الأنعام : ٣} (١) .

فَمَا ثَمَّ غَيْرُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ﴾ {البقرة : ١١٥} (٢) .

١- فلولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود الصفات ، ولو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته . أظهر كل شيء لأنه الباطن ، وطوى وجود كل شيء لأنه الظاهر . فأباح لك أن تنظر إلى المكونات ، وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ {يونس : ١٠١} ، و لم يقل انظروا السماوات والأرض ، لئلا يدلك على وجود الأجرام ، فهي ليست في ذاتها موجودة ، وإنما هي موجودة بإيجاده تعالى لها ، فالأكوان ثابتة بإثباته ، وممحوة بأحدية ذاته .

٢- قال سماحة الإمام : إِذَا نَظَرْتَ إِلَى جَمَالِ وَجْهِي ؛ سَيَضِيعُ قَلْبُكَ مِنْ يَدِكَ . وَتَظَلَّ كَذَلِكَ حَتَّى=

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ ﴾ {الحاقة : (٣٨ – ٣٩)} (١) .

= أَكْشِفَ لَكَ عَنْ وَجْهِي . فَإِذَا رَأَيْتَ جَمَالِي ؛ سَكِرْتَ عَنِ الوُجُودِ كُلِّهِ . فما تجلى تعالى بوجهه إلا لك ، وما قام بتجلي الوجه إلا الإنسان الكامل ، الوجه هو التجلي الأعظم ، بل هو أعلى تجليات مرتبة الألوهية . ليس كل من رآني رأى وجهي ، ومن رأى وجهي فقد رآني . والإنسان الكامل الذي كملت صفاته هو التجلي الأعظم في الكون ، إذن فالإنسان الكامل هو محل التجلي بالوجه . بل هو وجه الله ، لمن دونه في المرتبة .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ ﴾ {الحاقة : (٣٨ – ٣٩)} . أي ﴿ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴾ فيه التجلي الظاهر في مظاهر رفع الحجاب ، ﴿ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾ أي بما بطن فلم يُرفَع عنك الحجاب فيه . (**فما أبصرنا**) : ما هو إلا الله من حيث اسمه الظاهر . (**وما لم نبصر**) : ما هو إلا الله من حيث اسمه الباطن .

فما في الوجود إلا الله تعالى وتجلياته ، من حضرتي اسميه : الظاهر والباطن : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ {البقرة : ١١٥} . ﴿ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ ﴾ {الحديد : ٣} .

فحين يقسم الله تعالى بالشمس والقمر والنجم وغيرها ، فهو تعالى ما أقسم إلا بظهور نوره فيها ، فما أقسم إلا بنفسه . فهو تعالى لم يحرم علينا الحلف بغيره ، ثم يحلف هو تعالى بغيره . فما دلنا الله تعالى على خلق خير إلا كان هو أسبقنا إليه . وما منعنا من سوء إلا كان تعالى أبعدنا عنه . ومن رأى الله في شيءٍ ، فله أن يقسم بذلك الشيء . فالذي يرى الله تعالى في الشمس وفي القمر =

أَهْلُ اللهِ لَا يُبْصِرُونَ سِوَاهُ .

ظَاهِراً لَهُم فِي كُلِّ ظَاهِرٍ وَمَظْهَرٍ (١) .

أَمَّا المَحْجُوبُونَ فَلَا يُبْصِرُونَ إِلَّا المَظَاهِرَ وَالأَشْيَاءَ .

خَالِيَةً مِنْ وُجُودِ اللهِ فِيهَا (٢) .

= وفي الكعبة وفي الولي ، وفي النبي ﷺ ؛ له أن يقسم بهم . ومن لم ير الله تعالى في قسمه – ولو أقسم بالله تعالى – فهو لم يعظم الله ! فالذي يقسم بالله على شيء لم يحدث ، واقع تحت طائلة الحديث الشريف : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ ، فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**» رواه الترمذي وقال : حسن . ورواه أحمد وأبو عوانة والبيهقي والحاكم وصححه وأقره الذهبي .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : تَوَحَّدَ المَشْهَدُ عِنْدَ المُحِبِّينَ . السَّمَاءُ وَالأَرْضُ ، الجَنَّةُ وَالنَّارُ ، الفَرْضُ وَالنَّفْلُ . وَجَمِيعُ شُغْلِهِم وَحَيَاتِهِم ، وَدُنْيَاهُم وَآخِرَتِهِم ، قَدِ اجْتَمَعَتْ فِي قِبْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَمِحْرَابٍ وَاحِدٍ . هِيَ عَيْنُ مَحْبُوبِهِم . فَهُم فِي صَلَاةٍ دَائِمَةٍ ، لِدَوَامِ رُؤيَةِ مَشْهُودِهِم . لِأَنَّهُم أَيْنَمَا تَوَلَّوا لَمْ يَجِدُوا إِلَّا وَجْهَ اللهِ قُبَالَةَ أَرْوَاحِهِم . بِمَا لَا تَسَعُهُ العِبَارَةُ ، وَلَا تُدْرِكُهُ الإِشَارَةُ . فَهُم لَا يَرَوْنَ خَلْقًا . بَلِ الكَوْنُ عِنْدَهُم غَيْبٌ . وَاللهُ وَحْدَهُ هُوَ الشَّهَادَةُ . فَقَدْ تَمَكَّنَ وُصُولُهُم . وَتَحَقَّقَ مُرَادُهُم . فَهَنِيئًا لَهُم .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : أَوَّلُ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا المُحِبُّ ؛ هِيَ رُؤيَةُ جَمَالِ اللهِ فِي نفسه . فإذا رآه في نفسه ؛ فإن الخطوة الثانية أن يراه في الأَشْيَاءِ . وَذَلِكَ حِينَ يَكْشِفُ اللهُ تَعَالَى عَنْ ذَرَّةٍ مِنْ اسْمِهِ الجَمِيلِ =

أَهْلُ اللهِ تَعَالَى لَا يُبْصِرُونَ الحَقَّ فِي مَرْتَبَةِ بُطُونِهِ .

لِأَنَّ مَا كَانَ مِنْ اسْمِهِ البَاطِنَ ، لَا يَظْهَرُ أَبَداً .

أَمَّا العَوَامُّ ؛ فَهُم لَا يُبْصِرُونَ بَعْضَ المَظَاهِرِ كَالهَوَاءِ وَالمَلَائِكَةِ وَالجِنِّ .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ {الحجر : ٢١} .

فَعِنْدَهُ تَعَالَى خَزَائِنُ الاسْتِعْدَادِ ، ثُمَّ يُنَزِّلُ الإِمْدَادَ .

وَعَلَى قَدْرِ الإِمْدَادِ يُنْعِمُ اللهُ بِالاسْتِعْدَادِ ، وَلَيْسَ العَكْسِ .

= فَإِذَا جَاءَ وَقْتُكَ ، وَارْتَفَعَ حِجَابُكَ ؛ فَتَرَى المَوْجُودَاتِ – الَّتِي كُنْتَ تَحْسَبُهَا خَالِيَةً مِنْ وُجُودِ اللهِ – عَامِرَةً بِهِ .

والتعبير عنه تعالى بـ (الإعمار) ورد في الحديث المروي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، ﷺ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : «قَالَ مُوسَى ﷺ : يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ ، قَالَ : يَا مُوسَى قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، قَالَ : يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ ، يَقُولُ هَذَا ، قَالَ : قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبُّ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ ، قَالَ : يَا مُوسَى لَوْ كَانَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ ، **وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي** وَالْأَرَضِينَ السَّبْعُ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» رواه الحاكم وصححه والنسائي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي وأبو يعلى .

فَالفَيْضُ الإِلَهِيُّ لَا يَنْزِلُ عَلَى رُوحٍ ؛

حَتَّى يُنْعِمَ اللهُ عَلَى تِلْكَ الرُّوحِ بِكَامِلِ الاسْتِعْدَادِ .

لِتَلَقِّي فُيُوضَ الإِمْدَادِ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : الألوهية تطلب المألوه ، والربوبية تطلب المربوب ، فمن حيث نسبة الألوهية والربوبية ؛ فلا ظهور لها إلا بالمألوه والمربوب ، أما الحق من حيث ذاته ؛ فهو غني عن العالمين . فما تطلبه الربوبية شيء ، وما تطلبه الألوهية شيء ، وما تستحقه الذات من الغنى عن العالم شيء آخر . فأول نفس ألوهية توجه على الكون بالإيجاد ، ثم توالت أنفاس الربوبية بالإمداد . فالألوهية تعطي للأرواح استعداداتها لقبول التجليات . والربوبية تتجلى بتجلياتها على حسب ما أعطته الألوهية من الاستعداد . والاستعداد ليس له حدود . إذ تجليات الألوهية تستوعب كل تجليات الربوبية . فكلما أراد الرب أن يتجلى ؛ فالله يعطي الاستعداد لقبول ذلك التجلي ، وليس العكس . قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ ﴾ {الحجر : ٢١} . وهذه هي خزائن الجود والإمداد بالاستعداد الإلهي ، وهي ليست لها حدود . ولكن التنزُّل الرباني في قوله : ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ {الحجر : ٢١} . وهذه هي الإمدادات من حضرة الربوبية للمربوبين . فينزل الفيض الإلهي أولا بالاستعداد ، ثم تتنزَّل التجليات الربانية ، تنزُّلاً بعد تنزُّل ، لأن الأرواح لا تقبل التجلي دفعة واحدة ، ولكن شيئاً فشيئاً ، ودفعةً دفعةً ، وهي المعبر عنها بكلمة (تنزُّل) ، وهي كلمة تدل على تكرار النزول ، غير (نزل) التي تدل على المرة الواحدة . إذ أن حضرة الإمكان قاصرة ، لا تقبل الظهور إلا بالتدريج ، فيرفع الله تعالى الحجب بينه وبين خلقه ، حجاباً حجاباً .

وَلَكِنَّ الأَرْوَاحَ لَا تَقْبَلُ التَّجَلِّيَّاتِ دَفْعَةً وَاحِدَةً .

وَإِنَّمَا بِالتَّدْرِيجِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِلَفْظِ : ﴿ نُنَزِّلُهُۥٓ ﴾ .

الَّتِي تُفِيدُ تَـوَالِي النُّزُولِ ، وَتَعَدُّدَهُ ، وَتَدَرُّجَهُ ، وَاسْـتِمْرَارَهُ .

فَأَوَّلُ السَّيْلِ قَطْرَةٌ .

وَأَوَّلُ الفَيْضِ دَفْقَـةٌ .

ثُمَّ يَتَوَالَى وَلَا يَنْقَطِعُ بَعْدَهَا أَبَداً .

فَإِذَا حَانَ وَقْتُ الفَتْحِ ؛

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْفَعُ الحُجُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ حِجَاباً حِجَاباً (١) .

وَهُوَ الْمَقْصُودُ بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعۡلُومٍ ﴾ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ ، وَمَا يَسْمَعُ مِنْ نَفْسٍ شَيْئًا مِنْ حِسِّ تِلْكَ الْحُجُبِ إِلا زَهَقَتْ ﴾ فحجب النور من اسمه الظاهر ، وحجب الظلمة من اسمه الباطن . وذلك هو ظهور الحق تعالى في مظاهر أعيان الممكنات بحكم ما هي الممكنات عليه من الاستعدادات . فاختلفت الصفات على الظاهر ، لأن الأعيان التي =

= ظهر فيها مختلفة . فتميزت الموجودات ، وتعددت لتعدد الأعيان وتميزها . **فما في الوجود إلا الله وأحكام الأعيان** . وما في العدم شيء ، إلا أعيان الممكنات مهيأة للاتصاف بالوجود . وحجب النور : هي حجب الروح . وحجب الظلمة : هي حجب النفس ، فلا تخلص إليه تعالى إلا بعد اختراق حجب النفس الظلمانية . فإذا جزتها ، وقعت في حجب الروح النورانية . فالنفس – وإن كانت مطمئنة – فهي حجاب . والروح – وإن صفت – فهي حجاب . وليس ثم إلا الإطلاق : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} .

اعلم أن أعظم العذاب ، هو الحجاب عن الله . واعلم أن من لم ير الله تعالى ، فلا علمه نفع ، ولا جهله ارتفع . واعلم أن مَن وراء الحجاب ، لا يدعو الله إلا بكشف الحجاب ، فهذا هو فرضه ونفله . واعلم أن من لم يره في الدنيا ، لا يراه في الآخرة . واعلم أن الكشف والمشاهدة : هو جنة الجنة ، والحجاب : هو نار النار . واعلم أن الله تعالى لم يرضك إلا لرؤيته ، فلا ترضى لغيبته . واعلم أن منهم من يراه ، ويحجبهم برؤيته ، عنهم . واعلم أن من مات ، انقطع ذكره لله ، ولا ينقطع ذكر الله له . واعلم أن من رأى وجه الله ، استوى عنده الكشف والحجاب . واعلم أن العلم – على من رأى وجهه جل جلاله – أضر من الجهل ، على من لم يره . واعلم أن الحسنة بعشر ، لمن لم يره ، وهي سيئة لمن رآه . ما ألطف هذه الحجب ، وما أخفاها . قال تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ {ق : ١٦} . مع وجود الحجب التي تمنعنا من رؤيته ، في هذا القرب العظيم ، وما نرى لهذه الحجب عينا ، فهي أيضا محجوبة عنا ، نعم يارب : ما نبصرك ولا نبصر الحجب فنحن خلف الحجاب ، وأنت منا بمكان الوريد ، أو أقرب إلينا منا : =

= فالله غير محدود بحجاب ولا بغيره ، إلا أن يكون هو عين الحجاب . فما احتجبنا عنك إلا بك ، وما احتجبت عنَّا إلا بشدة ظهورك . و كيف نحتجب عنه ، ونحن مظهر من مظاهر ظهوره !!

قال سماحة الإمام : روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿... **حِجَابُهُ النُّورُ** – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : **النَّارُ – لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**﴾ . وأيًّا كان التعبير عن الحجاب بالنور أو بالنار فهو عندنا صحيح وله ما يؤيده : **فالنور** : **لأهل الجمال** ، كما تبدَّى لرسول الله ﷺ . فقد سُئِلَ ﷺ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ . فَقَالَ : ﴿**رَأَيْتُ نُورًا**﴾ . **والنار** : **لأهل الجلال** ، كما وقع لموسى عليه السلام قال : ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ {طه : ١٠} . وهذا رسول الله ﷺ يقول : ﴿**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا** .....﴾ إلى أن قال : ﴿**واجعلني نورا**﴾ . طلب من ربه أن يجعله من جميع الوجوه نوراً دالاً ، وحجاباً يتنعم برؤيته من أراد التنعم بحسن النظر إلى الله .

سند حديث البطاقة

سَوْفَ أُتْحِفُكُم بِحَدِيثِ (**البِطَاقَةِ**) .

وَهُوَ مِنْ أَسْرَارِ الرَّحْمَةِ العَظِيمَةِ الَّتِي سَتَظْهَرُ فِي القِيَامَةِ لِلْخَلْقِ .

وَهَذَا السَّنَدُ مُسَلْسَلٌ بِالمِصْرِيينَ .

فَكُلُّ الرُّواةِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِصْرِيُّونَ .

وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ وَأَصَحِّ مَا رَوَاهُ المِصْرِيُّونَ مُسَلْسَلاً .

فَأَقُولُ :

١- حَدَّثَنِي جَدِّي المُعَمَّرُ المُسْنِدُ الحُجَّةُ أَبُو طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الله المِصْرِيُّ .

٢- عَنْ سَلِيمِ البِّشْرِيِّ شَيْخِ الأَزْهَرِ .

٣- عَنِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيم بْنِ حَسَنِ السَّقَّا المِصْرِيِّ .

٤- عَنِ الأَمِيرِ الصَّغِيرِ المِصْرِيِّ .

٥- عَنْ وَالِدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ القَادِرِ الأَمِيرِ الكَبِيرِ .

٦- عَنْ شَيْخِ الإِسْلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ العَدَوِيِّ الصَّعِيدِيِّ .

٧- عَنِ العَلَّامَةِ مُحَمَّدِ السَّلَمُونِيِّ المِصْرِيِّ .

٨- عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الخَرْشِيِّ المِصْرِيِّ .

٩- عَنِ البُرْهَانِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَّانِيِّ المِصْرِيِّ .

١٠- عَنِ الشَّيْخِ سَالِمِ السَّنْهُورِيِّ المِصْرِيِّ .

١١- عَنِ النَّجْمِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الغِيطِيِّ المِصْرِيِّ .

١٢- عَنْ نُورِ الدِّينِ بْنِ يَس الطَّرَابُلْسِيِّ المِصْرِيِّ .

١٣- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّخَاوِيِّ المِصْرِيِّ .

١٤- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ القَلْقَشَنْدِيِّ المِصْرِيِّ .

١٥- عَنِ الصَّدْرِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ المَيْدُومِيِّ المِصْرِيِّ .

١٦- عَنْ أَبِي عِيسَى بْنِ عِلَاقِ المِصْرِيِّ .

١٧- عَنْ هِبَةِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ البُوصِيرِيِّ المِصْرِيِّ .

١٨- عَنْ مُرْشِدِ بْنِ يَحْيَى المِصْرِيِّ .

١٩- عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُمَرِ الصَّوَّافِ المِصْرِيِّ .

٢٠- عَنْ حَمْزَةِ بْنِ مُحَمَّدِ الكَنَانِيِّ المِصْرِيِّ .

٢١- عَنْ عِمْرَانِ بْنِ مُوسَى بْنِ حَمِيدِ المِصْرِيِّ .

٢٢- عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بَكِيرِ المِصْرِيِّ .

٢٣- عَنِ الإِمَامِ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدِ المِصْرِيِّ .

٢٤- عَنْ عَامِرِ بْنِ يَحْيَى المُعَافِرِيِّ المِصْرِيِّ .

٢٥- عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحَلَبِيِّ المِصْرِيِّ .

٢٦- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﵄ ، المِصْرِيِّ إِقَامَةً ، قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

﴿ إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلَ مَدِّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ قَالَ : لَا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ : بَلَى ؛ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ! مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ : فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ ؛ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ ﴾ (١)

١- رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة وأحمد وابن حبان والطبراني والبيهقي والحاكم وصححه .

فَطُوبَى لِعَبْدٍ ثَقُلَت كِفَّةُ حَسَنَاتِهِ .

فَنَـزَّهَ هَذِهِ الشَّهَادَةَ أَنْ تُوضَعَ لَهُ فِي مِيزَانٍ .

فَتُدَّخَرَ لَهُ حَتَّى يَرَى بِهَا وَجْهَ اللهِ فِي الجَنَّةِ .

أَمَّا مَنِ افْتَقَرَ مِيزَانُهُ حَتَّى وُضِعَتْ لَهُ فِيهِ ؛

فَإِنَّهُ يَدْخُلُ الجَنَّةَ .

وَلَكِنَّهُ لَنْ يَرَى وَجهَ اللهِ أَبَداً .

فَادَّخِرُوا يَا عِبَادَ اللهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لِرُؤْيَةِ وَجْهِهِ تَعَالَى .

عَلَى الكَثِيبِ الأَبْيَضِ فِي الجَنَّـةِ (١) .

فَرُؤيَـةُ وَجْهِـهِ تَعَـالَى هُوَ جَنَّةُ الجَنَّـةِ .

١- الكثيب : هو المكان المرتفع .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : عُرِضَتِ الْجُمُعَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، جَاءَ جِبْرِيلُ ﷺ فِي كَفِّهِ كَالْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ ، فِي وَسَطِهَا كَالنُّكْتَةِ السَّوْدَاءِ ، فَقَالَ : «مَا هَذِهِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذِهِ الْجُمُعَةُ يَعْرِضُهَا عَلَيْكَ رَبُّكَ لِتَكُونَ لَكَ عِيدًا ، وَلِقَوْمِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، وَلَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ، تَكُونُ أَنْتَ الْأَوَّلَ =

= وَيَكُونُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنْ بَعْدِكَ ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو أَحَدٌ رَبَّهُ بِخَيْرٍ هُوَ لَهُ قَسْمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ ، أَوْ يَتَعَوَّذُ مِنْ شَرٍّ إِلَّا دَفَعَ عَنْهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْمَزِيدِ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَبَّكَ اتَّخَذَ فِي الْجَنَّةِ وَادِيًا أَفْيَحَ مِنْ مِسْكٍ أَبْيَضَ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ نَزَلَ مِنْ عِلِّيِّينَ ، فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ، وَحَفَّ الْكُرْسِيَّ بِمَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بِالْجَوَاهِرِ ، وَجَاءَ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ فَجَلَسُوا عَلَيْهَا ، وَجَاءَ أَهْلُ الْغُرَفِ مِنْ غُرَفِهِمْ حَتَّى يَجْلِسُوا عَلَى الْكَثِيبِ ، وَهُوَ كَثِيبٌ أَبْيَضُ مِنْ مِسْكٍ أَذْفَرَ ، ثُمَّ يَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَقُولُ : أَنَا الَّذِي صَدَقْتُكُمْ وَعْدِي ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَهَذَا مَحَلُّ كَرَامَتِي ، فَسَلُونِي . فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا ، فَيَقُولُ : رِضَايَ أُحِلُّكُمْ دَارِي ، وَأَنَالَكُمْ كَرَامَتِي ، فَسَلُونِي ، فَيَسْأَلُونَهُ الرِّضَا ، فَيَشْهَدُ عَلَيْهِمْ عَلَى الرِّضَا ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، إِلَى مِقْدَارِ مُنْصَرَفِهِمْ مِنَ الْجُمُعَةِ ، وَهِيَ زَبَرْجَدَةٌ خَضْرَاءُ أَوْ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ ، مُطَّرِدَةٌ فِيهَا أَنْهَارُهَا ، مُتَدَلِّيَةٌ ، فِيهَا ثِمَارُهَا ، فِيهَا أَزْوَاجُهَا وَخَدَمُهَا ، فَلَيْسَ هُمْ فِي الْجَنَّةِ بِأَشْوَقَ مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، لِيَزْدَادُوا نَظَرًا إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وَكَرَامَتِهِ ، وَلِذَلِكَ دُعِيَ يَوْمَ الْمَزِيدِ» رواه البزار والآجري في الشريعة والطبراني وأبو نعيم في صفة الجنة والضياء المقدسي في المختارة . وهذا الحديث قال عنه الذهبي في (العلو) : هو حديث مشهور وافر الطرق .

التنزل الثاني والستون ومائة

أنوار المشاهدة

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ {ق : ٢٢} .

فَإِذَا انْكَشَفَ الغِطَاءُ ، وَوَقَعَ الفَتْحُ ، وَحَانَتِ المُشَاهَدَةُ .

رَأَى كُلُّ وَاحِدٌ صُورَةَ مُعْتَقَدِهِ الحَقِّ ظَاهِرَةً أَمَامَهُ (١) .

١- **قال الإمام علي كرم الله وجهه : (لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقينا)**

قال سماحة الإمام ﷺ **في تعليقه على هذه المقولة** : وذلك مثل جماعة من الناس ، في ليلة مظلمة ، أقاموا الصلاة ، وكل منهم صلى إلى جهة ، يرى أنها القبلة . وفي الصباح ، غيروا جميعا وجهتهم ، أما ذلك الذي كان متجها إلى القبلة الصحيحة بالليل ، فلماذا يدير وجهه ؟ والجميع قد أداروا وجوههم نحو وجهته التي كان عليها ؟ وهكذا ، فإن عباد الحق ، أولئك ظلوا متجهين إليه ، حتى في الليل ، وقد أداروا وجوههم عن كل ما سواه . وهكذا فالقيامة عندهم ظاهرة وحاضرة .

فَمَنْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى شَدِيدُ العِقَابِ .

وَأَنَّهُ لا يَغْفِرُ الكَبَائِرَ أَوِ الصَّغَائِرَ .

لَيْسَ كَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ .

فَلَيْسَ مَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ كَمَنْ أَسَاءَ الظَّنَّ .

﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ {الصافات : ٨٧} (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : اللهُ تَعَالَى ، أَرْحَمُ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ . فَرَحْمَتُهُ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . وَرَحْمَتُهُ الَّتِي سَبَقَتْ غَضَبَهُ : «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» . وَكَرَمُهُ الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَالكَرِيمُ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا .

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُــهُ أَوْ وَعَدْتُــهُ ... لَمُخْلِفُ إِيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي

وَرَحْمَتُهُ الَّتِي كَتَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ {الأنعام : ٥٤} . ثُمَّ قَوْلُهُ لآدَمَ عليه السلام : ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ {طه : ١٢٢} . وَانْسِحَابُ ذَلِكَ الاجْتِبَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالهِدَايَةِ عَلَى ذُرِّيَتِهِ . لأَنَّهُم كَانُوا آنَذَاكَ فِي صُلْبِهِ . وَاللهُ تَابَ عَلَيهِ كُلِّهِ ، وَذُرِّيَتِهِ فِيهِ . وَجَمِيعُ الخَلْقِ تَحْتَ لِوَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، يوم القيامة : «آدَمُ ، فَمَنْ دُونَهُ ، تَحْتَ لِوَائِي» . وَهَلْ يَصِلُ شَرٌّ إِلَى مَنْ تَحْتَ لِوَائِهِ ﷺ ؟ وَشَفَاعَتُهُ ﷺ ، الَّتِي سَتُصِيبُ الأَسْوَدَ وَالأَحْمَرَ ، المُؤْمِنَ وَالكَافِرَ ، الجِنَّ وَالإِنْسَ =

= وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ اللهِ ، يُدْخِلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الجَنَّةَ ، وَلَوْ شَاءَ أَدْخَلَ الخَلْقَ بِحَثْيَةٍ وَاحِدَةٍ . والتِّسْعَةُ وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، الَّتِي سَيَضُمَّهَا اللهُ تَعَالَى إِلَى الرَّحْمَةِ الوَاحِدَةِ الَّتِي رَحِمَ اللهُ بِهَا عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا ، فَيَرْحَمُ الخَلْقَ جَمِيعًا بِمِائَةِ رَحْمَةٍ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} . فَلَا يَرْضَى ﷺ ، وَوَاحِدٌ تَحْتَ لِوَائِهِ فِي النَّارِ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ {الضحى : ٥} . وَعِنْدَمَا يَسْجُدُ ﷺ تَحْتَ العَرْشِ ، فَيُقَالُ لَهُ : «**سَلْ تُعْطَهُ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**» . **فَيَقُولُ** : «**يَا رَبِّ ، ذُرِّيَّةُ آدَمَ لَا تُحْرِقِ الْيَوْمَ فِي النَّارِ**» . فَيَضَعُ الكَرِيمُ فِيهَا قَدَمَهُ . كِنَايَةً عَنْ إِطْفَائِهَا ، كَرَامَةً لِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ . وَإِذَا كَانَ نُورُ المُؤْمِنِ يَغْلِبُ لَهَبَ النَّارِ ، فَكَيْفَ بِنُورِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ {الأحزاب : ٢٤} . فَـ ﴿أَوْ﴾ تُفِيدُ التَّحْقِيقَ بِالمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ . وَلِذَا أَعْقَبَ الآيَاتِ بِقَوْلِهِ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ بالتوكيد . وَقَوْلُهُ ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ الْفَاجِرُ فِي دِينِهِ ، الْأَحْمَقُ فِي مَعِيشَتِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ الَّذِي قَدْ مَحَشَتْهُ النَّارُ بِذَنْبِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَغْفِرَنَّ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً يَتَطَاوَلُ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءَ أَنْ تُصِيبَهُ**» . وَسَتُصِيبُهُ ، لِأَنَّ اللهَ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ {الأعراف : ٢٩} . وَقَدْ بَدَأَ بِنَا جَمِيعًا فِي الجَنَّةِ . ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} . وَسَنَعُودُ جَمِيعًا إِلَى اللهِ تَعَالَى . وَاللهُ تَعَالَى أَرْحَمُ مِنْ رَحْمَتِهِ . وَأَلْطَفُ مِنْ لُطْفِهِ . وَأَجْمَلُ مِنْ جَمَالِهِ . أَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللهِ يَا عِبَادَ اللهِ . فَاللهُ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ .

وَظَنِّي فِيكَ يَا رَبِّي جَمِيلٌ   فَحَقِّقْ يَا إِلَهِي حُسْنَ ظَنِّي

وَقَالَ ﷺ : «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١) .

لِأَنَّهُ سَيَجِدُ رَبَّهُ عِنْدَ ظَنِّهِ : «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ» (٢) .

وَلَكِنْ أَحْيَاناً ، وَنَادِراً مَا ، تَنْكَشِفُ لَهُ صُورَةٌ أُخْرَى :

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ {الزمر : ٤٧} .

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَوَغَّلُ فِي المَعَاصِي اعْتِمَاداً عَلَى رَحْمَةِ اللهِ .

حَتَّى يَجُرُّهُ هَذَا إِلَى سُوءِ الأَدَبِ مَعَ اللهِ .

فَيَتَجَلَّى اللهُ لَهُ بِصُورَةِ شَدِيدِ العِقَابِ .

أَوْ بِصُورَةِ عَدْلِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ جَزَاءَ تَفْرِيطِهِ (٣) .

١- رواه مسلم في صحيحه .

٢- رواه أحمد والدارمي وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه وأقره الذهبي على شرط مسلم .

٣- حتى هذ الذي توغل في المعاصي يطمع في رحمه الله تعالى فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ ، وَهُوَ نَائِمٌ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ ، فَقَالَ : «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ» قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ : =

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ سَيُحَاسِبُهُ بِعَدْلِهِ .

فَيَمُنُّ اللهُ عَلَيْهِ ، وَتَسْبِقُ لَهُ مِنَ اللهِ العِنَايَةُ .

فَيُحَاسِبُهُ بِفَضْلِهِ جَزَاءَ تَأَدُّبِهِ مَعَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ (١) .

= وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ : وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ . رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : أَنَا رَبُّكَ الضَّاحِكُ . فَأَنَا أَضْحَكُ لِكُلِّ الخَلْقِ . إِلَّا مَنْ ظَنَّ عَكْسَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي لَا أَضْحَكُ فِي وَجْهِهِ أَبَدًا . يَأْتِي الأَنْبِيَاءُ يَوْمَ القِيَامَةِ ؛ فَيَذْهَبُ لَهُمُ النَّاسُ ، فَيَقُولُ كُلُّ نَبِيٍّ : «**إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**» . وَذَلِكَ حِفْظًا لِسِرِّ رَحْمَةٍ . لَا لِأَنَّ الأَمْرَ كَذَلِكَ . لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ قَالَ : «**خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ مِنْهَا رَحْمَةً ، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَالْبَهَائِمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَالطَّيْرُ ، وَأَخَّرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ، أَكْمَلَهَا اللهُ بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ**» . فَالأَنْبِيَاءُ لَمْ يَكُنْ مَسْمُوحًا لَهُمْ بِإِفْشَاءِ سِرِّ الرَّحْمَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلَا سِيَّمَا بِأَنَّ أُمَمَهُم قَدْ كَفَرَتْ وَأُهْلِكَتْ . وَلَكِنَّهُم فِي قَرَارَةِ أَنْفُسِهِم ، يَظُنُّونَ ، بَلْ يُوقِنُونَ ، بِأَنَّ رَبَّهُم يَضْحَكُ لَهُم . حَتَّى يَلْجَأَ النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ المِائَةُ رَحْمَةٍ ، الَّتِي وَعَدَ اللهُ الخَلْقَ بِهَا . وَيَظْهَرُ سِرُّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} . وَيَظْهَرُ سِرُّ : ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . =

عِنْدَ انْكِشَافِ الغِطَاءِ ؛ تَزُولُ اعْتِقَادَاتُ كُلِّ مُعْتَقِدٍ بِالْمُشَاهَدَاتِ .

عِنْدَمَا تَفِيضُ أَنْوَارُ الْمُشَاهَدَةِ ؛

تختفي كُلُّ مَعْقُولَاتٍ وَمُعْتَقَدَاتِ العُقُولِ .

فَتَنْحَلُّ عُقْدَةُ الْمُعْتَقَدَاتِ العَقْلِيَّةِ ، بِنُورِ الْمُشَاهَدَاتِ الوَهْبِيَّةِ .

أَنْتَ اليَوْمَ تُبْصِرُ وَتُشَاهِدُ . لَا تَعْقِلُ وَتُفَكِّرُ (١) .

= فَبِهِ يَضْحَكُ اللهُ لِخَلْقِهِ ، وَبِهِ يَرْحَمُ اللهُ خَلْقَهُ . وَيُقَالُ : «**ارْفَعْ رَأْسَكَ**» . وَتَثْبُتُ الرَّحْمَةُ : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ {الفرقان : ٢٦} . لَا لاسْمٍ آخَرَ . تَحْذِيرٌ عَامٌّ يَوْمَ القِيَامَةِ : إِذَا ذَهَبْتُم لِأَيِّ نَبِيٍّ فِي المَحْشَرِ ، فَلَنْ تَزْدَادُوا إِلَّا رَهْبَةً وَخَوْفًا . إِذَا رَأَيْتُم النَّاسَ يَذْهَبُونَ إِلَى الأَنْبِيَاءِ ، فَلَا تَذْهَبُوا مَعَهُم . لَيْسَ اليَوْمُ هُوَ يَوْمَ الأَنْبِيَاءِ . وَإِنَّمَا يَوْمُ سَيِّدِ الأَنْبِيَاءِ ، الَّذِي بِهِ يَأْمَنُ الأَنْبِيَاءُ . اذْهَبُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ، اذْهَبُوا إِلَى حَبِيبِ اللهِ . لَا تُضَيِّعُوا الوَقْتَ مَعَ النَّاسِ ، حِينَ يَذْهَبُونَ مَذَاهِبَهُم . رَسُولُ اللهِ هُوَ المَأْمَنُ الوَحِيدُ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : اللهُ تَعَالَى يُنْزِلُ العَبْدَ ، مِنْ حَيْثُ أَنْزَلَهُ العَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ . إِنْ أَجْلَلْتَ أَمْرَهُ ، أَجَلَّكَ . وَإِنْ أَحْبَبْتَهُ ، أَحَبَّكَ . وَإِنْ رَضِيتَهُ ، فَقَدْ رَضِيَكَ . وَإِنْ رَأَيْتَهُ قَرِيبًا مِنْكَ ، فَأَنْتَ قَرِيبٌ . وَبِقَدْرِ الصَّفَاءِ ، يَكُونُ الوَفَاءُ . وَمَنِ اكْتَمَلَ اسْتِعْدَادُهُ ، نَالَ مُرَادَهُ . وَتَجَلَّى الجَمَالُ فِي المَشَاهِدِ ، بِحَسَبِ مَا عَلَيْهِ الْمُشَاهِدُ . وَشُرُوقُ الأَنْوَارِ عَلَى حَسَبِ صَفَاءِ الأَسْرَارِ . أَنَا لَمْ آتِ لِأُعْطِكَ شَيْئًا جَدِيدًا . لَقَدْ أَتَيْتُكَ لِأُخْرِجَ جَمَالًا ، لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَنَّهُ مَوْجُودٌ فِيكَ .

لَا مَكَانَ لِلْعَقْلِ .

وَلَا مَكَانَ لِأَيِّ مَكِينٍ .

سِوَى اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

سند حديث سبق الرحمة

أُتْحِفُكُمُ اليَوْمَ بِحَدِيثِ : ﴿ سَبْقِ الرَّحْمَةِ ﴾ .

فَأَرْوِيهِ عَالِياً :

١- عَنْ عَلَّامَةِ العَصْرِ وَمُحَدِّثِ الوَقْتِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ الحَافِظِ التِّجَانِيِّ رضي الله عنه .

٢- عَنِ الشَّيْخِ مُحَمَّد عَبْدِ الحَيِّ الكَتَّانِيِّ .

٣- عَنْ أَحْمَدِ بْنِ مَنْلَا صَالِحِ السَّوِيدِيِّ .

٤- عَنِ الحَافِظِ مُحَمَّد مُرْتَضَى الزَّبِيدِيِّ .

٥- عَنْ نَادِرَةِ زَمَانِهِ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَّةُ الفُلَّانِيِّ .

٦- عَنْ أَحْمَدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ العَجِلِ .

٧- عَنِ القُطْبِ النَّهْرَوَالِيِّ .

٨- عَنْ أَحْمَدِ بْنِ أَبِي الفَتْحِ الطَّاووسِيِّ .

٩- عَنِ المُعَمَّرِ بَابَا يُوسِفِ الهَرَوِيِّ .

١٠- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شَاذْبُخْتِ الفِرْغَانِيِّ .

١١- عَنْ يَحْيَى بْنِ شَاهَانِ الخَتْلَانِيِّ .

١٢- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسِفِ الفَرَبْرِي .

١٣- عَنِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ البُخَارِيِّ .

١٤- عَنْ قُتَيْبَةِ بْنِ سَعِيدٍ .

١٥- عَنْ مُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القُرَشِيِّ .

١٦- عَنْ أَبِي الزِّنَادِ .

١٧- عَنِ الأَعْرَجِ .

١٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :

﴿سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي﴾ (١)

١- بهذا اللفظ رواه مسلم في صحيحه والحميدي وأحمد وابن خزيمة والبيهقي وأبو يعلى =

وَمَا دَامَتِ الرَّحْمَةُ سَابِقَةً دَوْماً ، فَلَا ظُهُورَ لِلْغَضَبِ (١) .

وَلَـمَّا كَانَ الغَضَبُ أَشَدَّ مِنَ العَذَابِ بِكَثِيرٍ ؛

فَقَدْ ذَكَرَ هُنَا أَنَّ الرَّحْمَةَ إِنَّمَا سَبَقَتِ الغَضَبَ نَفْسَهُ .

الَّذِي هُوَ أَشَدُّ مِنَ العَذَابِ .

فَبِالأَحْرَى أَنَّهَا قَدْ سَبَقَتِ العَذَابَ أَيْضاً .

وَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ : سَبَقَتْ رَحْمَتِي عَذَابِي .

إِذْ لَوْ قَالَ ذَلِكَ لَكَانَ الغَضَبُ قَائِماً .

وَالحَمْـــدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيـــنَ .

= وابن أبي الدنيا بسند يلتقي مع سند سماحة الإمام رضي الله عنه عند أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه . وفي صحيح البخاري المطبوع ؛ قال : حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القُرَشِيُّ ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : **«لَـمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»** .

١ - الرَّحْمَةُ لَهَا المُلْكُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ ، إِيجَاداً وَإِمْدَاداً . فَهِيَ مُتَصَرِّفَةٌ فِي المُلْكِ وَالمَلَكُوتِ . سَوَاءٌ فِي المُنَعَّمِينَ ، أَوِ المُعَذَّبِينَ . فَقَدْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ . حَتَّى الغَضَبَ وَالعَذَابَ ؛ فَهُمَا شَيْئَانِ قَدْ =

= وَسِعَتْهَا الرَّحْمَةُ . ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ {الأعراف : ١٥٦} ، وَسِعَتْهُم وُجُوداً وَحُكْماً . فَوُجُودُ الغَضَبِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ . وَلَكِنَّهَا سَبَقَتْهُ ، فَلَا يَظْهَرُ حُكْمُهُ أَبَداً . «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» . وَإِنْفَاذُ الغَضَبِ بِالتَّعْذِيبِ ، هُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ . لَا يَخْرُجُ عَنْ حُكْمِهَا أَبَداً . فَالْكُلُّ مَرْحُومٌ . وَالرَّحْمَةُ وَسِعَتْ حَتَّى جَمِيعَ الأَسْمَاءِ الإِلَهِيَّةِ القَدِيمَةِ الأَزَلِيَّةِ . لِأَنَّهَا مُجَرَّدُ نِسَبٍ ، وَاعْتِبَارَاتٍ ، وَإِضَافَاتٍ ، وَتَجَلِّيَاتٍ . فَلَا يَبْرُزُ حُكْمُ اسْمٍ مِنَ الأَسْمَاءِ إِلَّا مِنَ الرَّحْمَنْ . وَهَذِهِ الرَّحْمَةُ الَّتِي وَسِعَتْ وَسَبَقَتْ ، هِيَ جُزْءٌ ظَهَرَ فِي الوُجُودِ ، مِنْ مَائَةِ جُزْءٍ بَطَنَتْ ، فَلَا تَظْهَرُ إِلَّا يَوْمَ القِيَامَةِ . فَلَا أَجْمَلَ مِنْ يَوْمِ القِيَامَةِ يَوْمٌ . حَيْثُ يَتَقَلَّبُ الخَلْقُ فِي الرَّحَمَاتِ . فَلَا تَرَى إِلَّا مَرْحُوماً رَحْمَةً لَا تَخْطُرُ بِبَالِ بَشَرٍ . ثُمَّ يَظْهَرُ تَعَالَى لِلْخَلْقِ ، وَمَا ظَنُّكَ بِظُهُورِ اللهِ ؟ إِذْ أَنَّهُ تَعَالَى أَرْحَمُ مِنْ رَحْمَتِهِ . ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ﴾ مِنْ شِدَّةِ الرَّحْمَةِ ﴿وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ﴾ .

فشدة العذاب من شدة الغضب ، وشدة الغضب يستتبعها ظهور شدة الرحمة بدرجة أكبر من شدة الغضب ، حتى تسبق الرحمة الغضب ، فالسُّكر هنا من التجلي الذي له الغلبة ، وهو شدة الرحمة ، وليست شدة الغضب : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ {غافر : ٧} !

فَرَحْمَةُ اللهِ فِي الأَكْوَانِ سَارِيَةٌ ، وَفِي الذَّوَاتِ جَارِيَةٌ . وَكُلُ مَنْ ذَكَرَتْهُ الرَّحْمَةُ فَقَدْ سَعِدَ . ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ {مريم : ٢} . وَهِيَ لَمْ تَنْسَ أَحَداً . ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . وَذِكْرُ الرَّحْمَةِ لِلأَشْيَاءِ : هِيَ عَيْنُ إِيجَادِ الأَشْيَاءِ . وَإِخْرَاجِهَا إِلَى الوُجُودِ . ثُمَّ تَذْكُرُ الرَّحْمَةُ كُلَّ أَحَدٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ .

التنزل الثالث والستون ومائة

إنك أنا

قَالَ ﷺ : «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ ؛ فَقَدْ كَفَرَ ، أَوْ أَشْرَكَ» (١) .

فَلَا يَجُوزُ الحَلِفُ إِلَّا بِاللهِ تَعَالَى ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ .

وَمَا حَرَّمَ اللهُ شَيْئًا عَلَى خَلْقِهِ ؛ إِلَّا وَكَانَ هُوَ مِنْهُ أَبْعَدُ .

فَاللهُ تَعَالَى حَيْنَ يُقْسِمُ بِالشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَالنَّجْمِ ؛

فَهُوَ تَعَالَى مَا أَقْسَمَ إِلَّا بِتَجَلِّي نُورِهِ فِيهِم .

فَمَا أَقْسَمَ إِلَّا بِنَفْسِهِ (٢) .

١- رواه الترمذي وقال : حسن . وأحمد والبيهقي وأبو عوانة والحاكم وأقره الذهبي على شرطهما .

٢- قال سماحة الإمام رضي الله عنه : قال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ {الحاقة : (٣٨ – ٣٩)} =

فَمَنْ يَرَى نُورَ اللهِ ظَاهِراً فِي شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ؛

فَأَقْسَمَ بِهِ ؛

فَوَاللهِ مَا أَقْسَمَ بِغَيْرِ اللهِ .

= أي ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ فيه التجلي الظاهر في مظاهر رفع الحجاب ، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي بما بطن فلم يُرفع عنك الحجاب فيه . (**فما أبصرنا**) : ما هو إلا الله من حيث اسمه الظاهر . (**وما لم نبصر**) : ما هو إلا الله من حيث اسمه الباطن . فما في الوجود إلا الله تعالى وتجلياته ، من حضرتي اسميه : الظاهر والباطن : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ {البقرة : ١١٥} . ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ {الحديد : ٣} .

فحين يقسم الله تعالى بالشمس والقمر والنجم وغيرها ، فهو تعالى ما أقسم إلا بظهور نوره فيها ، فما أقسم إلا بنفسه . فهو تعالى لم يحرم علينا الحلف بغيره ، ثم يحلف هو تعالى بغيره . فما دلنا الله تعالى على خلق خير إلا كان هو أسبقنا إليه . وما منعنا من سوء إلا كان تعالى أبعدنا عنه . ومن رأى الله في شيءٍ ، فله أن يقسم بذلك الشيء . فالذي يرى الله تعالى في الشمس وفي القمر وفي الكعبة وفي الولي ، وفي النبي ﷺ ؛ له أن يقسم بهم . ومن لم ير الله تعالى في قسمه – ولو أقسم بالله تعالى – فهو لم يعظم الله ! فالذي يقسم بالله على شيء لم يحدث ، واقع تحت طائلة الحديث الشريف : قَالَ رَسُول الله ﷺ : «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ ، فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ**» رواه الترمذي وقال : حسن . ورواه أحمد وأبو عوانة والبيهقي والحاكم وصححه وأقره الذهبي .

وَمَنْ أَقْسَمَ بِالله كَاذِباً ؛ فَإِنَهُ مَا أَقْسَمَ بِالله .

لِأَنَّهُ لَمْ يَرَ اللهَ فِي قَسَمِهِ بِالله .

فَكَيْفَ يَخْلُو الكَوْنُ عَنْهُ ؟

وَالكَوْنُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِهِ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : العَالَمُ هُوَ صُورَةُ الله . وَاللهُ هُوَ رُوحُ الوُجُودِ السَّارِيَةُ فِيهِ . وَهُوَ تَعَالَى ظَاهِرٌ بِهِ . فَلَا وُجُودَ إِلَّا وُجُودُهُ . أَنْتَ خَيَالٌ ، وَالوُجُودُ خَيَالٌ . وَاللهُ هُوَ الوُجُودُ الحَقُّ . الكَوْنُ كُلُّه ظُلْمَةٌ . وَإِنَّمَا أَنَارَهُ ظُهُورُ الحَقِّ فِيهِ . تَعَدَّدَتِ الأَسْمَاءُ ، لِتَعَدُّدِ الصِّفَاتِ . وَتَعَدَّدَتِ الصِّفَاتُ ، لِتَعَدُّدِ التَّجَلِّيَاتِ . وَتَعَدَّدَتِ التَّجَلِّيَاتُ ، لِتَعَدُّدِ التَّنَزُّلَاتِ . وَتَعَدَّدَتِ التَّنَزُّلَاتُ ، لِتَعَدُّدِ الشُّئُونِ . وَتَعَدَّدَتِ الشُّئُونُ ، لِتَعَدُّدِ مُقْتَضَيَاتِ الكَمَالِ . وَتَعَدَّدَتْ مُقْتَضَيَاتُ الكَمَالِ ، لِتَعَدُّدِ المَرَاتِبِ . وَتَعَدَّدَتِ المَرَاتِبُ ، لِتَعَدُّدِ المَظَاهِرِ . وتَعَدَّدَتِ المَظَاهِرُ ، لِتَعَدُّدِ الأَسْمَاءِ . عُرِفَ عَلَى قَدْرِ مَا ظَهَرَ ، وَجُهِلَ عَلَى قَدْرِ مَا بَطَنَ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ {الإسراء : ٢٠} . كُلُّ هَذِهِ التَّعَدُّدَاتِ فِي الأَسْمَاءِ وَالمُسَمَّيَاتِ ، المَقْصُودَةِ بِـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ : هِيَ الوَاحِدُ المُتَعَدِّدُ . وَالحَقُّ تَعَالَى المُمِدُّ المَقْصُودُ بِقَوْلِهِ : ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ ﴾ : هُوَ الوَاحِدُ المُتَفَرِّدُ . فَتَجَلِّي اللهُ تَعَالَى ، لِخَلْقِهِ ، بِأَسْمَاءٍ وَصِفَاتٍ ، هُوَ مِنْ حَضْرَةِ الوَاحِدِيَّةِ . وَتَجَلِّيهِ تَعَالَى ، لِنَفْسِهِ ، بِنَفْسِهِ ، هُوَ أَحَدِيَّةٌ .

تَجَلَّى عَلَيْكَ بِذَاتِهِ ؛ فَأَظْهَرَ ذَاتَكَ .

وَبِصِفَاتِهِ ؛ فَأَظْهَرَ صِفَاتِكَ .

وَبِأَسْمَائِهِ ؛ فَظَهَرَتْ أَسْمَاؤُكَ .

وَبِأَفْعَالِهِ ؛ فَكَانَتْ أَفْعَالُكَ .

وَبِأَحْكَامِهِ ؛ فَأَظْهَرَ أَحْكَامَكَ (١) .

فَالأَحْكَامُ وَالأَفْعَالُ وَالأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ ؛

هِيَ حَضَرَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، عَلَى ذَاتٍ مُتَفَرِّدَةٍ .

فَالرُّبُوبِيَّةُ تَطْلُبُ المَرْبُوبَ .

وَالأُلُوهِيَّةُ تَطْلُبُ المَأْلُوهَ .

١- قال الجيلي :

فما ثم من شيء سوى الله في الورى ... وما ثم مسموع وما ثم سامع

فيا أحدي الذات في عين كثرة ... ويا موجد الأشياء ذاتك شائع

تجليت في الأشياء حين خلقتها ... فها هي ميطت عنك فيها البراقع

وَالذَّاتُ غَنِيَّةٌ عَنْ كُلِّ شَيءٍ .

وَيَظَلُّ السَّالِكُ فِي هَذا الطَّرِيقِ .

حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَقامِ العُبُودِيَّةِ الخَالِصَةِ .

وَهَذَا المَقَامُ كَانَ لِرَسُولِ الله فِي بِدَايَةِ أَمْرِهِ .

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ {الإسراء : ١} .

ثُمَّ ظَلَّ يَتَرَقَّى عَنْهُ حَتَّى نَادَاهُ رَبُّهُ :

كُلُّ الخَلْق عَبِيدِي غَيْرُكَ .

فَإِنَّكَ أَنَا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ {الفتح : ١٠} .

فَلَيْسَ فِي رَسُولِ الله ﷺ ذَرَّةٌ إِلَّا وَهِيَ فَانِيَةٌ فِي جَمَالِ الله تَعَالَى (١) .

فَلَمْ تَهْوَنِي مَا لَمْ تَكُـنْ فِيَّ فَانِيـاً وَلَمْ تَفْنَ مَا لَمْ تُجْتَلَى فِيكَ صُورَتِي

١- رَسُولِ الله ﷺ ؛ كَانَ يَدْعُو ، وَيَقُولُ : ﴿ وَاجْعَلْنِي نُوراً ﴾ . فَهُوَ مُسْتَهْلَكٌ كُلُّهُ فِي الله . وَلَيْسَتْ فِيهِ ذَرَّةٌ وَاحِدَةٌ لِغَيْرِ الله . فَمَنْ رَآهُ فَقَدْ رَأَى الحَقَّ . يَعْنِي : كَأَنَّمَا رَأَى الله تَعَالَى .

سند حديث الحق

أُتحِفُكُم بِسَنَدٍ عَالٍ جِدًّا فِي حَدِيثِ (الحق) .

١- فَعَنِ الْمُعَمَّرِ عَبْدِ الهَادِي بْنِ العَرَبِي العَوادِ ، بِإِجَازَتِهِ لِجَدِّنَا إِجَازَةً لَهُ وَلِأَبْنَائِهِ وَأَحْفَادِهِ ، وَهَذَا مِمَّا يُفْتَخَرُ بِهِ لِعُلُوِّهِ .

٢- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِي السَّنُّوسِيِّ .

٣- عَنِ الشَّرِيفِ عَبْدِ العَزِيزِ الحَبَشِيِّ ، وَقَدْ عَمَّرَ كَثِيراً .

٤- عَنِ الحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيِّ .

٥- عَنِ التَّنُّوخِيِّ .

٦- عَنِ الحَجَّارِ .

٧- عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ .

٨- عَنِ ابْنِ الوَقْتِ الدَّاوُدِيِّ .

٩- عَنِ السَّرْخَسِيِّ .

١٠- عَنِ الفَرَبْرِيِّ .

١١- عَنِ الإِمَامِ البُخَارِيِّ .

١٢- عَنْ خَالِدِ بْنِ خَلِيٍّ .

١٣- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَرْبٍ .

١٤- عَنِ الزُّبَيدِيِّ .

١٥- عَنِ الزُّهْرِيِّ .

١٦- عَنْ أَبِي سَلَمَةَ .

١٧- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ :

﴿ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ ﴾ (١)

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد وابن المقرئ واللالكائي في أصول الاعتقاد والبغوي في شرح السنة وابن شاذان في مشيخته كلها اشتركت في أبي سلمة عن أبي قتادة ﵁ =

وَهَذَا حَدِيثٌ مُتَوَاتِرٌ رُوِيَ بِأَلْفَاظٍ أُخْرَى عَنْ سَبْعَةِ عَشَرَ صَحَابِيًّا .

فَرَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ مِرْآةُ اللهِ الصَّافِيَةِ .

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرَى اللهَ ؛ فَلْيَنْظُرْ فِي مِرْآةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ (١) .

= كما أورده أيضا البخاري في صحيحه بسند آخر حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، حَدَّثَنِي ابْنُ الهَادِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ ، سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَكَوَّنُنِي» .

وأورده الطبراني في المعجم الكبير عن عبدالله بن عَمرو ﷺ يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي اليَقَظَةِ ، ومَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي» .

وأيضا رواه أحمد في مسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَآنِي الحَقَّ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُ بِي» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : ولما كان التجلي على قدر صفاء المرآة وصقلها ، وعلى قدر قابلية المتلقي ، ولما كانت أصفى مرآة هي مرآة رسول الله ﷺ ، وأكبر قابلية هي قابليته ﷺ ، لذا اختص ﷺ بالتجلي الذاتي ، وما سواه ليس له إلا التجلي الأسمائي والصفاتي .

فرسول الله ﷺ هو المرآة التي ظهرت فيها الذات المقدسة ، في أكمل تجلٍ يتجلاه تعالى على مخلوق . فارجع بقطرتك إلى بحره ﷺ ، فتفنى في رسول الله ﷺ ، فتستقبل بقابلية بحره ﷺ ، وليس بقابلية قطرتك ، فيتحقق لك هذا المقام ، وتحظى بتجلي الله الذاتي . =

فَاللَّهُمَّ ؛ اجْعَلْنَا نَاظِرِينَ إِلَى صَفَاءِ جِلاَءِ بَهَاءِ أَنْوَارِ ذَاتِكَ .

فِي مِرْآتِكَ المَصْقُولَةِ بِحَقِيقَةِ رَحْمَتِكَ .

المَنْظُورَةِ بِعَيْنِ رِضَى شُمُولِيَّةِ صِفَاتِكَ الرُّبُوبِيَّةِ . وَكَمَالاَتِكَ الإِلَهِيَّةِ .

وَتَفَرُّدِ ذَاتِكَ الوِتْرِيَّةِ . آمِينَ يَارَبِّ العَالَمِينَ .

= من نظر في المرآة لا يرى جِرم المرآة ، ولكن يرى صورة الواقف أمامها ، ويجهد نفسه أن يرى جرم المرآة ، فلا يستطيع . فمن نظر إلى رسول الله ﷺ – الذي هو المرآة – فإنه لا يرى رسول الله ﷺ ، ولكن يرى التجلي الإلهي فيه ، ومن رأى رسول الله ﷺ ، ولم يرى الله تعالى فيه ، فإن مرآة قلبه تحتاج أن تصقل . فرسول الله ﷺ ليس واسطة بين الله وبين خلقه ، ولكنه ﷺ مرآة صافية ، يرى الخلق فيها ربهم ، ولا يرون سواه فيها ، حتى أنهم لا يرون رسول الله ﷺ ، لأن أحدا لا يرى جرم المرآة عند ظهور الصورة فيها .

أما تجلي الأسماء والصفات ؛ فيتجلى الله تعالى بها على جميع خلقه ، وله تعالى الظهور في أي صورة شاء منها ، فالأسماء والصفات لها التعدد .

وهذا فارق كبير بين أن تقول : إن الله تعالى تجلى على ذات أحد ، وبين أن تقول : إن الله تعالى حَلَّ بذاته في ذات أحد من خلقه .

التنزل الرابع والستون ومائة

الإمداد والاستعداد

تَجَلِّيَاتُ الأُلُوهِيَّةِ تُعْطِي الاسْتِعْدَادَ لِلْعَبْدِ .

وَتَجَلِّيَاتُ الرُّبُوبِيَّةِ تُعْطِي الإِمْدَادَ بِالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ (١) .

١- عن الاستعداد والإمداد قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ {الحجر : ٢١} ، فعنده تعالى خزائن الاستعداد ، ثم ينزل الإمداد ، وعلى قدر الإمداد ينعم الله بالاستعداد ، وليس العكس ، فالفيض الإلهي لا ينزل علي روح حتي ينعم الله على تلك الروح بكامل الاستعداد لتلقي فيوض الامداد . ولكن الأرواح لا تقبل التجليات دفعة واحدة وإنما بالتدريج المعبر عنه بلفظ : (ننزِّل) التي تفيد تـوالي النزول ، وتعدده ، وتدرجه ، واســتمراره . فأول السيل قطرة ، وأول الفيض دفقـة ، ثم يتوالى ولا ينقطع بعدها ابداً . فإذا حان وقت الفتح ، فإن الله تعالى يرفع الحجب بينه وبين عبده حجاباً حجاباً وهو المقصود بقوله : ﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ .

تَجَلِّيَّاتُ الأُلُوهِيَّةِ تَسْتَوْعِبُ جَمِيعَ فُيُوضَاتِ تَجَلِّيَّاتِ الرُّبُوبِيَّةِ .

فَوُجُودُ الوُجُودِ مِنْ حَضْرَةِ الجُودِ (١) .

وَالفَيْضُ بِالاسْتِعْدَادِ لَيْسَ لَهُ حُدُودٌ .

فَكُلَّمَا زَادَ الإِمْدَادُ ؛ وَسِعَهُ الاسْتِعْدَادُ .

وَلَيْسَ العَكْسُ كَمَا قَالُوا قَدِيماً :

(تَأْتِي مِنَ اللهِ الأَمْدَادُ عَلَى قَدْرِ الاسْتِعْدَادِ) .

إِذَا اسْتَقْبَلَ القَلْبُ الأَمْدَادَ ؛ فَالقَلْبُ مُتَقَلِّبٌ .

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ {الرحمن : ٢٩} .

١- عن وجود الوجود قال سماحة الإمام ﷺ : قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ {الجاثية : ١٣} ، وهذا هو النسب الإلهي الذاتي في كل مخلوق . قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ {طه : ٥٠} . فإعطاء كل شيء خلقه ، هو التجلي الذاتي ، وهو الأحدية . والهداية هي الإمداد بالاستعداد ، وهو التجلي الأسمائي الصفاتي ، وهو الواحدية . فإذا قامت الأحدية انتفى الكون ، وإذا قامت الواحدية ثبت الكون . وصدق ابن عطاء الله السكندري ﷺ حين قال : **الأكوان مثبتة بإثباته ، ممحوة بأحدية ذاته .**

إِذَا اسْتَقْبَلَ صِفَاتِ الجَمَالِ ، اطْمَأَنَّ وَأَنِسَ وَانْشَرَحَ .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ {الرعد : ٢٨} .

وَإِذَا وَاجَهَتْهُ صِفَاتُ الجَلَالِ ، انْقَبَضَ وَوَجِلَ .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ {الأنفال : ٢} .

أَمَّا إِذَا اسْتَقْبَلَتِ الرُّوحُ فُيُوضَاتِ الإِمْدَادِ ؛

فَلَهَا الثُّبُوتُ وَالثَّبَاتُ فِي جَمِيعِ الحَضَرَاتِ .

﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ {القمر : ٣} .

فَاسْتَقْبِلُوا بِأَرْوَاحِكُم .

فَإِنَّ الشُّئُونَ الإِلَهِيَّةَ لَا يَتَحَمَّلَهَا عَقْلٌ (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : من لم يشهد التجليات بقلبه ، فإنه ينكرها . فان العقل يقيده ، والقلب لا يتقيد . فهو سريع التقلب في كل حال : (إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء) . فهو يتقلب بتقلب التجليات ، والعقل ليس كذلك . بل العقل ، تقييد ، وهو من العقال . فالقلب هو القوة التي وراء طور العقل . وكل إنسان له عقل ، وما كل إنسان له قلب ، قال تعالى : =

وَلَا يَثْبُتُ لَـهَا قَلْبٌ (١) .

= ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ {ق : ٣٧} . ولله في القلب عينان : عين بصيرة وهو علم اليقين . والثانية عين اليقين . فعين البصيرة ، تنظر بالنور الذي يهدي به وعين اليقين ، تنظر بالنور الذي يهدي إليه : ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ {النور : ٣٥} : وهو نور اليقين . ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ {الحديد : ٢٨} : وهو النور الثانى . فإذا اتصل النور الذي يهدي به ، بالنور الذي يهدي إليه ، عاين الإنسان ملكوت السموات والأرض . فلا تكون معرفة الحق ، من الحق ، إلا بالقلب ، لا بالعقل . ثم يقبلها العقل ، من القلب .

١- عن ثبات الروح وتقلبات القلب قال سماحة الإمام ﷺ :
أَوَّلُ الحُبِّ يَكُونُ فِي القَلْبِ ، وَلَكِنَّ القَلْبَ مُتَقَلِّبٌ . فَهُوَ بَيْنَ أُصْبُعَينِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ . فَالحُبُّ فِيهِ غَيْرُ ثَابِتٍ . فَإِذَا انْتَقَلَ الحُبُّ إِلَى الرُّوحِ ، ثَبُتَ وَرَسَخَ . فَلَا يَتَبَدَّلُ ، وَلَا يَتَغَيَّرُ . وَأَصْبَحَ صَاحِبُهُ مَشْغُولًا بِالمَحْبُوبِ ، لَا بِشَيءٍ زَائِدٍ . فَيُصْبِحُ مَشْغُولًا بِالمَعْبُودِ ، لَا بِالعِبَادَةِ . وَبِالمَذْكُورِ ، لَا بِالذِّكْرِ . وَبِالمَعْلُومِ ، لَا بِالعِلْمِ . وَبِالمَكِينِ ، لَا بِالمَكَانِ . وَبِالزَّمِينِ ، لَا بِالزَّمَانِ . وهذا القلب إنما سمي قلبًا لتقلبه . قال رسول الله ﷺ : ﴿ **إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ** ﴾ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿ **اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ** ﴾ . وسبب تقلب القلب دوماً أنه محل لظهور الأضداد في الصفات . ولا يكف عن تقلبه ، إلا إذا أمدته الروح بلطيفة نورانية ، عندها يثبت القلب على صفات الكمال والقرب ، وهو ما تعبر عنه الطائفة : بسجود القلب . وبالفناء . فإذا سجد القلب ، لا يرفع أبداً ، بخلاف سجود الوجه . اتفق لسهل بن عبد الله التستري ﷺ – وهو في السادسة من عمره – في أوّل =

= دخوله إلى هذا الطريق – أنه رأى قلبه قد سجد ، وانتظر أن يرفع ، فلم يرفع ، فبقي حائراً ، فما زال يسأل شيوخ الطريق عن واقعته ؛ فما وجد أحداً يعرف واقعته – فإنهم أهل صدق ، لا ينطقون إلا عن ذوق محقق – فدلوه على شيخ ، فرحل إليه من أجل واقعته ، فلما دخل عليه ، سلَّمَ وقال : أيها الشيخ ! أيسجد القلب ؟ فقال له الشيخ إلى الأبد ، فوجد سهل شفاءه على يده ، فلزم خدمته . ومدار هذه الطريقة على هذه السجدة القلبية ، إذا حصلت للإنسان – حالة مشاهدة عين – فقد كمل ، وكملت معرفته ، وعصمته ، فلم يكن للشيطان عليه من سبيل .

وتسمى هذه العصمة – في حق الولي – حفظاً .

كما تسمى – في حق النبي والرسول – عصمة .

ليقع الفرق بين الولي ، والنبي – أدباً منهم ﷺ مع الأنبياء والرسل ، عليهم الصلاة والسلام – ليختصوا باسم العصمة . فسجود القلب هو منزل التمكين .

واعلم أن الله تعالى لما خلق العالم ، جعل القلب من عالم الغيب ، وجعل الوجه من عالم الشهادة . وعَيَّنَ للوجه ؛ جهة يسجد لها ، سماها بيته ، وقبلته ، أي يستقبلها بوجهه إذا صلى ، وجعل استقبالها عبادة . وجعل أفضل أفعال الصلاة السجود .

وعين للقلب ؛ نفسه سبحانه ، فلا يقصد غيره ، وأمره أن يسجد له ، فإن سجد عن كشف ، لم يرفع رأسه أبداً من سجدته ، دنيا وآخرة ، ومن سجد من غير كشف ، رفع رأسه . ورفعه هو المعبر عنه بالغفلة عن الله ، ونسيان الله في الأشياء ، فمن لم يرفع في سجود قلبه ، فهو الذي لا يزال يشهد الحق دائماً في كل شيء ، فلا يرى شيئاً إلا ويرى الله قبل ذلك الشيء .

= ولا تظن في العالم أنه لم يكن ساجداً ، ثم سجد . بل لم يزل ساجداً ، فإن السجود له ذاتي ، وإنما بعض العالم كشف له عن سجوده ، فعلمه . وبعض العالم لم يكشف له عن سجوده ، فجهله . فتخيل أنه يرفع ويسجد ويتصرف كيف يشاء .

سند حديث الكنز

أُتْحِفُكُمُ اليَوْمَ بِـ (حَدِيثِ الكَنْزِ) .

فَأَرْوِيهُ عَالِياً :

١- عَنِ المُعَمَّرِ الشَّيْخِ أَحْمَدِ بْنِ صَالِحِ السَّوِيدِيِّ البَغْدَادِيِّ ، بِإِجَازَتِهِ لِجَدِّنَا إِجَازَةً لَهُ ، وَلِأَوْلَادِهِ ، وَأَحْفَادِهِ ، وَهَذَا عُلُوٌّ يُفْتَخَرُ بِهِ .

٢- عَنِ الحَافِظِ مُحَمَّد مُرْتَضَى الزَّبِيدِيِّ ، بِإِجَازَتِهِ لِجَدِّ الشَّيْخِ السَّوِيدِيِّ ، إِجَازَةً لَهُ وَلِأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ .

٣- عَنِ المُعَمَّرِ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَّةَ الفُلَّانِي المَالِكِيِّ .

٤- عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ العَجِلِ اليَمَنِيِّ .

٥- عَنِ القُطْبِ النَّهْرَوَالِيِّ .

٦- عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدِ بْنِ أَبِي الفُتُوحِ الطَّاووسِيِّ .

٧- عَنِ المُعَمَّرِ بَابَا يُوسِفِ الهَرَوِيِّ .

٨- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شَاذْبُخْتِ الفَارِسِيِّ الفِرْغَانِيِّ .

٩- عَنْ يَحْيَى بْنِ شَاهَانِ الخَتْلَانِيِّ .

١٠- عَنِ الإِمَامِ الحَافِظِ الحُجَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيِّ .

١١- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَاتِلٍ أَبِي الحَسَنِ .

١٢- عَنْ عَبْدِالله بْنِ المُبَارَكِ .

١٣- عَنْ خَالِدٍ الحَذَّاءِ .

١٤- عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ .

١٥- عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ :

﴿ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ ﴾ (١)

١- هذا الحديث من الأحاديث التي نقلت لنا بالتواتر . قال الكتاني في نظم المتناثر من الحديث المتواتر : (لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة) . أورده في الأزهار في كتاب الأدب من حديث =

فَأَكْثِرُو ، وَاكْتَنِزُوا يَا أَحْبَابَ القَلْبِ .

= (١) أبي موسى الأشعري (٢) وأبي ذر (٣) وأبي هريرة (٤) وزيد بن ثابت (٥) ومعاذ بن جبل (٦) وأبي أيوب الأنصاري (٧) وقيس بن سعد بن عبادة (٨) وحازم بن حرملة الغفاري (٩) وزيد ابن إسحاق الأنصاري (١٠) ومعاوية بن حيدة (١١) وفضالة بن عبيد (١٢) وأبي الدراء (١٣) وأنس (١٤) وأبي بكر الصديق أربعة عشر نفساً .

رواية سماحة الإمام بهذا السند غير موجودة في المطبوع من صحيح البخاري ولكن ما وجدته لفظه : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ ، عَنْ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ ، قَالَ : لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْبَرَ ، أَوْ قَالَ : لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ : اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا ، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا ، وَهُوَ مَعَكُمْ**» ، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، فَقَالَ لِي : «**يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ**». قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : «**أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ**» قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، قَالَ : «**لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**» ويشارك البخاري في هذه الرواية مسلم وابن ماجة وأحمد والبزار والطبراني .

وفي رواية أنها : «**كَنْزٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ**» . فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ؟**» قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**» قَالَ : إِذَا قَالَهَا الْعَبْدُ قَالَ : «**أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ**» . رواه الطبراني . عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، قَالَ : لَقِيتُ أَبَا أَيُّوبَ ، فَقَالَ : أَلَا آمُرُكَ بِمَا أَمَرَنِي بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ «**أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**» =

= **فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ**» رواه ابن شاهين في فضائل الأعمال .

وفي رواية إنها من : «**غِرَاسُ الجَنَّةِ**» . فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ بِهِ جِبْرِيلُ عليه السلام عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الله ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِجِبْرِيلَ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا الَّذِي مَعَكَ ؟ قَالَ جِبْرِيلُ : هَذَا مُحَمَّدٌ . فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : يَا مُحَمَّدُ مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ ، فَإِنَّ أَرْضَهَا وَاسِعَةٌ وَتُرْبَتُهَا طَيِّبَةٌ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِإِبْرَاهِيمَ : «**وَمَا غِرَاسُ الجَنَّةِ**» ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله . رواه أحمد في مسنده والحارث ابن أبي أسامة والشاشي وابن حبان وابن شاهين والبيهقي وأبو نعيم في الحلية .

التنزل الخامس والستون ومائة

الولاية ميراث الأنبياء

لَمْ تَنْقَطِعِ الوِلَايَةُ (١) .

١- عن تعريف **الولاية** قال سماحة الإمام ﷺ : هما ولايتــان : فولي يتــولى الله ورسوله والذين آمنوا ، وهى الولاية الصغرى ، وهى ثمرة المجاهدة والمكابدة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ {العنكبوت : ٦٩} ، وولي يتولاه الله : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ {الأعراف : ١٩٦} ، وهي الولاية الكبرى وهي محض اجتباء من الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ ﴾ {الشورى : ١٣} .

فشتان بين من يستدل به أو يستدل عليه . المستدل به عرف الحق لأهله ، وأثبت الأمر من وجود أصله . والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه . وإلا فمتي غاب حتى يستدل عليه ؟ . ومتي بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه ؟ .

اعلم أن الحق سبحانه لما أراد أن يتجلى بأسرار ذاته ، وأنوار صفاته ، أظهر بقدرته قبضة من نوره الأزلي ، فاقتضت القدرة ظهور آثارها ، وشهود أنوارها ، واقتضت الحكمة إسدال حجابها =

إِذْ إِنَّهَا مِيرَاثُ الأَنْبِيَاءِ لِأُمَمِهِم (١) .

= وإظهار أستارها ، فلما فرغت القدرة نورها في مظاهر الكون ، أسدلت عليها الحكمة رداء الصون ، فصارت الأكوان كلها نوراً في حجاب مستور ، ثم إن الحق سبحانه قسم الخلق على قسمين ، وفرقهم فرقتين ، قسم اختصهم بمحبته ، وجعلهم من أهل ولايته ، ففتح لهم الباب ، وكشف لهم الحجاب ، فأشهدهم أسرار ذاته ، ولم يحجبهم عنه بأثار قدرته ، وقسم أقامهم لخدمته ، وجعلهم من أهل حكمته ، أسدل عليهم حجاب الوهم ، وغيب عنهم نور العلم والفهم ، فوقفوا مع ظواهر القشور ، ولم يشهدوا بواطن النور مع شدة الظهور ، فسبحان من أخفي سره بحكمته ، وأظهر نوره بقدرته .

(استيقظي أيتها النائمة إلى ظهورك ، وقفي في مصلاك ، فإني أخـرج من المحـراب ، فليكن وجـهك أول ما ألقـاه) يشهد الولي أولا غيبوبة عالم الخلق في هوية عالم الأمر ، وغيبوبة عالم الأمر في الحق ، وغيبوبة الحق في الحقيقة ، فيفنى السوى في العين ، ويفنى المتى والأين ، فيرون وجودهم في طي وجوده ، فلا يرون معه غيره ، وهذا يوم لا ينقضي أبدا . التحقيق هو أعلى مراتب الأولياء ، ومنه بعثت الرسل في زمان الرسل ، والمشايخ بعد انسداد باب الرسالة . وأعلام التحقيق هو الفرقان بين الحق والباطن في كل موجود ، وذلك علم الماهيات في الوجود ، وفي ذلك جميع تفاصيل العلوم والمعارف والأذواق ، وهو المقام المحيط .

١- قال سماحة الإمام ﵁ : علماء أمة رسول الله ﷺ ثلاثة : عالم برتبة شيطان وهو الذي تعلم العلم ليقال عنه عالم ، وذلك العالم أول من تُسجَّر به النار . وعالم برتبة نبي وهو الذي تعلم العلم ولم يعلم أحداً ولكن تعلمه لله ، قال ﷺ : «**وَأَنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَرَّثُوا العِلْمَ**» =

وَهِيَ فَيْضُ اسْمِهِ تَعَالَى الوَلِيِّ .

﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ ﴾ {الشورى : ٩} .

﴿ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ {الشورى : ٢٨} .

= وفي الأثر : «عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِياءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ» . وعالم برتبة رسول وهو الذي تعلم العلم وعلمه ونشره فذلك الذي قال ﷺ : ﴿ فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُم وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا ، وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَاسِ الخَيْرَ﴾ .

﴿ **فرضت عليك أن تعرف من أنت ، أنت وليِّ ، وأنا وليك** ﴾ قال سيدي محي الدين ﷺ : مقام النبوة في برزخ ، دون الولي ، وفوق الرسول . يعني مقام ولاية الرسول فوق نبوته ، ومقام نبوته فوق مقام رسالته فقط ، لأن الولاية أخذ عن الله بلا واسطة ، والنبوة أخذ عن الله بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام ، والرسالة هي ما يبلغه الرسول للناس . فالولاية هي الوجه الذي يتلقى منه الرسول عن الله بلا واسطة . والنبوة هي الوجه الذي يتلقى منه الرسول عن الله بواسطة . والرسالة هي الوجه الذي يتلقى منه الناس عن الرسول . أما حال الولاية بالنسبة إلى أتباع الأنبياء عليهم السلام فذلك أخذ عن الله بلا واسطة ، وليس لهم مقام نبوة إلا ما ورد أن الرؤيا الصادقة جزء من نيف وأربعين جزءاً من النبوة ، وليس لهم مقام رسالة إلا ما هو مأمور به من الإرشاد للعباد : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ {يوسف : ١٠٨} .

وَهِيَ دَرَجَةٌ بَاقِيَةٌ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ .

فَإِنَّ اسْمَهُ الوَلِيُّ ؛ أَزَلِيٌّ أَبَدِيٌّ (١) .

١- قال سماحة الإمام : الولاية نعت إلهي : ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ {الشورى : ٩} . والولاية هي الدائرة الكبرى ، والفلك الأعظم . فمِنْ حُكْمِها يتولى الله من شاء من عباده بنبوة ، وقد يتولاه برسالة . فكل رسول لابد أن يكون نبياً ، وكل نبي لابد أن يكون ولياً ، فكل رسول لابد أن يكون ولياً ، فالرسالة خصوص مقام في الولاية . والرسالة في الملائكة دنيا وآخرة ، لأنهم سفراء الحق . والرسالة في البشر لا تكون إلا في الدنيا ، وينقطع حكمها في الآخرة ، والفضل للدائم الباقي . والرسالة حال لا مقام لأنها إبلاغ كلام من متكلم إلى سامع . فالرسل من كونهم أولياء ، أرفع من كونهم رسلا ، فالولاية هي بساط المشاهدة ، والرسالة هي النزول إلى العالم الأضيق ، ومشاهدة الأضداد ، ومكابدة الأسماء الإلهية القائمة بالفراعنة والجبابرة ، فلا شئ أشد عليهم من مقارعة الأسماء ، بالأسماء . ولذا كان ﷺ يقول : «**أَعُوذُ بِكَ ، مِنْكَ**» . فالولاية هي النبوة الكبرى ، ورسول الله ﷺ من كونه ولياً ، أعلى وأشرف من كونه رسولاً ، وهو الشخص بعينه ، واختلفت المراتب . لا أن الولي من الناس أرفع من النبي أو الرسول ، فالولي الذي ليس بنبي ناقص عن رتبة النبوة ، وإنما النبي من حيث ولايته أتم منه من حيث نبوته . فالولي من أسماء الأُلوهية ، أما النبوة والرسالة من أسماء العبودية . فمحمد ﷺ أعظم خليفة ، وأكبر إمام . وجعل الله ورثته في منازل الأنبياء والرسل ، فأباح لهم الاجتهاد في الأحكام فهو تشريع عن خبر الشارع ، فكل مجتهد مصيب ، كما أنه كل نبي معصوم =

أَمَّا الرِّسَالَةُ وَالنُّبُوَّةُ فَقَدِ انْقَطَعَت ،

بِقَوْلِ النَّبِيِّ الخَاتَمِ الرَّسُولِ ﷺ .

«إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ» (١) .

= فلم يتقدم عليهم سوى نبيهم ﷺ ، فتحشر علماء هذه الأمة في صفوف الأنبياء ، لا في صفوف الأمم ، فهم شهداء على الناس ، وهذا نص على عدالتهم . وجعل رسول الله ﷺ لأمته نصيباً من الرسالة ، فقال : «**فَلْيُبْلِّغ الشَّاهِدُ الغَائِبَ**» ، فأمرهم بالتبليغ ، كما أمره الله بالتبليغ . وقال : «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا**» . يعني حرفاً حرفاً .

فإن الله تعالى ، لما خلق الخلق ، خلقهم أصنافاً ، وجعل في كل صنف خياراً ، واختار من الخيار خواصاً ، وهم المؤمنون ، واختار من المؤمنين خواصاً ، وهم الأولياء ، واختار من هؤلاء الخواص خلاصةً ، هم الأنبياء ، واختار من الخلاصة نقاوةً ، وهم الرســـل ، واصطفى من صفـاء النقـاوة واحــداً من خلقه ، هو منهم ، وليس منهم ، وهو المهيمن على جميع الخلائق ، جعله عمداً أقام عليه قبة الوجود ، جعله أعلى المظاهر وأسناها حتى قال : «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ وَلَا فَخْرُ**» . رواه الترمذي ، وأحمد وابن ماجه .

فآية كل رسول ما هو الظاهر والغالب على ذلك الزمان ، وأحوال علمائه ، من طب أو سحر أو فصاحة ، وأُعطِي رسول الله ﷺ جميع ما فضلت به الرسل بعضهم على بعض ، ليتبين شرفه .

١- رواه الترمذي وصححه . كذا رواه أحمد والطبراني والضياء المقدسي في المختارة والحاكم وصححه وأقره الذهبي على شرط مسلم .

قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ {الأنفال : ٣٤} .

وَالتَّقْوَى دَرَجَاتٌ :

أَوَّلُهَا : مَنْ يَتَّقِي تَجَلِّيَّاتِ الجَلَالِ بِتَجَلِّيَّاتِ الجَمَالِ .

وَالثَّانِي : مَنْ يَتَّقِي نَفْسَهُ بِاللهِ .

وَالثَّالِثِ : مَنْ يَتَّقِي اللهَ بِاللهِ .

قال ﷺ : «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» (١) .

١- رواه مسلم في صحيحه .

قال سماحة الإمام ﵁ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**» . فقوله ﷺ : «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ**» لِيُبَيِّنَ مَرْتَبَةَ الصِّفَاتِ . ثُمَّ تَسَامَى بِالخَلْقِ فِي الخُلُقِ ، عَنْ مَرْتَبَةِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالَّتِي هِيَ مَرْتَبَةِ الأَضْدَادِ . إِلَى مَرْتَبَةِ التَّحَقُّقِ بِالذَّاتِ . فَأَثْبَتَ الذَّاتَ ، لِلذَّاتِ ، بِالذَّاتِ . فَقَالَ ﷺ : «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**» . فَلَيْسَ مَنْ يَتَرَنَّحُ بَيْنَ أَضْدَادِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، وَيَتَأَرْجَحُ بَيْنَ المُعْطِي وَالمَانِعِ ، بَيْنَ المَوْتِ وَالحَيَاةِ ، بَيْنَ الغَضَبِ وَالمَغْفِرَةِ . كَمَنْ ثَبَتَ بِإِثْبَاتِ الذَّاتِ لَهُ =

أَمَّا مَنْ يَتَّقِي اللهَ بِنَفْسِهِ - وهم عامة المتقين -

فَهَذَا حِجَابٌ عَظِيمٌ ، وَخَطَأٌ جَسِيمٌ .

وَمَعْنَاهُ أَنَّ نَفْسَهُ أَقْرَبُ إِلَيهِ مِنَ اللهِ .

إِذْ أَنَّهُ يَتَّقِيهِ – تعالى – بِهَا .

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ {آل عمران : ١٣١} .

يَعْنِي : اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي هِيَ تَجَلِّيَّاتُ الجَلَالِ ، بِتَجَلِّيَّاتِ أَنْوَارِ الجَمَالِ (١) .

= فَلَا ضِدِّيَةَ ، وَلَا تَضَادَّ . وَلَاسِكُونَ ، وَلَا حَرَكَةَ . وَلَا إِقْبَالَ ، وَلَا إِدْبَارَ . وَلَا حَسَنَاتٍ ، وَلَا سَيِّئَاتٍ . وَلَا جَنَّةَ ، وَلَا نَارَ . وَلَا دُنْيَا ، وَلَا أُخْرَى . وَإِنَّمَا ثُبُوتٌ ، لَا ضِدَّ لَهُ . ثُبُوتٌ فِي مَرْتَبَةِ الحُبِّ . فَصَارَتْ رُوحُكَ هِيَ رُوحُ الوُجُودِ كُلِّهِ . تَمُدُّهُ بِأَنْوَارِ اللهِ . تَمُدُّ المُلْكَ وَالمَلَكُوتِ . وَصَارَ يَسْتَمِدُّ مِنْ نُورِكَ كُلُّ مَوْجُودٍ . وَصِرْتَ أَنْتَ قُطْبَ الوُجُودِ ، وَمَرْكَزَ الأَفْلَاكِ . رُوحُكَ تَمُدُّ كُلَّ رُوحٍ . وَقَلْبُكَ يُمِدُّ كُلَّ قَلْبٍ . وَحُبُّكَ يُمِدُّ كُلَّ حُبٍّ . وَصِرْتَ وِتْرًا . «**وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ ، يُحِبُّ الْوِتْرَ**» .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : قال ﷺ : ﴿ **إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ ، يُحِبُّ الجَمَالَ** ﴾ رواه مسلم في صحيحه ، فليس بين الله وبين خلقه إلا الجمال المحض . **إذ لو نطق ناطق العز والجلال : لصمتت نواطق كل وصف ، ورجعت إلى العدم مبالغ كل حرف ، ولتبرأ أهل المعرفة من معرفتهم** . فهو تعالى : جميل الجمال المطلق ، ويحب الجمال في كل شيء ، فما استوى على عرشه ، إلا بأسماء الجمال : =

= ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ {طه : ٥} . قال تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ {التغابن : ١٦} ، هذه آية فيها جلال الجمال ، فمن قرأها انقبض ، حيث أيأسهم تعالى من أن يستطيع أحد أن يتقي الله حق تقاته ، ثم بسطهم بقوله : ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ {آل عمران : ١٠٢} . فأعطاهم الأمل أن هذا الإنسان يستطيع أن يصل إلى تقوى الله الكاملة . فعاملهم فيها بجمال الجمال ، إذ عاملهم في الأولى بجلال الجمال . وتراه يقبضهم بجلال قوله تعالى : ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ {الجن : ٢٨} . ثم يبسطهم بجمال قوله تعالى : ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ {الصافات : ١٤٧} . والجمال ينقسم إلى : جمال الجمال ، وجلال الجمال . والجلال لا ينقسم ، بل هو جلال محض . وهذا الجلال المحض لا يظهر أثره في الكون أبدا ، إذ لو ظهر لانمحق الوجود ، وانعدم كل موجود . أما ما يظهر في العوالم بما في ظاهره جلال ، إنما هو جلال الجمال . وهو جلال منبعه الجمال : ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ {مريم : ٤٥} . فحتى العذاب هو من الرحمن . فلم يعامل الله تعالى أحدا من خلقه إلا بجماله ، والحمدلله . قال رسول الله ﷺ : ﴿إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ﴾ . وهو تعالى صانع العالم وموجده ، وأوجده على صورته ، فالعالم كله في غاية الجمال ، ما فيه شيء من القبح ، بل قد جمع الله له الحسن والجمال كله . فالعالم كله جماله ذاتي ، وحسنه عين نفسه ، إذ صنعه صانعه عليه ، ولهذا هام فيه العارفون ، وتحقق بمحبته المتحققون ، لأنهم ما رأوا فيه إلا صورة الحق سبحانه وتعالى ، وهو سبحانه الجميل والجمال ، فإنه تعالى ما كثّر لنا الآيات في العالم ، وفي أنفسنا ، إلا لنصرف نظرنا إليه ، ذِكراً وفكراً وعقلاً ، وإيماناً وعلماً ، وسمعاً وبصراً ، ونُهىً ولُبًّا . وما خلقنا إلا لنعبده ونعرفه ، وما أحالنا في ذلك على شيء إلا على النظر في العالم ، لجعله عين الآيات والدلالات على العلم به ، مشاهدة وعقلا .

أَوِ اتَّقُوهَا بِاللهِ - وَهُوَ أَعْلَى - لَا بِأَنْفُسِكُم .

فَاللهُ تَعَالَى هُوَ القَرِيبُ الأَقْرَبُ إِلَيْكُم مِنْ كُلِّ شَيءٍ .

فَاتَّخِذُوهُ وِقَايَةً مِنْ كُلِّ شَيءٍ ، حَتَّى مِنْهُ ! (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : المحبون اتسعت رؤيتهم ، فضاقت عبارتهم . يناديهم ربهم : ﴿ **أنت كل عبـــد ، وليس كل عبـــد أنت** ﴾ . تجلى الله عليهم بجلاله ، فردَّ صفاتهم إلى العدم . فأشرقت فيهم صفات القدم . ثم تجلى عليهم بجمـــاله ، فكمل استخلاصهم . فالجلال يصقل مرآة القلوب ، حتى تشرق فيها صفات الكمال . ومرآة القلب ، لا جهة لها . وتجل الجلال ، تجل يذهب الأكوان ، والأعيان ، والأذكار . فليس بقريب ، من يشهد هذه الآثار ، إنما ، هو **مجـــاور** . لا يعتمدون على الأسباب ، فهي في حقهم ، كعبادة الأوثان . كلامهم إشارة ، حيث هي أفصح من العبارة . علومهم ، لا تتحملها الدنيا ، ولا الآخرة . الواحد منهم مع الله ، كظله معه . فلا يعترض عليه في فعل ، ولا يتحرك إلا بتحريكه . وظل كل شيء ، على شكله .

سند حديث النملة

أُتْحِفُكُم بِحَدِيثٍ عَظِيمِ القَدْرِ ، يُبَيِّنُ فَضْلَ العُلَمَاءِ :

وَهُوَ (حديث النملة) .

١- حَدَّثَنِي بِهِ العَلَّامَةُ عَبْدُ الله بْنِ الصِّدِيقِ الغِمَارِيِّ .

٢- عَنِ السَّيِّدِ إِدْرِيسِ بْنِ مُحَمَّدِ المَهْدِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ السَّنُّوسِيِّ ، مَلِكِ لِيبْيَا السَّابِقِ .

٣- عَنْ أَبِيهِ .

٤- عَنْ جَدِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ السَّنُّوسِيِّ .

٥- عَنِ القُطْبِ الكَبِيرِ سَيِّدِي أَبِي العَبَّاسِ أَحْمَدِ التِّجَانِيِّ ﷺ .

٦- عَنِ الشَّيْخِ مَحْمُودِ الكُرْدِيِّ .

٧- عَنْ أَحْمَدِ بْنِ عَبْدِ الغَنِيِّ ، المَعْرُوفِ بِابْنِ البَنَّا الدِّمْيَاطِيِّ .

٨- عَنْ أَبِي الأَسْرَارِ حَسَنْ العِجِيمِي .

٩- عَنْ أَبِي الإِرْشَادِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الأَجْهُورِيِّ .

١٠- عَنِ الرَّمْلِيِّ .

١١- عَنْ قَاضِي القُضَاةِ الشَّيْخِ زَكَرِيَّا الأَنْصَارِيِّ .

١٢- عَنِ الحَافِظِ بْنِ حَجَرِ العَسْقَلَانِيِّ .

١٣- عَنِ التَّنُّوخِيِّ .

١٤- عَنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ اليَدْيَانْجِي .

١٥- عَنْ أَبِي مَنْصُور مُحَمَّد عَلِي بْنِ الهَيْثَمِيِّ .

١٦- عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ مُحَمَّدِ بْنِ الأَخْضَرِ .

١٧- عَنْ أَبِي الفَتْحِ عَبْدِ المَلِكِ الكَارُوخِيِّ .

١٨- عَنْ عَبْدِ الجَبَّارِ المَرْوزِيِّ .

١٩- عَنِ الإِمَامِ أَبِي عِيسَى التِّرْمِذِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٠- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الأَعْلَى الصَّنْعَانِيِّ .

٢١- عَنْ سَلَمَةَ بْنِ رَجَاءٍ .

٢٢- عَنِ الوَلِيدِ بْنِ جَمِيلٍ .

٢٣- عَنِ القَاسِمِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

٢٤- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

﴿ فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُم وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا ، وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَاسِ الخَيْرَ ﴾ (١)

١- رواه الترمذي في المطبوع بنفس هذا الإسناد . كما رواه تمام في فوائده وابن شاهين في فضائل الأعمال وابن عساكر في تاريخه بسند يلتقي مع هذا السند عند سَلَمَةَ بْنِ رَجَاءٍ .

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ عَلَى نِعْمَةِ العِلْمِ .

وَكُلُّ مَنْ تَحَمَّلَ عَنَّا هَذَا الحَدِيثَ ، فَقَدْ صَارَ مِنَ العُلَمَاءِ .

التنزل السادس والستون ومائة

من اتقى الله بالله وصل

قال تعالي : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ﴾ {الإسراء : ٦٤} (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : الشيطان يوسوس بالمحظور للعامة من أهل المعاصي ، وبالمكروه للعباد من العامة ، وبالمباح في حق المبتديء من أهل الطريق ، وبالمندوب في حق المتوسطين ، وبالواجبات للعارفين . فإذا نوى العبد أمرا مع الله واستوثق من ذلك ، أقام له الشيطان عبادة أخرى أفضل منها شرعا ، فيقطع الأولى ويبدأ في الثانية ، فيفرح إبليس بأن جعله نقض عهد الله من بعد ميثاقه . فإذا كنت من العامة ، فإنه يوسوس لك بفعل المحرمات ، فإذا سددت على نفسك باب الحرام ، أتاك في المكروه ، فإذا امتنعت عن المكروه ، أتاك في المباحات ، من أكل ونوم وشهوة......إلخ . وقال سماحة الإمام ﷺ : جلس أمامي رجل يطلب مني إجازة في التجويد فأعلمني الله تعالى أنه الشيطان يريد أن يفضحني بين الأولياء بأن يأخذ مني إجازة في تجويد القرآن ، فكشفه الله لي ولم يعلم بأني كشفته ، فقلت له اتل علي آية الكرسي =

= فلما بدأ في التلاوة يظل يخنس حتى تلاشى .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ ، وَقُلْتُ : وَاللهِ لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : إِنِّي مُحْتَاجٌ ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ ، قَالَ : فَخَلَّيْتُ عَنْهُ ، فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**» ؟ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً ، وَعِيَالًا ، فَرَحِمْتُهُ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، قَالَ : «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ ، وَسَيَعُودُ**» ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ ، فَرَصَدْتُهُ ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ ، فَقُلْتُ : لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ : دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ ، لا أَعُودُ ، فَرَحِمْتُهُ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ**» ؟ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً ، وَعِيَالًا ، فَرَحِمْتُهُ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، قَالَ : «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**» ، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ ، فَقُلْتُ : لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لا تَعُودُ ، ثُمَّ تَعُودُ . قَالَ : دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا ، قُلْتُ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ...... ﴾ {البقرة : ٢٥٥} ، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ . فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ**» ؟ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ ، قَالَ : «**مَا هِيَ**» ؟ ، قُلْتُ : قَالَ لِي : إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ...... ﴾ =

فَيَتَعَبَّدُ الشَّيْطَانُ بِتَنْفِيذِ الأَمْرِ الَّذِي وُكِلَ إِلَيْهِ (١) .

فَإِبْلِيسُ الْمَلْعُونُ هُوَ سَبَبُ الشَّرَفِ لِكَثِيرٍ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ عليه السلام (٢) .

= {البقرة : ٢٥٥} ، وَقَالَ لِي : لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ – وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ – فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ . تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ » ؟ قَالَ : لا ، قَالَ : «ذَاكَ شَيْطَانٌ» رواه البخاري في صحيحه . ومن ذلك ما حصل للشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه قال : رأيت عرشًا بين السماء والأرض ، فناداني صوت قال : يا عبد القادر أنا ربك قد أسقطت عنك الفرائض ، وأبحت لك المحارم كلها ، أسقطت عنك جميع الواجبات ، قال : فقلت له : اخسأ يا عدو الله ، فتمزق ذلك العرش وذلك النور ، وقال : نجوتَ مني بحلمك وعلمك يا عبد القادر ، وقد فتنت بهذه الفعلة سبعين صديقا أو كما قال . قيل له : كيف عرفت يا عبد القادر أنه شيطان ؟ قال : عرفت بقوله : أسقطت عنك الواجبات ، وأبحت لك المحرمات ، وعرفت أن الواجبات لا تسقط عن أحد إلا من فقد عقله ، وقال : إنه لم يستطع أن يقول : أنا الله ، بل قال : أنا ربك .

١- قال سماحة الإمام رضي الله عنه : أما ما يقوم به إبليس من الإغواء ، فليس فيه إثم ، إذ أنه استصدر أمرا من الله تعالى بالإغواء ، فأذن له فيه ، وأمر به : ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ {الإسراء : (٦٣ – ٦٤)} .

٢- اللعن هنا معناه الإبعاد إلى حين وليس الطرد من رحمة الله تعالى كما قد يفهم البعض . =

= قال سماحة الإمام ﷺ : ﴿ لَعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ : اللعن هو الإبعاد المقترن بسخط وغضب . وقيل هو الخروج من رحمة الله تعالى ، وهذا المعنى غير دقيق لأنه محال الخروج من رحمة الله تعالى ، لأن الملعون مهما كان فهو شيء ، وقال تعالى : ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . فلا معنى عملي للفظ الخروج من رحمة الله .

اسمه تعالى الرحمن الرحيم : رَحْمَةُ الامْتِنَانِ مِنِ اسْمِهِ الرَّحْمَنِ . وَتِلْكَ رَحْمَةٌ سَبَقَتْ كُلَّ عَذَابٍ . «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» . رَحْمَةٌ وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ . ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . حَتَّى أَنَّهَا وَسِعَتْ إِبْلِيسَ نَفْسَهُ ، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ شَيءٌ . وَحَتَّى أَنَّهَا وَسِعَتِ العَذَابَ نَفْسَهُ : ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ {مريم : ٤٥} . ﴿ إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ ﴾ {يس : ٢٣} . وَهُنَاكَ رَحْمَةُ وُجُوبٍ . أَوْجَبَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ لِلصَّالِحِينَ . ﴿ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} . فَرَحْمَةُ الوُجُوبِ وَالتَّنْعِيمِ مِنِ اسْمِهِ الرَّحِيمِ . ﴿ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾ {الأحزاب : ٤٣} . فَالرَّحْمَنُ وَسِعَ الرَّحِيمَ . وَالرَّحِيمُ لَمْ يَسَعِ الرَّحْمَنَ . أَمَّا مَنْ لَعَنَهُ اللهُ تَعَالَى ؛ فَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْ رَحْمَةِ الوُجُوبِ وَالتَّنْعِيمِ ، مِنِ اسْمِهِ الرَّحِيمِ ، إِلَى رَحْمَةِ الامْتِنَانِ ، مِنْ اسْمِهِ الرَّحْمَنِ . وَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ أَبَداً عَنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ . فَمَنْ لَمْ تَسَعْهُ رَحْمَةُ الرَّحِيمِ ، وَسِعَتْهُ رَحْمَةُ الرَّحْمَنِ . فَرَحْمَةُ الرَّحْمَنِ وَسِعَتْ ، وَعَمَّتْ ، وَشَمِلَتْ . وَرَحْمَةُ الرَّحِيمِ خَصَّتْ ، وَقَيَّدَتْ ، وَحَدَّدَتْ .

قال رسول الله ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ الْفَاجِرُ فِي دِينِهِ ، الْأَحْمَقُ فِي مَعِيشَتِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ الَّذِي قَدْ مَحَشَتْهُ النَّارُ بِذَنْبِهِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَغْفِرَنَّ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْفِرَةً يَتَطَاوَلُ لَهَا إِبْلِيسُ رَجَاءَ أَنْ تُصِيبَهُ**» وَسَتُصِيبُهُ ، لِأَنَّ اللهَ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ . =

قال سهل بن عبد الله ﷺ : لقيت إبليس فعرفته ، وعرف منى أني عرفته ، فوقعت بيننا مناظرة فقال لي : الله عز وجل يقول : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} ، فعم . ولا يخفى عليك أني شيء بلا شك ، لأن لفظة ﴿ كُلَّ ﴾ تقتضي الإحاطة والعموم ، و ﴿ شَيْءٍ ﴾ أنكر النكرات ، فقد وسعتني رحمته ! قال سهل : فو الله لقد أخرسني ، وحيرني بلطافة سياقه ، وظفره بمثل هذه الآية ، وفهم منها ما لم نفهم ، وعلم منها ومن دلالتها ما لم نعلم ، فبقيت حائراً متفكراً ، وأخذت أتلو الآية في نفسي ، فلما جئت إلى قوله تعالى فيها : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} ، سررت وتخيلت أني قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بها يقصم ظهره وقلت له : يا ملعون إن الله قد قيدها بنعوت مخصوصة ، يخرجها من ذلك العموم ، فقال : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا ﴾ . فتبسم إبليس ، وقال : يا سهيل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل هذا المبلغ ، ولا ظننت أنك ها هنا . ألست تعلم يا سهل إن التقييد صفتك ، لا صفته ؟ قال سهل : فرجعت إلى نفسي ، وغصصت بريقي ، وأقام الماء في حلقي . ووالله ما وجدت جواباً ، ولا سددت في وجهه باباً ، وعلمت أنه طمع في مطمع ، وانصرف ، وانصرفت ، ووالله ما أدري بعد هذا ما يكون ، فإن الله سبحانه ما نص بها يرفع هذا الأشكال ، فبقى الأمر عندي على المشيئة منه في خلقه ، لا أحكم عليه في ذلك بأمد ينتهي ، أو بأمد لا ينتهي ! . قال ابن عربي : فلما وقفت له على هذه المسألة التي حكى عنه سهل بن عبد الله ، تعجبت ، وهي مسألة أصل لا مسألة فرع ، فإبليس ينتظر رحمة أن تناله من عين المنة ، والجود المطلق ، الذي به أوجب على نفسه سبحانه ما أوجب ، وبه تاب على من تاب وأصلح ، فالحكم لله العلى الكبير عن التقييد في التقييد ، فلا يجب على الله إلا ما أوجبه على نفسه . =

= قال الجيلي :

ويكفيك ما قد جاء في الخلق إنه على صورة الرحمن آدم واقع
ولو لم يكن في وجه آدم عينه لما سجد الأملاك وهي خواضع
ولو شاهدت عين لإبليس وجهه على آدم لم يعص وهو مطاوع
ولكن جرى المقدور فهو على عمى عن العين إذ حالت هناك موانع
ولا تك من إبليس في شبه سيره ودع قيده العقلي فالعقل رادع

اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته ، وذات الحق جامعة للضدين ، خلق الملائكة العالين من حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ﷺ ، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة والضلال من نفس محمد ﷺ ، وكان اسمه عزازيل ، قد عبد الله تعالى قبل أن يخلق الخلق بكذا كذا ألف سنة ، وكان الحق قد قال له : يا عزازيل لا تعبد غيري ، فلما خلق الله آدم عليه السلام ، وأمر الملائكة بالسجود له ، التبس الأمر على إبليس ، فظن أنه لو سجد لآدم كان عابداً لغير الله ، ولم يعلم أن من سجد بأمر فقد سجد لله ، فلهذا امتنع ، وما سُمِّي إبليس إلا لنكتة هذا التلبيس الذي وقع فيه فافهم ، وإلا فاسمه قبل ذلك عزازيل ، وكنيته أبو مرة . الحق دعاه بإبليس وهو مشتق من الالتباس ، ولم يكن يُدعى قبل ذلك بهذا الاسم ، فتحقق أن الأمر مفروغ منه ، ولم يجزع ولم يندم ولم يتب ولم يطلب المغفرة ، لعلمه أن الله لا يفعل إلا ما يريد ، وأن ما يريده الله تعالى هو الذي تقتضيه الحقائق ، فلا سبيل إلى تغييرها ولا إلى تبديلها ، فطرده الحق من حضرة القرب إلى حضيض البعد الطبيعي ، =

وَسَبَبٌ لِدُخُولِ كُلِّ مَنْ خَالَفَهُ الجَنَّةَ .

وَمَنْ جَاهَدَهُ كَانَ لَهُ أَجْرُ المُجَاهِدِينَ (١) .

= ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ {الحجر : ٣٤ ، ص : ٧٧} . أي من الحضرة العليا إلى المراكز السفلى ، إذ الرجم طرح الشيء من العلو إلى السفل : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ {ص : ٧٨} اللعنة هي الإيحاش والبعد ، وقوله : حصر ، فإذا انقضى يوم الدين فلا لعنة عليه ، بل قرب محض ، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهي ، وذلك بعد زوال جهنم ، لأن كل شيء خلقه الله لابد أن يرجع إلى ما كان عليه ، هذا أصل مقطوع به ، ففافهم . قيل أن إبليس لما لُعِن هاج وهام لشدة الفرح ، حتى ملأ العالم بنفسه ، فقيل له : أتصنع هكذا وقد طردت من الحضرة ؟ فقال : هي خلع أفردني الحبيب بها ، لا يلبسها ملك مقرب ، ولا نبي مرسل !

وقال سماحة الإمام ﷺ : **ناظر بعض العباد إبليس** : فقال إبليس : أنا أعلى مقاما منكم ، فكل الوجود يلعنني ، ويحقرني ويسبني ، وأنا صابر على حكم الله تعالى ، لم تتغير مني شعرة ، وأحدكم إذا قام عليه أهل مدينته ، ورموه بالعظائم ، تنغصت معيشته ، وسارع إلى طلب براءته مما نسب إليه ، ولم يكتف بعلم الله فيه .

١- قال سماحة الإمام ﷺ في قوله تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ {البقرة : ٣٦} . ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾ : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ : يعني فأوقعهما في الزلل . وقراءة حمزة : (فأزالهما) : يعني فنحاهما عن الجنة . ﴿ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ : أراد الشيطان أن يوقع آدم عليه السلام في المعصية حتى يغضب الله عليه =

وَرَفَعَ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ كُلَّ مَنْ عَصَاهُ ، وَلَمْ يَأْتَمِرْ بِأَمْرِهِ .

مَنِ اتَّقَى الشَّيْطَانَ بِنَفْسِهِ هَلَكَ .

وَمَنِ اتَّقَاهُ بِرَبِّهِ سَلَكَ (١) .

وَمَنِ اتَّقَي نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ هَوَى .

وَمَنِ اتَقَاهَا بِرَبِّهِ نَجَا .

وَمَنِ اتَّقَى النَّارَ بِنَفْسِهِ حُرِقَ .

= ولكنه فوجيء بمخلوق يتذلل لله تعالى ويتضرع إليه ، وهو ما كان يعرف التذلل ولا الخضوع ولا التضرع ، فانقلب الحال على إبليس . أراد شيئًا ، وأراد الله شيئًا آخر ؛ هم كانوا في الجنة يأكلون ويشربون ولا يرون إلا الأسباب ، فخرجوا إلى رؤية المسبب ؛ خرجوا من رؤية الأسماء إلى معرفة المسمى ، خرجوا إلى الخلافة . وبذلك يعلمك القرآن أنه إذا أوقعك الشيطان في معصية أن تتخذها سُلَّمًا إلى الطاعة .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : فَهِمَ قوم أن الشيطان لهم عدو ، فاشتغلوا بمحاربته ، ففاتهم محبة الحبيب ، وفَهِمَ قوم أن الشيطان لهم عدو ، وأن الله لهم حبيب ، فاشتغلوا بمحبة الحبيب ، فكفاهم عداوة الشيطان .

وَمَنِ اتَّقَاهَا بِرَبِّهِ أُعْتِقَ .

وَمَنِ اتَّقَى اللهَ بِنَفْسِهِ حُجِبَ .

وَمَنِ اتَّقَى اللهَ بِاللهِ وَصَلَ : «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**» (١) .

وَلَـمَّا كَانَتْ عُبُودِيَّةِ العِبَادِ لِرَبِّ العِبَادِ أَصِيلَةٌ فِي الكَوْنِ ؛

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ** ﴾ {الحجر: ٤٢ ، الإسراء : ٦٥} .

وَالكُلُّ عِبَادُ اللهِ حَتَّى مَنْ أَشْرَكَ .

أَلَمْ يَقُلْ عِيسَى ﷺ : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ** ﴾ {المائدة : ١١٨} .

١- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**» . رواه مسلم في صحيحه .

قال سماحة الإمام ﷺ مناجياً الله تعالى : أَنْتَ الهَادِي فِي الصُّورَةِ المُحَمَّدِيَّةِ . وَأَنْتَ سُبْحَانَكَ المُضِلُّ فِي الصُّورَةِ الإِبْلِيسِيَّةِ . وَمَا نَحْنُ إِلَّا عَبِيدُ جُودِكَ وَإِحْسَانِكَ . فَامْنُنْ عَلَيْنَا ، فَاهْدِنَا إِلَيْكَ . وَرُدَّ عَنَّا السُّوءَ بِمَا شِئْتَ ، وَكَيْفَ شِئْتَ . فَيَا سَعْدَ مَنْ رَضِيتَ عَنْهُ ، فَوَفَّقْتَهُ لِلطَّاعَةِ ، وَرَآكَ فِيهَا . وَيَا خُبْثَ مَنِ انْكَبَّ فِي المَعَاصِي ، وَرَأَى نَفْسَهُ فِيهَا .

أَيْ أَنَّهُم مُتَّصِفُونَ بِالعُبُودِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَذَلُّ الذُّلِّ .

وَلَا ذُلَّ دُونَهُ فِي كَمَالِ الذُّلِّ .

وَإِنْ لَمْ يُطِيعُوا الأَمْرَ (١) .

وَلِذَا فَقَدِ اسْتَحَقُّوا المَغْفِرَةَ : ﴿ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ {المائدة : ١١٨} .

فَمَغْفِرَتُكَ لَهُم لَنْ تَضُرَّ عِزَّتَكَ ، بَلْ سَتُظْهِرُهَا (٢) .

وَانْظُرْ إِلَى أَدَبِ عِيسَى عليه السلام حِينَ قَدَّمَ أُمَّتَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ :

١- قال سماحة الإمام رضي الله عنه : فإقرارنا بربوبيته علينا ، عين إقرارنا بعبوديتنا له . والعبودية بذاتها ، تطلب طاعة السيد : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ {المائدة : ١١٨} . علة جواز التعذيب أنهم عباده ، فالتعذيب لا يحتاج في جوازه إلى معصية ولا كفر ، ولهذا لم يقل فإنهم عصوك ، وإنما مجرد كونهم عبادا ، يجوز للمالك أن يفعل بهم ما يشاء .

٢- قال سماحة الإمام رضي الله عنه : أول العهود : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ {الأحزاب : ٧} ، وهو آكدها وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ ، ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ =

﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ ﴾ {المائدة : ١١٧} .

ثُمَّ قَدَّمَ رَبَّهُ عَلَى النَّاسِ لَـمَّا ذَكَرَهُ ، فَقَالَ :

﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ {المائدة : ١١٧} .

= أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ {آل عمران : ٨١} ، فضمت شريعته جميع الإنس والجن والملك ، وجميع العوالم من حيوان وطير ونبات وجماد : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} ، وكانت الأنبياء في العالم نواب لرسول الله ﷺ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ {سبأ : ٢٨} ، والناس من آدم إلى آخر إنسان ، فمن زمان آدم عليه السلام إلى زمان بعثه ﷺ ، ملكه : **(أنا سيد ولد آدم ولا فخر)** . **(كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)** . فلما لم يتقدم في عالم الحس وجود عينه ﷺ أولا : نُسِبَ كل شرع إلى من بُعِثَ به ، وهو في الحقيقة شرع سيدنا محمد ﷺ . فجميع الشرائع التي كانت في الأمم هي شرائع سيدنا محمد ﷺ ، بأيدي نوابه ، فكما وجه ﷺ عليا ومعاذا إلى اليمن ، لتبليغ الدعوة . كذلك وُجِهَ الرسل والأنبياء إلى أممهم ، حيث كان نبيا وآدم عليه السلام بين الماء والطين ، فهو الداعي الأول ، حيث دعا الكل إلى الله تعالى ، فالناس أمته ، من آدم إلى يوم القيامة ، وفي الحديث أنه ﷺ : قام ليلة يقرأ قوله تعالى : ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ {المائدة : ١١٨} . فلما سئل ، قال : **(كنت أدعو لأمتي)** ، ومن المعلوم أن هذا دعاء عيسى عليه السلام لأمته ، فلما ظهر بنفسه ﷺ ، لم يبق حكمٌ إلا له ، ولا حاكم إلا رجع إليه ، ونسخ بالمتأخر المتقدم .

سند حديث الحثيات

هَأَنَا ذَا أُتْحِفُكُم بِرَائِعَةٍ : حَدِيثُ (الحَثَيَاتِ) بِسَنَدٍ عَجِيبٍ :

حَيْثُ أَنَّهُ نُقِلَ إِلَيْنَا مِنْ طَرِيقِ شَمْهُورِش ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ مِنَ الجِنِّ ، وَكَانَ قَاضِي قُضَاةِ الجِنِّ .

٣- رِوَايَةُ الحَدِيثِ عَنِ الجِنِّ :

نَعَمْ كَانَ هُنَاكَ صَحَابَةٌ مِنَ الجِنِّ .

وَلَكِنْ لَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدِهِم إِلَّا مَا كَانَ مِنْ هَذَا الصَّحَابِيِّ الجِنِّيِّ .

لِأَنَّهُ طَالَ عُمْرُهُ ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ عُلَمَائِهِم .

وَحَدَّثَ عَنْهُ العَلَّامَةُ الكَبِيرُ الشَّيْخُ عَبْدِ الغَنِي النَّابُلْسِيِّ .

وَهَذَا مَوْجُودٌ حَتَّى فِي نَقْلِ بَعْضِ أَسَانِيدِ القُرْآنِ .

وَقَدْ ذَكَرَ العَلَّامَةُ الكَبِيرُ الشَّيْخُ عَبْدُ الغَنِي ؛ بِأَنَّ هَذَا الصَّحَابِيِّ قَدْ مَاتَ فِي

عَصْرِهِ ، وَخَلَفَهُ ابْنُهُ .

وَهُوَ مَوْجُودٌ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ .

وَيُعْتَبَرُ تَابِعِيًّا ، وَلَكِنْ مِنَ الجِنِّ .

وَقَدْ عَدَّ بَعْضُ المُحَدِّثِينَ أَنَّ الأَسَانِيدَ المَرْوِيَّةَ عَنِ الجِنِّ ضَعِيفَةَ .

وَلَكِنَّهُم لَمْ يُنْكِرُوهَا لِعُلُوِ شَأْنِ مَنْ رَوَى عَنْهُم مِنَ المُحَدِّثِينَ .

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الحَدِيثُ بِأَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ أُخْرَى .

وَلَكِنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنْ أُوَسِّعَ دَائِرَةَ الأَحْبَابِ لِآفَاقٍ جَدِيدَةٍ .

١- فَعَنِ المُسْنِدِ عَبْدِ اللهِ السُّكَرِي بِإِجَازَتِهِ لِجَدِّنَا نُورِ الدِّينِ أَبِي طَالِبِ إِجَازَةً لَهُ وَلِأَوْلَادِهِ وَأَحْفَادِهِ .

٢- عَنِ العَلَّامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الكُزْبَرِي .

٣- عَنْ مُصْطَفَى الرَّحْمَتِي .

٤- عَنِ العَلَّامَةِ الإِمَامِ عَبْدِ الغَنِي النَّابُلْسِيِّ .

٥- عَنِ الصَّحَابِي قَاضِي قُضَاةِ الجِنِّ شَمْهُورِش ، وَهُوَ صَحَابِيٌّ مِنَ الجِنِّ ، وَقَدْ عَمَّرَ كَثِيراً ، قَالَ : قَالَ ﷺ :

﴿ وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً لَا حِسَابَ عَلَيْهِم وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً وَثَلَاثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي ﴾ (١)

١- قال سماحة الإمام ﷺ : وحثية واحدة من حثيات الله تسع الخلق أجمع ، صدق رسول الله ﷺ حيث قال : ﴿ فَقَالَ اللهُ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ : اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ ، قَالَ : اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ ، فَقَالَ : أَيْ رَبِّ ، مَا هَؤُلَاءِ ؟ =

= فَقَالَ : هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ﴾ رواه الترمذي وحسنه . ولما كان الخلق كله في القبضة اليمين فهي بشري لذرية ادم انهم الي خير ورحمة ، فإذا كان الخلق كلهم في قبضته تعالى ، إذ الخلق كله في قبضة واحدة والحثية يعني مجمع القبضتين اي القبضتان مجتمعتان مبسوطتان ، فثلاث حثيات هي ضعف عدد الخلق ثلاث مرات ، ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ {إبراهيم : ٤٧} .

هذا الحديث بهذا اللفظ رواه كل من ابن ماجة والترمذي وحسنه وأحمد وابن أبي عاصم والطبراني والمحاملي وابن أبي شيبة والدارقطني والضياء المقدسي في صفة الجنة بأسانيد تلتقي عند إِسْمَاعِيلِ بْنِ عَيَّاشٍ عن مُحَمَّدِ بْنُ زِيَادٍ الْأَلْهَانِيِّ ، عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ : «**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ ، وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ**» .

وبلفظ آخر بسند آخر عَنْ أبي أمامة ﷺ أيضا رواه كل من الإمام أحمد في مسنده وابن أبي عاصم وابن حبان بأسانيد مختلفة تلتقي عند صَفْوَانِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ الْخَبَائِرِيِّ ، وَأَبِي الْيَمَانِ الْهَوْزَنِيِّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «**إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**» . فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ : وَاللهِ مَا أُولَئِكَ فِي أُمَّتِكَ إِلَّا كَالذُّبَابِ الْأَصْهَبِ فِي الذِّبَّانِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**فَإِنَّ رَبِّي قَدْ وَعَدَنِي سَبْعِينَ أَلْفًا ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا ، وَزَادَنِي ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ**» . قَالَ : فَمَا سِعَةُ حَوْضِكَ يَا نَبِيَّ اللهِ ؟ قَالَ : «**كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عُمَانَ وَأَوْسَعَ وَأَوْسَعَ**» . يُشِيرُ بِيَدِهِ . قَالَ : «**فِيهِ مَثْعَبَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ**» . قَالَ : فَمَا حَوْضُكَ يَا نَبِيَّ اللهِ ؟ قَالَ : «**مَاءٌ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مَذَاقَةً مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَطْيَبُ رَائِحَةً** =

= مِنَ الْمِسْكِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا ، وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَدًا» .

وروى ابن أبي عاصم والطبراني بسندين يلتقيا عند مُعَاوِيَةِ بْنِ سَلَّامٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَّامٍ ، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ ، أَنَّ قَيْسًا الْكِنْدِيَّ ، حَدَّثَ الْوَلِيدَ ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخَيْرَ الْأَنْمَارِيَّ ﷺ ، حَدَّثَهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، وَيَشْفَعَ لِكُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا ، ثُمَّ يَحْثُوا إِلَيَّ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ بِكَفِّهِ» قَالَ قَيْسٌ : قَالَ : فَأَخَذْتُ بِتَلَابِيبِ أَبِي سَعِيدٍ ، فَجَذَبْتُهُ جَذْبَةً ، فَقُلْتُ : أَسَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، بِأُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ ﷺ : فَحَسِبَ ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَلَغَ أَرْبَعَ مِائَةِ أَلْفِ أَلْفٍ وَتِسْعَ مِائَةِ أَلْفٍ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ ذَلِكَ يَسْتَوْعِبُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى مُهَاجِرِي أُمَّتِي وَيُوَفِّينَا اللهُ تَعَالَى مِنْ أَعْرَابِنَا .

وروى الطبراني والبيهقي بسندين يلتقيا عند عند أَبِي تَوْبَةَ قَالَ : نا مُعَاوِيَةُ بْنُ سَلَّامٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَّامٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَّامٍ ، يَقُولُ : حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ زَيْدٍ الْبَكَالِيُّ ، أَنَّهُ سَمِعَ عُتْبَةَ بْنَ عَبْدٍ السُّلَمِيَّ ﷺ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : مَا حَوْضُكَ الَّذِي تُحَدِّثُ عَنْهُ ؟ قَالَ : «**كَمَا بَيْنَ الْبَيْضَاءِ إِلَى بُصْرَى ، يَمُدُّنِي اللهُ فِيهِ بِكُرَاعٍ لَا يَدْرِي إِنْسَانٌ مِمَّنْ خُلِقَ أَيْنَ طَرَفَيْهِ**» . فَكَبَّرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ ، فَقَالَ : أَمَّا الْحَوْضُ فَيَرِدُ عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ، الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَيَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ . فَأَرْجُو أَنْ يُورِثَنِي الْكُرَاعَ فَأَشْرَبَ مِنْهُ . وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ ، ثُمَّ يَشْفَعُ كُلُّ أَلْفٍ لِسَبْعِينَ أَلْفًا ، ثُمَّ يَحْثِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِكَفَّيْهِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ**» . فَكَبَّرَ عُمَرُ ، وَقَالَ : إِنَّ السَّبْعِينَ الْأُولَى لَيُشَفِّعُهُمُ =

= اللهُ فِي آبَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ ، وَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَنِي اللهُ فِي إِحْدَى الْحَثَيَاتِ الْأَوَاخِرِ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : يَا رَسُولَ الله ، فِيهَا فَاكِهَةٌ ؟ قَالَ : «**نَعَمْ ، وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى هِيَ تُطَابِقُ الْفِرْدَوْسَ**» . فَقَالَ : أَيُّ شَجَرِ أَرْضِنَا تُشْبِهُ ؟ قَالَ : «**لَيْسَ تُشْبِهُ مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ ، وَلَكِنْ أَتَيْتَ الشَّامَ**» ؟ قَالَ : لَا يَا رَسُولَ الله . قَالَ : «**فَإِنَّهَا تُشْبِهُ شَجَرَةً فِي الشَّامِ تُدْعَى الْجَوْزَةَ ، تَنْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَنْتَشِرُ أَعْلَاهَا**» . قَالَ : فَمَا عِظَمُ أَصْلِهَا ؟ قَالَ : «**لَوِ ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ لَمَا قَطَعَتْهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتُهَا هَرَمًا**» . قَالَ : فِيهَا عِنَبٌ ؟ قَالَ : «**نَعَمْ**» . قَالَ : مَا عِظَمُ الْعُنْقُودِ مِنْهَا ؟ قَالَ : «**مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْقَعِ ، لَا يَنْثَنِي وَلَا يَفْتُرُ**» . قَالَ : فَمَا عِظَمُ الْحَبَّةِ مِنْهُ ؟ قَالَ : «**هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ مِنْ غَنَمِهِ شَيْئًا عَظِيمًا**» ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : «**فَسَلَخَ إِهَابَهَا فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ ، فَقَالَ : ادْبُغِي هَذَا ، ثُمَّ افْرِي لَنَا مِنْهُ ذَنُوبًا نَرْوِي بِهِ مَاشِيَتَنَا**» ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ تُشْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ**» .

وروى أحمد ومعمر بن راشد وابن أبي عاصم والطبراني والبيهقي وأبو داود في البعث وابن عساكر في تاريخ دمشق بعدة أسانيد تلتقي عند عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ**» ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**وَهَكَذَا**» وَجَمَعَ كَفَّيْهِ ، قَالَ : زِدْنَا يَا رَسُولَ الله ، قَالَ : «**وَهَكَذَا**» ، وَجَمَعَ كَفَّيْهِ ، فَقَالَ عُمَرُ : حَسْبُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : دَعْنِي يَا عُمَرُ ، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يُدْخِلَنَا الْجَنَّةَ كُلَّنَا ؟ فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَوْ شَاءَ أَدْخَلَ خَلْقَهُ الْجَنَّةَ بِكَفٍّ وَاحِدَةٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**صَدَقَ عُمَرُ**» .

وَهَذَا عَدَدٌ لَا نِهَايَةَ لَهُ .

وَكُلُّهُم يُدْخِلُهُ اللهُ الجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ .

وَأَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى حِينَ يَقُولُ لِرَسُولِهِ ﷺ :

«قُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ» (١) .

حِينَ يَقُومُ سَيِّدُ الخَلْقِ المَقَامَ المَحْمُودَ .

فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَيَدْعُو اللهَ تَعَالَى أَنْ يُطْفِئَ النَّارَ .

وَيَنْتَهِي العَذَابُ بِلَا حِسَابٌ وَلَاعِقَابٌ .

وَفِي بَعْضِ طُرُقِ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ يَطْلُبُ مِنَ اللهِ تَعَالَى فَيَقُولُ :

﴿ذُرِّيَّةُ آدَمَ لَا تُحْرَقُ اليَوْمَ بِالنَّارِ﴾ وَهُوَ طَرِيقٌ صَحِيحٌ (٢) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما في حديث الشفاعة المشهور .

٢- روى ابن عساكر في تاريخه بسنده ، والآجري في كتاب الشريعة بسنده عن أنس ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده ! إني لسيد الناس يوم القيامة ، ولا فخر ، وإن بيدي لواء الحمد ، وإن تحته آدم ومن دونه ، ولا فخر ، ينادي الله – يومئذ – آدم ، فيقول : يا آدم ! فيقول : =

= لبيك رب وسعديك **!** فيقول : أَخْرِجْ من ذريتك **بعث النار** ، فيقول : يا رب **! وما بعث النار ؟** فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فيخرج ما لا يعلم عدده إلا الله ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم ! أنت أكرمك الله ، وخلقك بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسكنك جنته وأمر الملائكة ، فسجدوا لك ، **فاشفع لذريتك أن لا تُحرَقَ اليوم بالنار** ، فيقول آدم : ليس ذلك إلي اليوم ، ولكن سأرشدكم ، عليكم بنوح ! فيأتون نوحا فيقولون : يا نوح ! اشفع لذرية آدم فيقول : ليس ذلك إلي اليوم ، ولكن عليكم بعبد اصطفاه الله بكلامه ورسالته ، وصُنِعَ على عينه ، وألقى عليه محبة منه ، موسى ، وأنا معكم . فيأتون موسى ، فيقولون : يا موسى ! أنت عبد اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وصنعت على عينه ، وألقى عليك محبة منه ، **اشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار !** فيقول : ليس ذلك إلي اليوم ، عليكم بروح الله وكلمته عيسى ! فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى أنت روح الله وكلمته ، **اشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار** ، فيقول : ليس ذلك إلي اليوم ، ولكن سأرشدكم ، عليكم بعبد جعله الله رحمة للعالمين ، أحمد ، وأنا معكم ، فيأتون أحمد ، فيقولون : يا أحمد جعلك الله رحمة للعالمين ، **اشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار** ، فأقول : نعم ، أنا صاحبها : فآتي حتى آخذ بحلقة باب الجنة ، فيقال : من هذا ؟ أحمد ! فيفتح لي ، فإذا نظرت إلى الجبار ، لا إله إلا هو ، خررت ساجدا ، ثم يفتح لي من التحميد والثناء على الرب شيئا ، لا يفتح لأحد من الخلق ، ثم يقال : ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ! **ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار !** فيقول الرب جل جلاله : اذهبوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال قدر قيراط من إيمان فأخرجوه ! ثم يعودون إلي فيقولون : =

= **ذرية آدم لا يحرقون اليوم بالنار !** .

فآتي حتى آخذ بحلقة الجنة ، فيقال : من هذا ؟ فأقول : أحمد ! فيفتح لي ، فإذا نظرت الجبار ، لا إله إلا هو ، خررت ساجدا ، مثل سجودي أول مرة ، ومثله معه ، فيفتح لي من الثناء على الرب والتحميد ، مثل ما فتح لي أول مرة ، فيقال : ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب : **ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار !** فيقول الرب : اذهبوا ، من وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ! ثم آتي حتى أصنع مثل ما صنعت أول مرة ، فإذا نظرت إلى الجبار عز جلاله ، خررت ساجدا فأسجد كسجودي أول مرة ، ومثله معه ، فيفتح لي من الثناء والتحميد مثل ذلك ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول يا رب ! **ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار !** فيقول الرب : اذهبوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون ما لا يعلم عدده إلا الله ، ويبقى أكثر .

ثم يؤذن لآدم في الشفاعة ، فيشفع لعشرة آلاف ألف ، ثم يؤذن للملائكة والنبيين فيشفعون ، ثم يؤذن للمؤمنين فيشفعون ، وإن المؤمن يشفع يومئذ لأكثر من ربيعة ومضر» .

قال سماحة الإمام ﷺ : **هذا الحديث صرح بالآتي :**

المشفوع فيهم هم بعث النار . وبداهة أن بعث النار هذا ، معظمهم من الكفرة ، بدليل ما صح عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال : قال النبي ﷺ : «**يقول الله تعالى : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس=**

وَتَسْبِقُ الرَّحْمَةُ ، وَتَعُمُّ المَغْفِرَةُ ، وَتَتَّسِعُ :

= **سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد»** . قالوا : يا رسول الله ، وأينا ذلك الواحد ؟ قال : «**أبشروا فإن منكم رجلا ، ومن يأجوج ومأجوج ألفا . ثم قال : والذي نفسي بيده ، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة**» . فكبرنا ، فقال : «**أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة**» . فكبرنا ، فقال : «**أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**» فكبرنا ، فقال : «**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**» .

هذا الحديث صرح بأن الله تبارك وتعالى قد وعد المصطفى ﷺ بقوله : «سل تعط واشفع تشفع» . وأن طلب المصطفى ﷺ هو أن «ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار» . فلابد أن يستجيب الله – ولا موجب عليه تعالى إلا نفسه – لنبيه ﷺ ، لأنه وعده ذلك بقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ {الضحى : ٥} ، ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {الروم : ٦} . والطلب كان ذرية آدم كلها أن لا تحرق بالنار ، فبرغم أن آخر هذا الحديث الوارد إلينا قد أوصل الشفاعة إلى «**من في قلبه مثقال ذرة من إيمان**» . وفي الصحيح أوصل الشفاعة إلى «**من قال لا إله إلا الله**» . فمازال طلب المصطفى ﷺ هو أن : «**لا تحرق ذرية آدم كلها بالنار**» ، ومازال وعد الله له بإرضائه ﷺ قائما ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ {الضحى : ٥} .

انظر إلى قوله ﷺ : «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**» في غزوة أحد عندما أدماه المشركون – حتى ولو كان قد نُسخ بالنهي عن الاستغفار للمشركين – فقد وعده الله أن يرضيه ، ولا رضاء له ﷺ وجزء منه يحترق بالنار ، لأن كل الخلق مخلوقون منه ﷺ بدليل حديث جابر بن عبد الله ﷺ .

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ {النجم : ٣٢} .

وَيَكْفِي ذُرِّيَةَ آدَمَ مَا تَعَرَّضَتْ لَهُ مِنَ البَلَاءِ فِي الدُّنْيَا .

وَمِنَ العَذَابِ فِي المَحْشَرِ .

قَبْلَ أَنْ يَقُومَ ﷺ مَقَامَهِ المَحْمُودِ .

أَلَيْسَ هُوَ القَائِلُ : «**آدَمُ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي وَلَا فَخْرَ**» (١) .

فَكَيْفَ يَصِلُ شَيءٌ مِنَ الشَّرِّ لِمَنْ هُوَ تَحْتَ لِوَاءِ ذَلِكَ السَّيِّدِ العَظِيمِ .

فَذُرِّيَّةُ آدَمَ كُلُّهَا تَحْتَ لِوَائِهِ ﷺ .

وَهَذَا ظَنُّنَا بِرَحْمَةِ اللهِ الوَاسِعَةَ :

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ {الصافات : ٨٧} .

١- رواه أحمد والدارمي والبزار والمروزي وأبو يعلى والبيهقي .

التنزل السابع والستون ومائة

فإذا أحببته كنته

قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ﴾ {النحل : ٤٠} (١) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : في الحقيقة أن الخلق كله كان موجودا في عدم العدم ، كمثل رجل عنده مقتنيات في خزانة ، وقد أحكم غلق الباب عليها ، فهذه المقتنيات موجودة ، ولكنها في داخل الخزانة ، وهذه تشبه مرتبة عدم العدم ، حيث الذات ولا شيء . ثم أن هذا الرجل فتح باب خزانته ، وهذه تشبه مرتبة العدم ، وهي المرتبة الثانية ، التي نظر الله تعالى فيها إلى الأشياء نظر عناية ، وهي مرتبة الألوهية : التي هي أول مرتبة برزت عن الذات ، وهي مرتبة نظر الذات إلى الأشياء ، وإعدادها للوجود ، وهي مرتبة تُعلم ولا تُشاهَد ، واسم هذه المرتبة الله . ثم أن صاحب هذه الخزانة ، أخذ في إخراج مقتنياته من ظلام الخزانة إلى نور الوجود ، فتخرج إلى الوجود على حسب ما هي عليه ، فيخرج الذهب ذهبا ، والفضة فضة ، وهي المرتبة الثالثة ، حيث تُخْرَج الأشياء من العدم إلى الوجود ، وهي مرتبة الأسماء والصفات . أي أنه كان الخلق جميعا في **عدم العدم** . ثم خرج إلى **العدم** . ومنه **للوجود** . وهذه المراتب الثلاث : =

وَلَمْ يَقُلْ : (لِشَيْئَينِ) .

فَخَلَقَ اللهُ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ وِتْراً .

فَكُلُّ شَيءٍ بِنَفْسِهِ أَحَدٌ وِتْرٌ حِينَ خُلِقَ .

= هي مراتب موجودة بالنسبة لله ، وإن كانت مرتبة العدم ، وعدم العدم ، غير موجودة بالنسبة للخلق . فالله تعالى ما خلق إلا عن وجود ، لا عن عدم .

قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ : سر المنزل والمنازل هو ظهور الحق بالتجلي في صور كل ما سواه ، فلولا تجليه لكل شيء ما ظهرت شيئية ذلك الشيء ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ {النحل : ٤٠} . فقوله : ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ هو التوجه الإلهيّ لإيجاد ذلك الشيء ، ثم قال : ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن﴾ فنفس سماع ذلك الشيء خطاب الحق ، تكوُّن ذلك الشيء ، فهو بمنزلة سريان الواحد في منازل العدد ، فتظهر الأعداد إلى ما لا يتناهى ، بوجود الواحد في هذه المنازل ، ولولا وجود عينه فيها ما ظهرت أعيان الأعداد ، ولا كان لها اسم ، ولو ظهر الواحد باسمه في هذه المنزلة ما ظهر لذلك العدد عين ، فلا تجتمع عينه واسمه معاً أبداً ، فيقال : اثنان ثلاثة أربعة خمسة ....إلى ما لا يتناهى ، وكل ما أسقطت واحداً من عدد معين زال اسم ذلك العدد ، وزالت حقيقته . فالواحد بذاته يحفظ وجود أعيان الأعداد ، وباسمه يعدمها ، كذلك إذا قلت القديم فنى المحدث ، وإذا قلت الله فنى العالم ، وإذا أخليت العالم من حفظ الله لم يكن للعالم وجود وفني ، وإذا سرى حفظ الله في العالم بقي العالم موجوداً ، فبظهوره وتجليه يكون العالم باقياً .

وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى غَيُورٌ عَلَى مَرْتَبَةِ الوِتْرِيَّةِ أَنْ يُوصَفَ بِهَا سِوَاهُ .

فَقَالَ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ {الحديد : ٤} .

فَشَفَعَ بِمَعِيَّتِهِ وِتْرِيَّةَ كُلِّ وِتْرٍ .

فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ {المجادلة : ٧} .

وَمَا قَالَ : مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى أَرْبَعَةٍ إِلَّا هُوَ خَامِسُهُم (١) .

١- قال الشيخ محيي الدين بن عربي ﷺ : اعلم وفقك الله أن الله ما خلق شيئا إلا في مقام أحديته ، التي بها يتميز عن غيره ، فبالشفعية التي في كل شيء يقع الاشتراك بين الأشياء ، وبأحدية كل شيء يتميز كل شيء عن شيئية غيره ، وليس المعتبر في كل شيء إلا ما يتميز به ، وحينئذ يسمى شيئا فلو أراد الشفعية لما كان شيئا ، وإنما يكون شيئين ، وهو إنما قال : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ {النحل : ٤٠} . ولم يقل لشيئين ، فإذا كان الأمر على ما قررناه ، ثم جاء الحق لكل شيء بصورته التي خلقه الله عليها ، فقد شفع ذلك الشيء ، كما يشفع الرائي صورته برؤيته في المرآة نفسه ، فيحكم بالصورتين : صورته وصورة ما شفعها . فلذلك ما أتى الحق في الإخبار عن كينونته معنا إلا مشفعا لفرديتنا ، فجعل نفسه رابعاً وسادساً وأدنى من ذلك ، وهو أن يكون ثانياً ، وأكثر وهو ما فوق الستة من العدد الزوج ، إعلاماً منه تعالى أنه على صورة العالم ، أو العالم على صورته =

أَمَّا الذَّاتُ الإِلَهِيَّةُ ؛

فَقَدْ تَنَزَّهَتْ عَنِ الوِتْرِ ، كَمَا تَنَزَّهَتْ عَنِ الشَّفْعِ .

غَيْرُ مَحْكُومٍ عَلَيْهَا بِشَفْعٍ وَلَا وِتْرٍ وَلَا نِسْبَةٍ .

بَلْ هِيَ الحَاكِمَةُ المُحِيطَةُ بِكُلِّ شَفْعٍ وَوِتْرٍ (١) .

= وما ذكر في هذه الكينونة إلا كونه سميعا من كون من هو معهم يتناجون ، لا من كونهم غير متناجين ، فإذا سمعت الحق يقول أمراً ما ؛ فما يريد الأعيان ، وإنما يريد ما هم فيه من الأحوال ، إما قولاً ، وإما غير قول من بقية الأعمال ، إذ لا فائدة في قصد الأعيان لعينهم وإنما الفائدة إحصاء ما يكون من هذه الأعيان من الأحوال ، فعنها يسألون ، وبها يطلبون ، فيقال له ما أردت بهذه الكلمة ولذلك ورد في الخبر الصحيح «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**» فأعلم عباده أن للمتكلم مراتب ، يعلمها السامع ، إذا رمى بها العبد من فمه لم تقع إلا في مرتبتها ، وإن المتلفظ بها يتبعها في عاقبة الأمر ، ليقرأ كتابه حيث كان ذلك الكتاب .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : فَمُنِّي أَيَّتُهَا المَحْبُوبَةُ ، وَأَنْعِمِي عَلَيْنَا اليَوْمَ جَمِيعًا ، فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ ، بِشَرَفِ رُؤْيَةِ وَجْهِكِ الجَمِيلِ . بِلَا حِجَابٍ ، وَلَا ضَبَابٍ ، وَلَا سَحَابٍ حَتَّى نَغْرَقَ كُلِّيَّةً فِي بِحَارِ أَنْوَارِ الحُبِّ . حَيْثُ لَا أَثَرَ لِشَفْعِيَّةِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ . وَلَا مَكَانَ لِلزَّمَانِ وَالجِهَاتِ . بَلْ ظُهُورُ أَحَدِيَّةِ الذَّاتِ ، وَوِتْرِيَّةِ الحَضَرَاتِ . فَيَصِيرُ العَبْدُ حُرًّا ، وَالعَيْشُ حُلْوًا .

وَهُوَ تَعَالَى يَتَجَلَّى بِشَيْئِيَّتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِكُلِّ شَيْءٍ .

فَيَشْفَعُ شَيْئِيَّةَ كُلِ وِتْرٍ بِوِتْرِيَّتِهِ .

فَيَتَجَلَّى لِلرَّجُلِ فِي المَرْأَةِ ، وَلِلْمَرْأَةِ فِي الرَّجُلِ (١) .

وَلِلطَّاعِمِ فِي المَطْعُومِ ، وَلِلشَّارِبِ فِي المَشْرُوبِ (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : خَلَقَ اللهُ الكَوْنَ كُلَّهُ ، فَكَانَ جَسَداً بِلَا رُوحٍ . ثُمَّ خَلَقَ آدَمَ ﷺ . لِيَكُونَ هُوَ رُوحَ الوُجُودِ . ثُمَّ أَوْجَدَ حَوَّاءَ عَلَيْهَا السَّلَامَ . لِتَكُونَ هِيَ رُوحَ آدَمَ ﷺ . ثُمَّ أَنْزَلَ الحُبَّ بَيْنَهُمَا مِنَ السَّمَاءِ . رُوحاً مِنْ عِنْدِهِ ، وَحَنَاناً مِنْ قُدْسِهِ ، وَنُوراً مِنْ لَدُنْهُ . فَالحُبُّ هُوَ رُوحُ أَرْوَاحِ العَوَالِمِ . عَلَيْهِ قَامَتِ الدُّنْيَا ، وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي الآخِرَةُ . وَلَهُ عِنْدَ اللهِ المَنْزِلَةُ . عَلَيْهِ يَجْمَعُ اللهُ أَحْبَابَهُ ، وَيَفْتَحُ لَهُم أَبْوَابَهُ ، وَيَجْزِلُ لَهُم ثَوَابَهُ . قال رسول الله ﷺ : «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» . إِذَا ظَهَرَ الحُبُّ فِي أَيِّ مَظْهَرٍ ؛ كَانَ الحُكْمُ لَهُ . وَكَانَ الشَّرْعُ مِنْهُ أَمْراً وَنَهْياً ، حِسَاباً وَعِقَاباً . جَنَّةً وَنَاراً ، قُرْباً وَبُعْداً ، وَصْلاً وَفَصْلاً .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : فَاللهُ حَاضِرٌ عَلَى الدَّوَامِ . وَإِنَّمَا غَيَّبَهُ الجَهْلُ مِنَ الجَاهِلِ . فَهُوَ يَرَاهُ عَلَى الدَّوَامِ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاهُ . يَسْمَعُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ النَّاطِقُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ . يَشُمُّهُ فِي كُلِّ مَشْمُومٍ . وَيَلْمَسُهُ فِي كُلِّ مَلْمُوسٍ . وَيَسْتَطْعَمُهُ فِي كُلِّ مَطْعُومٍ . وَهَذَا الجَاهِلُ مَا يَرَى وَلَا يُبْصِرُ إِلَّا بِاللهِ . وَلَكِنَّهُ مَحْجُوبٌ بِجَهْلِهِ وَوَهْمِهِ . لِأَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا بَيْنَ إِبْهَامٍ وَإِيهَامٍ . وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ** ﴾ {الرعد : ١٢ ، غافر : ١٣} . وَفِي الصَّحِيحِ =

وَلِلنَّاظِرِ فِي المَنْظُورِ (١) .

وَلِلْمَكَانِ فِي المُتَمَكِّنِ وَالمَكِينِ .

وَلِلزَّمَانِ فِي المُتَزَمِّنِ وَالزَّمِينِ (٢) .

= «**وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ**» . فَاللهُ إِذَنْ هُوَ بَصَرُ كُلِّ مُبْصِرٍ . وَيَقُولُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ ﴾ {يونس : ٢٢} . وَفِي صَحِيحِ الحَدِيثِ : «**وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**» . فَمَا سَمِعْتَ ، وَلا أَبْصَرْتَ ، وَلَا مَشَيْتَ ، وَلَا عَبَدْتَ ، إِلَّا بِهِ . فَهُوَ العَابِدُ وَالمَعْبُودُ . وَأَنْتَ لَنْ تَرَى اللهَ أَبَداً إِلَّا بِالنَّظَرِ فِي الخَلْقِ . وَلِذَلِكَ خَلَقَ الخَلْقَ لِيَظْهَرَ بِهِم لَهُم . فَإِذَا رَفَعَ عَنْكَ حِجَابَ الوَهْمِ ، اصْطَفَى ذَاتَكَ لِذَاتِهِ . حَيْثُ لَا خَلْقَ ، وَلَا خَالِقَ . وَلَا عَابِدَ وَلَا مَعْبُودَ ، وَلَا وَاجِدَ وَلَا مَوْجُودَ . حَيْثُ الفَنَاءُ الصِّرْفَ . ثُمَّ الفَنَاءَ عَنِ الفَنَاءِ . فَلَيْسَ فِي الكَوْنِ إِلَّا اللهَ .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : إن نظرنا ، فإليه . وإن سمعنا ، فمنه . وإن عقلنا ، فعنه . وإن فكرنا ، ففيه . وإن علمنا ، فإياه . وإن آمنا ، فبه . فهو المتجلي ، في كل وجه . والمطلوب ، من كل آية . والمنظور إليه ، بكل عين . والمعبود ، في كل معبود . والمقصود في الغيب والشهادة . والمحبوب في عين كل محب . فجميع العالم ، له مُصَلٍ . وإليه ساجد . وبحمده مسبح . فالألسنة ، به ناطقة . والقلوب ، به هائمة عاشقة . والألباب ، فيه حائرة .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : الله تعالى غير مُتَزَمِّن ، وغير متمكن ، أي أنه تعالى لا يخضع لقوانين الزمان ، ولا قوانين المكان .فيتساوى عنده تعالى التعبير بالزمن الماضي في قوله : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا =

فَمَنْ رَأَى اللهَ مُتَجَلِّياً لَهُ فِي مَظَاهِرِ الدُّنْيَا ؛

فَلَا يَسَعُهُ أَنْ يَزْهَدَ فِيهَا (١) .

بَلْ وَجَبَ عَلَيْهِ الإِقْبَالُ عَلَيْهَا . إِذْ أَنَّهُ عَيْنُ إِقْبَالِهِ عَلَى رَبِّهِ .

= ﴿يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ {النساء : ١٠٨} . مع قوله تعالى في زمن المضارع : ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ {يونس : ٣} .

ويعبر الله تعالى بالماضي على ما سيحدث في المستقبل ، كما في قوله تعالى : ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾ {النحل : ١} . فأفاد هنا أن أمر الله تعالى أتى في الماضي ، ولا تستعجلوه في المستقبل ، ثم تلا ذلك بتنزيهه وتقديسه وتعاليه عن كل ما نظنه فيه تعالى من التزمن والتمكن . يعجز التعبير باللغة عن وصف أفعاله وصفاته تعالى ، فبغض النظر عن الأغراض البلاغية المستخدم فيها هذه المعاني اللغوية ، التي يحاول أن يستنبطها المفسرون لهذه الآيات ، فإن الحق تعالى يعبر عما شاء ، بما شاء ، في أي زمان شاء ، في أي مكان شاء ، على مراده تعالى ، وليس على ظننا وفهمنا ومرادنا نحن .

الأزمان عند الخلق تتقيد بقوانين حركة الأجرام السماوية ، والله سبحانه يتعالى عن التقيد بذلك علوًّا كبيرا . ونحن نجد بعض الأحداث المخلوقة تخرج عن حيز الزمان المكان ، فما بالك بخالق الزمان والمكان ؟

١- قال سماحة الإمام ﷺ : رَأَوُا الحَقَّ فِي كُلِّ شَيءٍ ، فَلَمْ يَزْهَدُوا فِي شَيءٍ . فَإِنَّ اللهَ مَا زَهِدَ فِي الخَلْقِ حِينَ خَلَقَهُ . إِنْ زَهِدُوا ؛ فَإِنَّهُم يَزْهَدُونَ فِي كُلِّ مَا يَحُولُ بَيْنَهُم وَبَينَ حَبِيبِهِم .

وَمَنْ لَمْ يَرَهُ فِي مَظَاهِرِهَا مُتَجَلِّياً ؛ وَجَبَ عَلَيْهِ الزُّهْدُ فِيهَا (١) .

الخَيْرُ وَالنُّورُ كُلُّهُ فِي الدُّنْيَا (٢) .

كُلُّ مَنْ فَارَقَهَا ؛ تَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا ، لِيَحْمِلَ مِنْهَا (٣) .

﴿ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ ﴾ . أَيْ إِلَى الدُّنْيَا : ﴿ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا ﴾ {الحديد : ١٣} .

١- إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء ، فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء . فلولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود الصفات ، ولو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته . أظهر كل شيء لأنه الباطن ، وطوى وجود كل شيء لأنه الظاهر فأباح لك أن تنظر إلى المكونات ، وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ {يونس : ١٠١} ، و لم يقل انظروا السماوات والأرض ، لئلا يدلك على وجود الأجرام ، فهي ليست في ذاتها موجودة ، وإنما هي موجودة بإيجاده تعالى لها ، فالأكوان ثابتة بإثباته ، و ممحوة بأحدية ذاته .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : يَكْفِيكَ فِي الدُّنْيَا أَنَّكَ عَرَفْتَ رَسُولَ الله ﷺ ، وأَحْبَبْتَه . هَذَا سَبَبٌ كَافٍ وَمُقْنِعٌ لِأَنْ تَكُونَ مِنَ السُّعَدَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَة .

٣- قال سماحة الإمام ﷺ : فَأَنَا الجَمِيلُ المُتَجَلِّي فِي كُلِّ وَجْهٍ . وَالمَطْلُوبُ مِنْ كُلِّ آيَةٍ . وَالمَنْظُورُ إِلَيْهِ بِكُلِّ عَيْنٍ . وَالمَعْبُودُ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ . وَالمَحْبُوبُ فِي عَينِ كُلِّ مُحِبٍّ . لَأَنَا أَشَدُّ فَرَحاً بِمَنْ يَرَى جَمَالِي . لَأَنَا أَشَدُّ فَرَحاً بِمَنْ يَشْعُرُ بِجَمَالِي . مَا أَعْطَيْتُكَ بَصَراً إِلَّا لِتُبْصِرَ جَمَالِي . مَا وَهَبْتُكَ سَمْعاً إِلَّا=

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ ﴾ {الحديد : ١٣} .

فَهَذَا السُّورُ هُوَ البَرْزَخُ المَضْرُوبُ بَيْنَ صِفَاتِ الجَمَالِ وَصِفَاتِ الجَلَالِ .

وَلَكِن رَحْمَةَ اللهِ سَبَقَتْ ، وَمَغْفِرَتَهُ عَمَّتْ .

فَلَمْ يَجْعَلِ السُّورَ مُصْمَتاً .

بَلْ جَعَلَ فِي السُّورِ بَاباً مَفْتُوحاً إِلَى الرَّحْمَةِ .

﴿ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ ﴾ : أَلَمْ تَرَ أَنَّ (بَاءَ) ﴿ بَابُۢ ﴾ قَدْ تَبِعَتْهَا (بَاءُ) ﴿ بَاطِنُهُۥ ﴾ فِي الآيَةِ ؟

حَتَّى لَا يُقَنِّطَ خَلْقَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، حَتَّى وَهُم عَلَى الصِّرَاطِ .

فَتَحَ لِلْهَالِكِينَ بَاباً مُتَّصِلاً بِرَحْمَتِهِ .

وَالمُرُورُ مِنْ هَذَا البَابِ يَكُونُ فِي اتِّجَاهٍ وَاحِدٍ .

= لِتَسْمَعَ جَمَالِي . لَا تَنْحَجِبْ بِجَمَالِ خَلْقِي عَنْ جَمَالِ وَجْهِي . فَكُلُّ الجَمَالِ فِي وَجْهِي . مَنْ لَمْ يَرَ جَمَالَ وَجْهِي ؛ فَقَدْ حَجَبْتُهُ حِجَاباً أَعْظَمَ مِنْ دُخُولِ النَّارِ . مَنْ لَمْ يَرَ جَمَالَ وَجْهِي ؛ فَلَا عِلْمُهُ نَفَع ، وَلَا جَهْلُهُ ارْتَفَع . لَا تَكُنْ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنِي ، وَأَحْجُبُهُم بِرُؤيَتِي عَنْ وَجْهِي . فَأَنَا أَجْمَلُ مِنْ جَمَالِي . قَضَتْ غِيرَتِي أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرَنِي فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَرَنِي فِي الآخِرَةِ .

مِنَ العَذَابِ إِلَى الرَّحْمَةِ ، إِذْ أَنَّ العَكْسَ لَا يُعْقَل (١) .

إِذَا رَأَيْتَ اللهَ فِي كُلِّ شَيْءٍ :

تَوَحَّدَتْ رُؤيَتُكَ ، وَتَوَحَّدَ اسْتِمْدَادُكَ .

وَتَوَحَّدَتْ مَآرِبُكَ ، وَمَطَالِبُكَ ، وَعَوَالِـمُكَ .

وَتَوَحَّدَتْ أَمَانِيكَ ، وَأَحْلَامُكَ .

فَصِرْتَ وِتْراً يُحِبُّكَ اللهُ (٢) .

١- قال سماحة الإمام ﷺ : الآلَامُ عَوَارِضُ ، وَاللَّذَّاتُ ثَوَابِتُ . وَالبَاطِنُ لَهُ الحُكْمُ . ﴿ بَابٌ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ ﴾ {الحديد : ١٣} . وَلَمْ يَقُلْ ظَاهِرُهُ فِيهِ العَذَابُ . بَلْ قَالَ : ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ {الحديد : ١٣} . أَيْ مِنْ نَاحِيَتِهِ . وَمَا عِنْدَ اللهِ بَابٌ يَفْتَحُ إِلَّا أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ . ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ {فاطر : ٢} . أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ {القمر : ١١} . هُوَ أَيْضاً بَابُ رَحْمَةٍ لِنَجَاةِ المُؤْمِنِينَ . وَبَابُ رَحْمَةٍ لِلْكُفَّارِ ، حَتَّى يَتَخَلَّصُوا مِنْ أَشْبَاحِهِمُ الَّتِي كَفَرُوا فِيهَا . فَلَا يَزْدَادُوا كُفْراً عَلَى كُفْرِهِم .

٢- قال سماحة الإمام : أَنْتَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ وِتْرُ الكَوْنِ . وَأَنَا وِتْرٌ أُحِبُّ الوِتْرَ . ضَنَنْتُ بِكَ عَلَى الآخِرَةِ . كَمَا ضَنَنْتُ بِكَ عَلَى الدُّنْيَا . ضَنَنْتُ بِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَأَنْتَ لِي .

وَلَا يَشْفَعُكَ أَبَداً .

إِذْ كَيْفَ يَشْفَعُ الشَّيْءُ نَفْسَهُ ؟ (١) .

«إِنَّ اللهَ وِتْرٌ ، يُحِبُّ الْوِتْرَ» (٢) .

«إِنَّ اللهَ فَرْدٌ ، يُحِبُّ الفَرْدَ» (٣) .

فَتَصِيرُ ذَاتُكَ نُوراً مِنْ ذَاتِهِ (٤) .

١- قال سماحة الإمام : لَيْسَ مَنْ يَتَرَنَّحُ بَيْنَ أَضْدَادِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، وَيَتَأَرْجَحُ بَيْنَ المُعْطِي وَالمَانِعِ ، بَيْنَ المَوْتِ وَالحَيَاةِ ، بَيْنَ الغَضَبِ وَالمَغْفِرَةِ . كَمَنْ ثَبُتَ بِإِثْبَاتِ الذَّاتِ لَهُ . فَلَا ضِدِّيَةَ ، وَلَا تَضَادَّ . وَلَاسِكُونَ ، وَلَا حَرَكَةَ . وَلَا إِقْبَالَ ، وَلَا إِدْبَارَ . وَلَا حَسَنَاتٍ ، وَلَا سَيِّئَاتٍ . وَلَا جَنَّةَ ، وَلَا نَارَ . وَلَا دُنْيَا ، وَلَا أُخْرَى . وَإِنَّمَا ثُبُوتٌ ، لَا ضِدَّ لَهُ . ثُبُوتٌ فِي مَرْتَبَةِ الحُبِّ . فَصَارَتْ رُوحُكَ هِيَ رُوحُ الوُجُودِ كُلِّهِ . تُمِدُّهُ بِأَنْوارِ الله . تُمِدُّ المُلْكَ وَالمَلَكُوتِ . وَصَارَ يَسْتَمِدُّ مِنْ نُورِكَ كُلُّ مَوْجُودٍ . وَصِرْتَ أَنْتَ قُطْبَ الوُجُودِ ، وَمَرْكَزَ الأَفْلَاكِ . رُوحُكَ تُمِدُّ كُلَّ رُوحٍ . وَقَلْبُكَ يُمِدُّ كُلَّ قَلْبٍ . وَحُبُّكَ يُمِدُّ كُلَّ حُبٍّ . وَصِرْتَ وِتْرًا . «**وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ ، يُحِبُّ الْوِتْرَ**» .

٢- رواه مسلم في صحيحه .

٣- أورده المتقي الهندي في كنز العمال حديث رقم ٢٣٤٠٤ رواية عن ابن جرير .

٤- قال سماحة الإمام ﷺ : المحب هو خليفة حبيبه ، وهَبَه محبوبه ذاتا من ذاته ، وصفات من صفاته ، وأسماء من اسمائه ، وكفي بذلك شرفاً لنعمة الخلافة .

وَصِفَاتُكَ تَنَزُّلاً مِنْ صِفَاتِهِ (١) .

وَأَفْعَالُكَ تَجَلِّياً مِنْ أَفْعَالِهِ .

وَاسْمُكَ اسْماً مِنْ أَسْمَائِهِ (٢) .

١- قال الجيلي :

أأحطت خبراً مجملاً ومفصلاً	بجميع ذاتك يا جميع صفاته ؟
أم جَلَّ وجهك أن يُحاطَ بكنهِهِ	فـاحتطه أن لا يحاط بذاته ؟
حاشـاك من غايٍ وحاشا أن تكن	بك جاهلاً ، ويلاه من حيراته

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : أَدْخَلَ اللهُ تَعَالَى العَالَمَ أَجْمَعَ تَحْتَ تَسْخِيرِ هَذَا المُحِبِّ الأَرْفَعِ ، تَشْرِيفًا لَهُ . فَمَا بَيْنَ مُسْتَغْفِرٍ لَهُ . وَمُصَلٍّ عَلَيْهِ . الكُلُّ مَشْغُولٌ بِهِ . حَتَّى جَعَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى كَلِمَتَهُ العُلْيَا . وَاسْمَهُ الأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ . وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى .

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ : كنت جالسا بين يدي شيخي ، وفي حجره ابن له صغير ، فخطر ببالي أن أسأله عن اسم الله الأعظم ، فقام إلي الولد ، ورمى بيده في طوقي ، وهزني ، وقال : يا أبا الحسن أنت أردت أن تسأل الشيخ عن اسم الله الأعظم ، ليس الشأن أن تعلم اسم الله الأعظم ، إنما الشأن أن تكون أنت هو اسم الله الأعظم ، يعني أن سر الله مودع في قلبك ، فتبسم الشيخ ، وقال لي : جاوبك فلان عني ، وكان إذ ذاك قطب الزمان . فلما ورث الشاذلي القطبانية ، كان أبو العباس المرسي تلميذه يقول أن الشاذلي قال له : (إذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بي) أي أنه أصبح فعلا اسم الله الأعظم كما قال له شيخه الشيخ عبد السلام بن مشيش ﷺ .

«كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ .

وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ .

وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا .

وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا» (١) .

وَرُوِيَ عَنْ بَعْضِ الأَفَاضِلِ قَوْلُهُ : (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُهُ) (٢) .

١- رواه البخاري في صحيحه .

٢- قال سماحة الإمام ﷺ : في الحديث الشريف : «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ»

قد يكون المراد بالمؤمن الأول : الحق تعالى ، لأن المؤمن من أسمائه تعالى والمراد بالمؤمن الثاني : العبد . فالحق تبارك وتعالى ، مرآة عبده . أو أن يكون المراد بالمؤمن الأول : العبد ، وبالمؤمن الثاني : الحق . فيكون العبد مرآة الحق تعالى . **إذ في الحقيقة إنه تعالى : مرآتك ، وأنت مرآته .**

فمن حيث كونك مرآته ، يرى هو صورته فيك ، فتكون أنت عنده عين ذاته وصفاتك وأسماؤك ، عين أسمائه وصفاته . وجميع ما صدر منك ، عين ما صدر منه . وبهذا الاعتبار قال سبحانه وتعالى : ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾ {النساء : ٨٠} . وقال : ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ رَمَى**﴾ {الأنفال : ١٧} . ومن ثم قال ﷺ : «**خلق الله آدم على صورته**» .

ومن حيث كون الحق مرآة لك ، ترى أنت ذاتك متجلية بأسمائه وصفاته . بل تتحقق أن ذاتك هي عين المعبر عنه بذاته . فأنت هو ، وهو أنت . =

= ولاتزال تتحقق صورتك في مرآة كماله ، حتى تتجلى ذاتك بجميع مالها من تلك المحاسن الظاهرة ، في تلك المرآة المشهودة على التمام والكمال .

ولما كان التجلي على قدر صفاء المرآة وصقلها ، وعلى قدر قابلية المتلقي ، ولما كانت أصفى مرآة هي مرآة رسول الله ﷺ ، وأكبر قابلية هي قابليته ﷺ ، لذا اختص ﷺ بالتجلي الذاتي ، وما سواه ليس له إلا التجلي الأسمائي والصفاتي .

فرسول الله ﷺ هو المرآة التي ظهرت فيها الذات المقدسة ، في أكمل تجلٍ يتجلاه تعالى على مخلوق . فارجع بقطرتك إلى بحره ﷺ ، فتفنى في رسول الله ﷺ ، فتستقبل بقابلية بحره ﷺ ، وليس بقابلية قطرتك ، فيتحقق له هذا المقام ، وتحظى بتجلي الله الذاتي .

من نظر في المرآة لا يرى جِرم المرآة ، ولكن يرى صورة الواقف أمامها ، ويجهد نفسه أن يرى جرم المرآة ، فلا يستطيع . فمن نظر إلى رسول الله ﷺ – الذي هو المرآة – فإنه لا يرى رسول الله ﷺ ، ولكن يرى التجلي الإلهي فيه ، ومن رأى رسول الله ﷺ ، ولم يرى الله تعالى فيه ، فإن مرآة قلبه تحتاج أن تصقل . فرسول الله ﷺ ليس واسطة بين الله وبين خلقه ، ولكنه ﷺ مرآة صافية ، يرى الخلق فيها ربهم ، ولا يرون سواه فيها ، حتى أنهم لا يرون رسول الله ﷺ ، لأن أحدا لا يرى جرم المرآة عند ظهور الصورة فيها .

أما تجلي الأسماء والصفات ؛ فيتجلى الله تعالى بها على جميع خلقه ، وله تعالى الظهور في أي صورة شاء منها ، فالأسماء والصفات لها التعدد . وهذا فارق كبير بين أن تقول : إن الله تعالى تجلى على ذات أحد ، وبين أن تقول : إن الله تعالى حَلَّ بذاته في ذات أحد من خلقه .

سند حديث يوم عاشوراء

١- حَدَّثَنَا الشَّيْخُ أَبُو الفَيْضِ مُحَمَّدُ يَسٍ بْنُ مُحَمَّدِ عِيسَى الفَادَانِي الأُنْدُونُوسِيِّ الأَصْلُ ، المَكِيِّ الشَّافِعِيِّ ، بِالحَرَمِ المَكِيِّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، قَالَ :

٢- أَخْبَرَنَا بِهِ الشَّيْخُ عُمَرُ حِمْدَانَ المَحْرِسِيِّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، قَالَ :

٣- حَدَّثَنِي السَّيِّدُ عَلِيِّ بْنِ ظَاهِرِ المَدَنِيِّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، قَالَ :

٤- أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ مِنَّةَ اللهِ الأَزْهَرِيِّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، قَالَ :

٥- أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ الأَمِيرُ الكَبِيرُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، قَالَ :

٦- أَخْبَرَنِي الشِّهَابُ أَحْمَدُ الجُوهَرِيُّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، قَالَ :

٧- أَخْبَرَنِي عَبْدُاللهِ بْنُ سَالِمِ البَصْرِيِّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، قَالَ :

٨- أَخْبَرَنِي الشَّمْسُ مُحَمَّدُ العَلَاءِ البَابِلِيِّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، قَالَ :

٩- أَخْبَرَنَا سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدِ السَّنْهُورِيِّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، قَالَ :

١٠- سَمِعْتُ النَّجْمُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدِ الغِيطِيِّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، يُحَدِّثُ :

١١- عَنْ أَمِينُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الجُودِ ، إِمَامُ جَامِعِ الغَمْرِيِّ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، قَالَ :

١٢- أَخْبَرَنَا الفَخْرُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ السَّيُوطِيِّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ .

١٣- عَنْ أَبِي الفَرَجِ بْنِ الشَّحْنَةِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ .

١٤- عَنِ الحَافِظِ المُنْذِرِيِّ .

١٥- عَنْ أَبِي حَفْصِ عُمَرِ بْنِ طَبَرْزَدِ .

١٦- عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ الأَنْصَارِيِّ .

١٧- عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ الجُوهَرِيِّ .

١٨- عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ كِيسَانِ .

١٩- عَنْ أَبِي يُوسُفِ القَاضِي .

٢٠- عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ .

٢١- عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ .

٢٢- عَنْ غِيلَانِ بْنِ جَرِيرٍ .

٢٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْبِدِ الزَّمَانِيِّ .

٢٤- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ :

﴿ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهَا ﴾ (١)

١- هذا السند بتمامه ذكره الفاداني في كتابه العجالة في الأسانيد المسلسلة .

وقال المرتضى الزبيدي في أماليه : فأما الصوم فقد روينا فيه حديثين وقعا لنا مسلسلين بيوم عاشوراء ، أما الأول فقد أخبرناه السيد عمر بن أحمد بن عقيل الحسين ، قراءة عليه بيوم عاشوراء ، أخبرنا خالي في يوم عاشوراء ، أخبرنا محمد بن العلاء في يوم عاشوراء ، أخبرنا النور علي بن يحيى في يوم عاشوراء ، أخبرنا الشهاب أحمد بن محمد بن حمزة في يوم عاشوراء ، أخبرنا الشمس محمد بن عبد الرحمن في يوم عاشوراء ، أخبرنا الحافظ أبو الفضل في يوم عاشوراء ، أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن المبارك بن حامد القري في يوم عاشوراء، أخبرنا أبو الحسن علي بن إسماعيل بن قريش المخزومي في يوم عاشوراء ، أخبرنا الحافظ أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري في يوم عاشوراء ، أخبرنا الشيخان أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد ، بقراءتي عليه ، وأبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم في كتابه إلي من بغداد =

وَنَرْوِيهُ أَعْلَى مِنْهُ بِدَرَجَةٍ :

- عَنْ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ الحَافِظِ التِّجَانِيِّ .
- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ النَّبَهَانِيِّ .

= واللفظ له قالا : أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ، قراءة عليه ونحن نسمع ، أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري ، قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن كيسان ، قراءة عليه ، فأقر به ، أخبرنا يوسف بن يعقوب القاضي ، حدثنا أبو الربيع ، حدثنا حماد بن زيد عن غيلان بن جرير عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي قتادة ، رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : «**صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**» .

وفي المطبوع رواه البيهقي بسند يلتقي مع سند سماحة الإمام عند يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ الْقَاضِي ، حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْبَدٍ الزِّمَّانِيِّ ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ .

وفي المطبوع رواه مسلم في صحيحه والترمذي وابن ماجة وأبو داود وابن حبان كلهم بسند يلتقي مع سند سماحة الإمام عند حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْبَدٍ الزِّمَّانِيِّ ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ .

وفي المطبوع رواه أحمد بسند يلتقي مع سند سماحة الإمام عند غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْبَدٍ الزِّمَّانِيِّ ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ .

- عَنِ الأَمِيرِ الصَّغِيرِ .
- عَنِ الأَمِيرِ الكَبِيرِ .

وَنَرْوِيهُ أَعْلَى مِنْهُ بِثَلَاثِ دَرَجَاتٍ :

- عَنْ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصِّدِيقِ الغِمَارِيِّ .
- عَنْ وَلِيِّ اللهِ تُعَيْلِبِ الفَشْنِيِّ .
- عَنِ الشِّهَابِ الجُوهَرِيِّ .

فَيَكُونُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ وَاحِدٌ وَعِشْرُونَ رَجُلاً .

وَهُوَ أَعْلَى مَا وَقَعَ فِي الدُّنْيَا فِي مُسَلْسَلِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ .

وَقَدْ أَجَزْتُ بِهِ كُلَّ أَحْبَابِنَا حَدِيثاً مُسَلْسَلاً إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ .

بيان وبشرى عظيمة

أَجَزْتُ جَمِيعَ أَهْلِ محَبَّتِي .

فِي جَمِيعِ مَا تَضَمَّنَتْهُ أَسَانِيدَنَا العَالِيَاتِ فِي العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ :

مِنْ حَدِيثٍ ، وَفِقْهٍ ، وَتَفْسِيرٍ ، وَمُسَلْسَلاتٍ ، بِأَعْمَالِهَا وَأَفْعَالِهَا .

إِجَازَةً لَهُم وَلِأَبْنَائِهِم وَأَحْفَادِهِم .

وَلِكُلِّ مَنْ أَتَى مِنْ ذُرِّيَّاتِهِم .

خَالِداً تَالِداً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

يَرْوُونَ عَنِّي مُتَّصِلاً ، وَأَنَا فِي دَارِ البَقَاءِ .

كَمَا تَرْوُونَ عَنِّي ، وَأَنَا فِي دَارِ الفَنَاءِ .

إِجَازَةً بِشُرُوطِهَا :

- **وَأَوَّلُ شُرُوطِهَا** : هُوَ الدُّعَاءُ لِلْمُجِيزِ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ .
- **وَالثَّانِي** : دَوَامُ المَحَبَّةِ .
- **وَالثَّالِثُ** : مَعْرِفَةُ عَظِيمِ قَدْرِ النِّعْمَةِ بِهَذِهِ الإِجَازَةِ .

وَجَمِيعُ أَسَانِيدِنَا مَجْمُوعَةٌ فِي ثَبْتِنَا :

بلوغ الأماني

في

أسانيد الشريف صلاح الدين التجاني

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى

رقم التنـــزل	العنـــــــوان	الصفحة
	صلاة الفاتح..	٢
	استفتاح	٣
	الجزء الخامس من شرح التنزلات الإلهية	٥
	أولا – التنزلات الأبجدية..	٧
التنزل السادس والعشرون ومائة	الحب هو أبجديات الوجود.........................	٩
	الهمزة...	١٣
	الباء...	١٧
التنزل السابع والعشرون ومائة	اليدان...	٢٦
	التاء...	٣٢
التنزل الثامن والعشرون ومائة	رباط الحب	٣٨
	الثاء...	٤٣

رقم التنـــزل	العنــــــوان	الصفحة
التنزل التاسع والعشرون ومائة	الوجود الساري في كل موجود..........	٤٦
	الجيم	٥١
التنزل الثلاثون ومائة	الحب من عالم الأسرار..........................	٥٦
	الحاء..	٦٠
التنزل الحادي والثلاثون ومائة	عجيب هو الحب.................................	٦٦
	الخاء..	٧٤
التنزل الثاني والثلاثون ومائة	الحب جمال باطنه جلال.......................	٨٠
	الدال..	٨٥
التنزل الثالث والثلاثون ومائة	الإنسان مصدر أنس كل موجود.................	٩٢
	الذال..	٩٧
التنزل الرابع والثلاثون ومائة	الحب هو الإمام المبين..........................	٩٩
	الراء..	١١٠
التنزل الخامس والثلاثون ومائة	العبودية والربوبية................................	١٢٢
	الزاي..	١٢٧
	السين..	١٣٠
	الشين..	١٣٦

رقم التنزل	العنوان	الصفحة
التنزل السادس والثلاثون ومائة	الحب فرض عين..................................	١٣٨
	الصاد...	١٤٦
التنزل السابع والثلاثون ومائة	الكل منك وإليك وفيك............................	١٥٠
	الضاد...	١٥٥
	الطاء..	١٦٣
التنزل الثامن والثلاثون ومائة	لغز الحب...	١٦٧
	الظاء..	١٧٥
	العين..	١٧٦
التنزل التاسع والثلاثون ومائة	الجنة والنار..	١٨٣
	الغين..	١٨٦
	الفاء...	١٨٨
التنزل الأربعون ومائة	الحب ليس له شريك................................	١٩٣
	القاف...	١٩٧
التنزل الحادي والأربعون ومائة	عبد الله على الحقيقة.................................	٢٠٦
	الكاف..	٢٢٢

رقم التنزل	العنوان	الصفحة
التنزل الثاني والأربعون ومائة	طوفان المقام المحمود................................	٢٢٨
	اللام..	٢٤١
التنزل الثالث والأربعون ومائة	التنزيه والتشبيه......................................	٢٥٠
	الميم..	٢٥٥
التنزل الرابع والأربعون ومائة	جنة المعارف...	٢٦٧
	النون..	٢٧٧
التنزل الخامس والأربعون ومائة	ما زاغ البصر وما طغى.............................	٢٨٥
	الهاء..	٢٩٨
	الواو..	٣٠٠
التنزل السادس والأربعون ومائة	الله هو الوجود.......................................	٣٠٤
	الياء..	٣١٢
التنزل السابع والأربعون ومائة	تعددت الصفات واتحدت الذات....................	٣١٨
	الألف..	٣٢٩

رقم التنــزل		العنـــــوان	الصفحة
		ثانيا - التنزلات الحديثية..	٣٤٣
		مقدمة التنزلات الحديثية..	٣٤٥
	التنزل الثامن والأربعون ومائة	زاوية الحب..	٣٤٧
		سند حديث المحبة.................................	٣٥٢
	التنزل التاسع والأربعون ومائة	باب الرحمة..	٣٥٧
		سند النور..	٣٧٠
	التنزل الخمسون ومائة	رضا الحبيب..	٣٧٤
		سند حديث الأولية.................................	٣٨٠
	التنزل الحادي والخمسون ومائة	جنة الله...	٣٨٣
		سند حديث البعير..................................	٣٨٧
	التنزل الثاني والخمسون ومائة	رب الأرباب..	٣٩٠
		سند السنة المطهرة من طريق سيدي أحمد التجاني ﷺ.	٣٩٧
	التنزل الثالث والخمسون ومائة	وجود النقص هو عين الكمال.........................	٤٠٠
		أعلى سند إلى البخاري.................................	٤٠٥

رقم التنزل	العنوان	الصفحة
التنزل الرابع والخمسون ومائة	الولاية والنبوة والرسالة............................	٤٠٩
	سند حديث الحكمة..................................	٤٢٤
التنزل الخامس والخمسون ومائة	هو روح العالم..	٤٢٧
	ثلاثة أحاديث بسند واحد...........................	٤٣٢
التنزل السادس والخمسون ومائة	الخلق كله خيال وظلال............................	٤٣٦
	سند حديث القسم على الله........................	٤٤٩
التنزل السابع والخمسون ومائة	لا يفتح الباب إلا بصحبة الأحباب.................	٤٥٣
	سند حديث الفداء..................................	٤٦٣
التنزل الثامن والخمسون ومائة	الكل عنده ومنه وإليه...............................	٤٦٧
	سند حديث السلام.................................	٤٧٤
التنزل التاسع والخمسون ومائة	أهل الإحسان...	٤٧٨
	سند حديث الزيادة.................................	٤٨٨
التنزل الستون ومائة	مراتب اليقين...	٤٩١
	سند حديث الحب العظيم لآل البيت الكريم........	٥٠٠
التنزل الحادي والستون ومائة	ما ثم غير الله..	٥٠٤
	سند حديث البطاقة.................................	٥١٢

رقم التنــزل	العنـــــوان	الصفحة
التنزل الثاني والستون ومائة	أنوار المشاهدة....................................	٥١٨
	سند حديث سبق الرحمة...........................	٥٢٥
التنزل الثالث والستون ومائة	إنك أنا..	٥٢٩
	سند حديث الحق.................................	٥٣٤
التنزل الرابع والستون ومائة	الإمداد والاستعداد................................	٥٣٨
	سند حديث الكنز................................	٥٤٤
التنزل الخامس والستون ومائة	الولاية ميراث الأنبياء..............................	٥٤٨
	سند حديث النملة................................	٥٥٧
التنزل السادس والستون ومائة	من اتقى الله بالله وصل...........................	٥٦١
	سند حديث الحثيات...............................	٥٧٢
التنزل السابع والستون ومائة	فإذا أحببته كنته...................................	٥٨٣
	سند حديث يوم عاشوراء..........................	٥٩٧
خاتمة التنزلات الحديثية : بيان وبشرى عظيمة.............................		٦٠٢
فهرس المحتوى...		٦٠٥

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ {يونس : ١٠}

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء الخامس وهو الأخير من

شرح التنزلات الإلهية

في يوم الأربعاء

التاسع من شهر جمادي الآخر ١٤٣٨ هـ

الموافق الثامن من شهر مارس ٢٠١٧ م

الزاوية التجانية بامبابة

www.sheikhsalah.com